الشعر الاجتماعي في العصر الأموي
دراسة في الرؤى والتشكيل

إعداد
المعتزّ بالله حمدي محمود منصور

المشرف
الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرّار

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في
اللغة العربية وآدابها

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

كليّة الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آذار، ٢٠١٤

ب

نوقشت هذه الرسالة (الشعر الاجتماعي في العصر الأموي، دراسة في الرؤى والتشكيل) وأجيزت بتاريخ : ٢٠/ ٢/ ٢٠١٤م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
ـ الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرار، مشرفاً أستاذ الأدب الأندلسي والمغربي، الجامعة الأردنية	.....
ـ الأستاذ الدكتور جهاد شاهر المجالي، عضواً أستاذ النقد العربي القديم، الجامعة الأردنية	.....
ـ الدكتورة فريال عبد الله هديب، عضواً أستاذ الأدب الأموي المشارك، الجامعة الأردنية	.....
ـ الأستاذ الدكتور خليل عبد الرفوع، عضواً أستاذ الأدب الأموي، جامعة مؤتة	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

الإهـداء

إلى شيخي الذي خطّت متاعب الحياة تعاريج فوق جبينه، فكانت زاداً لعزيمتي وتصميمي، هيا لنكتب سِفر الرِّحلة...

" أبي "

إلى الأرواح الطاهرة التي امتطت صهوة الموت وما زالت حية في قلبي... فلم أجد أحداً بعدهما ليشغل تلك المساحة الجميلة التي كانا يملآنها داخلي... بفراقهما مات شيء مني، فما وجدت من يتطابق مع وجعي.

" أمي وأخي ". رحمهما الله.

إلى كرزتي الحمراء... قسيمتي السرّاء والضرّاء ... غذّت قلبي نبضاً... وألهمت جهدي حيوية... معاً نرسم الواقع.. ونلوّن المستقبل... معاً نسير لغد أفضل...

" زوجتي "

إلى أبنائي... شمس ضاحكة في أفق سماء... وبدرٌ يتجلى كل مساء... ونورٌ يتجاوز كل ظلام الأشياء... وورود يوقظها نبض الشمس مع الأنداء... معكما أعيش أروع محطات الحياة ... وأحيا أوقاتها الهانئة...

" معتصم وجود "

إلى مَن أملك لهم من الحب أكثر ممّا أعرف من الكلمات ... وتتجاوز محبتي لهم حدود المعاني والمفردات...

" إخوتي وأخواتي... أهلي وأصدقائي "

إلى الرجل الذي تأسرك رؤيته مُذ تراه، قلَّدني أطواقاً من الجميل لن أنساها مهما حييت... حبّاً... وشكراً موصولاً...

" الأستاذ ياسر عكروش "

أبو علي

شكر وتقدير

يُذكر الفضل لأهله فيتوجب شكرهم عليه؛ كفَاءَ ما قدّموا، ووفاءً لما بذلوا، ولذا؛ فإنني أتقدم بامتناني العظيم، وعرفاني الصادق، لأستاذي

معالي الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

لما كنت ألقاه دائماً في رحابه من أستاذية، وعلمٍ جم، وصدر رحب، يتوج ذلك كلّه تواضعُ العلماء الأجلاء، وإخلاصٌ حقيقيٌ في التوجيه والرعاية، شجّعني على المضي في طريق البحث بعزيمةٍ وثقة واطمئنان، فكان لي وللبحث الرائدَ الذي لا يكذِبُ أهله، والدليلَ الماهرَ في مجاهل الطريق ومنعرجاته، فله مني أجزل الشكر، وأصدق التقدير إذ تفضل بمنحي وسام التلمذة على يديه، وقبول الإشراف على هذه الرسالة.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور جهاد شاهر المجالي

الدكتورة فريال عبد الله هديب

الأستاذ الدكتور خليل عبد الرفوع

لتفضلهم بمناقشة هذه الرسالة، وإغنائها بالملاحظات القيمة، والتوجيهات السديدة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ ، و
الملخص باللغة العربية	ز
المقدمة	١

التمهيد

- الحياة السياسية ٦
- الحياة الاجتماعية ١١
- الحياة الاقتصادية ١٦
- الحياة الثقافية ١٩

الفصل الأول : الحياة الأسرية في الشعر الأموي

- الأسرة في الشعر الأموي ٢٤
- الأب والزوج ٢٦
- الأم والزوجة ٤٠
- الأبناء والأخوة ٦١
- الجواري والقيان ٧٦

الفصل الثاني : العادات والتقاليد في المجتمع الأموي

- المثل والأخلاق ٨٨
- النقد الاجتماعي ١٢٧
- الأطعمة والأشربة ١٣٧
- الألبسة ١٤٣

الفصل الثالث : التسلية والترفيه

- الصيد والطرد ١٦٠
- مجالس الرقص والغناء ١٦٨
- ضروب تسلية وترفيه أخرى ١٧٥

الفصل الرابع : المهن والحرف

- التعليم والتأديب ١٨١
- العمارة ١٨٨
- الصناعة ٢٠٢
- حرف ومهن وصناعات أخرى ٢١٩

الفصل الخامس : التشكيل الفني للشعر الاجتماعي

- تشكيل اللغة والأسلوب ٢٢٦
- تشكيل الصورة الشعرية ٢٣٨
- التشكيل الموسيقي ٢٤٨

- الخاتمة ٢٥٣
- المصادر والمراجع ٢٥٩
- الملخص باللغة الإنجليزية ٢٨٠

الشعر الاجتماعي في العصر الأموي
دراسة في الرؤى والتشكيل

إعداد

المعتزّ بالله حمدي محمود منصور

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح محمد جرّار

الملـخـص

لقد واكب الشعر حياة العرب منذ القدم، وانشغل بهمومهم وآمالهم، وصور ملامح حياتهم وجوانبها الاجتماعية، وجاءت هذه الدراسة لتبحث في تفاصيل الحياة الاجتماعية للمجتمع الأموي، وتكشف عن العلاقات الاجتماعية بين أفراده ، وعاداتهم وتقاليدهم، ووسائل تسليتهم وترفيههم، والمهن والحرف التي برعوا فيها، وترصد الأدوات التي استخدموها فيها، وتعرض لأبرز منجزاتهم الحضارية في المجالات الصناعية والعمرانية، وغيرها، وتمحّص النظر في التشكيل الفني للشعر الاجتماعي في العصر الأموي.

وقد خلص استقراء المقطعات والقصائد الشعرية التي وقفت الدراسة عليها، إلى أن الشعراء الأمويين عبّروا عن طبيعة العلاقات الأسرية بين أفراد مجتمعهم في مختلف صورها، ورسموا أدق تفاصيلها، كما صوروا عاداتٍ المجتمع الأموي وتقاليده، ومثله وأخلاقه، وذكروا أبرز الأطعمة والأشربة التي عرفها أهله، وأشكال ملبسهم وأنواعها وألوانها، والوسائل التي اتخذوها للتسلية والترفيه عن أنفسهم.

وكشفت الدراسة عن جملة من المهن والحرف التي برع فيها أفراد المجتمع الأموي وأتقنوها، وعرضت الدراسة لأبرز المنجزات الحضارية للمجتمع الأموي في مجالات البناء والعمارة والصناعة، مبينة أدواتهم وموادهم التي استخدموها لتحقيق تلك المنجزات.

وبينت الدراسة أن للشعر الاجتماعي في العصر الأموي ألفاظه الخاصة به، اتسم بعضها بالواقعية والمباشرة والسلاسة، وتميز بعضها الآخر بالقوة والفخامة والجزالة تبعاً للموضوع الاجتماعي الذي يطرقه الشاعر، وقد تميّز الشعر الاجتماعي بأسلوب يختلف عن غيره من الاتجاهات الشعرية، إذ يتصل موضوعه بالبيئة الاجتماعية اتصالاً وثيقاً، فهو أسلوب واقعي مباشر انسجم مع الحياة، واتصف بالوضوح، والبعد عن التفلسف والتعقيد.

وقد أبدع الشعراء الأمويون صوراً شعرية تفاعلت واتسقت مع تفاصيل حياتهم وجوانبها الاجتماعية، فجاءت صورهم بمختلف أشكالها وضروبها، وما اتكأت عليه من قوالب بلاغية متمازجة الألفاظ، واضحة الأركان، بيّنة المعالم، تنبئ عن إيحاءاتها بجلاء، وقد تنوعت صورهم الشعرية، فظهرت الصورة اللونية، والسمعية، وغيرها، بأسلوب متناسق، وانتظمت هذه الصور في النسيج العام الذي جاء للحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية.

واتضح أن الشعراء الأمويين اعتنوا في نظم شعرهم الاجتماعي بالبحور السهلة والأوزان الخفيفة؛ لتتلاءم وروح العصر الجديد، ومال بعضه إلى الأوزان القصيرة المجزوءة ملاءمة للغناء الذي انتشر في بعض البيئات الأموية، كما شاعت لديهم ظواهر موسيقية تميزت بها أشعارهم ومقطوعاتهم الاجتماعية، أسهمت جميعها في تولّد إيقاع داخلي وخارجي ملموس امتاز به أغلب الشعر الاجتماعي في العصر الأموي.

- **مـقـدمــة :**

الحمد لله الحليم المنـان، خلق الإنسـان علّمـه البيـان، والصـلاة والسلام علـى سيد بنـي الإنسـان، وبعد،

فقد انعقدت صلتي بالأدب الأموي في المرحلة الجامعية الثانية حينما بحثت موضـوع " البطولـة في الشعر الأموي"، وظل السؤال الحائر في ذهني، ما الذي امتـاز بـه المجتمـع الأمـوي حتـى لمـع فيـه هؤلاء الأبطـال؟ وكيـف كـانوا يعيشـون فـي مجتمعهم؟ ومـا هـي ظـروف عصـرهم ومعطياتـه الاجتماعية التي عاشوها؟ فتولّد في النفس شوق لدراسة العصر الأموي من جديد، وأخذ ميلي إليـه يشتد، وإحساسي به يقوى، فانصرفت إلى قراءة شـعر العصـر الأمـوي والاهتمـام بـه، وكـان ميلـي إلى الشعر الذي يصور مظاهر الحياة الاجتماعية أقوى، فأخذت في دراسة هذا الضـرب من الشعر والعناية بـه، إذ وجدت فيـه تصـوير الشـعراء لجـل المظـاهر الاجتماعيـة فـي عصـرهم، وتجسيدهم لمختلف جوانبه، ورسمهم لمعطياته المادية والمعنوية.

وعندما التحقت ببرنامج الدكتوراه أُتيحت لي الفرصة لكي أحقق ما كنت أصبو إليه وأطمـح فيـه من بحث في هذا الأدب، فكان أن اخترت الشعر الاجتماعي في العصـر الأمـوي ليكـون موضـوعاً للبحث، فعلى أهمية الشعر الاجتماعي وعظم دوره في تصوير المجتمع الأمـوي بمختلـف جوانبـه، إلا أنني لم أعثر على دراسة تناولت الشعر الاجتماعي فـي العصـر الأمـوي، فجلّ الدراسـات التـي وقعت عليهـا جـاء الحـديث فيهـا عن الشـعر الاجتمـاعي جـزءاً مـن دراسـة عامـة لأغـراض الشـعر الأموي ومضامينه، وبعضها الآخر عُقد لدراسـة الحيـاة الاجتماعيـة فـي العصـر الأمـوي مقتصـراً على منطقة جغرافية محددة، مثل؛ الحجاز، أونجد، أو بلاد الشام، وكانت أغلبها دراسـات تاريخيـة بحتة، لذا؛ عقدت العزم على الكتابة في هذا الموضوع علّني أسد ثغرة، أو أُسهم في وضع لبنة في بناء هذا الطود الشامخ.

وتـأتي أهميـة هـذه الدراسـة مـن كـون أحدٍ لـم يتصـدّ لدراسـة الشـعر الاجتمـاعي فـي هـذه الحقبـة الزمنية في دراسة مستقلّة، فليس هناك دراسةٌ قصـرها صـاحبها علـى موضـوع الشـعر الاجتمـاعي في العصر الأموي وعقدها عليه، ولذا؛ فهي تتناول موضوعاً لم يطرق من قبل بالوجه الذي تقدمه من خلال استفاضتها البحث في جوانب الحياة الاجتماعية في العصر الأموي ومظاهرها المختلفة، وذلـك باسـتقراء شـعر شـعرائه، لاسـتجلاء صـورها، وتبيـان مظاهرهـا، والكشـف عـن تجليـات

الحضارة في المجتمع الأموي ومنجزاتها المادية والمعنوية، فتقدم بذلك رسماً واضحاً جلياً للمجتمع الأموي ومظاهره الاجتماعية.

ولعل هذه الدراسة تسهم في إماطة اللثام عن المجتمع الأموي، الذي أفرز أبطالاً تميزوا في جوانب عدة، لتكون تلك الصورة نموذجاً يحتذى ومثالاً يُنتهج، فكم تحتاج أمتنا في حاضرها الذي تعيشه لمثل هذه الصورة، هذا كله ما دفعني لاختيار موضوع الشعر الاجتماعي في العصر الأموي.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة، بينت في المقدمة مسوغات إقامة هذه الدراسة، ووضحت أهميتها وأهدافها المرجوة منها، وعرضت لمكوناتها وتسلسلها، وقدمت المنهجية المتبعة في فصولها وموضوعاتها، وجاء التمهيد توطئة تاريخية للعصر الأموي، فتناولت فيه الحياة السياسية، والاقتصادية، الاجتماعية، والثقافية، وما لحق بها من تبدل بسبب تقدم الزمن، وتقلب الأحوال، وتباين الغايات.

أما الفصل الأول فخصّصته للحديث عن الحياة الأسرية والعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الأموي، فقد كشف الشعر فيه عن صور عدة للشخصية الأموية، أباً وزوجاً، وأمّاً وزوجة، وأبناءً وأخوة، وأقارب، وجواري، ورسم الشعر طبيعة العلاقات فيما بينهم بشكل جلي.

ووسمت الفصل الثاني بعنوان " العادات والتقاليد "، ووقفت فيه على مُثُل المجتمع وقِيَمِه، وبعض عاداته وتقاليده، وكيف صور الشعراء الأشخاص الذين خرجوا عن جادة الصواب، وانقلبوا على أخلاق المجتمع وعاداته، وكيف عبروا عن نقدهم الاجتماعي لبعض المظاهر التي لم يرتضوها في مجتمعهم، مثل؛ انقلاب القيم، والظلم الاجتماعي الذي وقع على بعضهم، والفقر وسوء الأحوال المعيشية. كما عرضت في هذا الفصل لأبرز عاداتهم وتقاليدهم في الأطعمة والأشربة التي عرفها الناس في المجتمع الأموي، وملابسهم وأنواعها وأشكالها وألوانها، وعادات المرأة في اتخاذ حليها وأضربه وطرائق زينتها وتطيّبها.

وعقدت الفصل الثالث للبحث في وسائل التسلية والترفيه التي اتخذها أفراد المجتمع الأموي ليمضوا أوقات فراغهم، ويرفّهوا عن أنفسهم، ويجلبوا المتعة والبهجة لها، مثل؛ رحلات الصيد

والطرد، وحضور مجالس الرقص والغناء، والخروج للنزه، وممارسة بعض الألعاب، مثل؛ سباقات الخيل، والنرد، والشطرنج.

وأتى الفصل الرابع ليعرض أبرز المهن والحرف التي امتهنها أفراد المجتمع واشتغلوا بها، فتحدثت فيه عن التعليم والتأديب واهتمام المجتمع بهما، وانتشار المعلمين والمؤدبين، وطرائق التدريس وأساليبه، كما كشف الشعر الاجتماعي الأموي عن كثير من أنواع البناء والعمارة التي أنشأها أفراد المجتمع، مثل؛ المساجد، والقصور، والدور والبيوت، والحصون والقلاع، وغيرها، وعبرّ عن اهتمامهم بجمال مظهرها وبهائها، وذكر كثيراً من المواد التي استعملوها في تشييد أبنيتهم وإخراجها بمظهر جمالي وهندسي مميز، وتلى ذلك الحديث عن ضروب الصناعة التي برع فيها صنّاع العصر ومهرته، وأنواعها، وطرائقها، مثل؛ صناعة الأسلحة ومعدات الحرب، وصناعة السفن والقوارب، والسكة وضرب العملة، وصناعة الدمى والتماثيل، وختمت الفصل بعرض لمهن وحرف وصناعات أخرى اشتغل بها أفراد المجتمع الأموي، مثل؛ الكتابة التي نال صاحبها الحظوة والرفعة، وتخيّر لها أفضل الأدوات التي استعان بها لتجويد حرفته، هذا إلى جانب الحديث عن صناعة الجلود، والنعال، والمنسوجات، وغيرها.

وجاء الفصل الخامس ختاماً لفصول الدراسة تحت عنوان " التشكيل الفني للشعر الاجتماعي في العصر الأموي "، وبيّنت فيه ما انماز به الشعر الاجتماعي عن غيره، من حيث تشكيل اللغة والأسلوب، وظهور الطابع الحواري في بعضه، وتشكيل الصورة الشعرية، والتشكيل الموسيقي.

وأخيراً ختمت الدراسة بخاتمة أوجزت فيها خلاصة البحث، وأجملت أهم نتائجه.

وتختلف هذه الدراسة عن الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع في أنها تتناول الشعر الاجتماعي في العصر الأموي تحديداً بالدرس والتحليل، مشتملة على دراسة للجانب الفني في الشعر الاجتماعي تبحث في أدوات التشكيل الفنية لدى شعراء العصر الأموي.

كما أنها تعرض لجوانب الحياة الاجتماعية في العصر الأموي وتناقشها وتحللها من خلال الأشعار، متناولة النصوص التي تصور مجالات الحياة الاجتماعية، الأمر الذي قد لا نجده في بقية الدراسات التي جاء فيها الحديث عن المجتمع الأموي في ثنايا حديثها عن أغراض الشعر، مثل؛ المديح، والفخر، والرثاء،وغيرها، أو في حديثها عن الخصائص الفنية للشعر الأموي، وتختلف

هذه الدراسة عن سابقاتها في اعتمادها على الشعر بوصفه وثيقة اجتماعية تشتشف منها جوانب الحياة وتفاصيلها في المجتمع الأموي.

وتتّبع هذه الدراسة مناهج تتعدد حسب مقتضيات الموضوعات التي تعرض لها الفصول، فاستخدم فيها كل من المنهج التاريخي لرصد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمع الأموي، ومنهج استقرائي وصفي تحليلي لجمع المادة الشعرية من مظانّها المختلفة، سواء في ذلك دواوين شعراء العصر الأموي، أو المختارات الشعرية، ومن ثم تصنيفها وتبويبها، وتعمّق ذلك بالتحليل، واستخدم المنهج الإحصائي بشكل مبسّط في بعض المواضع التي تتطلب ذلك.

وختاماً، فإنني أسجل الفضل لأهله والشكر لأربابه، وأتوجه بالامتنان العظيم، والعرفان الصادق إلى شيخي معالي الأستاذ الدكتور صلاح جرّار، إذ منحني وسام التلمذة على يديه، وتفضّل بقبول الإشراف على هذا البحث ورعايته، وتقويم ما اعوجّ منه، فكان أن خرج على هذا الشكل.

كما أتقدم بجزيل الشّكر والتقدير لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة؛ لتفضُّلهم بمناقشة هذه الرسالة، وتقديم ملاحظاتهم القيِّمة وتوجيهاتهم السَّديدة، وإنني لأسأل الله بلوغ المنى وسداد الخطى، والله ولي التوفيق.

الـتـمـهـيـد

- الحياة السياسية
- الحياة الاجتماعية
- الحياة الاقتصادية
- الحياة الثقافية

الحياة السياسية :

كان وصول الأمويين إلى السلطة فاتحة عهد جديد في أسلوب الوصول إلى الحكم، حيث اعتلى معاوية بن أبي سفيان عرش الخلافة بالقوة عام ٤١هـ/٦٦١م، وكانت حجّة الأمويين آنذاك ليثبتوا حقهم في تولّي مقاليد الحكم أنّ إجماع الناس انعقد عليهم، ولكنهم كانوا يدركون في قرارة أنفسهم أن الذي حمل المسلمين على البيعة أمران: المال والخوف، ويتضح هذا في حديث معاوية لأهل المدينة المنورة حين قال: " فإني والله ما وليتها بمحبة منكم ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة"[١]، وأكد في موضع آخر أنه أصلح الناس للحكم وأقْوَم الناس بأعبائه، حيث قال: " فإن لم تجدوني خيركم فإني خيركم ولاية "[٢]. ولذلك كان من الطبيعي أن تجد الخلافة الأموية معارضة واسعة من قبل خصومها رغم محاولات بني أمية الكثيرة التي سعت إلى التأكيد أن خلافتهم قامت بإرادة الله تعالى هادفة إلى حماية المسلمين من الانشقاق والفتنة، وأنها وسيلة لتطبيق العدالة والعمل بالشريعة الإسلامية بهدف خير الأمة.

وما إن استولى زعيم الأمويين معاوية بن أبي سفيان على مقاليد الحكم وتولى شؤون الخلافة الإسلامية حتى نقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى دمشق في الشام، وظلت هي العاصمة الكبرى حتى سقط الدولة الأموية عام ١٣٢هـ/٧٥٠م.

وكان لموقع دمشق وقربها من جزيرة العرب ومصر والعراق أبلغ الأثر في جعلها مدينة تجارية ومركزاً رئيساً يصل بين الشرق والغرب، وقد تولى مقاليد الخلافة في دمشق طوال العصر الأموي ثلاث عشرة خليفة، كانت لهم السيادة على العالم الإسلامي كله، وكانت جيوشهم تسير من نصر إلى نصر، ويجيء إليهم الخراج من كل مكان يدين بالإسلام.

وبهذا اكتسبت الخلافة الأموية طابع الإمبراطورية العربية التي أنشأها الأمويون وحافظوا على حكمها بصورة مباشرة، وقد استفاد منها العرب وغير العرب، وأخذت الخلافة الأموية طابع الملك العَضُد، وكانوا يورّثونه لأبنائهم وأقربائهم وحفدتهم المتصلين بهم بأواصر الدم.

---

[١] - الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٣٢ .
[٢] - المصدر نفسه، ج٣، ص٢٣٢ .

وبعد تثبيت الخلافة الأموية، عمدت سلطتها المركزية في دمشق إلى إقرار التقسيمات الإدارية التي كان معمولاً بها في بلاد الشام والعراق سابقاً، ثم طورتها، آخذة بعين الأعتبار سائر الأقطار العربية وأوضاعها الإدارية في ظل بنية الدولة العربية الجديدة، وغداة الانتهاء من الحروب الأهلية التي كانت تنشب بين الحين والآخر في وجه الخلفاء الأمويين، صار بالإمكان الوقوف على التقسيمات الإدارية الجديدة التي أقرها الخلفاء الأمويون في الأقطار والأمصار التي شملها الفتح، وخضعت بالتالي لسلطان الأمويين، وأصبحت دار الخلافة الأموية مقسمة إدارياً إلى: سورية وفلسطين، ثم الكوفة مع كل العراق، ثم البصرة ومعها فارس وسجستان وخراسان والبحرين وعُمان وقد ضمت إليها نجد واليمامة أيضاً، ثم الحجاز، ثم كرمان والبلاد الواقعة على حدود الهند والسند، ثم مصر، ثم إفريقيا، ثم اليمن وجنوبي بلاد العرب، وقد ضمّت الأندلس بعد فتحها إلى أفريقيا [١]، وكانت هذه التقسيمات الإدارية عُرضة للتغيير والتبديل تبعاً لتبدل الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

ولقد كانت سياسة الدولة الإدارية تتصف بالحصافة والقوة معاً، لاسيما في زمن التأسيس، حيث أحسن الخلفاء اختيار الولاة، ولذلك استطاعت الدولة العربية أن تنهض بكل قوة رغم الصعوبات التي كانت تواجهها، والمتمثلة في مجمل الحركات الثورية المعارضة لحكم الأمويين، غير أن الأمر اختلف فيما بعد، حين أطلق بعض الخلفاء يد عمّالهم في أعمال العسف وابتزاز الأموال، وكان ذلك سبباً في كثير من الاضطرابات الداخلية التي وقعت على وجه الخصوص في أواخر أيام الدولة الأموية، وفي هذا الجانب يذكر السيد أمير علي: " أن هناك نقصاً قد تطرق إلى النظام الإداري في عهد بني أمية وجرَ إلى أسوأ العواقب فيما بعد، وذلك أنه كان من المفروض على ولاة الأقاليم، الإقامة في حواضر ولاياتهم، وأما في آخر عهد الأمويين، فقد أصبحت الولايات تستند إلى بعض أفراد البيت المالك وإلى كبار رجال البلاط، فكانوا يبقون في دمشق ويعينون من قبلهم رجالاً يقومون بحكم الولاية نيابة عنهم، وكان من أهم أغراض هؤلاء الإثراء على حساب بيت المال، وإرضاء هؤلاء الولاة بما كانوا يدرون عليهم من الأموال " [٢].

وعمد معاوية في بداية الأمر إلى التفريق بين الإدارة والمسائل المالية، فعيّن جباة مخصوصين لواردات الدولة، وبتقدم الدولة الأموية اتبعت سياسة إدارية أكثر ملاءمة لظروفهم الجديدة، حيث يلاحظ أن الوظائف العامة في الأمصار الكبيرة مثل؛ الكوفة والبصرة والفسطاط، كان يترك أمرها

---

[١] - انظر: الحسين، قصي (٢٠٠٤)، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، ط١، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ص٥٢.
[٢] - الهندي، سيد أمير علي (١٩٣٨)، مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي، (ترجمة رياض رأفت)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص٤٥ .

أحياناً للخليفة وأحياناً للأمير، وذلك لنفوذ الأمير ومكانته عند الخليفة، فصاحب الخراج والقاضي ومدير الشرطة والكاتب كانت وظائف هامة وحساسة في سياسة الدولة الإدارية، ولذلك كان الخليفة _مثلاً_ يسمي القاضي وصاحب الخراج لخطورة مركزيهما، وربما يترك للأمير نفسه أن يسمي الكاتب ومدير الشرطة، وأحياناً كثيرة يعين الجميع من دمشق.

وتولى الأمراء حل المنازعات في حواضرهم، غير أنهم سمحوا برفع صاحب الظلامة شكواه إلى الخليفة مباشرة إذا رغب في ذلك، وعملت الخلافة الأموية على تطوير منصب صاحب الشرطة وتقويته، فقد أوكلت إلى جهاز الشرطة مهمات حفظ الأمن في الأمصار والأقطار، والسهر على دولة الأمويين التي كان خصومها السياسيّون يتربصون بها من كل جانب، وأوكل للشرطة في زمن الأمويين تنفيذ أحكام القضاة، وفرض العقوبات الزاجرة، وإقامة التأديب في حق من لم ينته عن الجريمة.

وهكذا كانت الشرطة في عصر بني أمية خاضعة للقضاء أيضاً تساعد القاضي في إثبات الوقائع الجرمية على المتّهمين، وتساعد السلطة السياسية على تنفيذ الأحكام، وكان يتولى صاحب الشرطة إقامة الحدود على الزنا وشرب المسكرات وعلى أمور شرعية كثيرة.

وهكذا كانت الحياة السياسية في عصر بني أمية حياة ثائرة، لم تعرف الهدوء في أكثر أيامها، إذ كان الأمويون يعدَون في رأي كثير من الأمة الإسلامية غاصبين للخلافة، واتسمت حياة الشام ببعض الهدوء لوجود الأمويين فيها، أما الحجاز والعراق فقد عُرفا بالسخط على بني أمية وسلطتهم، وسرعان ما نتج عن ذلك السخط أحزاب سياسية تعارض بني أمية وتخاصمهم وتدعو إلى الانتفاض عليهم، وهي أحزاب الزبيريين والخوارج والشيعة، وكانت مبادئ هذه الأحزاب واختلافاتها مدعاة لكثرة الثورات في أثناء هذا العصر.

أما حزب بني أمية، وهو حزب الدولة والحكومة، فقد كان يندمج فيه أهل الشام وكثير من أهل البلدان الأخرى، فهو حزب السواد الأعظم[1]، وكان لهذا الحزب الذائدون عنه خصومه من الزبيريين والخوارج والشيعة، وبهذا يمكن القول: إن الأمة انقسمت آنذاك إلى قسمين بارزين: قسم

[1] - انظر: ضيف، شوقي (١٩٩١)، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ط٩، دار المعارف، القاهرة، ص٩٦ .

مع بني هاشم وهم الشيعة، وقسم مع الأمويين. وإلى ذلك يشير ابن الحنفية إذ يقول: " أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أنداداً من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يعني بني أمية "[١].

وقد كان لكل حزب شعراؤه الذين ينافحون عنه ويرمون خصومه، وبهذا تطور الشعر في العصر الأموي بتأثير السياسة، فقد عبر الشعر الأموي عن نظريات سياسية جديدة قنع بها أصحابها ونادوا بها.

وتمتاز الدولة الأموية بأن عصرها كله زمن فتح، ففيه اتسعت حدود الدولة الإسلامية من الجهة الشرقية في السند والصغد وبلاد الترك، ومن الجهة الشمالية في أذربيجان وأرمينيا وبلاد الروم، ومن الجهة الغربية في إفريقيا والأندلس. وهذه الفتوحات مما يحسب للدولة الأموية ويدلل على قوة دولتهم واستجابة الناس لهم.

ومما يحسب للدولة الأموية تطور جهازها الحكومي الذي تمثل في إنشاء بعض الدواوين التي دعت الحاجة لاستحداثها، فكانت الدواوين الرئيسة لعهد بني أمية ثلاثة: ديوان الجند، وديوان الخراج، وديوان الرسائل، وكان عندهم ما يسمى بديوان الخاتم، وهو الديوان الذي تختم فيه الكتب بعد أن تكتب، وقد جعلها بعض المؤرخين خمسة، مضيفاً ديوان البريد وديوان بيت المال [٢].

وكانت دولة بني أمية تعتز بالعرب وترفع من شأنهم، ولا تنظر إلى الموالي نظرة رعاية أو تقدير، فدولة بني أمية كما يقول الجاحظ: " عربية أعرابية " [٣]. وتجلى ذلك في اهتمام الأمويين بالعرب وإقصائهم الموالي عن الوظائف الكبرى، إذ كان بنو امية لا يستخلفون بني الإماء [٤]، ولا يبايعون لبني أمهات الأولاد [٥]، وبذلك حافظ الخلفاء الأمويون على الصبغة والثقافة العربية، وشجعت الجنس العربي، وألقت في يده زمام أمور الدولة.

---

[١] - ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ج ٥، ص٦٨.

[٢] - دراج، أحمد السيد (١٤٠١هـ)، صناعة الكتابة و تطورها في العصور الإسلامية، دعوة الحق ، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة الأولى، ذو القعدة، (العدد ٨)، ص٢٦- ٣٤ .

[٣] - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، البيان والتبيين، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م، ٣ : ٢٠٦.

[٤] - ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، العقد الفريد، (تحقيق محمد سعيد العريان)، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٠م، ج٤، ص١٨٠.

[٥] - المصدر نفسه، ج٤، ص١٨١.

وتكالبت على الدولة الأموية أسباب آذنت بسقوطها بدءاً من ولاية العهد التي كانت سبباً كبيراً في انشقاق البيت الأموي وتجزئة قواه، إضافة إلى العصبية القبلية التي فتتت الأمة أشلاء، كل منها يناصر شيعته وأهله، ينضاف إلى ذلك تحكيم بعض الخلفاء من بني أمية أهواءهم في أمر قوّادهم، ومبالغتهم في الترف واللهو، فأدى ذلك كله إلى خلل سرى في أرجاء الدولة كلها.

كانت تلك الأسباب وغيرها مثاراً لقيام الثورات والقلاقل التي انفجرت في كل مكان تقريباً، مما أضعف الدولة الأموية وكبدها خسائر معنوية ومادية أوهنتها حتى فاجأت الثورة العباسية مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قادمة من خراسان كالسيل المنهمر، مكتسحة قواته بهزيمة ساحقة في موقعة الزاب في جمادى الآخرة سنة (١٣٢ هـ)[١] التي أفلت معها شمس الدولة الأموية.

[١] . انظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦، ج٤، ص٣١٧ وما بعدها. والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)، مروج الذهب و معادن الجوهر، ط١، دار الأندلس ، بيروت، ١٩٦٥م، ج١، ص٤٥٤.

الحياة الاجتماعية :

جاء العصر الأموي في أعقاب مرحلة انتقالية تحولت فيها منظومة القيم القديمة، وتبدّل النظر فيها في الثابت والمألوف من الأمور، واعترى الشخصية العربية قدر غير قليل من التحول والتغير في ظل حياة اجتماعية لا ترى سبيلاً لها إلا التغيير والتبديل، وبهذا فقد شهد هذا العصر تحولاً حاسماً في تاريخ المجتمع العربي، فقد انتقل هذا المجتمع بعد أن مهد له عصر صدر الإسلام من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر، وفي ضوء هذه النقلة الحضارية الضخمة يجب أن يتم النظر في ما غيّرته رياحها، وفي ما عكسته هذه النقلة على قيم المجتمع، ومثله، وعاداته، وعلاقاته، وأموره الاجتماعية.

ولم تختلف عناصر المجتمع في العصر الأموي عنها في صدر الإسلام اختلافاً كبيراً، فقد كان يتألف من: العرب الذين يشكلون العنصر الأساسي في المجتمع، وعناصر غيرعربية كانت خليطاً من أجناس عدة: منهم الرومي والفارسي والهندي والنبطي، وقد زاد عددهم بازدياد الفتوحات الإسلامية واتساع رقعة الدولة الأموية، كما برزت في العصر الأموي طبقة الموالي والعبيد وكانوا يمثلون طبقة كثيرة العدد، يستعملهم العرب " لتشغيلهم في الأعمال الزراعية وفي التعدين والحرف " [١]، أما العبيد فكان مصدرهم الأكبر من إغارة القبائل على بعضها، وأصبحت الفتوحات الإسلامية مصدراً من مصادر الرقيق، وكان المسلمون يسترِقّون بعض من يقع في أيديهم من الأسرى، وكانوا يستخدمون مع الجيوش الإسلامية في القتال، أو يستخدمون في الأعمال المدنية للخدمة في البيوت أو العمل في الصناعة والتجارة أحياناً، وعرف في العصر الأموي أن من يعملون بالحرف اليدوية هم من الأعاجم من عبيد وموالٍ، فقد كانوا يعملون في إصلاح الطرق والحياكة وصنع النعال[٢].

وكان العبيد يلقون المعاملة السيئة من مالكيهم، فكان أن خرج قسم منهم عن طاعتهم وانضموا إلى الخارجين، فعرفوا باسم الضُّلَّال والصعاليك والخلعاء[٣]، وكان منهم من يتحصل على حريته فيستقر في البلاد ويدخل في حِمى قبيلة سيده، أو في حِمى إحدى القبائل الأخرى، وهم سُمّوا موالي العتاق، وكانوا يحملون اسم القبيلة ولكن يسبقها كلمة مولى.

---

[١] - علي، جواد (١٩٧١)، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ج٧، ص ٤٥٧.
[٢] - انظر : ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٤١.
[٣] - علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج٧ ، ص٤٦٧.

وانتشر كذلك استخدام الجواري، وكن يُهدين للخلفاء والولاة أو يهديها هؤلاء للشعراء وغيرهم كمكافأة، وقد أهدى الحجاج لجرير جارية بيضاء مديدة القامة، كان قد بعث بها إليه عامله باليمامة[١].

وإضافة إلى موالي العتاقة، كان هناك موالٍ دخلوا الإسلام طائعين، وجاءوا إلى البلاد العربية للإقامة فيها، واختاروا أن يكونوا في حماية قبيلة من القبائل لعربية، ورغم مساواة الدين الإسلامي بين المسلمين من عرب وعجم ونهيه عن العصبيات وقضائه عليها، إلا أنها عادت للظهور بقوة نتيجة السياسة الأموية، ولذا؛ نظر العرب إلى غيرهم من الأقوام على أنهم أقل منهم شأناً وأوضع منزلة، ومهما كان مركزهم أو وضعهم الاقتصادي فقد ظلوا اجتماعياً في الدرجة الثانية بعد العرب، غير أن كثرتهم وقوة بعضهم المالية قربتهم من العرب، فقد امتلك بعضهم القرى والضياع، وتوطدت علاقاتهم ببعض القبائل لدرجة التزاوج، كما كان في علاقتهم ببني حنيفة [٢].

وعرف أهل العصر الأموي حياة الاستقرار في المدن والقرى، وعاشوا فيها عيشة رفاهية، وعملوا في الزراعة والتجارة، وكثرت لديهم أماكن التنزه والرياض، وعاش بعض السكان في قصور أو حصون، وعرفوا أماكن للشرب والطرب، ومارسوا أنواعاً من اللهو المرتبط بالفروسية، مثل؛ إعداد الحلبات لسباق الخيل، ولهو رياضي، مثل؛ الإقبال على الصيد، ولهو آخر، مثل؛ لعب الشطرنج، والتلذذ باستماع الموسيقى والغناء.

وقد كلف الناس آنذاك بالموسيقى والغناء، وكان للقيان أثر ملحوظ في تقدم الغناء في العصر الأموي، ويلاحظ أن أكثر المغنّين والقيان في هذا العصر كانوا من غير العرب، كما كانوا في العصر الجاهلي.

وكان للصيد وللطرد الحظوة والاهتمام عند أبناء المجتمع الأموي، وغدا عند أكثرهم وسيلة من وسائل اللهو، ومظهراً من مظاهر الغنى والترف، وكان عند بعضهم كفاء لأنفسهم عما في أيدي الآخرين، ومهما تكن الأسباب والدواعي فقد " شاع الصيد زمن بني أمية وفشا بين الناس،

---

[١] - الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، الأغاني، (حققه عبد الستار أحمد فرّاج)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م، ج٨، ص٦٦.

[٢] - انظر : المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت ٢٨٦هـ)، الكامل في اللغة والأدب، (تحقيق حنا الفاخوري)، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م، ج٢ ، ص٣٣١

وأصبحت تمارسه أصناف كثيرة منهم، وغدت تعدَ له الرحلات وتقام له الحفلات التي يجتمع فيها أشتات من الناس ويختلط في حومتها الحابل بالنابل، ويتخلى فيها ذوو الوقار عن وقارهم " [١].

وقد عرف أهل العصر الأموي كثيراً من أساليب التفنن في الملبس نتيجة اندماجهم بالشعوب الأخرى، وانتقال أكثرهم من طور البداوة إلى طور التحضر والتمدن، " فتطوروا بتطوّر الحضارة والترف في الأحوال واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والآنية وسائر الماعون " [٢]. فارتدوا أنواعاً مختلفة من الثياب من حيث نسيجها وألوانها وزخرفها، وتفننت المرأة الحرة – بوجه خاص - في العصر الأموي في اتخاذ أصناف الحلي النفيسة وأنواع الطيب والعطور متناغمة بذلك وحضارتها الجديدة.

واختلفت الحياة في المدن والقرى عن حياة البادية، فلا يستطيع من اعتاد رفاهية المدن وعاداتها أن يتحمل شظف العيش وخشونته في البادية، وكذلك لا يعتاد البدو حياة المدن ورفاهية العيش فيها، فحياة البدو حياة قاسية، يتعايشون فيها على إنتاج ماشيتهم، وصيد الطيور والحيوانات البرية، وكانت الغارات على القبائل الأخرى مصدراً من مصادر الرزق، وقد اعتبروا الغزو شيئاً مشروعاً للحفاظ على حياتهم، وتزداد حياة البدو صعوبة إذا انقطع المطر، فتجدب الأرض وتقل المراعي وتهلك الماشية فينقطع بذلك مصدر أساسي من مصادر رزقهم.

ولم يكن البدو منعزلين تماماً عن مناطق الحضر، بل كانوا يترددون عليها في بعض المواسم، فكان بنو تميم يأتون من البادية إلى البحرين لقطف النخل والثمر[٣]، وفي تردد البدو هذا على الحضر كانوا يحملون معهم إلى القرى والمدن إنتاجهم من السمن والصوف والماشية، ويشترون بثمنه التمر والقمح وما يحتاجون إليه من لباس وغير ذلك من احتياجاتهم.

وكان النظام الداخلي للقبائل فيها تحكمه العادات والتقاليد العربية التي كانت سائدة في الجاهلية، وكان الفرد يجد في ظل قبيلته الحماية والرعاية ويقوم هو بالذود عنها والفخر بها.

---

[١] - الباشا،عبد الرحمن رأفت (١٩٧٤)، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٨٤.

[٢] - ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١ : ١٧٢.

[٣] - انظر: البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، جمل من أنساب الأشراف، (تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي)، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م، ج١١، ص٣٧٤.

وكانت العادات والتقاليد القبلية تحكم العلاقات الاجتماعية في الحاضرة والبادية على حد سواء، فقد كان الاعتزاز بالنسب من الأمور الهامة التي تقوي أو تضعف الروابط بين الأفراد والجماعات.

واعتز أهل المجتمع الأموي بالقيم العربية، مثل؛ الشجاعة والنجدة وإكرام الضيف، وكانت تحكم تصرفاتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، كما حافظ الإنسان الأموي على جملة من الخصال والأخلاق واعتز بالتحلي والاتصاف بها، مثل؛ العفة، والإباء، والوفاء، والحزم، وغيرها، وكثيراً ما كانت العلاقات بين الأفراد داخل الأسرة الواحدة علاقة حميمة وطيدة، توطدها المحبة والتعاون والتلاحم.

وعندما خالط العرب الأمم الأخرى أثروا فيها وتأثروا بها، ومن جملة المؤثرات التي أثرت في الحياة الاجتماعية للعرب أثناء الخلافة الأموية ظهور مراسيم ثابتة في بلاطات الخلفاء، ففي مجال الطعام مثلاً، تعددت ألوان الطعام، واستخدمت طرق جديدة في تناوله، مثل؛ استعمال الفوط والملاعق واستخدمت الكراسي الخشبية أمام الموائد.

كما كان من نتائج اختلاط العرب بعد استقرار الفتوحات العربية الإسلامية بالأمم الأخرى كالروم، أن دخلت إلى حياتهم متغيرات اجتماعية في عاداتهم وحياتهم اليومية، فقد استفاد معاوية بن أبي سفيان من نظم الحكم التي أدخلها الروم البيزنطيون إلى بلاد الشام، وهو أول من اتخذ الحجاب والحشم ووضع المقصورة لإقامة الصلاة، وعمل بعض الأمويين على إنهاض شعر مجالس الخمر، والاستعانة به في خدمة سياستهم ومصالحهم في الحكم، فتساهلوا في الأمور التي تتعلق بالدين بعيداً عن السياسة، وتبعهم غير قليل من الناس الذين لاقوا فسحة رحبة من الحرية، والاستمتاع بملاذ الحياة الدنيا، فأقبل بعض الناس على ارتياد مجالس الخمر، وافتتن بعض الشعراء في تصويرها مفصحين من خلالها عن بعض جوانب الحياة العامة في المجتمع الأموي.

وكان من عادة الناس في العصر الأموي اللجوء إلى الوالي لحل مشكلاتهم الاجتماعية، واللجوء إلى المشعوذين والعرّافين والكهنة للمداواة، وكانوا يستعملون للعلاج المنتوجات الطبيعية، مثل؛

الحنظل، والحليب للهضم ولعلاج الفالج، واستعملوا الكي في حال لصوق الرئة في الأضلاع (الظَّنِيّ)، ومن ذلك معالجة الفرزدق عندما مرض بالكي وشرب النفط الأبيض [١].

وبالرغم من اتساع رقعة الدولة الأموية جغرافيّاً إلا أن حياة أهلها الاجتماعية تباينت أحياناً باختلاف بيئاتهم، وتشابهت أحياناً، وتآلف أفراد البيئات تارة واختلفوا أخرى، وكان لكل بيئة جغرافية خصوصية تصبغ أهلها وتطبعهم بطابعها.

ففي الحجاز والشام عاش الأمويون حياة مترفة منعمة أثرت في شعرهم وأدبهم وعاداتهم وتقاليدهم، وفي نجد أنتجت الحياة الاجتماعية التي اتصفت بالشظف والحرمان شعراً ابتعد عن الحضارة المادية وانصرفت عن اللهو والحرية الإباحية، وانتقالاً إلى العراق ومدينتيه الكبيرتين البصرة والكوفة اللتين كان أهلهما يشتغلون طوال هذا العصر بالحروب والفتوح، حروب الخوارج وفتوح خراسان والهند، مما لم يحقق لأهلهما الاندماج التام، فقد نزلوا فيهما قبائل، كل قبيلة لها منازلها، فكان لكل منهما فرديتها وتمازج أهلها، ومن هنا غلب على الحياة في البلدتين طابع الحياة الجاهلية وما يتصل بها من لهو وعبث وعصبيات قبلية [٢].

إن كل ما تقدم يدل على أن الشعر في العصر الأموي تطور مع تطور حياة العرب الاجتماعية، وتنوع بتنوع بيئاتهم، واصطبغ بواقع أهله ومعيشتهم.

---

[١] - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف ، ج١٢، ص٧٩.
[٢] - انظر: ضيف، شوقي، التطور و التجديد في العصر الأموي، ص١٠١- ١١٧ .

الحياة الاقتصادية :

تتأثر المجتمعات كثيراً بأوضاعها وحياتها الاقتصادية، وينعكس ذلك على شؤون المجتمع وأفراده كافة، بما في ذلك عاداته ومثله وقيمه ووسائل عيشه وتسليته، فللمؤثرت المادية أبلغ الأثر في نفسيات الأفراد وسلوكهم.

ولقد شهد عصر بني أمية اتساعاً في رقعة الدولة الإسلامية، وتزايداً في ثرواتها وتنوع مصادر هذه الثروات، وتعدد أوجه صرفها، ونتج عن ذلك كله تعيين الولاة والعمال والسعاة، وكان من الصعب ضبط القائمين على الشؤون المالية ضبطاً دقيقاً مباشراً، مما أدى إلى سرقة بعض الأموال أو تبذيرها أو التلاعب بها من قبل بعض ولاة الأمويين وعمالهم، ولما حرص الأمويون على الإبقاء على ملكهم وتثبيت حكمهم كما أوصى أبو سفيان بقوله: " يا بني أمية تلقفوها تلقُف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة " [١]. فقد استغلوا لتحقيق هذا الهدف كل وسيلة متاحة، وكان الجانب الاقتصادي من بين تلك الوسائل ولعله أهمها، فقد أغدقوا المال على مؤيديهم عامة وعلى ولاتهم خاصة، مما أشاع الترف والغنى بين هذه الطبقة، وقد ضيّق بني أمية على خصومهم الذين لا يعلنون طاعتهم لهم وولاءهم وتفانيهم من أجلهم.

لقد كان السلاح الاقتصادي المالي من أقوى الأسلحة التي أشهرها بنو أمية في وجه كل من أعرض عنهم وعارض سياستهم، وتنوعت أشكال هذا السلاح، مثل؛ قطع الأعطيات، ومصادرة الثروات، وفرض الضرائب، والتفنن في جباية الصدقات والخراج[٢]، وغيرها من صروف التضييق والتنكيل الاقتصادي.

إن تباين الوضع المادي للناس في العصر الأموي شكل طبقات متباعدة مالياً واجتماعياً، طبقة تحيا حياة رغدة ناعمة بسبب ثرائها السريع غير المبرر، وطبقة تحيا حياة ضنك العيش وتكابد شظف الحياة، وتعاني قلة الموارد التي تسد رمق أفرادها.

---

[١]- المسعودي، مروج الذهب و معادن الجوهر، ج٢، ص٣٤٣ .

[٢] - انظر: صالح، مخيمر (١٩٨٨)، شعر الاحتجاج الاقتصادي في العصر الأموي، ط١، دار الفيحاء، عمان، ص١٨ .

وكانت عملة الناس في العصر الأموي دراهم ودنانير سكَها معاوية بن أبي سفيان ووضع عليها صورته متقلداً سيفه [١]، وظل العرب يتعاملون بها إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) الذي تشير المصادر إلى أنه أول من ضرب النقود على الطراز العربي الإسلامي، ثم أمر بسحب النقود القديمة التي كان يجري التعامل بها، ومنع الناس من التعامل بها، وبعد أن ضرب الخليفة عبد الملك الدينار بدمشق بعث بالسكة إلى أمير العراق الحجاج بن يوسف الثقفي وأمره أن يضرب الدراهم في العراق والمشرق الإسلامي، ولتسهيل التعامل التجاري بالنقود ضربت قطع نقدية تمثل أجزاء من الدينار وأخرى تمثل أجزاء ومضاعفات الدرهم[٢].

وشكلت الثروة الزراعية مورداً هاماً لاقتصاد بني أمية، لاسيما أنهم ورثوا دولة واسعة الأرجاء على إثر الفتوحات الإسلامية الناجحة التي تمت منذ عهد خلافة عمر بن الخطاب _رضي الله عنه_، وتنوعت التضاريس الطبيعية لتلك المساحات الشاسعة مما أدى إلى تنوع المجالات الزراعية وتوفر المياه بمختلف مصادره، وقد عمل الأمويون على إقطاع تلك الأراضي لإحياء الموات والمهملة منها حتى أخذت تدر عليهم وعلى اقتصاد دولتهم موارد كثيرة.

إن الانتصارات العسكرية والفتوحات الإسلامية التي تحققت في العصر الأموي أفضت إلى متغيرات اقتصادية عديدة، وألزمت توسعاً في الإنتاج الزراعي والصناعي، وأنتجت حركة تجارية متدفقة ومتعددة، مما جعل الجانب الاقتصادي بكل معطياته وجزيئاته يحتل اهتماماً كبيراً لدى الأمويين خلفاءً وأفراداً.

وقد رافق ذلك التوسع الجغرافي في العهد الأموي ازدهارٌ صناعيٌ ساهم في التطور العلمي الذي حصل نتيجة لاستقرار العرب وانصرافهم للتعلم والعطاء والأخذ بما توصل إليه الشرق والغرب في دفع عجلته.

وعلى سبيل المثال لا الحصر عرفت صناعة الزجاج في البصرة، واشتهرت الكوفة وواسط والفسطاط بصناعة الأنسجة القطنية والصوفية، واشتهرت القيروان ومدن المغرب العربي بصناعة الأنسجة الحريرية والصناعات المعدنية وصناعة الزيوت ودباغة الجلود وصناعة

---

[١] - المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ)، النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود،(تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٧م، ص٣٣ .

[٢] - انظر: البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ)، فتوح البلدان ، (تحقيق م.ج. دي غويه)، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م، ص٥٧٢ .

الورق، وعرفت صناعة البرود في اليمن وحضرموت وقطر، وازدهرت صناعة التحف العاجية في بلاد الشام [١].

وانتعشت الطرق البحرية والنهرية والبرية في الدولة الأموية الواسعة الأرجاء، وقد ظهر هذا الانتعاش والنشاط نتيجة زيادة الطلب على الواردات والحاجة إلى تبادل السلع والتجارات بعد استقرار عمليات التحرير والفتوحات العربية والإسلامية وتأسيس الأمصار والمدن، فظهرت أنماط إنتاجية جديدة في المراكز الحضرية التي نشّطت بدورها مختلف الطرق التجارية، مثل؛ البصرة والكوفة ودمشق وحلب وموانئ اليمن ومكة والبحرين وعُمان وغيرها.

وقد اهتم الأمويون وعمالهم بإنشاء الأسواق وتنظيمها في المدن، وشجعوا التجار وأصحاب الحرف، وأخضعوا أسواقهم لمراقبة موظفين مهرة يعيّنهم الأمراء والولاة ومعهم الأعوان يساعدونهم على القيام بمهامهم المتعددة، فمنهم من يتولى حراستها في الليل والنهار، ومنهم من يراقب المكاييل والأوزان ورصد عمليات البيع وتمييز الدراهم لمعرفة جيدها ورديئها، والتحكيم بين أصحاب المهن فيما يقع بينهم من خلافات، إضافة إلى جمع ضريبة الأسواق، ويدل كل هذا على اهتمام الأمويّين وعمالهم المتزايد بالحركة التجارية وبتنشيطها.

وجاء التطور العمراني بنوعيه البدوي والحضري نتيجة حتمية ومنطقية لنشوء الأمصار والمدن واستقرار العرب، فقد أسس الأمويون مدناً جديدةً، مثل؛ مدينة واسط التي بناها الحجاج الثقفي في العراق، ومدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع في تونس، ولم يكتف الأمويون، خلفاء وأمراء وولاة بتشجيع البناء والعمران وتخطيط المدن، بل شجّعوا الأعمال العمرانية في المدن، وجمّلوا وحسّنوا خطط المدن وطرقها، وأولوا اهتماماً بالغاً ببناء القصور في المدن الرئيسة والبادية، وهي قصور اشتهرت في التاريخ لما تحمله من آثار فنية في العمارة الإسلامية، كما اعتنى الأمويون ببناء المساجد الجديدة وتعميرها وإصلاح ما كان موجوداً منها، ومن أشهر وأهم المساجد التي شيدت في العصر الأموي مسجد قبة الصخرة الذي يعد من أروع العمائر الأموية في بلاد الشام، والمسجد الأقصى في القدس وهناك الجامع الأموي بدمشق الذي تميّز بمهارة البناء وجمال الزخرفة وحسن التنظيم.

---

[١] - انظر: أحمد، لبيد إبراهيم، وآخرون (١٩٩٢)، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، جامعة بغداد، ص٢٣٩- ٢٤٧ .

وخلاصة القول إن حياة المجتمع الأموي الاقتصادية أثرت في حياته الأخرى تأثيراً بالغاً، وشكلت العديد من تصرفات أبنائه وعاداتهم، وأنتجت في المجتمع مظاهر جديدة ولوّنته بألوان مختلفة انتقلت به من صورة إلى صورة.

الحياة الثقافية :

إن الثقافة هي حصيلة الإنسان الروحية والفكرية واللغوية والأدبية والفنية، وتشكّل تراثه التاريخي، وقد استمد العرب في العصر الأموي ثقافتهم من أسلافهم الجاهليين في جوانب الشعر والأيام، ومعرفة أنساب القبائل وتقاليدها وأعرافها وعاداتها، واستمدوها أيضاً من الإسلام الذي تبدَى في القرآن الكريم وحديث الرسول _ صلى الله عليه وسلم – وسيرته وغزواته، ثم في الفتوح الإسلامية وأحداثها، وما نتج عن ذلك من عناية بقراءات القرآن واهتمام بالحديث النبوي الشريف وما يتصل بهما من تشريع وفقه.

وشكل اتصال العرب بالأمم الأجنبية مورداً ثالثاً لثقافتهم، " فقد اندفعوا يطلبون كل ما لدى هذه الأمم من معارف تطبيقية نافعة، فتعرّفوا على تخطيط المدن وعمارة المباني وطريقة استغلال الأرض وشق الثُّرع والقنوات، كما تعرفوا على طرق جباية الخراج وضبط الدواوين، ونقلوا في ذلك عن الفرس والروم كثيراً " [١].

لقد دُعِم العقل العربي في العصر الأموي بمواد ثقافية كثيرة آتت ثمارها في ازدهار العلوم الإسلامية، مثل؛ الفقه والتفسير والحديث، وازدهار المناظرات المنطقية التي دارت حول الآراء المختلفة في السياسة والدين وغيرهما، مما هيأ البيئة لنشوء الفرق والأحزاب الكثيرة التي عرفها العصر الأموي.

إن تعدد مشارب الثقافة العربية وتنوع آثارها حضَّت خلفاء بني أمية على الاهتمام بالحركة الثقافية والعلمية، فقد لقيت الرواية التاريخية تشجيع الخلفاء الأمويين، فقد كانت لمعاوية دفاتر تحتوي سير الملوك وأخبار الحروب يقرؤها عليه غلمان له [٢]. ولم يَفُت خلفاء بني أمية الاهتمام بالأنساب والمغازي وقرَبوا منهم العارفين بهما، وكانت أكبرشخصية تعاونت مع خلفاء بني أمية

[١] - ضيف، شوقي (١٩٧٦)، العصر الإسلامي، ط٧ ، دار المعارف، القاهرة، ص٢٠١ .
[٢] - انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٢٢٦ .

هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت١٢٤هـ)، وهو صاحب رواية تاريخية، كما يعد الزهري من المقدّمين في معرفة المغازي والسير والرواية التاريخية إجمالاً، وتلامذته هم الذين يمثلون القائمين بالعلوم الإسلامية في هذا العصر " [١].

وقد حظيت حركة الترجمة والنقل باهتمام الأمويين ولا سيما في القرن الأول الهجري، " وكان رائد هذه الحركة خالد بن يزيد بن معاوية (ت ٨٥هـ)، الذي كان يُعْرف بحكيم آل مروان، إذ كان بالفعل، من أعظم وأشهر من اهتم بهذه الحركة العلمية في مطلع عهد الدولة العربية "[٢]، ومن الذين اهتموا بترجمة الكتب أيضاً، الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث ترجم له الطبيب البصري "ماسرجويه" [٣] كتاب أهرن القس في الطب، المعروف بكتاب " قوى الأطعمة ومنافعها ومضارها "، وكتاب " قوى العقاقير ومنافعها ومضارها "[٤]، ولذا؛ فما من شك أن حركة الترجمة والتعريب في العصر الأموي لها أهمية خاصة لأنها تمثل المرحلة الأولى من هذه التجربة الجديدة في الحياة الثقافية عند العرب والمسلمين، كما أنها مهّدت الطريق لنشأة جميع العلوم العربية التي جاء معظمها عن طريق الترجمة بدءاً بعلم الكيمياء والطب والصيدلة، ووصولاً إلى سائر العلوم الأخرى، التي أبدع العرب فيها فيما بعد، وأصبح لهم فضل كبير في اتساع مداها على مر الأيام.

ولم يهمل العرب في العصر الأموي علومهم الدينية، فقد عُني الأمويّون بالقرآن الكريم، وكانت مساجد المدن آنذاك مراكز لدراسته وتفهم معانيه وقراءاته ورواياته، وقد برز عدد من قرّاء القرآن الكريم في العصر الأموي، منهم؛ مجاهد بن جبر، وعبد الله بن كثير في مكة، وفي بلاد الشام أبو إدريس الخولاني، والحسن البصري في البصرة، وفي الكوفة مسروق بن الأجدع الكوفي، وأبو تيم الجيشاني في مصر[٥] .

---

[١] - انظر: عباس، إحسان (١٩٩٩)، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ط٢، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ص١٣٢، وانظر: ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، تاريخ مدينة دمشق، (تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي)، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م، ج١٥ ، ص٩٨٨.

[٢] - الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، ص٢٥٣ .

[٣] . ماسرجويه الطبيب البصري كان إسرائيلياً في زمن عمر بن عبد العزيز، وربما قيل في اسمه ماسرجيس، وكان عالماً بالطب، وقال ابن جلجل الأندلسي: ماسرجويه كان سريانياً يهودي المذهب، وهو الذي تولى في أيام مروان في الدولة المروانية تفسير كتاب أهرن القس بن أعين إلى العربية، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب وأمر بإخراجه ووضعه في مصلّاه. انظر: القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، أخبار العلماء بأخيار الحكماء، (تصحيح محمد أمين الخانجي)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م، ج١، ص١٤٠.

[٤] - انظر: ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق (ت٤٣٨هـ)، الفهرست، مؤسسة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٧٧م، ص ٤١٣ .

[٥] - انظر: أحمد ، لبيد إبراهيم وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ص٣١٣، وانظر: خفاجي، عبد المنعم (١٩٧٥)، تاريخ الأدب في العصر الأموي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ص١٦ .

ونظراً لاتساع رقعة الدولة العربية في العصر الأموي ودخول شعوب غير عربية في الإسلام ونشوء مشاكل جديدة كانت تتطلب حلولاً لها، أصبحت هناك ضرورة لتفسير القرآن الكريم، واستنباط الأحكام الفقهية من آياته، وقد برز في هذا العصر عدد من المفسرين كانوا قد رأوا الصحابة وسمعوا منهم، وهؤلاء بحكم صلتهم بالصحابة عُدّوا مرجعاً للتفسير، وكان أشهرهم عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) الذي يقال عنه إنه أول من ألّف في تفسير القرآن الكريم [١]، وقد برز بمكة من تلامذته عطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ) وسعيد بن جبير (ت٩٤هـ) وغيرهم [٢].

وانتشر الصحابة والتابعون في العصر الأموي في أنحاء الدولة العربية يجيبون الناس عن المشاكل التي كانت تجابههم، فكثرت أقوالهم في الأمصار تبعاً لمقدار علم كل منهم، وحسب ما وجدوه من مشاكل في تلك الأمصار، ولذا؛ برزت الحاجة إلى فقهاء ملمين يجمع الناس على علمهم، فكان من أبرز فقهاء العصر الأموي سعيد بن المسيّب المخزومي (ت٩٤هـ)، وخارجة بن زيد بن ثابت (ت١٠٠هـ)[٣] ، وغيرهما الكثير.

وكان لكثرة الفتوحات وكثرة الثورات والأحزاب السياسية والفرق الدينية أثره الواضح في الاهتمام بعلم الحديث، إذ أخذ المسلمون في العصر الأموي يميزون بين الأحاديث الصحيحة والموضوعة، ويدونون الأحاديث والسنن، واشتهر من المحدثين في عصر بني أمية حماد بن سلمة في البصرة، وسفيان الثوري بالكوفة، ومالك بن أنس في المدينة، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي في دمشق [٤]، وسواهم.

لقد عرفت الحياة الثقافية في العصر الأموي نشاطاً شمل جوانبها كافة، من تدوين للعلوم، وترجمة للكتب، ونقل للمعارف، ورواية للأخبار والسير وتدوينها، واهتماماً بالغاً بالشعر والنثر والأدب عموماً، وعناية بالقضايا والجدالات الفكرية والمنطقية التي أفرزتها العقيدة الدينية أو العلوم المنطقية.

---

[١] - ابن النديم، الفهرست، ص٣٦ .
[٢] - انظر: أحمد ، لبيد إبراهيم، وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ص٣٢١.
[٣] - انظر : المصدر نفسه ، ص٣٢٥- ٣٢٦ .
[٤] - انظر : المصدر نفسه، ص٣١٨ - ٣١٩ .

ومن جانب آخر، شاع الغناء في الحجاز ولاسيما في المدينة ومكة، وأخذ المغنون يؤلفون طبقة مميزة في هذا العصر، وكانت لهم جماعة مميزة بسبب رقي فنّهم لا بسبب احتقار العرب لصنعتهم، إذ يخيل إلى الإنسان أنه لم يبق أحد في المدينة ومكة إلا وكان يعجب بالغناء[١].

وكان لابد لهذه الثقافة المتنوعة الجوانب والمتعددة المشارب في العصر الأموي من مراكز تنبع منها وتنشرها وتسهم في نقل التراث العلمي، فكانت تلك الكثرة الكاثرة من المدارس المتعددة الأغراض والمشارب، التي كانت تنتشر في الأمصار التي شملتها الفتوح العربية، ومنها _مثلاً_: مدارس الإسكندرية وأنطاكية وحرّان وغيرها، فقد كانت هذه المدارس بؤراً ثقافية بمنزلة منائر أو مراكز للثقافة أسهمت إسهاماً فعّالاً في الحياة الثقافية في العصر الأموي.

وفي الجانب الأدبي، فقد انفتحت الحياة الأدبية على مصراعيها في العصر الأموي، وكان الخلفاء الأمويون يشجعون أكثر ما يشجعون على طلب الأدب والقصص، ففتحوا أبوابهم للشعراء والأدباء والقصاصين وبذلوا لهم الأموال، وكانوا يعينون القصّاص في المساجد، وأكثروا من المجالس الأدبية، كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية، وأولوا الكتابة وأعلامها رعاية خاصة، واتخذوا أعلامها كتاباً في ديوان رسائل الخلفاء، ومنهم عبد الحميد الكاتب (ت١٣٢هـ)، ليشهد العصر الأموي بذلك كله " نهضة أدبية امتدت أبعادها إلى أكثر من مجرد إبداع في فروع العلوم التي ازدهرت في تلك الفترة " [٢].

---

[١] - انظر: ضيف، شوقي (١٩٦٧)، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ص٦٥ - ٦٦.

[٢] - عباله، صلاح مصليحي (د.ت)، التقليد والتجديد في الشعر العربي حتى نهاية العهد الأموي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ١٥٢.

الفصل الأول

الحياة الأسرية في الشعر الأموي

الأسرة في الشعر الأموي :

تشير كلمة " أسرة " في العربية إلى الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين، الذين يقيمون معاً في مسكن واحد، إلا أن لفظة " العائلة " تشير إلى الأسرة الممتدة المكونة بين الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين، والأولاد وزوجاتهم وأبنائهم وغيرهم من الأقارب، مثل؛ العم والعمة والابنة والأرملة ... إلخ(١).

ولا وجود للفظة الأسرة في القرآن، بل يستخدم لفظة " الأهل " يقول تعالى : " إذ قال موسى لأهله" (٢). وفي قوله تعالى : " فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا " (٣)، ولعل المراد بالأهل هنا الزوجة (٤)، وفي السنة النبوية عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : " خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي " (٥)، ولعل حديث أبي هريرة حينما قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: " خياركم خياركم لنسائهم " (٦)، يفسر معنى الأهل بأنه الزوجة، ويؤكد ذلك ابن فارس في مقاييس اللغة (٧)، وابن منظور في لسانه (٨)، وبهذا؛ فإن لفظة الأهل أنسب الألفاظ للدلالة على معنى الأسرة.

والأسرة أساس وجود المجتمع ومصدر أخلاقه، وأول إطار اجتماعي يتعلّم منه الإنسان دروس الحياة الاجتماعية، ولذا؛ فهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري، ودوام الوجود الاجتماعي.

وباجتماع عدة أُسر، تتكون القبيلة التي تشكل الأسرة نواتها، وبتكوّن القبيلة يتوجب على أفرادها جميعاً التناصر والتآزر والتضامن لحفظها، ويرتبط أبناء القبيلة بوحدة الدم الذي يجري في عروقهم لاعتقادهم أنهم ينحدرون من صلب أبٍ واحدٍ تنتمي إليه أسر القبيلة كافة.

---

(١) انظر: الخولي، سناء (١٩٨٤)، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، ص٤٠.
(٢) سورة النمل: الآية ٧ .
(٣) سورة القصص: الآية ٢٩.
(٤) انظر: الصابوني، محمد علي (١٩٨٦) ، صفوة التفاسير، ط٥ ، دار العلم، بيروت، ج٢، ص ٤٠٢.
(٥) ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد (ت٦٠٦هـ)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، (تحقيق عبد القادر الأرناؤوط)، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص٤١٧.
(٦) المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ)،الترغيب والترهيب في الحديث، (تحقيق السيد علي عاشور)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج٣، ص٤٩.
(٧) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، (تحقيق إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م، ج١، ص١٥٠.
(٨) ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة (أهل) .

ومنذ مجيء الإسلام أولى اهتمامه البالغ بالعلاقة الزوجية والوالدية، والعلاقة مع الأقارب، إلى جانب اهتمامه بالعلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع، والعلاقة الروحية بين العبد وربه، إذ أرسى قواعد شاملة ودقيقة تشكل نظاماً اجتماعياً يحفظ هذه المؤسسة الإنسانية، ويضبط علاقات أفرادها، وفي الوقت ذاته جعل الإسلام الأب والأم مركز الأسرة وقطبها، وجعل الأولاد كالأفلاك يدورون حول هذا القطب على أساس تبادل الطاعة والمودة، وإقامة الصلات الوثيقة بين أفراد الأسرة، ثم شجّع على إقامة الصلات الحسنة فيما بين الأقارب والأرحام، ونفّر الإسلام من العصبية القبليّة، ونبذ كل ما من شأنه أن يفُت في عضُد الأسرة، ويفكّك عراها.

وخلاصة القول، إن الإسلام عدّ الأسرة عماد المجتمع والأساس الذي يبنى عليه، ولهذا؛ فقد اهتم بشأنها، وأسباب دوام ترابطها، ليبقى بها المجتمع قوياً سليماً مستقراً يحقق رسالته في هذه الدنيا.

وسيبحث هذا الفصل جملة العلاقات الأسرية التي تربط أفراد الأسرة الواحدة، وكيف صورها الشعر الأموي، ليبين نظرة الشعراء الأمويين للأسرة ومدى أهميتها، وكيف تنتظم علاقات أفرادها ببعضهم بعضاً.

الأب والزوج :

أناط الإسلام إدارة الأسرة بالرجل أباً وزوجاً، ومنحه السلطة للحفاظ على الرابطة التي تشد أفرادها بعضهم ببعض، وألزمه الإنفاق عليها، وتأمين احتياجاتها ومؤونتها، وحق له بذلك حقوق على أفرادها.

وحُبُّ الإنسان لولده من سنن الله تعالى في خلقه، وهو حُبٌّ لا يفوقه حب، حتى يستطيب الأب بسبب هذا الحب أن يفْضُلَهُ ولده، فهو يحنو عليه ويرق له، فهذا جرير يصف عواطف الأبوة وحنانها معبراً عن حبه لابنه بلال بقوله [١] :

إن بلالاً لم تَشِنْه أمُّـــــــــــهُ ... لم يتناسب خالُهُ وعمُّـــــــــــهُ

يشفي الصُّداعَ ريحُهُ وشمُّـــــــهُ ... ويُذهِبُ الهمومَ عنّي ضمُّـــــــهُ

ينفحُ ريحَ المسكِ مُسْتحمُّـــــــهُ ... ما ينبغي للمسلمين ذمُّـــــــهُ

يُمْضي الأمورَ وهو سامٍ همُّـــــهُ ... بحر بحورٍ واسع مجَمُّـــــــهُ

يفَرِّجُ الأمر ولا يَغُمُّـــــــــهُ ... فنفسه نفسي وسُمِّي سُمُّـــــــهُ

ويدافع الفرزدق عن ابنته مكيَّة، رغم ما شكته إليه زوجه من شراسة خُلِقها، فهو يساندها مبيناً مكانتها في قلبه، وحظوتها في نفسه، وعاطفته تجاهها، فيقول[٢] :

كتبْتمْ زعَمْتُمْ أنها ظَلَمَتْكُـــــــمْ ... كذبتُمْ ، وبيْتِ اللهِ ، بل تَظلمونَهـــا

فإلّا تعُذُّو أمَّها من نسائِكـــــــمْ ... فإنّ ابن ليلى والدٌ لن يَشينَهـــــا

وإنّ لها أعمامَ صدقٍ وإخـــــوةً ... وشيخاً إذا شئْتُمْ تَنَمَّرَ دونهـــــا

فلم يقنع الفرزدق بشكواهم، ولم يلق لها بالاً، وليس ذاك بغريب عن الأب الحاني الذي يتغاضى عن هفوات الأبناء وزلاتهم ويتجاوز عن رعونتهم وطيشهم بقلبه الرحيم.

---

(١) الخطفي ، جرير بن عطية (ت ١١٤هـ)، ديوان جرير، (تحقيق نعمان محمد أمين طه)، ط٢، ١٩٨٦م ، دار المعارف ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، ٢ :٦٧، والمجم : الصدر . السَم : السم بعينه .

(٢) الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت١١٤هـ)، ديوان الفرزدق، جزآن، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦ م، ٢ : ٣٤٢.

ويرسم الشعر الأموي صوراً شعرية تظهر قلب الأب الذي كاد أن يتفطر قلقاً وفزعاً على أبنائه، ولا سيما إن كنّ بناتاً، فهنّ في نظره ضعيفات قليلات حيلة، يخاف عليهن مكائد الدهر ومصاعبه، فهذا عيسى بن فاتك [١] يتشبث بالحياة لا رغبة فيها فحسب، بل رعاية لبناته، وإشفاقاً عليهنّ، يقول[٢]:

لقد زاد الحياةَ إليَّ حُبّـــــــــاً ... بناتي إنّهنَ من الضعـــــــــافِ

أحاذر أن يَذُقن البؤس بعـــــدي ... وأن يشربنْ رَنْقاً بعد صـــــــافِ

وأن يَعرَيْنَ إن كسي الجـــــواري ... فتنبو العينُ عن كُرُمٍ عجـــــافِ

وأن يَضطرّهُنَّ الدهرُ بعـــــدي ... إلى جلفٍ من الأعمام جـــــافِ

وقد عُني الأب في العصر الأموي بحسن اختيار أم أبنائه، وهو بهذا يحفظ حق أبنائه عليه قبل مجيئهم إلى الحياة، فهذا سراقة البارقي [٣] يوصي الراغب في الزواج أن يتحرّى صاحبة الدين والأخلاق العالية التي تحفظ أولاده وتحسن تنشئتهم، فيقول[٤]:

لا تطلبنَّ فتاةً من وسامَتِهـــــــــا ... ما لم يُوافِقْكَ منها الدينُ والخُلــقُ

والرِّفقُ يجمع أهل البيتِ ما اجتمعــوا ... وقد يشقُ على أصحابهِ الـــخرُقُ

ويتجلى حب الأب لابنه في شكواه له، وحواره معه، وبثه همومه لولده، فالقتّال الكلابي [٥] يشكو لابنه هموم الكبر التي أوهنته وأضعفت قواه، فضعف بصره، وخفتت جذوة عزيمته، فيقول[٦] :

عبدَ السلام تأمَّلْ هل ترى ظَعُنـــــاً ... إني كبرتُ وأنت اليومَ ذو بصـــرِ

---

[١] - هو عيسى بن حدير، أحد بني وديعة، من بني تيم اللات بن ثعلبة، كان من أصحاب نافع بن الأزرق، وقتل بعد خروج الأزارقة، وذكر البلاذري أن له شعراً كثيراً. انظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١ : ١٥٩، ٢ : ٦٢. والأصفهاني، الأغاني، ١٦ : ١٤٥. والزركلي، خير الدين (٢٠٠٥)، الأعلام، ط١٦، دار العلم للملايين، بيروت،١ : ٨٠.

[٢] - عباس، إحسان (١٩٧٤)، شعر الخوارج، ط٢، دار الثقافة، بيروت، ص٥٧ . عجاف: جمع عجفاء، وهي المرأة الهزيلة.

[٣] - هو سراقة بن مرداس بن أسماء بن خالد البارقي الأصفر، وبارق بطن من الأزد، كان ظريفاً، زوّاراً للملوك، محبوباً لديهم، وكان شديد الاعتداد بقبيلته، وقد هجا الحجاج وهرب منه إلى عبد الملك بن مروان وأقام بالشام حتى توفي عام ٧٩هـ. انظر: البارقي ، سراقة بن مرداس الأزدي (ت ٧٩هـ) ديوان سراقة البارقي، (حققه وشرحه حسين نصار)، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ م، مقدمة المحقق، ص١ – ٨.

[٤] - البارقي ، سراقة ، ديوان سراقة البارقي، ص٥٢ .

[٥] - هو عبد الله بن مجيب المضرحي، وأمه كلابية اسمها عمرة، ولفظ (القتال) لقب غلب عليه لتمرده وفتكه، يكنى أبا المسيب وأبا سليل، عدّه ابن حبيب من فتاك الإسلام، وكان بدوياً متأبّداً لا يحفل بالوفود على الأمراء والحكام، وكان فارساً شجاعاً. انظر: ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت ٢٤٥هـ)، المحبر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، ١٩٤٢م، ص٢١٣ – ٢١٦. وابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت ٢٤٥هـ)، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام، (تحقيق سيد حسن كسروي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ص٢٠٣. والبكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٨٧هـ)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، (تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م، ١: ص١١ – ١٢. والآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (٣٧٠هـ)، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، (تحقيق ف. كرنكو)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م، ص١٦٧.

[٦] - الكلابي، عبد الله بن مجيب بن المضرحي (ت٦٤هـ)، ديوان القتال الكلابي، (حققه وقدم له إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت،١٩٦١م، ص٥٣

كما حرص الآباء في المجتمع الأموي على توجيه أبنائهم، وتقديم النصح والمشورة لهم من خلال الوصايا التي تنفعهم في جميع شؤون حياتهم، ومن ذلك وصية أبي الأسود الدؤلي لابنه أبي حرب ناصحاً إياه بالعمل والسعي وعدم التواكل والضعف أمام نوائب الزمان[١]:

ولا تَقْعُدْ على كسلِ التمنّـــــــي ... تُحيلُ على المَقَادِرِ والقضـــــاءِ
فإنَّ مقادرَ الرحمنِ تجـــــــري ... بأرزاق الرِّجالِ من السمـــــــاءِ
مُقَدَّرةً بِقَبْضٍ أو بِبَسْـــــــــطٍ ... وعَجْزُ المرءِ أسبابُ البـــــلاءِ
وبعضُ الرزقِ في دَعَةٍ وخَفْـــــضٍ ... وبعضُ الرزقِ يُكْسَبُ بالعَنـــــاءِ

ودعا أحد أولاده إلى إكرام أصدقائه والإحسان إلى الفقير وابن السبيل، ونهاه عن النميمة بين الناس ليكسب بذلك احترام المجتمع وتقديره ومودة أفراده له [٢] :

أكْرِم صديقَ أبيكَ حيثُ لقيتَـــــــهُ ... واحْبُ الكرامَةَ مَنْ بدا فَحَبَاكَهَـــا
واكْفِ المَهَمَّة مَن لوْ أنّكَ مَـــــرَّةً ... نزَلَتْ إليكَ مهمَّةٌ لكَفاكَهَـــــــا
وإذا أتاكَ بنو السبيلِ فأعْطِهِـــــمْ ... من فَضْلِ نعمتهِ التي أعْطَاكَهـــا
لا تُبْدِيَنَّ نميمَة حُدِّثْتَهَـــــــــا ... وَتَحَفَّظَنَّ مِنَ الذي أنْبَاكَهَـــــا

كما أوصاه بصون عرضه والذود عنه، وعدم التهور في الحديث بقوله [٣] :

وترى سفيه القومِ يترُكُ عِرْضَـــــهُ ... دَنِساً وَيَمْسَحُ نَعْلَهُ وشراكَهـــا
خُرْقاً إذا راضَ الأمُورَ بِنَفْسِـــــهِ ... مِثْلَ العَدوِّ لها يريدُ هلاكَهـــــا
لا تُلْقِيَنَّ مَقَالة مشهـــــــورةً ... لا تستطِيْعُ إذا مَضَتْ إدْراكَهـــــا

وأرشد يزيد بن الحكم الثقفي[٤] ابنه بدراً إلى معاملة جاره معاملة حسنة، وإكرام ضيفه، وحذّره من ارتكاب الظلم، فكانت وصيته جامعة لقواعد التربية الجادة الحصيفة التي تهدف لتنشئة الأبناء خير تنشئة، يقول [٥] :

---

[١] - الدؤلي، أبو الأسود (ت ٦٠ هـ) ديوان أبي الأسود الدؤلي ، (تحقيق محمد حسن آل ياسين)، ط٢ ، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٢٥ .

[٢] - المصدر نفسه ، ص١٧٣ .

[٣] - الدؤلي، أبو الأسود ، ديوان أبي الأسود الدؤلي ، ص١٧٣

[٤] - هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي (ت١٠٥هـ)، يكنى بأبي خالد، وأمه بكرة بنت الزبرقان بن بدر، وهي أول عربية ركبت البحر، شاعر عالي الطبقة، من أعيان العصر الأموي، من أهل الطائف، سكن البصرة، وولاه الحجاج كورة فارس، ثم عزله قبل أن يذهب إليها، فانصرف إلى سليمان بن عبد الملك فأجرى له ما يعدل عمالة فارس، وقد كان أبي النفس، شريفا، من حكماء الشعراء، وقد استشهد له البحتري في حماسته في سبعة عشر موضعاً. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص١٠٠ – ١٠٥. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ١ : ٢٣٨. والبغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)،خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ١ : ٥٤.

[٥] - القيسي، نوري حمودي (١٩٨٢) ، شعراء أمويون ، ثلاثة أقسام ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ٣: ٢٧٢-٢٧٣ .

يا بَدْرُ والأمثالُ يضرِبُهـــــــا ... لذي اللُّبِّ الحكيـــــــــــمُ

دُمْ للخليلِ بـــــــــــــودِّهِ ... ما خيرُ ودٍّ لا يـــــــــدومُ

واعرِفْ لجارِكَ حَقَّـــــــــهُ ... والحقُّ يَعْرِفُهُ الكريـــــــمُ

واعلَمْ بأنَّ الضيفَ يـــــــــو ... ماً سَوْفَ يَحْمَدُ أو يَلـــــومُ

والناسُ مُبْتَنيان : محمـــــــو ... دُ البنايةِ، أو ذَميـــــــــمُ

واعلم بُنَيَّ فإنّـــــــــــهُ ... بالعلمِ يَنْتَفِعُ العليـــــــــمُ

وهكذا أودع الأب في العصر الأموي خلاصة تجربته لأبنائه، وحرص على حسن تربيتهم، وكفل لهم شؤون حياتهم ما استطاع إليه سبيلا، ودعاهم إلى العلم والمعرفة والتحلي بحسن الخلق، ومن ذلك أيضاً قول عروة بن الزبير بن العوّام لأولاده : " تعلّموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قومٍ فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين ... الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم وإذا رأيتم من رجل خلَّةً فاحذروه، واعلموا أن عنده لها أخوات "[١].

وكان موت الأبناء من أكبر المصائب التي يُبتلى بها الآباء، ويتعمق بها ألَمُهم، فهم شقائق أنفسهم وفلذات أكبادهم، وبفراقهم يستبد بهم الحزن العميق، وقد عبر الشعر الأموي عن هذه الفاجعة أبلغ تعبير، مصوراً مأساة الأب بفقده لأولاده، وخير ما يصور هذا الفقد ما رواه صاحب الأغاني عن أرطأة بن سهية المري [٢] الذي جزع لفقد ولده عمر " حتى كاد عقله يذهب، فأقام على قبره، وضرب بيته عنده لا يفارقه حولاً ..." [٣]. وقال أرطاة متوجعاً يرثي ابنه يوماً [٤]:

وقفتُ على قبر ابن ليلى فلمْ يكُـــــنْ ... وقوفي عليهِ غيْرَ مُبْكىً وَمَـــــــجْزَعِ

هل انتَ ابنُ ليلى إنْ نَظَرْتُكَ رَائِـــــحٌ ... مع الرَّكْبِ أوْ غادٍ غداةَ غدٍ معـــــــي

فلو كان لُبِّي شاهداً ما أصابنـــــــــي ... شقيقٌ على قبرٍ بأحجارِ أجـــــــــرعِ

---

[١] - الجاحظ ، البيان والتبيين، ج٢، ص١٨٨,

[٢] - الأصفهاني، الأغاني ، ج ١٣، ص٣٨. وانظر: المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، التعازي والمراثي، (تحقيق محمد الديباجي)، مجمع اللغة العربية، دمشق ، ١٩٧٦م، ص١٣٩.

[٣] - هو أرطأة بن زفر بن عبد الله بن مالك بن شداد بن مرّة، ينسب إلى قبيلة مرّة بن عوف، وهي قبيلة ذات شرف بين القبائل، وكان يكنى بأبي الوليد، وقد اشتهر بكنية ابن سهية المرّي، وهي أمه سهية بنت زامل، سبيّة من كلب، وكان على صلة وثيقة بخلفاء بني أمية، وهو من شعراء المناقضات في عصره، وقد توفي سنة ٦٥هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٢٧. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ص٣٨٣. والصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ٨ : ٣٤٨. وابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٤٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م، ٩ : ٦٩.

[٣] . الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٣٨. والمبرد، التعازي والمراثي، ص١٣٩.

[٤] - ابن سهية المري، أبو الوليد أرطأة بن زفر الغطفاني (ت ٦٥هـ)، شعر أرطأة بن سهيه المري، ط١ ، (جمع وتحقيق شريف علاونة) ، دار المناهج ، عمان ، ٢٠٠٦م ، ص٧٣- ٧٥ . نظرتك : بمعنى انتظرتك، والرائح : الخارج عشيّة، الأجرع: الجرعَة، رملة مستوية لا تنبت شيئاً وكذلك الجرعاء، بلقع: الأرض القفر المجدبة، ومربع : أربع القوم، أي دخلوا في الربيع.

أأنسى ابن ليلى وهو لم يأتِ دونَـــــــه ... من الدهرِ إلا بعضُ صيفٍ ومَرْبَـــــــعِ
وقفتُ على جثمانِ عَمْروٍ فلم أجِـــــــدْ ... سوى جَدَثٍ عافٍ ببيداءَ بلْقَـــــــــعِ

إن فقد الابن يؤجج النار في الصدر، ويلقي النفس في غياهب الهم والحزن الذي لا ينقطع، ويظهر هذا في جزع الوليد بن يزيد عند رثائه ولده مؤمن [١]:

أتانِي سنانٌ بالوداعِ لمؤمِـــــــــنٍ ... فقلتُ لهُ : إنِّي إلى اللهِ راجـــــــــعُ
وكيف بكائي مُؤمِناً ولَقَـــــــدْ أرَى ... بأنِّي لهُ يا نَفْسُ لا بُدَّ تَابِـــــــــعُ
ألا أيُّها الحاثي عليهِ تُرَابَـــــــــهُ ... تَعِسْتَ وَشُلَّتْ من يديكَ الأصابِـــــــعُ
يقولونَ : لا تجزَع وأظهِرْ جَـــــــلادةً ... فكيفَ بما تُحْنَى عليه الأضَالِـــــــعُ

وتكثر الشواهد الشعرية التي لا مجال لذكرها كلها هنا، حيث يصور فيها الشعراء الأمويون حياتهم المؤلمة وأيامهم المكروبة بعد فقد أبنائهم، إذ فقدوا كل لذيذ من الدنيا، وزالت عنه بهجة الحياة وسعادتها بهذا الفقد، فانقلبت أيامهم ولياليهم همّاً لا يزول وحزناً لا ينقضي.

وموجز القول، إن صورة بعض الآباء في العصر الأموي تكشف عن شخصية حانية عطوفة على أبنائها، محبة لهم، متحملة النوائب والمصاعب لأجل سعادتهم، مقدمة جلّ خبرتها لهم، هادفة إلى حسن تنشئتهم ليكونوا خير خلف لخير سلف، فإذا ما فقدتهم أصبحت نفسها حزينة متألمة أشد الألم لفراقهم وفقدهم.

أما الرجل الأموي بوصفه زوجاً، فهو في غالب الأحيان محب لزوجه، مخلص لها، تجمعهما علاقة ودٍّ ومحبة، وبهذا الحب صرح جرير بقوله [٢]:

أحُبُّكِ إنّ الحبَ داعية الهَـــــــــوَى ... وقد كان ما بيني وبينَكِ يُنْـــــــــزَحُ
ألِمَّا على سلمى فلم أرَ مثلـــــــــها ... خليلَ مُصافاةٍ يُزارُ ويُمْـــــــــدَحُ
وقد كان قلبي مِن هواها وَذُكْـــــــرَةٍ ... ذكرنا بها سلمى على النأي يَفْـــــــرَحُ

---

[١] - الوليد يزيد (ت١٢٦هـ) ، ديوان الوليد بن يزيد ، ط١ ، (تحقيق حسين عطوان) ، دار الجبل ، بيروت ، ١٩٩٨م، ص٧٨.
[٢] - جرير، ديوان جرير، ٢ : ٨٣٥.

ويخلص الزوج الأموي في حبه لزوجه، فالمتوكل الليثي [١] لا يهوى سوى زوجته [٢] بالرغم من أن حبها قد أضناه وأتعبه – فقد طلقها بطلبٍ منها لمرض أقعدها لكنه ندم [٣] – يقول [٤]:

أبَى قلبي فما يهوى سواهَـــــــــا وإنْ كانتْ مودتها غَرامـــــــــا
ينامُ الليلَ كلُّ خَلِيِّ هـــــــــمٍّ وتأبى العينُ مِنِّي أن تَنامـــــــــا
أراعي التالياتِ من الثّريـــــــــا ودمعُ العَيْنِ منحدرٌ سِجامـــــــــا

ويبلغ الإخلاص بالمتوكل مبلغه فيقول لزوجه أم بكر بعد أن طلّقها نادماً [٥]:

فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتـــــــــى تُجاورُ هامتي في القبر هامـــــــــا

وينظر الزوج إلى زوجه نظرة الحبيبة التي يفيء إليها، ويبوح لها بأسرار قلبه، وأفكار عقله، وهكذا كانت نظرة العَرْجي [٦] لزوجه عُثيمة بنت بكير بن عثمان بن عفان [٧]، بالرغم من لوم الناس له لشدة حبه لها، يقول [٨]:

تطاولُ أيَّامي وليْلِيَ أطْـــــــــوَلُ ولامَ على حُبّي عُثَيْمَـــــــــةَ عُذّلُ
يلومونَ صَبَّاً أنْحَلَ الحبُّ جِسْمَـــــــــهُ وما ضَرَّهم لو لمْ يَلُوموا ؟ وأجْمَلـــــوا؟
ألمْ يَعلمـوا_ لا بورِكوا _ أنَّ قلْبَـــــــهُ عَصَى قبْلَهُمْ فيها العِدى فهوَ مُبْهَـــــلُ
وضمَّنتُ حاجاتي إليها رَفِيْـــــــقَةٌ بها طَبَّةٌ مَيْمُونَةٌ حين تُرْسَـــــــلُ
من البربرياتِ اللّواتي وجُوهُهَـــــــا بكلِّ فَعَالٍ صَالِحٍ تَتَهَلّـــــــلُ

---

[١] - هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع، وهو ليثي من ليث بن بكر، كناني من كنانة بن خزيمة، يكنى بأبي جهمة، من أهل الكوفة في عصر معاوية وابنه يزيد، وهو شاعر معتد بشعره إلى حد الغرور، أدرك عهد مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان، وتوفي سنة ٨٥هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص١٥٩. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٧٢. والبغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٣ : ٦١٧. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، العقد الفريد، (تحقيق محمد سعيد العريان) ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٤٠م، ٦ : ٨١. والمرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤هـ)، معجم الشعراء، (تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م، ص٣٣٩.

[٢] - " كان للمتوكل بن عبد الله امرأة يقال لها: رهيمة، ويقال: أميمة، وتكنى أم بكر، فأقعدته وسألته الطلاق، فقال: ليس هذا حين طلاق، فأبت عليه فطلقها، ثم إنها برئت بعد الطلاق، انظر: ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، المرقصات والمطربات، دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٣م، ص٦٩.

[٣] - انظر: الليثي، المتوكل بن عبد الله (ت٨٥هـ)، شعر المتوكل الليثي، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م، ص١١٠. امرأته أم بكر.

[٤] - المصدر نفسه، ص١١٣.

[٥] - المصدر نفسه، ص١٢٣.

[٦] - هو عبد الله بن عُمَر بن عَمْر بن عثمان بن عفان، وكان ينزل بموضع قبل الطائف يقال له : (العَرْج) فنُسب إليه، وهو أشعر بني أمية، وكان يهجو إبراهيم بن هشام المخزومي فأخذه وحبسه، ومكث في سجنه حتى مات فيه سنة ١٢٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٤٧ – ١٦٠. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٤٢٢ – ٤٢٣. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج٢، ص٥٦٠ – ٥٦١. والزبيري، نسب قريش، ص١٨٨. وياقوت الحموي، معجم البلدان، ٦ : ١٤١. والعباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت ٩٦٣هـ)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الكتب، بيروت، ١٩٤٧م، ٣ : ١٧٢.

[٧] - انظر: الزبيري، نسب قريش، ص١٨٨.

[٨] - العرجي ، عبد الله بن عمر (ت١٢٠هـ) ، ديوان العرجي ، ط١ ، (جمعه وحققه و شرحه سجيع النجيلي) ، دار صادر ، بيروت، ١٩٩٨م، ص٣٠٢ . المبهل : المتروك لشأنه، والطب : الخبير العليم ، الميمونة : التي يوثق بأمانتها .

ولا يتورع الزوج المحب أن يتغزّل بزوجه، فهي الحبيبة التي تمنحه الإحساس المفعم بالحياة واللذة والمتعة، فهذا الحارث المخزومي [١] يتغزّل بزوجه أم عمران [٢]، فيقول فيها [٣]:

يا أمَّ عمرانَ ما زالتْ وما بَرِحَـــــــتْ بيَ الصبابةَ حتى شفَنِي الشفـــــــــقُ

لا أعتَقَ اللهُ رِقَّي مِن صبابَتِكُـــــــــمْ ما ضرَّني أنني صَبٌّ بِكُمْ قَلِـــــــــقُ

يتوق قلبي إليكُم كي يلاقيكـــــــــم كما يتوقُ إلى مناجاته الـــــــــغَرِقُ

ويشتد أوار الشوق وتلتهب عواطف الزوج السجين حباً لزوجه، ويعبرعن هذا السَّمْهَري بن بشير العُكْلي [٤]، وقد استبدت به الذكريات التي ارتبطت بزوجه وبيته الذي هَجَر، وقد عزَّ عليه فراقه، وأقصى ما يتمنى أن يعود إليه، فطيف زوجته يسري في عروقه، ويلمُّ به مذكّراً إيّاه بحق الزوجية عليه، فتتصاعد في نفسه نوازع العودة إلى الأهل والأحبة فيقول في سجنه [٥] :

ألا أيُّها البيتُ الذي أنا هاجـــــــــرُه فلا البيتُ مَنْسِيٌّ ولا أنا زائِـــــــــرُه

ألا طَرَقَتْ ليلى وساقي رهينـــــــــةَ بأشهبَ مشدودٌ عليَّ مسامِـــــــــرُه

فإن أنْجُ يا ليلى فُرُبَّ فتىً نجـــــــــا وإن تَكُن الأخرى فشيءٌ أحـــــــــاذِرُه

ولطالما أشاد الزوج الأموي بأخلاق زوجته الكريمة، وتغنى بصفاتها الحميدة، يقول عمران بن حطّان السدوسي [٦] :

يا جَمْرُ إنِّي على ما كان من خُلُقِـــــــي مُثْنٍ بِخَلّاتِ صِدْقٍ كُلّها فيـــــــــــكِ

الله يعلمُ أني لم أقُلْ كذبـــــــــــاً فيما عَلِمْتُ وأنِّي لا أزَكِّيـــــــــــكِ

---

[١] - هو الحارث بن خالد بن العاصي بن هشام بن المغيرة، ولي أبوه إمارة مكة في عهد عمر بن الخطاب، والحارث من وجوه قريش ورجالها وذوي الشأن والمنزلة فيهم، كان شريفاً شاعراً، من أكابر بني مخزوم بن يقظة، عُرف بخصال، منها؛ علم غزير بالشعر واللغة والأخبار، وعرف بعفّته وبرّه ، وكانت وفاته بين عامي ٨٤ و ٨٥هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص٣١١. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٦٤٥. والزبيري، نسب قريش، ص٣١٢. وابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ص١٤٦. وابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣ هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، (تحقيق علي محمد البجاوي)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، ٢ : ٤٣١.

[٢] - هي أم عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، وكانت عند عبد الله بن مطيع العدوي وله منها محمد وعمران، توفي عبد الله بن مطيع وتزوجها الحارث بن خالد المخزومي فولدت له فاطمة، وكان الحارث يحب زوجته هذه، وله فيها أشعار. انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٩ : ١٧٦. والعصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، تاريخ خليفة بن خياط، (تحقيق سهيل زكار)، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧م، ١ : ٢٢.

[٣] - المخزومي، الحارث بن خالد (ت ٨٥هـ)، شعر الحارث بن خالد المخزومي، (تحقيق يحيى الجبوري)، ط١، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢م ، ص٧٢-٧٤

[٤] - من الشعراء الصعاليك الأمويين، قتل نحو (٩٤-٩٦هـ) زمن الوليد بن عبد الملك، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢١ ، ص٥٣ ، والقيسي ، نوري، شعراء أمويون، ١ : ١٢٩ – ١٥٢.

[٥] - القيسي ، نوري، شعراء أمويون ، ١ : ١٤٣ .

[٦] - عباس، إحسان ، شعر الخوارج ، ص١٧ .

ولم يقتصر الوفاء في العلاقة الزوجية على الزوجة وحسب، بل وفي الرجال في العصر الأموي لزوجاتهم، إذ بذلوا كل ما في وسعهم للمحافظة عليهن كريمات عزيزات، ومن أمثلة هؤلاء عبيد الله بن الحر الجعفي [١] الذي سارع لإخراج زوجته من السجن الذي أودعها إياه المختار الثقفي، وعبر عن وفائه لها قائلاً [٢]:

ألم تَعْلَمي يا أمَّ توبَةَ أنّنـــــــــــي ... أنا الفارس الحامي حقائِقَ مُذْحَـــــــجِ
وأنِّي صَبَّحْتُ السجنَ في سَوْرةِ الضُّـحى ... بكُلِّ فتىً حامي الذِّمارِ مُدَجَّـــــــــجِ
فما إن بَرَحْنَ السجنَ حتى بدا لنـــــــا ... جبينٌ كقرنِ الشمسِ غيرُ مُشَنّـــــــجِ
وخَدٌّ أسيلٌ عن فتاةٍ حبيبـــــــــــةٍ ... إلينا سقاها كُلُّ دانٍ مُثَجَّـــــــــجِ
فما العيشُ إلا أنْ أزورَكِ آمنـــــــــاً ... كعادتنا من قَبْلِ حَرْبي ومَخْرَجِـــــــي
وما أنتِ إلا هِمَّةُ النفسِ والهَـــــــوى ... عليكِ السلام مِن خَليطٍ مُسَجَّـــــــجِ
ومثلي يُحامي دونَ مثلِكِ إنّنـــــــــي ... أشدُّ إذا ما غَمْرَةٌ لم تُفَـــــــــرَّجِ
أضارِبهم بالسيفِ عنكِ لترجعـــــــــي ... إلى الأمنِ والعيشِ الرَّفيعِ المُخَرْفَـــــجِ

وإذا ما رحلت رفيقة العمر ينتفض الزوج الأموي مردداً صداها، مصوراً حزنه، باثاً شكواه، معبراً عن مدى ألمه لفقدها برثاء تتصدع له القلوب وتشف لأجله النفوس، ومن الذين رثوا زوجاتهم فاشتهروا بذلك جرير، " إذ تعد قصيدته في رثاء زوجته " خالدة " من عيون المراثي في الشعر العربي " [٣]، ويصور الشاعر فيها ولهه وضياع عقله لهذا المصاب الجلل فيقول [٤] :

ولَهْتِ قلبي إذ عَلَتْنِيَ كَبْـــــــــرَةٌ ... وذُوو التمائم من بَنِيْكِ صِغـــــــــارُ

ثم يأتي على ذكر ما كانت عليه من خلق عظيم، وعشرة محببة، فيقول [٥] :

نِعْمَ القرينُ وكنْتِ عِلْقَ مَضِنّـــــــــةٍ ... وارى بنعفِ بُلَيَّةِ الأحجـــــــــارُ
عَمِرت مُكرَّمة المساكِ وفارقـــــــت ... ما مسَّها صَلَفٌ ولا إقتـــــــــار

---

[١] - هو عبيد الله بن الحر الجعفي، شاعر فاتك من بني منجح، ولد ونشأ في الكوفة، اشترك في حرب القادسية، وناصر معاوية، فكان يكرمه، ثم حارب بني أمية، وكانت له مواقف من الفتنة، ثم مات قتلاً على يد رجل يقال له (عياش)، ويعد الجعفي من الشعراء اللصوص، توفي سنة ٦٨هـ. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٧، ص١٦٥ – ١٦٨. والبلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ج٧، ص٢٧٤. وابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي (ت٥٦٢هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ١ : ٢٨١.

[٢] - البلاذري، جمل من أنساب الأشراف ، ج٧ ، ص٢٧٥ . وانظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص١٦٨- ١٦٩ . مثجج: مسيل، وهو اللبن الذي برد فذاب زبده. مسجج: ليّن وسهل ورقيق. المخرفج: الواسع، والخرفجة: سعة العيش.

[٣] - نصير، أمل (٢٠٠٠)، صورة المرأة في الشعر الأموي، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ص ٢١٩ .

[٤] - جرير، ديوان جرير ، ٢: ٨٦٢، ولهت قلبي : جعلته والهاً ، والوَلَهُ : ذهاب العقل واختلاطه لثكل أو حزن .

[٥] - المصدر نفسه، ٢ : ٨٦٢. العِلق : المال الكريم النفيس، ومَضِنَّة: أي يضن به لنفاسته، النعف: أسفل الجبل وأعلى الوادي، بُلَيّة: اسم بلد .

وقد أظهر الوليد بن يزيد جزعاً شديداً لفراق زوجته سلمى، وزاد في جزعه حسنها وطيب خلقها ورفعة صفاتها، يقول [١]:

ألمَّا تعْلَمَا سلمى أقَامَـــــــــــتْ مُضَمَّنَةً من الصحراء لَحْـــــــــــدَا
لَعَمْرُكَ يا وليدُ لقد أجَنّـــــــــوا بها حَسَباً ومَكْرُمةً ومَجْـــــــــدَا
وَوَجْهَاً كان يَقْصُرُ عن مَـــــــــداهُ شعاعُ الشمس أهْلٌ أن يُفَـــــــــدَّى
فلم أرَ ميِّتاً أبكى لِعَيْـــــــــنٍ وأكثرَ جازعاً وأجَلَّ فَقْـــــــــدا
وأجْدَرَ أن تكونَ لديهِ مَلْكـــــــــا يُرِيْكَ جلادَةً ويُسِرُّ وَجْـــــــــدَا

ورثى الأحوص زوجته رثاء حزيناً بدأ بتصوير أثر موتها في نفسه وحياته فقد أعقبه فراقها سهاداً وقلقاً طويلاً، وحزناً وألماً لا يزولان [٢]:

نَفَى نومِي وأسْهَرَني غليْـــــــــلُ وهَمٌّ هاجَهُ حُزْنٌ طَويـــــــــلُ
وقالوا : قد نَحِلْتَ وكُنْتَ جَلْـــــــــداً وأيْسَرُ ما مُنِيْتُ بهِ النّحُـــــــــولُ
فإن يكُنْ العَويْلُ يَرُدُّ شيئـــــــــاً فقدْ أعْوَلْتُ إن نفعَ العَوِيـــــــــلُ

وتعج في صدره الذكريات الجميلة معها، مصوّراً حاله وما صار إليه من البؤس والشقاء، فيقول[٣]:

وكانت لا يُلائِمُها مبيـــــــــتٌ عليها إن عتبتُ ولا مَقِيْـــــــــلُ
وكُنّا في الصَّفاءِ كمـــــــــاءِ مُزْنٍ تُشَابُ به مُعَتّقةٌ شَمُـــــــــولُ
وأعْجَلُ عن سؤال الركبِ صَحْبـــــــــي وأكْرهُ أن يُقال لهم أقيلُـــــــــوا
فقد أصبحتُ بعدكِ لا أبالـــــــــي أسارَ الرَّكبُ أم طالَ الْنّـــــــــزولُ

فهو يحس بالضياع لفقدها، ولا سيما أنه فقد لذة الحياة ومتاعها بموت رفيقة دربه التي ما كانت لتبيت وهو غير راض عنها، فكانا يقتسمان عيشة الصفاء والهناء حتى افترسها فك الموت فأعقبه غصّة لا تفارقه.

---

[١] - الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٤٠ . أجنوا: ستروا، مَلَكاً : تخفيف مَلِك .
[٢] - الأحوص الأنصاري، عبدالله بن محمد بن عبد الله (ت١٠٥هـ)، شعر الأحوص الأنصاري (جمعه وحققه عادل سليمان جمال)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت)، ص٢١٦ .
[٣] - المصدر نفسه، ص٢١٦ –٢١٧ ، تُشاب : تُخلط وتمزج، الشَّمول : الخمر هبّت عليها ريح الشمال ، فهو أبرد لها .

وأفاض الشعراء أيضاً في الحديث عن حياتهم الزوجية، وما يدور فيها من حوار وخلاف يومي بينهم وبين أزواجهم حول الأبناء وتحصيل الرزق، وصوروا لوم زوجاتهم اللواتي يكثرن من التنبيه على أمور المعيشة اليومية ويحثونهم على الاقتصاد في الإنفاق، فهذه أم حرزة زوجة جرير تعاتبه في تحصيل الرزق وتلهي أولادها الجياع ببعض الماء الذي يزيد حدة جوعهم، وتقرّع زوجها ليتدبر أمر أولادها، فيلجأ للخليفة الذي هو مصدر رزقه الوحيد بعد أن يؤكد ثقته بالله وبالخليفة، فيقول في مدحه لعبد الملك بن مروان [١]:

تَعَزّت أمُّ حزرةَ ثم قالـــــــــــت ... رأيتُ الموردين ذوي لقـــــــــاحِ
تُعَلّلُ وهي ساغِبَة بنيهـــــــــا ... بأنفاسٍ من الشّبِمِ القَـــــــــراحِ
سأمتاحُ البحورَ فجنّبينـــــــــي ... أذاةَ اللّومِ وانتظري امتياحِـــــــي
ثِقي بالله ليس له شريـــــــــكٌ ... ومِن عند الخليفةِ بالنجـــــــــاحِ

ويطالب النعمان بن بشير الأنصاري [٢] زوجه بالكف عن التدخل في أموره والانصراف إلى شؤون نفسها وبيتها، وإلا فإنها ستشقى كثيراً وتعاني مراراً [٣] :

إنّي لعمرُ أبيكِ يابنة هانِـــــــــئٍ ... لو تصبحينَ ركائبي لشقيـــــــــتِ
وتُسَرُ أمُّكِ أننا لم نَصْطَحِـــــــبْ ... فدعي التَّبَسُّطَ للقاء نُسِيْـــــــتِ
واقْنَي حياءَكِ واقعدي مكفيَّـــــــةَ ... إنْ كُنْتِ للرشدِ المُصِيبِ هُديْـــــــتِ

وفي أحيان أخرى تكشف علاقة الزوج بزوجته في العصر الأموي عن بعض الجوانب السلبية في الحياة الزوجية، وهذا ما حدا ببعض الأزواج لهجاء زوجاتهم معبرين عن كرههم لهن، وسوء أخلاقهن، وفظاعة طبائعهن، وفي ذلك يقول عمّار ذو كبار هاجياً زوجه، مصوراً سوء طباعها[٤]:

إنَّ عِرسِي لاهداها الله بنتٌ لِرَبـــــــاحِ
كُلَّ يومٍ تُفزِعُ الجُلّاسَ منها بالصيـــــاحِ

---

[١] - جرير، ديوان جرير ، ١ : ٨٨-٨٩ ، الموردون : أصحاب الإبل يوردونها الماء ، الساغبة : الجائعة ، الشبم : البارد، الميح : العطاء.
[٢] - هو أبو عبد الله النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، أمير، وخطيب، وشاعر، من أجلاء الصحابة، ومن أهل المدينة، روى (١٢٤) حديثاً، وجّهته نائلة (زوجة عثمان بن عفان) بقميص عثمان إلى معاوية، فنزل الشام، وشهد صفين مع معاوية، وولي القضاء بدمشق، وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر، وعزله وولاه حمص واستمر فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، وهو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة، وكانت وفاته سنة ٦٥هـ. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ١ : ١٢٦. وابن حبيب، المحبّر، ص٢٧٦. والبلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٥ : ٨٧. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٦٤. والزركلي، الأعلام، ٨ : ٣٦.
[٣] - الأنصاري، النعمان بن بشير الخزرجي (ت٦٤هـ) ، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ط١، (حققه وقدم له يحيى الجبوري) ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٦٨م ، ص١٣٨ . التبسط : ترك الاحتشام . اصطحب القوم : صحب بعضهم بعضاً. أقنى : قنت الجارية، إذا منعت من اللعب مع الصبيان وسترت في البيت. قفيت الحياء: أي لزمته.
[٤] - الأصفهاني، الأغاني ، ج٢٤، ص٣٣٦، وانظر: ترجمة عمار ذي كبار في المصدر نفسه ، ج٢٤ ، ص٣٣٣ .

ولها لونٌ كداجي الليلِ من غيرِ صبـــاحِ
ولسان صارم كالسيف مشْحُوذُ النواحِـــي
عجَّلَ الله خلاصي من يَدَيْها وسَرَاحـــــي

وكره الزوج الأموي نشوز زوجته، وطلقها لأجله، حيث لم يرض الزوج سوء زوجته ولم يحتمله، ولنشوز رُهَيْمَة بنت غني بن درهم النمرية طلقها الفرزدق [١]، وقال يهجو سوء أخلاقها[٢]:

لا تَنْكِحَنْ بعدي فَتى نَمِريَّـــــــــــــــةً ... مُزَمَّلةً مِن بَعْلِها لِبِعَـــــــــــــــادِ
وبِيْضاءَ زَعْرَاءَ المَفَارِقِ شَجْنَـــــــــةً ... مُوَلّعَةً في خُضْرَةٍ وسَـــــــــــوَادِ
لها بَشَرٌ شَثْنٌ كأنّ مَضَمَّـــــــــــهُ ... إذا عانَقَتْ بَعْلاً مَضَمُّ قَتَـــــــــــادِ
قَرَنْتُ بنفسي الشوْمَ في وِرْدِ حَوْضِهـــا ... فَجُرِّعْتُهُ مِلْحاً بماءِ رَمَـــــــــــادِ
وما زلتُ حتى فرَّق الله بينَنَـــــــــا ... له الحمدُ منها في أذىً وجِـــــــــهادِ
تُجَدِّدُ لي ذكرى عَذابِ جهنَّـــــــــمٍ ... ثلاثاً تُمَسِّيْنِي بها وتُغَـــــــــادي

فالفرزدق أحب أن يرى في زوجته حسن خُلِقِها، فلما وجد منها نقيض ذلك كرهه واستقبحه، فما كان منه إلا أن طلقها ليتخلص من تلك المعاناة التي يحياها معها.

أما مسكين الدَّارِمي[٣]، فيتساءل إن كانت زوجته معتلة، أم أنها تشتهي الصخب وتكره الهدوء، لأنها تكثر لومه وتعنيفه، ولا يستغرب ذلك منها لأنها من ذوات الخلق السيء اللواتي يغضبن لتوافه الأمور، ولا يتورّعن عن الشغب والملاحاة، يقول [٤]:

أصبَحتْ عاذلتي معتلّـــــــــــــــةً ... قَرَماً، أم هي وحْمَى للصَّخَـــــــــــبْ
أصبحتْ تتفلُ في شَحْمِ الـــــــــذّرى ... وتظَنُّ اللومَ درَّاً ينتهـــــــــــبْ
لا تَلُمْها إنها من نســـــــــــوةٍ ... ملحُها موضوعة فوق الرُّكَـــــــــبْ

---

[١] - هي رهيمة بنت غني بن درهم، من اليرابيع، وهم قوم من النمر بن قاسط في بني الحارث بن عباد، وأمها الحميضة من بني الحارث، وقد نشزت فطلقها الفرزدق. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص٣٨٧.

[٢] - الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، ١ : ١٧٩-١٨٠ . المزملة : من زملة بثوبه، أي لفه . الزعراء : القليلة الشعر. الشجنة: الغصن الملتف المشتبك. البشر : ظاهر الجلد . الشثن : الخشن . القتاد : الشوك .

[٣] - هو ربيعة بن عامر بن أنيف بن شريح بن دارم، وبنو دارم من بني حنظلة بن تميم من العدنانية، ولقب بالمسكين لبيت شعر قاله، وهو أحد سادات بني دارم، ومن شعرائهم المجيدين، له صلات وثيقة بخلفاء وأمراء العصر، واتصل بزياد بن أبيه، توفي سنة ٨٩هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٨ : ٦٨. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ١١٨. والبغدادي، خزانة الأدب، ٣ : ٦٠. والجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ١ : ٢٥٩. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٣٢. والزركلي، الأعلام، ٣ : ١٦.

[٤] - مسكين الدارمي، ربيعة بن عامر (ت٨٩هـ)، ديوان مسكين الدرامي، (تحقيق عبد الله الجبوري وخليل العطية)، دار البصري، بغداد ، ١٩٧٠م، ص٢٣- ٢٤ . وحمى : من الوحم ، وهو شدة شهوة الطعام عند الحمل ، و تقول العرب ملحه على ركبته؛ أي هو سيء الخلق، يغضبه أدنى شيء .

كشموس الخيل يبدو شغبُهـــــــــــا كلّما قيل لها هالَ وهَـــــــــــــبْ

وبلغ الأمر ببعض الأزواج ضرب زوجاتهم، فقد كان جار لشريح القاضي [١] يضرب زوجته، فقال شريح مستنكراً ذلك [٢] :

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهـــــــــم فشلّت يميني يوم أضربُ زينبـــــــــا

أأضرِبها في غير جُرْمٍ أتَتْ بـــــــــه إليَّ ، فما عذري إذا كنتُ مذنِبـــــــــا

وتنقلب العلاقة العامرة بالود والتراحم بين أبي النجم العجلي [٣] وزوجه شرَ منقلب، فهو لا يسمع منها سوى اللوم والعتاب والتقريع، فلا يكتفي بزجرها وكفّها عن اللوم وإنما يهددها بالعقوبة الأكبر، الحبس والشتم أو الضرب، ويذكّرها ويتوعدها بألّا تضجر منه وأن تمسك لسانها ولا تسمعه لوماً، طالباً منها البعد عن فكرة الفراق، فهو أحسن لها من الجزاء الذي تستحقه، يقول [٤] :

يا بْنَة عَمَّا لا تلومي واهجعـــــــــي

لا تُسْمِعيني منكِ لوماً واسْمَعـــــــــي

أيهاتَ أيْهاتَ ولا تطلَعـــــــــــي

هي المقاديرُ فلومِي أو دَعِـــــــــي

لا تطمعي في فرقتي لا تطْمَعـــــــــي

لا تروِّعيني ولا تروّعـــــــــــي

واستشعري اليأس ولا تفَجَّعـــــــــي

فذاك خيرٌ لك من أنْ تَجْزَعـــــــــي

فتُحْبَسي وتُشْمَتي وتُوْجَعِـــــــــي

---

[١] - هو أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم الكندي، استقضاه عمر على الكوفة، ولم يزل بعد ذلك قاضياً خمساً وسبعين سنة إلى أن استعفى شريح الحجاج من القضاء فأعفاه، مات سنة ٩٩هـ، وهو ابن مائة وعشرين سنة. انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ٣١٤. والعصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ١ : ٨١. والذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، (تحقيق إبراهيم الأبياري وصلاح الدين المنجد ومحمد سعيد طلس)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م، ٤ : ١٠٠. والزركلي، الأعلام، ٣ : ١٦١.

[٢] - الأصفهاني ، الأغاني، ج١٧، ص١٤٣- ١٤٤ . وابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ٣١٤.

[٣] - هو الفضْل أو المفضّل بن قدامة بن عبيد الله، وينتهي نسبه إلى عِجْل من ربيعة بن نزار، وكنيته أبو النجم، ولد في أوائل خلافة معاوية، ونشأ في سواد الكوفة، ثم انتقل إلى البصرة واتخذ منها مسكناً ومن مربدها سوقاً يعرض فيها شعره، وهو أحد رجّاز الإسلام الفحول، وفي الطبقة الأولى منهم، وقد توفي في أواخر دولة بني أمية نحو (١٣٠هـ). انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٠، ص١٥٧. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ٢ : ٥٠٢. والمرزباني، معجم الشعراء، ص١٨٠. البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ١ : ٤٨. والعباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، ١ : ٩.

[٤] - العجلي ، أبو النجم الفضل بن قدامة (ت ١٣٠هـ)، ديوان أبي النجم، (تحقيق سجيع جميل النجيلي)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م، ص ١٣٤.

ولجأ بعض الأزواج في العصر الأموي إلى تعدد الزوجات حتى شاع هذا الأمر واتسع لعدة أسباب تسردها أسمية العظم فتقول: " يظهر أن تعدد الزوجات راجت سوقه في العهد الأموي فأقبل عليه خلفاؤهم وخاصتهم وعامتهم، وقد دفعهم إلى ذلك عوامل عدة أولها : الدين الذي أقرَه، ثانيهما: الفتوحات الواسعة وما أدت إليه من سبي للنساء الأجنبيات، ثالثهما: المال الوافر الذي كان يُدَرُّ عليهم من خراج وغيره، ولقد كانت غاياتهم من تعدد الزوجات مزدوجة: التمتع بالمرأة من جهة، وإكثار النسل من جهة ثانية "[١].

وقد استخدم الرجل هذا التعدد لمعاقبة الزوجة ومناكدتها باستغلال غيرتها الفطرية من ضرّتها، فالفرزدق _مثلاً_ تزوج غير مرة عقاباً لزوجته النّوار ومناكفة لها، فقد تزوج حدراء بنت زريق لأن النّوار كانت تخالفه، ولم يكتف بالزواج عليها، بل أمعن في مغايظتها بمدح ضرّتها وتفضيلها عليها في شعره، ويعيّرها بأنها كانت تربيها أمَة [٢] :

كجارية بين السَّلِيْلِ عُروقَهـــــــــــا وبينَ أبي الصَّهْبَاء من آلِ خالـــــــــدِ
أحقَّ بغلاء المهورِ من التـــــــــــي رَبَتْ وهي تَنْزو في حُجورِ الوَلائِـــــــدِ

وقال أيضاً يمدحها ويعرض بالنّوار [٣] :

لعَمْري لأعرابيّة في مَظَلّـــــــــــةٍ تظَلُّ بِرَوْقَيْ بيتِها الريحُ تَخْفِـــــــــــقُ
كأمِّ غزالٍ أو كَدُرَّةِ غائـــــــــــصٍ إذا ما بَدَتْ مِثلَ الغمامةِ تُشـــــــــرقُ
أحَبُّ إلينا من ضِناكٍ ضِفِنّـــــــــــةٍ إذا رُفِعَتْ عنها المـــــــــراوحُ تَعْرَقُ
كَبِطْيَخَةِ الزّرّاعِ يُعْجَبُ لونُهَـــــــــا صحيحاً ، ويبدو داؤها حينَ تُفْلَـــــــقُ

ويخلص الأمر إلى أن الزوج في العصر الأموي ساهم في إرساء قواعد الحياة الزوجية من خلال ما أظهره من مشاعر الود والمحبة تجاه زوجته، وخوفه عليها وعلى أبنائها، ومن خلال عنايته بشؤون أسرته واهتمامه بأفرادها، فظهر الزوج محباً لزوجه، يحفل بدماثة خلقها وحسن طباعها، وينتقد سوء تصرفها وسلوكها، متخذاً في ذلك جُل السبل التي تحمي أسرته، فإن لم ترتدع الزوجة وتعود إلى رشدها، استعمل معها سبيل الضرب أو الهجر مثلما دعاه ربه، وإن تعذّرت بينهما الحياة الزوجية طلّقها، وفي الجانب الآخر أعرب عن بالغ أساه لفقدها وضياعه بعد موتها.

---

[١] - العظم ، أسمية (١٩٩٦) ، المجتمع في العصر الأموي ، ط١، در العلم للملايين ، بيروت ، ص٢١ .
[٢] - الفرزدق ، ديوان الفرزدق، ١ : ١٥٤ . السليل : هو ابن قيس بن مسعود الشيباني ، وأبو الصهباء : بسطام أخوه ، والصهباء : فرسه. تنزو : تثب .
[٣] - المصدر نفسه، ٢: ٥٥ . الروق : رواق البيت، الضناك : الشديدة الموثقة الخلق . الضفنة : الحمقاء الصغيرة .

الأم والزوجة :

لقد فرضت الحياة الجديدة تعاملاً خاصاً مع المرأة، ونظرة جديدة إليها، فبالرغم من مكانة المرأة العربية في المجتمع العربي قبل الإسلام إلا أنها أصبحت تمثل صورة مشرقة أخرى في الحياة الجديدة، وأصبحت تقوم بدور أكبر مما سبق، لأن الإسلام أعطاها المركز اللائق بها ومنحها قيماً وحقوقاً تساعدها على تحقيق ذاتها، كما أن لاتصال العرب بالأمصار الأخرى في العصر الأموي تأثيراً في تغيير نظرتهم للمرأة وتعاملهم معها، وانسحب هذا التأثير على معطيات حياة المرأة العربية من ملبس وزينة واهتمام بالمظهر، فنحن في العصر الأموي نشهد امرأة على قدر من التحضر والذكاء، تعضد جمال شكلها بعقل راجح وتتمتع بقدر من الحرية في علاقاتها الاجتماعية، وهي إلى هذا وذاك مترفة ناعمة.

إن الحديث في دور المرأة في العصر الأموي يطول بما لا تسمح به هذه الدراسة، وما يهدف إليه هذا الباب من الدراسة إلقاء الضوء على دور المرأة وصورتها أماً وزوجاً، بالإضافة إلى كشف بعض جوانب حياتها الشخصية في زينتها ولباسها، ويكفي القول إن المرأة العربية في العصر الأموي كانت عنصراً فاعلاً في الميدان الاجتماعي والسياسي، فهي شاعرة تقول الشعر كما تسمعه، وهي سياسية محرّضة مؤثّرة في قومها، وأخبار بعض النساء مع معاوية بن أبي سفيان مشهورة، كما هو في خبر الزرقاء بنت عدي الهمدانية [١]، التي كانت قد حرّضت بني أمية في وقعة صفين [٢]، وكذلك أخبار سَوْرَة بنت عمارة الهمدانية التي كانت تقول شعراً تحريضياً ضد بني أمية بعد وقعة صفين، إلا أنها جاءت إلى معاوية طالبة إليه أصلاح أمر قومها فاستجاب لما أرادت [٣]، وغيرهن من النساء اللواتي لعبن دوراً بارزاً في حياة المجتمع الأموي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعسكرية.

إن عاطفة الأمومة عاطفة ربانية لا تعدلها عاطفة، اختص بها قلب الأم وكانت بها الأكثر حرصاً على أبنائها منذ حملهم إلى أن يكبروا ويشتد عودهم ويصبحوا رجالاً أو أمهاتٍ، فهي

---

[١] - هي امرأة من أهل الكوفة، شهدت مع قومها صفين، وكان لها لسان وعقل. انظر: ابن بكار، العباس بن بكار الضبي (ت٢٢٢هـ)، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، (تحقيق سكينة الشهابي)، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٠.

[٢] - انظر: ابن بكار، أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان، ص٢٠. وابن أعثم الكوفي ، أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ)، الفتوح ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م، م٢ ، ج٣ ، ص٨٤ – ٨٥ .

[٣] - انظر : ابن أعثم الكوفي ، الفتوح، م٢ ، ج٣ ، ص٥٦ وما بعدها .

ترعاهم وتخاف عليهم أجنة في بطنها، ثم تكلؤهم برعايتها وعنايتها صغارا وكباراً، وتقوم بكل ما من شأنه أن يحميهم ويدرأ الشر عنهم، وفي ذلك يصور ابن قيس الرقيات أما رؤوماً فيقول [١] :

حُيِّيْتِ عَنَا أمَّ ذي الـــــــــــــــوَدْعِ والطَوْقِ والخَرَزَاتِ والـــــــــــــجَزْعِ
تَحْنُو على طفلٍ تُلاعِبُـــــــــــــــهُ صَلّتِ الجبينِ لسادةٍ صُلّـــــــــــــــعِ
يبْكي فَتُسْكِتُهُ بِبُرْدَتِهـــــــــــــا وعليهِ منها مائلُ الفَـــــــــــــــرْعِ

فهي تلاعبه بحركاتها اللطيفة محاولة إسكاته وتهدئته، وترى أن التمائم ستقيه شر الحسد فتعلقها عليه حفاظاً على سلامته.

ولا شك في أن الأم العريقة الحصيفة مدرسة لأبناء لهم الرفعة وعلو القدر، فلطالما امتدح الشعراء أم الممدوح، فهي أصل وجوده وسبب حسن ذكره، لأنها لم تألُ جهداً في حسن تربيته وإكسابه الأخلاق الحميدة حتى غدا ممدوحاً يحق له المدح، يقول الأخطل مادحاً الوليد بن عبد الملك[٢]:

وإنْ أتعرَّضْ للوليدِ فإنّـــــــــــــهُ نَمَتْهُ إلى خير الفروع مضارِبُـــــــــــهْ
نساءُ بني كعبٍ وعبسٍ وَلَدْنَـــــــــهُ فنِعْمَ – لعمري – الجالباتُ جَوَالِبُـــــهْ

ويذكر الكميت في مدحه لعبد الملك بن مروان والدته وما أورثته من الأخلاق الكريمة والخصال الحميدة [٣]:

أوْرَثَتْهُ الحَصانُ أمُّ هشـــــــــــامٍ حَسَبَاً ثاقباً ووجهاً نضيـــــــــــرا
وتعاطى به ابن عائشة البـــــــــــد رَ له رقيباً نظيـــــــــــــــــرا

وتحرص الأم على تنشئة بنيها تنشئة سليمة مهتمة في ذلك بأدق الأمور وأصغرها، فهي تختار وقتاً مناسباً لحمله، وتفتخر بأنّها ولدته بطريقة سليمة، وليس منكساً، وتحرص على رضاعته لبناً غير فاسد – وهو الذي يكون أثناء فترة الحمل -، ولا تنفك تهدهده، وتلاعبه، ولا تنيمه جائعاً أو متألماً وفي ذلك تقول ليلى الأخيلية للحجاج حين سألها عن ولدها وقد أعجبه ما رأى من سبابه: "

---

[١] - الرقيات، عبيد الله بن قيس (ت٧٥هـ) ، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ط١، (تحقيق و شرح عزيزة فوال بابتي)، دار الجبل، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٣٣ – ١٣٤ . وذو الودع : الطفل يعلق عليه الودع ليقيه شر الحسد. الطوق: العقد. الجزع : خرز أبيض وأسود.

[٢] - الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي (ت٩٥هـ)، شعر الأخطل، (تحقيق فخر الدين قباوة)، دار الأصمعي، حلب، ١٩٧١م، ١ : ٢٨٩.
مضاربه: عروقه الضاربة في الثرى، كعب: أي كعب بن لؤي أحد أجداد بني أمية، وعبس : قبيلة أم الوليد.

[٣] - الأسدي، الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ)، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ٣ أجزاء، (جمع وتقديم داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م، ١ : ٢٠٤.

إني والله ما حملته سهواً، ولا وضعته تيناً، ولا أرضعته غَيْلاً، ولا أَنَمْتُه مِنْقاً " [١]، وتبقى الأم على اهتمامها ذاك ورعايتها تلك حتى في صِبا أبنائها وكبرهم.

وإن ألجأها خلافها مع أبيهم إلى الانفصال، فإنها ترى الحق لها إبقاء أبنائها معها غير مكترثة بعبء المسؤولية التي تلقيها على نفسها، وهذا ما فعلته زوجة أبي الأسود الدؤلي حينما حاجّته عند معاوية بن أبي سفيان لمّا أراد أن ينتزع منها ولدها، فقالت تبيّن حقها فيه [٢]:

ليسَ مَن قال بالصواب وبالحـــــــــقِّ كمن جار عن منار السبيـــــــــــلِ
كان ثديي سِقاءَهُ حين يُضْحِـــــــــي ثم حِجري فناءَه بالأصيـــــــــــلِ
لستُ أبغِي بواحدي يا بنَ حـــــــرْبٍ بدلاً ما علمتُهُ والخليـــــــــــلِ

فأقرّ لها معاوية حقّها ونصرها به، فأجابها [٣]:

ليسَ مَن قد غداهُ طفلاً صغيـــــــــراً وسقاهُ من ثديه بالخـــــــــــذولِ
هي أوْلى بهِ وأقربُ رحْمَـــــــــــاً من أبيه وفي قضاء الرَّســـــــــولِ
أمُّه ما حنّتْ عليه وقامـــــــــتْ هي أولى بذا الغلامِ الجَميـــــــــلِ

ولا تبخل المرأة بتقديم النصح المخلص لأولادها، مقوّمة في ذلك سلوكهم، غارسة في أنفسهم طيب الخلق وحسن الفعل، فتبقى بذلك المرشدة والموجهة بما تعتقد أنه الأفضل لهم، وهذا ما كان من أُمِّ الأوقص المخزومي [٤]، فقد ذكر أنّ أمه أوصته بأن يلزم الدين بقولها: " يا بني، إنك خلقت في صورة لا تصلح معها لمجالسة الفتيان في بيوت القيان، فعليك بالدين، فإن الله يرفع به الخسيسة، ويتمُّ به النقيصة، قال: فنفعني الله بقولها " [٥].

---

[١] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٤ . تيناً : منكساً، غيلا : لبناً فاسداً ، مئقاً : مستوحشاً باكياً .
[٢] - ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت ٢٨٠هـ)، بلاغات النساء، (شرح أحمد الألفي)،ط٢، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٥م، ص٥٥. وانظر: غريب، جورج (١٩٨٥)، شاعرات العرب في الإسلام، ط١، دار الثقافة، بيروت، ص٦٦ – ٦٧.
[٣] - ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٧ : ١١٤. وخماش، نبال، شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي، ص٩٥.
[٤] - هو محمد بن عبد الرحمن بن هشام، تولى قضاء مكة فما رُئيَ مثله في العفاف والنبل، وأمه من تميم. انظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٣ : ٣٦٤. والأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (تحقيق رشدي الصالح ملحس)، ط٢، دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٦٥م، ، ١ : ١١٢.
[٥] - ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ : ١٣٥. وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧ ، ص ١٢.

وترتبط الأم ارتباطاً عاطفياً كبيراً ببيتها وأبنائها، فهي حاضنة العاطفة والحياة، ومخزن الحب والحنان، ويتصدع قلبها إذا ما قتلوا صغاراً، وتلتاع روحها ويتمزق قلبها، وهذا ما عبّرت عنه جُويرية أم ابني عبيد الله بن العباس اللذين قتلهما بُسْر بن أرطأة [١]، فهتفت شعراً يمزق القلب[٢]:

يا مَن أحسَّ بإبنيَّ اللذين همـــــــــا ... كالدُّرَّتين تشظّى عنهما الصَّـــــــدفُ
يا مَن أحسَّ بإبنيَّ اللذين همـــــــــا ... سَمْعي وقلبي ، فعقلي اليوم مُخْتَطَـــفُ
يا مَن أحسَّ بإبنيَّ اللذين همـــــــــا ... مخّ العِظامِ ، فمُخّي اليومَ مُزْدَهَـــــفُ
نُبِّئْتُ بِسْرَاً ، وما صدَّقتُ ما زَعَمـــــوا ... من قولِهم ومِن الإفكِ الذي وَصَفُـــــوا
أنْحَى على وَدَجَيْ إبنيَّ مرهفـــــــــةً ... مشحوذةً وكذاك الإثم يقتـــــــــرفُ
حتى لقيتُ رجالاً من أرومتِـــــــــهِ ... شُمَّ الأنوفِ لهم في قومِهم شَـــــرَفُ
فالآن ألعنُ بُسراً حقّ لعنَتِـــــــــهِ ... هذا لَعمرُ أبي بسرٍ هو السَّـــــــدِفُ
مِن دِلٍّ والهةٍ حرّى مولّهـــــــــةٍ ... على حبيبينِ قد أرْدَاهُما التّلَـــــــفُ

إن فاجعة الأم بفقد أبنائها لا يماثلها فاجعة، فتظل تندبهم، وتبكيهم بكاء حاراً تقتضيه عاطفتها تجاههم، وحبها لهم.

وهكذا ما فتئت الأم في العصر الأموي تَكِنُّ لأولادها حباً جمّاً وعاطفة جيَاشة، ولم تنفك تعتني بهم وتكلؤهم بعنايتها ورعايتها منذ أن تتحسَّسهم في أحشائها حتى يكبروا وينصهروا في بوتقة المجتمع، ولا تضن عليهم في رحلتهم هذه بنصحها وإرشادها وتوجيهها، فإذا ما فاجأها القدر بفقدهم غمّت حياتها واعتصرت نفسها ألماً لفراقهم.

---

[١] - هو أبو عبد الرحمن بسر بن أرطأة العامري القرشي، قائد فتاك من الجبارين، ولد بمكة قبل الهجرة وأسلم صغيراً، وروى حديثين في مسند أحمد، شهد صفين مع معاوية، ووجهه معاوية إلى المدينة في ثلاثة آلاف مقاتل سنة ٣٩هـ فأخضعها، وإلى مكة فاحتلّها، وإلى اليمن فدخلها، وكان معاوية قد امره أن يوقع بمن يراه من أصحاب علي، فقتل منهم جمعاً وأخذ ابنين صغيرين لعبد الله بن العباس اسمهما (عبد الرحمن وقثم) فقتلهما في حجر أمهما، ثم عاد إلى الشام فولاه معاوية على البصرة سنة ٤١هـ، ولم يزل مقرباً من معاوية إلى أن مات، وكانت وفاته في دمشق سنة ٨٦هـ. انظر: أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ)، كتاب المحن، (تحقيق يحيى وهيب الجبوري)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٣٥. والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١ : ٣٥٧. والزركلي، الأعلام، ٢ : ٥١. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٣ : ٣٧٢. وابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت)، ١ : ١١٣. وابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ)، مختصر تاريخ دمشق، (تحقيق روحية النحاس)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ٢ : ١٧٥.

[٢] - غريب، جورج، شاعرات العرب في الإسلام، ص١٣٠ .

المرأة الزوجة :

مثَّلت المرأة في العصر الأموي بوصفها زوجة وظيفة اجتماعية هامة لا تستقيم الحياة دونها، إذ كان لها حضور بارز في مجتمعها عامة وفي أسرتها خاصة، فكانت أحياناً موضع حبّ زوجها وتغزّله، حيث صوّر مشاعره الجياشة تجاهها، وتخوف من فراقها، ووصفها جسداً ونفساً، ولم يعزلها عن أمور حياته، فاستشارها في شؤون حياتهما، وتعاونا سوياً فيما يحقق الحياة الفضلى لأسرتهما.

وكانت بعض النساء موضع فخر واعتزاز زوجها الذي تخيّرها من خير الأسر، فعندما تزوج العرجي أم عثمان بنت بكر بن عمرو بن عثمان وأمها سكينة بنت مصعب بن الزبير أشار إلى سلالتها النبيلة العريقة، وذكر مجدها وعزها، فقال[1]:

إنّهَا بنتُ كلِّ أبيضَ قَـــــــــــــرْمٍ ... مَلِكٍ نالَ مِن قَصَيٍّ ذُرَاهـــــــــــا
وبَنَى المجدَ صاعِداً ، فَعَلَتْـــــــــهُ ... عَبْدُ شمسٍ وهاشمٌ أبَوَاهـــــــــا
فهي لا تُدْرِكُ النساءَ بِسَعْـــــــــيٍ ... أبداً ، حينَ يفخرونَ ، مَدَاهـــــــــا
أمُّها البدرُ : أمُّ أروى ، فنالـــــــت ... كلَّ ما يُعْجِزُ الأكُفَّ يَدَاهـــــــا
إنَّ عُثمانَ والزبيرَ أحَـــــــــلاّ ... دَارَها باليفاعِ إذ وَلَدَاهـــــــا
وبِحَسْبِ الفتاةِ قرباً مِنَ المَجْـــــــ ... ـدِ قَصَيٌّ ، إذ يعدِلُوا ، مولاهـــــــا

وكثيراً ما عبَر الزوج في العصر الأموي عن حبه لزوجه، ووفائه لها، مؤكداً في الوقت ذاته عظم مكانتها في نفسه وقلبه، مسبغاً عليها صفات الدلال والجمال، يقول المتوكل الليثي في حبه لزوجه [2]:

إذا ذُكِرَتْ لقلبِكَ أمُّ بكـــــــــــرٍ ... يبيتُ كأنما اغْتَبَقَ المُدامَـــــــــا
خَذَلّجَة تَرِفُّ غُروبُ فيهـــــــــا ... وتكسو المتنَ ذا خُصَلٍ سُخَامَـــــــــا
أبى قلبي فما يهوى سواهـــــــــا ... وان كانت مودَّتُها غرامـــــــــا

---

[1] - العرجي، ديوان العرجي، ص٣٣٩ – ٣٤٢ . قصي : ابن كلاب بن مرة وهو الذي جمع قريش ووحدها، اليقاع : المشرف من الأرض.
[2] - الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص١١٢- ١١٣ . الخدلجة : (بتشديد اللام) المرأة الممتلئة الذراعين والساقين . ترف : تبرق وتتلألأ. الغروب: حدة الأسنان. سخام : ليّنٌ رقيق، وهو السواد إذا أراد اللون .

ولم تكن الحياة الزوجية التي تحياها المرأة الأموية حياة سعادة مطلقة، أو هناء دائم، بل شابها أحياناً ما يشوب حياة أية أسرة من حوار وخلاف يومي بينها وبين زوجها حول الأبناء وتحصيل الرزق، فأكثرت لذلك من لومها وعتابها له، ودعته إلى الاقتصاد في الإنفاق، وهذا ما يصوره ابن هرمة بقوله[١]:

أرَّقَتْني تلومُني أمُّ بكـــــــــــــــرٍ ... بعدَ هَدْءٍ واللومُ قد يؤذينـــــــــــــي
حَذَّرتني الزمان ثَمَّتَ قالـــــــــــتْ ... ليسَ هذا الزمانُ بالمأمـــــــــــــونِ
قَلْتُ لمّا هَبَّتْ تُحَذِّرُني الدهـــــــــرَ ... دعي اللوم عنكِ واستبقينـــــــــــي

ويصوّر عمرو بن الحصين العنبري [٢] روح المودة والتراحم والوئام بينه وبين زوجه، فقد أرّقها ما رأت من سوء حال زوجها وحزنه ودموعه، فهبّت قبيل تبلّج الفجر تكفكف دموعه، وتسأل عما اعتراه، وتدعوه إلى الإقصارعما هو فيه، فقد عرفته صابراً جلداً قوياً فيما مضى، وهي في أثناء ذلك كله تبكي وتسرف في بكائها، يقول[٣]:

هَبَّتْ قَبيلَ تَبَلّج الفجـــــــــــرِ ... هنْدٌ تقولُ ودمعُها يجـــــــــــري
إذْ أبصرت عيني وأدْمُعَهـــــــــا ... يَنْهَلُّ واكِفُها على النّحْـــــــــــرِ
أنّى اعتراكَ وكنتَ عهـــــــــدي لا ... سَرِبَ الدموعِ وكنتَ ذا صبـــــــــرِ

وبما أنّ " النساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة، وأشدهم جزعاً على هالك لِمَا ركَّب الله عزّ وجلّ في طبعهن من الخَوَرِ وضعف العزيمة " [٤]، فقد بكت المرأة زوجها بكاء حاراً وتألمت لفقده أشد الألم، وأفجعتها مصيبة موته، ومن اللواتي رثين أزواجهن الرَّباب زوجة الحسين بن علي إذ قالت فيه[٥]:

إنَّ الذي كان نوراً يُسْتَضاءُ بِـــــــهِ ... بكربلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفـــــــــونِ
سِبْطَ النبي جزاك اللهُ صالحـــــــــة ... عنّا وجُنِّبْتَ خُسْرانَ المَوازيـــــــــنِ
قد كُنْتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ بِـــــــهِ ... وكنت تصْحَبُنا بالرُّحْمِ والدِّيـــــــنِ
مَن لليتامى ومَن للسائلينَ ومَـــــــن ... يُغْنِي ويأوي إليه كلُّ مسكيـــــــنِ

---

[١] - ابن هرمة، أبو إسحق إبراهيم بن علي بن سلمة الكناني ت(١٨٣هـ) ، ديوان ابن هرمة ، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف ، ١٩٦٩ م، ص ٢٣٣.

[٢] - هو عمرو بن الحصين العنبري، مولى بني تميم، وهو أحد شعراء الخوارج وشجعانهم. انظر: البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٣ : ١٤٣.

[٣] - عباس، إحسان، شعر الخوارج ، ص٨٤ .

[٤] - ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت٤٥٦هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، ط٤، دار الجيل، بيروت، ٢ : ١٥٣.

[٥] - الأصفهاني، الأغاني ، ج١١، ص١٨٢ .

والله لا أبتغي صِهْراً بصهركـــــــــــمُ حتى أغَيَّبَ بين الرملِ والطيْـــــــــــنِ

وقد وصف الأخطل فجيعة المرأة بفقدانها زوجها وبكائها عليه، وجماعات النساء تأتي لتسليتها وتعزيتها، في رثاء يزيد بن معاوية بقوله [١]:

تصيحُ الموالي ، أنْ رَأوا أمَّ خالـــــــدٍ مُسَلَّبَة ، تبكي على الماجدِ ، الغَمْـــــــرِ
إذا جاء سِرْبٌ من نساءٍ يَعُدْنَهـــــــا تَجَرَّدْنَ إلا من جلابيبَ أو خُمْـــــــــرِ

تلك هي الزوجة الأموية المحبة لزوجها، الحريصة عليه وعلى ماله، الناصحة له، الراعية لشؤون أسرتها، وهي كذلك حتى يفجعها القدر بهلاك زوجها فتتألم وتتوجع، إذ بفقده فقدت الحصن الحصين، والملاذ الآمن والمعين لها ولأسرتها.

وقد تعيش الزوجة الأموية حالاً آخر، فتحيا مع زوجها خلافات تتعدد أسبابها وطبيعتها وشدّتها، وتختلف نتائجها، من ضرب، أو زواج بأخرى، أو طلاق، ومن أسباب ملاحاة الزوجة الأموية لزوجها قعوده وقلة ماله، أو إسرافه وتبذيره، أو تعلّقه بالجواري، أو تصابيه وسفاهته، أو مبيته خارج المنزل[٢] ، فكانت لذلك تضايقه وتغاضبه، وتهزأ منه أحياناً، وقد أوردت في كتب الأخبار كثيراً من أحوالهن وأخبارهن مع أزواجهن، كخبر عائشة بنت طلحة، وسكينة بنت الحسين، وبعض نساء الخلفاء في دمشق كعاتكة بنت زيد [٣].

وأبدت المرأة الأموية غَيْرة شديدة على زوجها، ودعته للكف عن الصبابة واندفاعه نحو اللذة، فهذا جرير يحاور زوجته ناقلاً إنكارها لما هو فيه [٤]:

قالتْ: بَلِيْتَ فما نَرَاك كعهدِنـــــــــا ليتَ العهود تجدَّدت بعد البِلـــــــــى
أأمامَ غيَّرني وأنـــــــــــتِ غَريرَةٌ حاجاتُ ذي أرَبٍ وهمٌّ كالجَـــــــــوى
قالت أمامةُ : ما لجهلك مَالَـــــــــهُ كيفَ الصَّبابةُ بعدما ذهبَ الصِّبـــــــا
رأتْ أمامة في العِظام تَحَنُّيَـــــــــاً بعد استقامَتِها وقَصْرَاً في الخُطـــــــا
ورأت بِلِحْيَتِهِ خِضاباً راعهـــــــــا والويلُ للفتياتِ من خَضْبِ اللَحَـــــــى

---

[١] - الأخطل ، شعر الأخطل، ٢ : ٥٣٣ . المسلبة : اللابسة ثياب الحداد ، السرب : الجماعة ، تجردن: شققن ثيابهن فخرجن منها . الغمر : من لم يجرب الأمور. أم خالد : امرأة يزيد، وهي فاختة بنت هاشم بن عتبة وتزوجها بعد مروان بن الحكم .
[٢] - انظر : نصير، أمل، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص٢٢٦ – ٢٥٠ .
[٣] - انظر: الأصفهاني، الأغاني، أخبار عائشة بنت طلحة، ج١١ ، ص١٧٧، وأخبار سكينة بنت الحسين، ج٣ ، ص٢٦٦- ٣٦٥ ، وخبر عاتكة مع زوجها يزيد، ج٢ ، ص ٣٨٣ .
[٤] - جرير، ديوان جرير، ١ : ٣٤٣ .

وقد وقفت المرأة الأموية موقف المستهزئة الساخرة من تقدّم عُمْر زوجها وقد خطّ الشيب رأسه وعلا ذؤابته، يقول ابن قيس الرقيات منكراً ما رأى من أمر زوجته [١]:

هَزِئَتْ أنْ رَأتْ بيَ الشّيْبَ عِرْسِـــــــي لا تَلُومي ذَؤابَتي أن تَشِيبـــــــــــا

وقد يصل الأمر بالمرأة الأموية أن تهجو زوجها، ومن الشاعرات اللواتي اشتهرن بهجاء أزواجهن حُميدة بنت النعمان بن بشير [٢]، فقد عُرف عنها كثرة هجائها لأزواجها، وقد قالت تهجو زوجها الحارث بن خالد المخزومي مفضلة الدمشقيين على أبناء الحجاز، وهي تقذع في هجائها له نادمة على الزواج منه [٣]:

نكحتُ المدينيَّ إذْ جاءَنـــــــــــي فيا لَكِ مِن نَكْحَةٍ غاويـــــــــــهْ
كُهُولُ دمشقَ ، وشبَّانُهـــــــــا أَحَبُّ إلينا من الجاليـــــــــــهْ
صُنَانٌ لهم كصُنانِ التّيُـــــــــو سِ أعْيَا على المِسْكِ والغاليـــــــــهْ

وتسعى المرأة الأموية أحياناً إلى الطلاق وتطلبه، كما كان من زوجة محمد بن بشير الخارجي التي رفضت الرحيل معه إلى الحجاز، وتمنّعت أن تترك أهلها وضيعتها في البصرة، فطلقها وخرج إلى الحجاز [٤].

وطلبت زوجة المتوكل الليثي الطلاق منه لأنها كانت مقعدة عاجزة فأجابها إلى طلبها، ثم برئت بعد الطلاق فقال فيها قصيدته التي مطلعها [٥] :

قِفِي قبلَ التّفَرُّقِ يا أمامـــــــــا وَرُدِّي قبل بينِكُم السَّلامـــــــــا
طَرِبْتُ وشاقَنِي يا أمَّ بكْـــــــرٍ دعاءُ حمامةٍ تدعو حَمامَـــــــــا

وكما كانت علاقة المرأة الأموية بزوجها علاقة حب ومودة، كانت في جانب آخر شجاراً وخلافات، وقد رسم الشعر الأموي وجهي العلاقة موضّحاً تلك الأدوار التي لعبتها المرأة في حياتها الزوجية.

---

[١] - الرقيات، عبيد الله بن قيس ، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص ٥٨ .
[٢] - هي حميدة بنت النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي، شاعرة دمشقية، أصلها من المدينة، كان أبوها والياً على حمص، تزوجت المهاجر بن عبد الله بن خالد بدمشق لما قدم على عبد الملك بن مروان، وطلقها، فهجته، وتزوجت الحارث بن خالد المخزومي، ثم روح بن زنباع، ولها معهما مساجلات شعرية، وتزوجت بعدهما فيض بن محمد بن الحكم بن أبي عقيل الثقفي، فأحبته، وولدت له ابنة تزوجها الحجاج بن يوسف، وتوفيت حميدة بالشام في أواخر ولاية عبد الملك بن مروان في نحو سنة ٨٥هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٢ : ٢٨٤.
[٣] - الأصفهاني، الأغاني ،ج٩ ، ص٢٢٧ وما بعدها. والأبيات واردة في شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص١٢١.
[٤] - الأصفهاني، الأغاني ، ج١٦، ص١٢٠ .
[٥] - الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي ، ص١١٠، وانظر الخبر في: الأصفهاني، الأغاني ، ج١٢ ، ص١٦٠ – ١٦١.

ويَجْمل بهذه الدراسة والحديث عن المرأة، أن تلقي الضوء على جوانب حياتها المادية كلباسها وزينتها ومظاهر اهتمامها بمظهرها لتكتمل صورتها المادية مع صورتها المعنوية التي أوضحتها هذه الدراسة آنفاً في علاقاتها مع زوجها وأبنائها ومجتمعها.

إن المرأة وعلى مر الأزمان محبّة للتزيّن والاعتناء بمظهرها، وهذا ما تقتضيه طبيعتها البشرية، إلا أن ما طرأ على العصر الأموي من تطورات نتيجة الفتوحات، وتوسع المجتمع واستقراره في مدن كثيرة تلاقحت فيها الثقافات بين القادم والمقيم، فأخذت المرأة تنزع نحو الترف ورغد العيش، " فما كان منها إلا أن تحلّت بأفضل ما لديها من الحلي، ولبست الملابس الفاخرة المرصّعة بالجواهر، واتخذت من أصناف ما يثبت تحضرها، بل ولم تنس الاعتناء بشعرها الذي لطالما تاقت إلى التفنن بتسريحه ووصله وتخضيبه لتبدو أكثر جمالاً " [١].

وقد زيَّنت المرأة جسدها بأنواع متعددة من الحلي المصنوعة من الذهب، أو الفضة المرصعة بالحجارة الكريمة من اللؤلؤ والياقوت والمرجان والزبرجد والجَزْع [٢]، وغيرها، وتنوعت أشكال حلِيها وأصنافها ومواضعها، فكان منها:

- **الأقراط والشُّنُوفُ :**

ويختلفان في موضعهما، فقد قيل: الشُّنُف في أعلى الأذن والقُرْط في أسفلها، وقيل: القُرْط الذي يعلق في شحمة الأذن والجمع أقراط وقروط وقِرَطة، ويُقال للدُّرَّة تعلَّق في الأذن قُرْط [٣].

وقد تحلّت المرأة الأموية بالقُرط لتزيد من جمال وجهها وعنقها، حتى يصفها بذلك كثيّر عزة فيقول [٤]:

مِنَ الشّمِّ مِشْرافٌ يَنِيْفُ بِقَرْطِهـــــــــا أسيلٌ إذا ما قَلّدَ الحَلْيَ واضِـــــــــــحُ

---

[١] - الشجراوي، زكريا حسني إبراهيم (٢٠٠٢) ، شعر زينة المرأة في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن، ص١١.

[٢] - الجزع : هو ضرب من الخرز ، وقيل : هو الخرز اليماني فيه بياض وسواد تُشَبَّهُ به الأعين، واحدته :جَزْعة. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جزع).

[٣] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرط) . وانظر: ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، المخصص، (قدم له خليل إبراهيم جفال)، اعتنى بتصحيحه مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م، ج٤، ص٤٣.

[٤] - الخزاعي، كثير بن عبد الرحمن (ت ١٠٥ هـ)، ديوان كثير عزة، (جمع إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م، ص٦٢، الأسيل : الخد الناعم.

ويصف نابغة بني شيبان الدرَّ في القُرْطين وصفاً دقيقاً بقوله [١] :

عليها الدُّرُّ نِيْطَ لها شُنُوفـــــــــــــاً كَبيْضِ ضَئِيلةٍ في جوفِ عُـــــــــــشِّ

ويرى ذو الرمة في طول العنق مندوحة لتحرّك الأقراط بحرية [٢] :

والقَرْطَ في حُرَّةِ الذَفرى مُعَلّقَـــــــــــهُ تباعَدَ الحَبْلُ منْهُ فهو يضْطَـــــــــــرِبُ

- الأطواق والقلائد والعقود :

الطوق من حلي العنق، تزيّن به المرأة الأموية جيدها فيزداد جمالاً وبهاء، يقول يزيد بن معاوية في جيْد محبوبته [٣] :

إذا بَرَزَتْ ليلى من الخِدْرِ أبْـــــــــرَزَتْ لنا مَبْسَماً عَذْباً وجيْداً مُطَوَّقـــــــــــــا

ويرى الراعي النميري في الطّوق مظهراً من مظاهر العزة والأناقة والدلال [٤]:

أَلا اسْلَمي اليومَ ذاتَ الطَوْقِ والعـــــاجِ والدَّلِّ والنّظَرِ المُسْتَأنَسِ السَّاجِـــــــي

أما القِلادة فهي ما يجعل في العنق، والجمع قلائد [٥]، والعِقْد: خيطٌ يُنظم فيه اللؤلؤ والخرز، ويُعْقد حول الرقبة، والعِقد: القلادة، وجمعه عقود [٦]، ولعل العقد أكثر التصاقاً بالرقبة من القلادة التي غالباً ما تتدلى على الترائب.

وقد تأتي القلائد والعقود بأسماء أخرى، من مثل؛ (السِّمْط) أو (السَّلس)، وهو الخيط ما دام فيه الخرز، وإلا فهو سلك، والسِّمْط: خيط النظم لأنه يعلّق [٧]، و(السِّخاب)، وهي قلادة تتخذ من

---

[١] - النابغة الشيباني، عبد الله بن مخارق بن سليم (ت ١٢٥هـ)، ديوان نابغة بني شيبان، (شرح وتقديم قدري مايو)، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص٩٩ .

[٢] - ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (ت ١٧٧هـ)، ديوان ذي الرمة، (شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع) ، ط١، دار الأرقم ابن أبي الأرقم للنشر، بيروت، ١٩٩٨م، ص٦٥.

[٣] - يزيد بن معاوية (ت٦٤هـ) ، ديوان يزيد بن معاوية ، (تحقيق واضح الصمد)، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨ م، ص٥٢ .

[٤] - الراعي النميري، عبيد بن حصين (ت٩٧هـ)، ديوان الراعي النميري، (دراسة وتحقيق نوري القيسي وهلال ناجي)، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد، ١٩٨٠م، ص١١٨ . ساج : ذهب وجاء .

[٥] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (قلد)، وابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٤٤.

[٦] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (عقد). وابن سيدة، المخصص ، ج٤، ص٤٥.

[٧] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (سمط).

قرنفل، وسُك ومحلب، ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء، والجمع سُخُبْ [١]، وقد ازدادت محبوبة الأخطل بهاء على بهائها بقلائدها الموضوعة على صدرها [٢]:

وبيضاءَ، لا لونُ النّجاشِيِّ لوْنُهـــــــا إذا زُيِّنَتْ لبَّاتُها ، بالقلائِـــــــــــــدِ

وقد تُرَصع تلك القلائد بحجارة اللؤلؤ والجُمان، فتصبح كجمرٍ متلألئ مضيء كما يصورها القطامي فيقول [٣]:

وَعُجْنَ سَوَالِفاً وَقَدَتْ عليهـــــــــا قلائِدُها كما تَقِدُ الجِمَـــــــــــــارُ

ويشارك عروة بن أذينة [٤] في الوصف ذاته، فالدرّ والياقوت في قلائد محبوبته الموضوعة في عنقها كجمر شجر الغضا تشعّ ضياءً ونوراً [٥]:

كأنَّ القلائِدَ في جيدِهـــــــــــــا إلى حيثُ تَعْقِدُ مِنْها الرِّعاثـــــــــــــا

مِنَ الدُّرِّ يَحْفِلُ ياقوتَـــــــــــــهُ كجمرِ الغَضَا يَتَلظَّى مُجَاثَـــــــــــــا

ويصف الحارث بن خالد المخزومي فعل العقد في عنق محبوبته، وكيف تزين جيدها به فيقول[٦]:

ألاَ قُلْ لِذاتِ الخَالِ يا صَاحِ في الخَـــــــدِّ تدومُ إذا بانت على أحسنِ العَهْـــــــــــدِ

ومِنْها علاماتٌ بمَجْرى وِشاحِهـــــــــا وأخرى تَزِيْنُ الجِيدَ مِنْ مَوْضِعِ العِقْـــــدِ

وتستثقل محبوبة قيس بن ذريح العقد لدلالها ونعومتها [٧]:

يُثْقِلُهَا لُبْسُ الحرير لِلِيْنِهـــــــــــا وتشكو إلى جاراتِها ثِقَلَ العِقْـــــــــــدِ

---

[١] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (سخب) .

[٢] - الأخطل، شعر الأخطل، ج٢، ص٧٣١. النجاشي ملك الحبشة، اللبات: جمع لبة وهي موضع القلادة من الصدر.

[٣] - القطامي، عمير بن شييم (ت١٠١هـ)، ديوان القطامي،ط١، (تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م، ص١٤١. العجّ : الإمتلاء والإكثار.

[٤] - هو عروة بن يحيى بن مالك الليثي المدني الحجازي الكناني، وكنيته أبو عامر، من بني ليث، وكان شريفاً ثبْتاً يحمل عنه الحديث، وقد وفد على هشام بن عبد الملك، وهو من شعراء المدينة المقدّمين، عُرف بالغزل وغلب عليه، وهو معدود في الفقهاء والمحدثين، وكان عالماً ناسكاً وشاعراً حاذقاً. انظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ٢ : ٥٦٠. والأصفهاني، الأغاني، ج٢١، ص١٠٥ – ١١١. وابن شاكر، صلاح الدين محمد الكتبي (ت٧٦٤هـ)، فوات الوفيات، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م، ٢ : ٣٥. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٢٣٦. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٥٤ – ٥٥.

[٥] - ابن أذينة، عروة بن يحيى بن مالك الليثي (ت١٣٠هـ)، شعر عروة بن أذينة، (تحقيق يحيى الجبوري)، مكتبة الأندلس، بغداد ، ١٩٧٠م، ص ٢٩٣ . الرعاث : القرطة ، واحدتها رعثة، وترعثت المرأة أي تقرَّطت.

[٦] - المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص٥٣ .

[٧] - ابن ذريح، قيس بن ذريح (ت ٦٩ هـ)، ديوان قيس لبنى، (جمعه وحققه وشرحه عفيف حاطوم) ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م، ص١٢٤ .

وقد صوّر الشاعر الأموي المرأة وهي تتجلى بالسُّموط، يقول نابغة بني شيبان[١]:

رُودٌ إذا قامت تداعى رَمْلَـــــــــــــةً يَنْهَالُ من أعلى الكثيبِ هَيامُهـــــــــــا

فَوِشاحُها قَلِقٌ وشَبَّ سُموطَهـــــــــا نَحْرٌ عليهِ سُموطَها ونِظامُهـــــــــــا

ويبدي عمر بن أبي ربيعة إعجابه الشديد بما تتقلده محبوبته من سِخاب القرنفل والدُّرِّ[٢]:

قلّدوها مِنَ القَرَنْفَلِ والـــــــــــــدُّ رِّ سِخاباً وَاهاً لَهُ مِن سِخَـــــــــــــابِ

ويأتي العرجي على ذكر الجمال الذي تُضْفيه السِّخاب على عنق محبوبته [٣]:

فَبَدَا وما عَمِدَت بذاك تَبَرُّمَـــــــــــاً جِيْدٌ يَمُجُّ على اللَبانِ سِخَابُـــــــــــهُ

- **<u>الوِشاح والبَريم :</u>**

الوشاح نسيجٌ عريض من أديم يرصّع بالجوهر وتشدُّه المرأة بين عاتقيها [٤]، وتوشّحت المرأة الأموية به إظهاراً لمفاتن جمالها ولا سيما صورة قوامها وخصرها، فهذا المتوكل الليثي يصف ما أبرزه وشاح محبوبته من خصر وأرداف كبيرة فيقول [٥]:

تَنُوءُ بها روادِفُها إذا مـــــــــــــا وشاحاها على المَتْنَيْنِ جَـــــــــــــالا

ويوظف الفرزدق الوشاح لإبراز الأمر ذاته في محبوبته فيقول[٦]:

غَرْثَى الوِشاحِ ولكنَّ النِّطاق بِهـــــــا يُلاثُ حَوْلَ رمالٍ ذاتِ أكْفـــــــــــالِ

أما البَريم؛ فهو حبل فيه لونان مزيّن بجوهر تشدُّه المرأة على وسطها وعضدها [٧]، وتضعه أيضاً على خصرها ليبدو أكثر جمالاً، وجمع ابن أبي ربيعة حليَّ محبوبته التي ازدانت بها فذكر البَريم بقوله[٨] :

---

[١] - النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان ، ص١٦٣ . الرود : الشابة الجميلة . الهيام : الرمل اللين الذي لا يتماسك. قلق : مموج، لأنها ليست سمينة البدن، سب : حسن وأضاء ، نظامها : المنظوم حبه.

[٢] - عمر بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ)، ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار القلم ، بيروت، (د.ت)، ص٢١ .

[٣] - العرجي، ديوان العرجي ، ص ١٧٦ . يمُج : يرمي ويقذف .

[٤] - انظر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار) ، ط٣، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٤م، مادة (وشح).

[٥] - الليثي ، المتوكل، شعر المتوكل الليثي ، ص١٤١

[٦] - الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، ٢ : ٦٧ . غرثى الوشاح : أراد مضطربة الوشاح لضمور خصرها . النطاق : الإزار . يُلاث : يُدار . الرمال ذات الأكفال : أراد عجيزتها ، شبهها بدعث الرمل .

[٧] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (برم) .

[٨] - عمر بن أبي ربيعة ، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص٤٢ .

فَبَهَتْ بِدُرِّ حُلِيِّهَا وَوِشاحِهَـــــــــــا وبَرِيمِهَا وسِوارِها فالدَّمْلَـــــــــــــجِ

- **الدُّمْلُج والسِّوار والخاتم :**

تمنح المرأة حُليّ يديها اهتمامها الأكبرً، فتزين عضديها بالدُّملج، وتحيط معصميها بالسِّوار، وتجمِّل أصابعها بالخواتم، وقد كانت هذه الزينة وغيرها رمزاً لمكانة المرأة الاجتماعية، ودليلاً على الحظوة التي نالتها في العصر الأموي.

والدُّملجُ والدُّمْلوج: المعضَّد من الحليّ. أي من حليّ الذراع [١]، وخير من صور الدُّملج ابن قيس الرقيات حين قال واصفاً محبوبته [٢]:

فَكِدْتُ أموتُ وقدْ حُمِّلَـــــــــــــتْ خَطِيْنَتَهُ رَبَّةَ الدُّمْلَـــــــــــــــــجِ

وقد وظّف ابن قيس الرقيات الدُّملُجَ لإبراز عضد محبوبته المكتنز، في إشارة إلى جمالها ودلالها، يقول[٣]:

قدْ أتانَا من آلِ سُعْدى رَســـــــــــولُ حَبَّذا ما تقولُ لي وأقَـــــــــــــولُ

مِن فَتاةٍ كأنّها قَرْنُ شمـــــــــــــسٍ ضاق عنها دَمَالِجٌ وحُجُـــــــــــولُ

وليس السِّوار (بكسر السين وضمها) من الحلي المبتدعة في العصر الأموي، فقد ذكرت الأساور في أكثر من موضع في القرآن الكريم، ومنها؛ قوله تعالى: " يُحَلّوْن فيها من أساور من ذهب" [٤]، وتشير الأساور إلى درجة رفاه المرأة وتنعمها، وهي في المواضع الأكثر بروزاً ولفتاً للنظر، وكثيراً ما تصدر جَلَبَة إذا ما تتابعت في معصم المرأة، إلا أنها قد تكون صامتة كما يصورها جرير بقوله [٥]:

لها قَصَبٌ رَيَّانُ قد شَجِيَتْ بِـــــــــــهِ خَلاخيلُ سَلْمى المُصْمَتَاتُ وسُورُهـــــا

---

[١] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دملج).
[٢] - الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص٩٣.
[٣] - المصدر نفسه ، ص ١٦٩ . الحجول : القيد ، ويقصد به الحلي في المعضد ، جمع حَجْل وحِجْل .
[٤] - سورة فاطر ، الآية (٣٣).
[٥] - جرير ، ديوان جرير ، ج٢، ص٨٩٠. ريَّان : ممتلئ من اللحم . شجيت : غصَّت .

ويبدو ابن ميّادة [١] أكثر من جرير قرباً من المعنى، إذا سَلَب من الأسوار صوتها ليدلِّل على اكتناز ساعدي محبوبته، فقال [٢]:

لقد ظَلّتْ تُعاونُنِي عليهـــــــــــــمْ صَمُوْتُ الحِجْلِ كاظِمَةَ السِّـــــــــــوارِ

ويعجب الطِّرِمَّاح بمواضع سواري محبوبته المكتنزين ، فيقول[٣] :

يَعَضُّ سِوَارَاها خِدالاً لَوَانّهـــــــــا إذا بَلَغَا الكَفّيْنِ أنْ يَتَقَدَّمَـــــــــــــا

ومن حليّ النساء أيضاً الخواتم، وهن يلبسنها في الأصابع من اليد والرِّجل، وواحدتها فَتْخَة، وقيل: الفتوخ، خواتيم بلا فصوص كأنها حلق [٤]، وقد جاء صاحب الأغاني على ذكرها بقوله: " وكانت النساء يتختَّمن في أصابعهن العشر" [٥].

- الخلخال :

وهو من الحلي التي تزين به المرأة ساقيها، وأكثر ما يصاغ من الذهب أو الفضة [٦]، وقد اتخذته المرأة الأموية – كسابقتها الجاهلية والإسلامية – أداة لإظهار جمالها وحسنها، ولعلها أرادت به لفت النظر وجلب الانتباه لما يصدره من صوت عند مشيها، يقول عمر بن لجأ [٧] مبيناً أثر خوف المحبوبة وفزعها على حركة الخلخال [٨]:

ترى الخلخالَ والدُّملوجَ منهـــــــــا إذا ما أكْرِهَا نَشَبا وهابـــــــــــــا

إلا أن جميلات الفرزدق خجولات فهن يخفين الخلاخل والسِّوار[٩]:

خَفَضْنَ إذا رَأيْنَكَ كُلَّ ذَيْـــــــــــلٍ وَوَارَيْنَ الخَلاخِلَ والسِّـــــــــــوَارَا

---

[١] - هو الرماح بن أبرد بن ثوبان بن سراقة، يكنى بابي شراحيل أو شرحبيل، وأمه (جيداء)، وهي أم ولد بربرية، وهو شاعر متقدم أدرك الدولة العباسية، وتوفي في خلافة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٩هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص٦٧٩. والبلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٢ : ٤٠. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٥٤. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٨٠.

[٢] - ابن ميادة ، الرماح بن أبرد المري (ت١٤٩هـ)، شعر ابن ميادة ، (جمعه وحققه حنا جميل حداد)، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٢م، ص١٥٩.

[٣] - الطرماح ، الحكم بن حكيم الطائي (ت١٢٥هـ)، ديوان الطرماح ، (تحقيق عزة حسن) ، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ، ١٩٦٨م، ص٥٨٣ . الخدال : جمع خذلة ، وهي الساق والذراع الممتلئة .

[٤] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب، مادة (ختم). وابن سيده ، المخصص ، ج٤، ص٤٩.

[٥] - الأصفهاني، الأغاني ، ج١، ص٢٣٠ .

[٦] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خلخل).

[٧] - هو عمر بن لجأ بن حدير بن مصاد بن ربيعة التيمي، شاعر من شعراء التيم الذين ألح جرير في هجائهم، وكان راجزاً فصيحاً. انظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ٢ : ٦٦٩ – ٦٧٠. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ١ : ٢٠٠. والزركلي، الأعلام، ٥ : ٥٩.

[٨] - التيمي ، عمر بن لجأ (ت١٠٥هـ)، شعر عمر بن لحأ التيمي، (جمع يحيى الجبوري)، دار الحرية ، بغداد ، ١٩٧٦م، ص٤٨.

[٩] - الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، ج١، ص١٩٣ .

وقد أحب بعض الشعراء الأمويين الخلخال الذي لا يصدر صوتاً؛ لإحاطته والتصاقه بساق المرأة التي ترتديه، ورأوا في ذلك دلالة على امتلاء ساق المرأة واكتنازه، يقول طُرَيْح بن إسماعيل الثقفي[١]:

نامَتْ خَلاخِلُها وجَالَ وِشَاحُهَـــــــــا وجَرَى الوِشاحُ على كثيبٍ أهْيَـــــــلِ

فاستيقظتْ منهُ قلائِدها التـــــــــي عُقِدَت على جيد الغزَالِ الأكْحَـــــــلِ

ويشتَمُّ القطامي عبير صاحبته الذي يهب منها إذا ما تحرك خلخالها [٢]:

خَوْدٌ منعَّمة نَضْخُ العبير بِهـــــــــا إذا تميَّلَ عن خُلْخَالِها انْفَصَمَـــــــــا

ولم تكتف المرأة الأموية بلبس خلخال واحد بل بلغ بها أمر الترف والغنى إلى لبس خلخالين أو أكثر، وهذا ما يصوره ابن قيس الرقيات بقوله [٣]:

تخْطَو بِخُلْخَالَيْنِ حَشْوُهُمـــــــــــا ساقانِ مَارَ عليهمَا اللَّحْـــــــــــمُ

تلك هي بعض حُليّ المرأة الأموية، إذ لا يتسع المجال هنا للحديث في أنواعها وأشكالها بدقة فما كان من شأن هذه الصفحات إلا تقديم عرض موجز لاهتمام المرأة الأموية بحليّها من أعلى الرأس إلى أخمض القدم، وإن دلّ هذا فإنما يدل على مكانة المرأة الاجتماعية وأوضاعها التي اتخذتها في مجتمعها آنذاك.

- الطيب والعطور :

انسحب اهتمام المرأة الأموية بزينتها وإظهار جمالها إلى تفنُّنِها بالتطيّب بأنواع الطيب والعطور المختلفة، ولطالما أُعْجِب الشعراء بروائح محبوباتهم الزكيّة، " ومن العطور المستعملة ما كان ذا أصول نباتية كالقرنفل، والريحان، والورد، والعبير، والبان، أو حيوانية كالمسك، والعنبر، ومنها ما كان سائلاً كالغالية، والمضنونة، أو صلباً كالعود " [٤].

---

[١] - الثقفي ، أبو الصلت طريح بن إسماعيل (ت١٦٥هـ) ، شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، (دراسة وجمع وتحقيق بدر أحمد ضيف) ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،١٩٨٧م، ص١١٠.

[٢] - القطامي ، ديوان القطامي ، ص٩٨. الخود : الفتاة الحسنة الخلق، والجمع خودات وخود. النضخ : اللطخ يبقى في الجسد والثوب من الطيب ونحوه ، انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (نضخ) .

[٣] - الرقيات ، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص١٩٨. مار: اهتزّ واضطرب لامتلاء ساقيها .

[٤] - أسعد ، رابحة مصطفى ياسين (٢٠٠٤) ، مظاهر الحياة المادية في الشعر الأموي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، الجامعة الأردنية ، عمان الأردن ، ص٥٩ .

وقد طيّبت المرأة الأموية مواضع مختلفة من جسدها وثيابها وفراشها، فها هو الأحوص الأنصاري يصف ثياب صاحبته وقد تضوع منها المسك الزكي، فيقول [١]:

كأنَّ ذَكِيَّ المِسْكِ تحتَ ثيابِهـــــــــــا وريحَ الخُزامى طَلّةً تَنْضَخُ النّـــــــدَى

ويبين قول قيس بن الملوح أن المرأة الأموية طيَّبت خدورها وفراشها [٢]:

فلمّا استوتْ تحتَ الخُدُوْرِ وقد جَـــــرى عَبيرٌ ومسكٌ بالعَرانينِ ساطِـــــــــــعُ

أما صاحبة الراعي النميري فريح الكافور الطيِّبة تفوحُ من رأسها وصدرها [٣]:

تَكْسُو المَفَارِقَ واللّبَّـــــــــاتِ ذا أرَجٍ مِن قَصْبِ مُعْتَلِفِ الكافـــــــــورِ دَرَّاجِ

واستعملت المرأة الأموية العود والبخور، فهي تُصلي اليلنجوج مثلاً على الكانون فتنبعث رائحته الزكية، يقول أبو دهبل الجمحي [٤]:

تجعلُ المسكَ واليَلَنْجوجَ والنّـــــــدَّ صلاء لها على الكانـــــــــــــونِ

ويذكر الحارث بن خالد المخزومي الغالية، وهو من أنواع الطيب الشذي فيقول [٥]:

وكأنَّ غالية تُبَاشِرُهـــــــــــــا تحتَ الثيابِ إذا صَفَا النجـــــــــــمُ

وتتعطر المرأة الأموية بورق الريحان وتتطيب بعنبر الهند كما يصفها عمر بن أبي ربيعة [٦]:

استقبَلَتْ ورقَ الرَّيحانِ تَقْطِفُـــــــهُ وعَنْبَرَ الهِنْدِ والوَرْدِيَّةِ الجُـــــــــدُدا

---

[١] - الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١٢٠ .

[٢] - قيس بن الملوح ، قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨هـ)، شرح ديوان قيس بن الملوح، (شرح رحاب عكاوي)، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤ م، ص١٣٣. العرانين : جمع عرنين، وهو أول الشيء.

[٣] - الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٩٠. المفرق : وسط الرأس . اللبة : وسط الصدر والمنحر. الأرج : نفحة الريح الطيبة. القُصْب : المِعَى . العَلف : ما تأكله الماشية .

[٤] - الجمحي ، أبو دهبل وهب بن زمعة بن أسد بن جمح (ت٦٣هـ) ، ديوان أبي دهبل الجمحي ، (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن)، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٧٢م، ص٧٠ . اليلنجوج : عود طيّب الريح يتبخر به، النَّدُّ : ضرب من الطيب يُدَخَّنُ به.

[٥] - المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي ، ص٩١ . الغالية : ضرب من الطيب ، تباشرها : تجملها وتحسنها ، صفا النجم : مال إلى الغروب.

[٦] - عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٥٩ .

وتفوح الخزامى من حسناوات الحسين بن مطير الأسدي [١]، فيقول فيهن [٢]:

مخصّرة الأوْساطِ زانَتْ عُقودُهـــــــــا بأحْسَنَ مِمّا زيَّنَتْها عُقودُهـــــــــا

يُمَنِّيَنّنَا حتى تَرِفَّ قَلُوبُنـــــــــــا رفيفَ الخُزامى باتَ طَلٌّ يَجُودُهـــــــا

وحتى ملاحف صاحبة جرير تفوح منها رائحة الخزامى المبلل بالندى [٣]:

كأنَّ نشْرَ الخُزامى في ملاحِفِهـــــــا قد بَلَّ أجْرَعَهَا طلٌّ وتَهْمِيـــــــــــمُ

وموجز القول إن المرأة الأموية عنيت أشد العناية برائحة جسدها وثيابها وبيتها ومجلسها، فطيبتهم بأزكى العطور، وعطّرتهم بأروع أنواع الطيب التي عرفها مجتمعها أو استعارها من المدن التي استقر فيها أبناء المجتمع الأموي.

ـ الخِضاب والكُحل :

إن المرأة هي المرأة في أي مجتمع، تهتم بجمالها وتحاول إخفاء ما يظهر كبر سنها، فكما عنيت المرأة الأموية بملابسها وعطرها، فإنها لم تهمل خضابها وحناءها وكحلها، فاهتمت بتزيين أصابع يديها وخضّبت رأسها مخفية شيب شعرها، والخضاب: ما يخضّب به من حناء وكتم ونحوه [٤]، تستعمله المرأة إظهاراً لجمالها ومفاتنها، فتقع العيون عليها، وتُسْحر القلوب بفتنتها وجمالها، وكذلك كان الراعي النميري أسير صاحبة الأطراف المخضّبة [٥] :

يَسْبِيْنَ قلبِي بأطرَافٍ مُخَضَّبَـــــــــةٍ وبالعُيونِ وما وَارَيْنَ بالخُمُـــــــــــرِ

وعلى النقيض منه كان الكميت الأسدي الذي لا يأبه للبنان المخضب ولا يسترعيه جمالها [٦]:

ولمْ يُلْهِنِي دارٌ ولا رسْمُ منـــــــــزلٍ ولمْ يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ مُخَضَّـــــــــــبُ

---

[١] - هو الحسين بن مطير بن مُكمِّل، وهو مولى لبني اسد، ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، وفد على الوليد بن يزيد وامتدحه، وله مدائح في المهدي، توفي سنة ١٧٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٤، ص١١٠. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٤٠٩. والبغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٢ : ٤٨٥. وياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ)، معجم الأدباء، (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م، ١٠ : ١٦٦. وابن شاكر، فوات الوفيات، ١ : ٢٨٥.

[٢] - الأسدي، الحسين بن مطير (ت١٧٠هـ)، شعر الحسين بن مطير الأسدي، (جمعه وقدم له حسين عطوان)، معهد المخطوطات، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٨٣.

[٣] - جرير، ديوان جرير، ج٢، ص٦٦٩. التهميم : المطر القليل. الأجرع والجرعاء : ما ارتفع من الرمل واتسع واجتمع. الطل: الندى.

[٤] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خضب).

[٥] - الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٠٢ .

[٦] - الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن يزيد الأسدي، ص٥١٢.

ويرى أبو دهبل الجمحي أن الأكف المخضبة بالحناء تضاهي في نعومتها الحرير الدمقسي، فيقول[١] :

وكفٍّ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ لطيفـــــــــــةٍ بها دوسُ حنّاءٍ حديثٍ مُضَـــــــــــرَّجِ

وكان للتخضيب أصوله وطرائقه ودرجاته، ولم يكن مجرد صبغ يطلى، وفي هذا يقول الأخطل واصفاً مرمل الحناء [٢]:

وَمُرَمَّلُ الحِنّاءِ يُصبحُ قانِئـــــــــــاً كَدَمِ الذّبيحِ بأرْوُحٍ وبَنَـــــــــــانِ

وكثيرة هي أنواع الخضاب، منها: الكَتَم (بفتحتين)، وهو نبت يُخلط بالحناء ويخضَّب به الشعر[٣]، وفيه يقول العرجي [٤]:

حَتّى أويْتُ إلى بِيْضٍ ترائِبُهـــــــــــا مِنْ زَيِّهَا الحَلْيُ والحِنّاءُ والكَتَـــــــــــمُ

كما أن من الخِضاب (الوَرْس)، وهو نبت أصفر، يُصْبَغُ به الشَّعر[٥]. والزَّعفران والعُصْفُر، والعَنْدَم (وهو شجر أحمر)، واللَّك، والمَغْر الأحمر (وهو طين أحمر يصبغ به)، والقُرَّاص، وغيرها [٦].

أما الكحل فقد عُرف عند العرب منذ القدم، ولطالما أحبَّ العرب العيون الكحلاء وتغنى بها شعراؤهم، ولذا؛ أولت المرأة الأموية اهتماما خاصاً بجمال عينيها فاستعملت الكحل والإثمد، الذي أبرز روعة عينيها، فهذا جميل بن معمر يرى عيون صاحبته بكحلهما كأنهما عيون ظبي أو مها، يقول [٧]:

لها مُقْلَة كحْلاءُ نَجْلاءُ خِلْقَـــــــــــة كأنَّ أباها الظَّبْيُ أو أمَّهَا مَهَـــــــــــا

ورأى قيس بن الملوح في عيني محبوبته المكحولة جمالاً يفوق جمال الشمس المنيرة وقت الضحى، فقال [٨]:

---

[١] - الحجمي ، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الحجمي، ص٥٧ .
[٢] - الأخطل ، شعر الأخطل ، ج١، ص٢٢٩.
[٣] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (كتم) .
[٤] - العرجي ، ديوان العرجي ، ص٣١٤ . الترائب : جمع تريبة ، وهي أعلى الصدر حيث تتدلى القلادة.
[٥] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ورس).
[٦] - انظر : أسعد، رابحة مصطفى ياسين، مظاهر الحياة المادية في الشعر الأموي، ص٧٤- ٧٥ .
[٧] - جميل بن معمر، أبو عمرو جميل بن عبدالله القضاعي (ت٨٢هـ) ، ديوان جميل بثينة، (جمع وتحقيق حسين نصار) ، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص١٠٤ .
[٨] - قيس بن الملوح، شرح ديوان قيس بن الملوح، ص٨٢.

ومِنْ أيْنَ للشّمْسِ المُنِيرةِ بالضُّحَـــــى بِمَكْحُولَةِ العَيْنَيْنِ في طَرْفِهَا فَتْـــــــرُ

وقد يكنى عن الكحل أحياناً بالإثمد، وهو حجر يتخذ منه الكحل [١]، وقد استخدمته المرأة الأموية لتزيين عينيها وتجميلهما، وفيه يقول القتَّال الكلابي [٢]:

كأنَّ سحيقَ الإثْمِدِ الجَوْنِ أقْبَلَـــــــتْ مَدَامِعَ عُنْجوجٍ حُدِرْتَ نَوَالهـــــــــا

ويختلط الإثمدُ بدموع صاحبة عمر بن أبي ربيعة، يقول [٣]:

وكَفَتْ سَوَابِقَ من عَبْـــــــــــرَةٍ على الخَدِّ جَالَ بها الإثْمِـــــــــــــدُ

وانسحب اهتمام المرأة الأموية بزينتها وجمالها إلى عنايتها بتسوية حاجبيها وحذف زوائد الشعر منها، ويصوّر الراعي النميري تزجيج النساء المنعمات ذوات النسب والحسب لحواجبهن فيقول[٤]:

وَهَزّةِ نِسْوَةٍ من حيِّ صِـــــــــــدْقٍ يُزَجِّجْنَ الحَوَاجِبَ والعُيُونـــــــــــا

ولا شك أن رعاية المرأة الأموية لشعرها وجمالها، وعنايتها بأسنانها ليدل على اهتمامها بنفسها ومكانتها وحضورها في مجتمعها، وهذا ما يقرره العرجي في الصورة التي يرسمها لها بقوله [٥]:

سَبَتْنِي غَدَاةَ النّحْرِ مِنْها بِفَاحِـــــــمٍ وذِي أشُرٍ أطْرافُهُ لم تَثَلّـــــــــــمِ
وأنْفٍ كحدِّ السيفِ دَقَّ وحاجِـــــــبٍ وَصَدْرٍ كَفَاثُوْرِ اللّجَيْنِ ومِعْصَـــــــــمِ

ولم تنس المرأة الأموية بَشَرَتَها، بل حرصت على نعومتها ونضارتها وخلوِّها من البثور والكَلَف، وهكذا كانت صاحبة النابغة الشيباني التي يصفها بقوله [٦]:

تَسْبِيْ القلوبَ بِوَجْهٍ لا كِفَاءَ لَـــــــهُ كالبَدْرِ تَمَّ جَمَالاً حينَ يَنْتَصِـــــــــفُ
تَحْتَ الخِمَارِ لها جَثْلٌ تَعَكّفَـــــــــهُ مثل العَثَاكِيْلِ سُوْداً حينَ تُقْتَطَـــــــفُ
لها صحيفة وجهٍ يُسْتَضَاءُ بِـــــــــهِ لمْ يَعْلُ ظَاهِرَها بَثْرٌ ولا كَلَـــــــــفُ

---

[١] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ثمد).
[٢] - القتال الكلابي، ديوان القتال الكلابي، ص٧٩ . الإثمد : الكحل . الجون : الأسود . عنجوج: الرائع من الخيل أو الجواد .
[٣] - عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة ، ص٤٩ .
[٤] - الراعي النميري ، ديوان الراعي النميري ، ص١٥٠. الهزة : النشاط و الارتياح . زججت المرأة حاجبيها بالمزج : دققته وطولته ، والزج : دقة وطول في الحاجبين.
[٥] - العرجي، ديوان العرجي، ص٣٢٣ . الفاحم : الشعر الأسود . ذو الأثر: الفم ذو الأسنان المتباعدة المحددة . الفاثور : الإناء .
[٦] - النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١٥. الجثل : الشعر الكثيف. تعكفه : تعطفه . العثاكيل: عناقيد النخيل.

ولم ترض المرأة الأموية وقد عنيت أشد العناية بزينتها وحرصت على أن تظهر بما يليق بها من زينة وحلي أن يفْتَرَّ ثغرها عن أسنان غير جميلة، ولذا؛ اهتمت بأسنانها تحزيزاً وتفليجاً وأشراً وتحديداً لأطرافها، فغدت بذلك موضع مدح شعراء عصرها، ومنهم جرير الذي يقول [١]:

تَضْحَكُ عن ذي أشُرٍ بَـــــــــــرَّاقِ كالأقْحُوانِ اهتزّ في البِـــــــــــراق

وعمدت المرأة الأموية إلى صقل أسنانها وبرد ما بينها بحيث تترك فرجة بينهما، ويسمى هذا التَّفْلِيْج [٢]، ويرى الحسين بن مطير الأسدي هذا عملاً يزيد جمال المرأة وبهاءها، فيقول [٣]:

مِنْ كُلِّ بيضاءَ مِخْمَاصٍ لها بَشَـــــــرٌ كأنّهُ بذكِيِّ المِسْكِ مَغْسُـــــــــــولُ

فالخدُّ من ذَهَبٍ والثَّغْرُ مِن بَـــــــــرَدٍ مُفَلّجٌ واضحُ الأنْيَابِ مَصْقَـــــــــــولُ

وإيجاز القول، إن النقلة الحضارية التي انتقلها المجتمع الأموي، مسَّت المرأة الأموية، فغيَّرت في قيمها وسلوكها الاجتماعي، فاتصلت بألوان جديدة من الزينة والعطور وأدوات التجمُّل ومظاهره، وعنيت بمظهرها عناية بالغة فتعلقت القلوب بها أُمَّاً وزوجة ومحبوبة.

الأبناء والأخوة :

الأبناء :

لقد أوصى الله الأبناء باحترام والديهم والبر بهم والإحسان إليهم، وتأكدت هذه التعاليم الربانية في نفوس أبناء العصر الأموي تجاه آبائهم وأماتهم، على أن نفراً منهم شذَّ عن السرب وخالف سنن المجتمع ودينه وأعرافه، فعقَّ والديه وأساء لهم.

وخير ما يظهر من علاقة الأبناء بوالديهم، برُّهم بهم، تنفيذاً لأمر الله وانسجاماً مع عرف المجتمع الأموي وأخلاقه وتقاليده، وهذا ما فعله أرطأة بن سهيّة عندما استمات في دفاعه عن أُمِّه وفق ما يرويه الأصفهاني في قوله : " خاصمت امرأة من بني مُرَّة سهيّة أُم أرطأة بن سهيّة، وكانت من غيرهم أخيذة أخذها أبوه، فاستطالت عليها المرأة وسبَّتها، فخرج أرطأة إليها فسبَّها

---

[١] - جرير ، ديوان جرير ، ١ : ٤٥٧.
[٢] - انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (فلج) .
[٣] - الأسدي ، الحسين بن مطير، شعر الحسين بن مطير الأسدي ، ص١٧٩ . المخماص : ضامرة البطن رقيقة .

وضربها، فجاءه قومه ولاموه، وقالوا له: ما لَكَ تُدخلُ نفسك في خصومات النساء " [١]، فقال لهم[٢]:

يُعَيِّرُني قومِي المَجَاهِلَ والخَنَـــــــا عليهم وقالوا أنتَ غيرُ حَليـــــــــمِ
هل الجهلُ فيكُمْ أنْ أعَاقَبَ بَعْدَمـــــا تُجُوِّزَ سَبِّي واسْتُحِلَّ حَرِيْمِـــــــي
إذا أنا لم أمْنَعْ عجُوزي منْكُـــــــمُ فكانت كأخرى في النساء عقيـــــــمِ

أما نصيب بن رباح [٣] فكان برُّه بأمِّه أن أعتقها من الرق، وقال في ذلك [٤]:

ولكنّنِي فاديتُ أمِّي بعدَمـــــــــا عَلاَ الرأسَ مِنْها كَبْرَةٌ ومَشيـــــــــبُ

وكتب نُهَيْك بن أساف الحارثي[٥] رسالة إلى أمِّه ليطمئنها ويزيل الهموم عن صدرها بعد أن بذل جهداً كبيراً وعانى معاناة شديدة إلى أن نال جائزة من مصعب بن الزبير بعد خروجه ومحاربته لأهل الرَّاذان، فأخرجته الجائزة من فاقته، فبعث إلى أمه إبلاً محمَّلة بأصناف الطعام واللباس، وقال [٦]:

أأمَّ نُهَيْكٍ ارفعي الظنَّ صاعـــــــداً ولا تيأسِي أنْ يُثْرِيَ الدهرَ بائِـــــــسُ
سأكْسِبُ مالاً أو تَبِيْتَنَّ ليلـــــــة بصدرِكِ مِن هَمٍّ عليَّ وســـــــاوِسُ
وقد عَلِمَتْ خيلٌ بِرَاذانَ أنّنـــــــي شَدَدْتُ ولم يَشْدُدْ من القومِ فـــــارسُ

ويشفق الأبناء على والديهم ولا سيما البنات، فهُنَّ شفوقات رحيمات بآبائهن، وخير ما يمثل ذلك قول خالد بن صفوان في بناته اللَّواتي لم يجد عوناً له غيرهن، يقول: " ما بت ليلة أحب إلي من ليلة طلَّقت فيها نسائي فما رجعت إلا والستور قد هتكت، ومتاع البيت قد نُقِل، فبعثت إليّ ابنتي سُليلة فيها طعام، وبعثت الأُخرى إليَّ بفراش أنام عليه " [٧]

---

[١] - الأصفهاني، الأغاني ، ج١٣، ص٣١ .
[٢] - ابن سهية المري، شعر أرطأة بن سهية المري، ص١٠١. الخَنَا : الفُحش .
[٣] - هو أبو محجن نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل، مقدّم في النسيب والمدائح، كان عبداً لراشد بن عبد العزى من كنانة، من سكان البادية، فأنشد أبياتاً بين يدي عبد العزيز بن مروان فاشتراه وأعتقه، سئل عنه جرير، فقال: هو أشعر أهل جلدته. تنسك آخر عمره، ومات سنة ١٠٨ هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١ : ٣٠٢. وياقوت الحموي، معجم الأدباء، ١٩ : ٢٢٨.
[٤] - نصيب بن رباح (ت ١٠٨ هـ)، شعر نصيب بن رباح، (جمع وحققه داوود سلوم)، مطبعة الإرشاد، بغداد ، ١٩٦٧م، ص٦٥.
[٥] - هو نهيك بن أساف بن عدي بن زيد بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي الحارثي، كان فقيراً، فقدم إلى مصعب بن الزبير حين بلغه أن أهل (الراذان) قد خدعوه، فندب مصعب الناس مراراً فلم ينتدب له إلا نهيك، فقال: أنا لهم. قال له مصعب: ومن أنت؟ فانتسب له. فقال: اجلس، وكأنه ازدراه، ثم أعاد القول، فلم يقم غيره، فقال له مصعب: ما عندك؟ قال: عزم إذا أبصرت، ومشاورة إذا شككت، قال: أنت لها، وعقد له عليها، وقال له: إن أظفرك الله بها أطعمتكها سنة، فخرج وظفر، وبعث إلى أمه إبلاً محمّلة. انظر: الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي(ت ٢٥٦ هـ)، الأخبار الموفقيات، (تحقيق سامي مكي العاني)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م، ١ : ١١٨.
[٦] - ابن الشجري، هبة الله بن على بن حمزة (ت٥٤٢هـ)، الحماسة الشجرية، (تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ١٩٧٠م، ص١٨٢- ١٨٣ . والزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ١ : ١١٩.
[٧] - ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥٢هـ)، أخبار النساء، (شرح وتحقيق نزار رضا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، (د.ت)، ص٧٩.

وتحاول ابنة الراعي النميري أن تخفف من وطأة الحياة وضنكها على أبيها فتسائله عن سبب همه وقلقه، وتهبّ لتكفكف دموعه باثةً العزيمة في نفسه، داعية إياه إلى التصبُّر والتجلُّد كما عهدته، فيقول على لسانها [١]:

ما بالُ دَفْكَ بالفِرَاشِ مَذِيـــــــــــلا ... أقَذًى بعينِكَ أم أردتَ رحيـــــــــــلا
لما رأتْ أرَقي وطولَ تَقَلّبِـــــــــي ... ذات العِشاءِ وليليَ الموصـــــــــولا
قالت خُلَيْدَةُ ما عَرَاكَ ؟ ولم تَكُـــــــن ... قبلَ الرُّقادِ عن الشّؤون سَـــــــؤُولا
أخُلَيْدَ إنَّ أباكِ ضافَ وســـــــادَهُ ... همَّانِ باتا جَنْبَه ودَخِيـــــــلا

ويتعلق الأبناء بوالديهم ولا سيما عند سفرهم وارتحالهم، وقد خشيت ابنة مالك بن الرَّيب أن يطول سفر والدها، أو يحول الموت بينهما، فتعلقت به وأجهشت بالبكاء، فأنشأ ابن الريب يقول[٢]:

ولقد قلتُ لابنتي وهي تبكِـــــــــي ... بدخيلِ الهُمومِ قلباً كئيبـــــــــا
وهي تذري من الدموعِ على الخدَّيْـــنِ ... مِنْ لوعَةِ الفِراقِ غُروبـــــــــا
عَبَراتٍ يَكَدْنَ يخرجن ما جُـــــــزْ ... نَ بِهِ أو يَدَعْنَ فيه نُدُوبـــــــا
حذَرَ الحَتْفِ أنْ يُصيْبَ أبَاهـــــــا ... ويُلاقي في غير أهلٍ شَعُوبـــــــا

ولطالما فخر الأبناء في العصر الأموي بآبائهم وأمهاتهم، وأظهروا ما فيهم من خصال حميدة، وما لهم من مكانة رفيعة، فهذا الفرزدق يفخر بأبيه غالب ذاكراً مجده وإباءه وشرف نسبه [٣]:

وإنِّي ليَنْمِيني إلى خيرِ مَنْصِـــــــبٍ ... أبٌ كانَ أبَّاءً يَضُرُّ وَيَنفَـــــــعُ
طويلُ عمادِ البيتِ تبني مُجَاشِـــــــعٌ ... إلى بيتهِ أطْنَابَهَا ما تَنَـــــــزّعُ

وفخر به في موضع آخر ردَّاً على من هاجاه من الشعراء، فقال [٤]:

أبي غالبٌ، والله سمَّاه غالِبَـــــــاً ... وكانَ جَديراً أن يَضُرَّ وينفَعَـــــــا
فيا أيُّهذا المُؤتلي لينالَنـــــــي ... أبي كان خيراً من أبيكَ وأرْفَعَـــــــا

وبرَّ المتوكل الليثي بوالده وأحسن إليه، وفخر بعزيمته ومروءته، فقال [٥]:

إنِّي أبَى ليَ أنْ أقَصِّرَ والِـــــــدٌ ... شَهْمٌ على الأمرِ القوي عَـــــــزُوْمُ

---

[١] - الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٤٦- ٤٧. الدَّف : الجَنْب . المذيل : المريض. خليدة : ابنة الشاعر وقد رخّمها .
[٢] - القيسي، نوري، شعراء أمويون ، ج١، ص٢٤- ٢٥. شعوبا: المنية.
[٣] - الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ :٤٠٤.
[٤] - المصدر نفسه ، ١ : ٤٠٢ .
[٥] - الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص٨٨ .

واعتزَّ ابن ميّادة بأبويه، وفخر بنسبهما السّامي بقوله [١]:

أنا ابنُ مَيَّادَةَ تَهْوِي نُجُبِـــــــــــــــي
صَلْتُ الجَبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِـــــــــــــي
ترفْعُني أمِّي ويَنْميني أبـــــــــــــي
فوقَ السَّحابِ وَدُوَيْنَ الكَوْكَـــــــــــبِ

وبلغ بر الأبناء بوالديهم مبلغاً، ومن ذلك أن علي بن الحسن كان لا يأكل مع أمه في صفيحة واحدة لئلا تسبق يده ما قد سبقت إليه عينها فيكون بهذا قد عقَّها [٢].

ولم تكن تلك العلاقة الطيبة الإيجابية التي تربط الأبناء بوالديهم في العصر الأموي حكراً على العامة دون الخاصة، فقد قدَّر خلفاء بني أمية وأمراؤهم آباءهم وأمهاتهم حتى بلغ الأمر بعبد العزيز بن مروان أن قال: " لا أعطي شاعراً شيئاً حتى يذكر أمي في مدحي لشرفها، وقد كانت كَلْبِيَّة، فأخذ الشعراء يذكرونها في أشعارهم ويمتدحونها [٣].

وهكذا كان دأب أبناء المجتمع الأموي، حبَّاً لوالديهم، واعتزازاً بهما ، وطاعة وإحساناً لهما، وفخراً بهما وبصفاتهما وأخلاقهما الفضيلة ونسبهما الشريف، فإذا ما مات أحدهما انبرى الأبناء لرثائه، متفجِّعين متألمين، مستذكرين طيبه ومناقبه الحسنة، ومنهم قيس بن الملوح الذي نحر ناقته على قبر والده وأخذ يذكر خصاله الطيبة، فقال [٧]:

عَقَرْتُ على قَبْرِ المُلَـوَّحِ ناقَتِـــــــي ... بِذِي الرَّمْثِ لَمَّا أنْ جَفاهُ أقارِبُـــــــهْ
فَقَلْتُ لها كُوني عَقِيراً فإنَّنِـــــــي ... غَدَاةَ غدٍ ماشٍ وبالأمسِ راكبُـــــــهْ
فلا يُبْعدَنّكَ اللهُ يا بْنَ مُزَاحِـــــــمٍ ... فَكُلُ امرئٍ للموتِ لا بُدَّ شارِبُـــــــهْ
فقد كُنتَ طلاَع النَجاد ومُعطِي الـــــــ ... جيادِ وسَيْفاً لا تُفَلُّ مضاربُـــــــهْ

ورثى الفرزدق والده مصوراً سعة كرمه ومدى جوده بقوله [٤]:

سأنْعَى ابن ليلى للَذي راح بَعْـــــــدَهُ ... يُرجِّي القِرى والدَّهْرُ جَمٌّ غوائِلَـــــــهْ
وكان الذي لا تُسْتَراثُ فَضُولُـــــــهُ ... بخيرٍ، ولا يَشْقى به الدَهْرَ نازِلـــــــهْ
ألاَ إنَ هذا الموتَ أضحى مُسَلّطـــــــاً ... وكلُّ امرِىءٍ لابُدَّ تُرْمى مقاتِلَـــــــهْ

---

[١] - ابن ميادة، شعر ابن ميادة ، ص٧٠- ٧١ .
[٢] - انظر: المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ص ٢٣٨ .
[٣] - انظر: الأصفهاني، الأغاني ، ج١ ، ص٣٤٠٠
٧- قيس بن الملوح ، ديوان قيس بن الملوح، ص٢٧.
[٤] - الفرزدق، ديوان الفرزدق ، ٢ : ١١٥. تستراث : تستبطأ . غوائله: مصائبه.

ويرثي يزيد بن معاوية في أبيه كرمه وجوده وشجاعته وقوته، ويُحيل الحياة بعده حزناً لا ينقطع لشدة تعلقه به وحبِّه له، يقول[١] :

أودى ابنُ هندٍ وأودى المجدُ يَتْبَعُـــــهُ كانا جميعاً خليطاً سالمين معـــــــــا
أغَرُّ أبْلَجُ يُسْتَسْقى الغمامُ بـــــــــه لو قارَع الناسَ عن أحلامِهم قـــــرعا
لا يرقعُ الناسُ ما أوهى وإن جهـــــدوا أن يرقعوه ولا يوهونَ ما رقعـــــــــا

وتلتاع ابنة حُجْر بن عدي الكندي لمقتل والدها على يد معاوية بن أبي سفيان، فتندبه بلوعة حرّى وحزن عظيم، فتقول[٢]:

ألا يا حُجْر حُجْرَ بني عـــــــــديٍّ تلقَتْكَ السَّلامةُ والسُّـــــــــــرورُ
أخافُ عليكَ ما أرْدَى عليّـــــــــاً وشيخاً في دمشقَ له زئِيـــــــــرُ
ألا يا ليت حُجْراً مات مَوْتـــــــــاً ولم يُنْحَر كما نُحِرَ البَعِيـــــــــرُ
فإنْ تهلَكْ فكلُّ عميدِ قـــــــــومٍ إلى هَلَكٍ من الدنيا يصيـــــــــرُ

وقد يخرج سلوك بعض الأبناء عن دأب الأمويين وطيب علاقتهم مع والديهم، فيعقُّون والديهم، ويسيئون الأدب معهم، ومن ذلك ما رواه الأصفهاني عن سوء أدب كُثيِّر مع والده، فقال: " كان كُثيّر عاقاً لأبيه وكان أبوه قد أصابته قرحة في إصبع من أصابع يده، فقال له كُثيّر : أتدري لمَ أصابتك هذه القرحة في إصبعك؟ قال: لا أدري، قال: مما ترفعها إلى الله من يمين كاذبة "[٣].

ووقف وراء هذا العقوق أسباب شتى، منها؛ كراهية الابن لزوجة أبيه، مما تدفعه إلى هجائه والإساءة إليه، وهذا ما فعله العجّاج، إذ استعجل الموت لأبيه، ورجا أن يكون الخلاص منه سريعاً، يقول[٤]:

واستعجلَ الموتَ وفيه كـــــــــافِ يَخْتَرِمُ الإلْفَ عـــــــــن الأآلافِ
لما رآني أُرعِشَتْ أطرافـــــــــي

---

[١] - يزيد بن معاوية، ديوان يزيد بن معاوية، ص٤٨.
[٢] - هو حجر بن عدي بن معاوية بن جبلة الكندي، يكنى أبا عبد الرحمن، عُرف بحجر الخير، كان أميراً، شهد صفين، وهو من شيعة علي، قتله معاوية سنة (٥١هـ). المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٣ – ٤ .
[٣] - الأصفهاني، الأغاني ، ج٩ ، ص١٦.
[٤] - ابن العجاج، أبو الجحّاف رؤبة بن عبد الله (ت١٤٥هـ) ، ديوان رؤبة بن العجاج، في مجموع أشعار العرب، (اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي)، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص٩٩.

ولم يَجْزِ العجَّاج أباه إحساناً بإحسان، بل تنكّر له وأراد أن يسلبه ماله قسراً [١]:

سَرْعَفْتَهُ ما شِئتَ من سِرْعَـــــــــاف حتى إذا ما آضَ ذا أعْـــــــــــرافِ
كَالكَوْدَنِ المشدودِ بالإكـــــــــــافِ قال الذي جَمَعْتَ لي صَـــــــــــوافِ
أعجلني الموتُ ولم يُكـــــــــــافِ سوف يجازيكَ مليـــــــــــكٌ وافِ
بالأخْذِ إنْ جازَاك أويُعَافِـــــــــــــــــي

وقد تقف زوجة الابن وراء عقوقه لأبويه، فيعقهما ويسيء إليهما ليسترضيها، ومن هؤلاء لبطة بن الفرزدق الذي ذكره أبو عبيدة في حديثه عمّن عقُّوا آباءهم فقال: " وممن عق أباه لبطة بن الفرزدق، وكان يُطيع امرأته وكانت تحرشه عليه " [٢]. فقال فيه الفرزدق[٣] :

أأنْ أرْعَشَتْ كَفَا أبيكَ وأصبَحَـــــــتْ يداكَ يدا ليْثٍ فإنّكَ جاذِبُـــــــــــهْ
إذا غَلَبَ ابنٌ بالشبابِ أباً لـــــــــهُ كَبيراً فإن اللهَ لا بُدَّ غالِبُـــــــــــهْ
رأيتُ تباشير العقوقِ هي التـــــــــي من ابن امرِىءٍ ما إنْ يزالُ يُعَاتِبُـــــــهْ
ولمّا رآني قد كَبِرْتُ وأنّنِـــــــــي أخو الحيِّ واستغنى عن المسحِ شارِبُـــهْ
أصاخَ لِغِرْبانِ النّعِيّ ، وإنّـــــــهُ لأزورُ عن بعض المَقَالَةِ جانبُـــــــهْ

إن الأب الذي عنّى نفسه في تربية ولده، يحيا ضنك الحياة ويجرّعه ولده مرَّها نتيجة إغواء ماله أو زوجته، فلا يرجو الوالد من ولده نفعاً حينئذ.

ووصف الأصفهاني يونس بن الخياط [٤] بأنه كان عاقاً لأبيه، فقال فيه أبوه [٥]:

يُوْنُسُ قلبي عليكَ يلتَهِـــــــــــفُ والعينُ عَبْرى دُمُوعُها تَكِـــــــــــفُ
تُلْحِفَنِي كِسْوةَ العّقوقِ فـــــــــلا بَرِحْتَ منها عِشْتَ تَلْتَحِـــــــــــفُ
أمِرْتَ بالخَفْضِ للجَناحِ وبالـــــــــرِّ فْقِ فأمسى يَعُوْقَكَ الأنَـــــــــــفُ

وأجابه ابنه يونس بكل صفاقة وسوء أدب وعظيم عقوق متَّهماً إياه بالجنون فقال :

أصبَحَ شَيْخي يُزْرِي به الخَـــــــرَفُ ما إنّ لهُ حُرْمَة ولا نَصَـــــــــــفُ

---

[١] - ابن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص٩٩. سرعفته : إذا أحسنت غذاءه. آض: صار. الإكاف: البردعة. الكودن : البرذول الهجين. صواف: أي خوالص دون ولدك.
[٢] - أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، كتاب أخبار العقة والبررة، دار الكتب العلمية، بيروت ، (د.ت)، ص٢٥.
[٣] - الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٠٥ . أراد بأخي الحي أنه ملازم الحي لكبر سنه .
[٤] - هو يونس بن عبد الله بن سالم بن الخياط، شاعر، من أهل المدينة، له أخبار، وفيه ظرف، جلده مالك بن أنس حدّاً في الشراب، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٢١٤ . والزركلي، الأعلام، ٨ : ٢٦٢.
[٥] - الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٢١٤ .

صِفاتُنا في العُقوقِ واحِـــــــــــدةٌ ما خِلْتُنا في العقوق نَخْتلِـــــــــــفُ
لحَفَتَهُ سالفاً أباكَ فقـــــــــــــدْ أصبْحَتَ منّي كذاكَ تَلْتَحِـــــــــــفُ

ولم يقف عقوق يونس بن الخياط لوالده عندة هذا التهاجي، بل ضربه مظهراً أقصى درجات العقوق وأقبحها، فقد روى أبو الفرج الأصفهاني أنه: " مرّ رجلٌ بيونس بن عبد الله الخياط وهو يعصر حَلْق أبيه وكان عاقاً به، فقال له: ويلك أتفعل هذا بأبيك ؟ وخلّصه من يده " [١].

ونعت أبو عبيدة أبناء عَقيل بن عُلَّفة المُرِّي[٢] بالعققة [٣]، وقد ضرّجوا أباهم بدمه، فيا لقبح الفعل ودناءة النفس حينما تتجرد من أخلاقها ودينها وإنسانيتها !

وشكا أبو وجزة السَّعدي [٤] عقوق ولده لربه، وهجاه بقوله [٥]:

يا راكِبَ العنْسِ كَمِرْداةِ العَلَـــــــــمْ أصْلَحَكَ اللهُ وأدْنَى ورَحِـــــــــــمْ
إنْ أنتَ أبلغْتَ وأدَّيْتَ الكَلِـــــــــمْ عنّي عُبيدُ بن يزيدَ لوْ عَلِـــــــــمْ
قد عَلمَ الأقوامُ أن سينتَقِـــــــــمْ منكَ ومن أمٍّ تَلَقَتْكَ وعَـــــــــمْ
ربٌ يجازي السيئاتِ مَن ظَلَـــــــــمْ أنْذَرْتُكَ الشدةَ مِن ليثٍ أضَـــــــــمْ

فأجابه ولده عبيد متحدياً إياه دون أن يرف له جفن بقوله [٦]:

دعْها أبا وَجْزَةَ واقْعُدْ في الغَنَـــــــــمْ فسوفَ يكْفيكَ غُلامٌ كالزّلَـــــــــمْ

---

[١] - الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠ ، ص٢١٦ .

[٢] - هو عَقيل بن عُلْفة بن الحارث بن معاوية المرّي، من بني غيظ بن مرة بن عوف، يكنى أبا العَمَلّس وأبا الحرباء، وهما ابنه وابنته، كان من أشراف بني مرة وساداتهم، وكان فخوراً بنسبه ولا يرى له مكافئاً، وهو شاعر مقل مشهور، وعده ابن سلام الجمحي في رأس الطبقة الثامنة من الفحول، وكان مقرباً إلى خلفاء بني أمية، وقد وفد على غير واحد منهم، توفي بعد سنة ١٠٥هـ. انظر: الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام (ت٢٣٢هـ)، طبقات فحول الشعراء، (شرح محمد محمود شاكر)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م، ٢ : ٧٠٩ – ٧١٨. و أبو عبيدة، معمر بن المثنى، كتاب أخبار العققة والبررة، ص٢٧-٣٠. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ٧٦. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٤٠. والمرزباني، معجم الشعراء، ص١٦٥. والأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٢٥٥ – ٢٧١. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٥٣.

[٣] - أبو عبيدة، معمر بن المثنى، كتاب أخبار العققة والبررة، ص٢٧.

[٤] - هو يزيد بن عُبيد السُّلمي، من بني سعد بن بكر بن هوازن، محدّث مقل وشاعر مجيد، لم يرو عنه الكثير من الشعر، ولم يعرف بالإكثار منه، وقد أفاض أبو الفرج الأصفهاني في ترجمته بما يشير إلى أن أبا وجزة لم يكن مجرد شاعر، بل كان ذوّاقاً للشعر ناقداً له، وعدّه أبو العلاء المعري من الشعراء المجيدين، توفي في سنة ١٣٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٢ : ٢٣٩- ٢٤٩. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ٤٤١.

[٥] - أبو وجزة السعدي، يزيد بن عبيد السلمي (ت١٣٠هـ)، شعر أبي وجزة السعدي، (جمع ودراسة وليد محمد السراقبي)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م، ص١٦٦- ١٦٧. العنس: الناقة الصلبة. المرداة: الحجر الثقيل. العَلم : الجبل. الشَّدَّة: الحملة. أضم: غضوب.

[٦] - الأصفهاني، الأغاني، ج١٢، ص٢٤٧.

وعامل بعض أبناء المجتمع الأموي أمهاتهم بغلظة وقسوة، ومنهم؛ محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي[١] الذي قال فيه أبو الفرج الأصفهاني: " بلغني أن محمد بن هشام كان يقول لأمه جيداء بنت عفيف: أنتِ غَضَضْتِ منِّي بأنَّك أُمي، وأهْلَكْتِني وقتلتيني. فتقول له: ويحك وكيف ذاك؟ قال: لوكانت أمي من قريش ما وَلي الخلافة غيري " [٢].

وعزا ابن ميّادة عزوف حرائر العرب عن الزواج منه لوجود أمِّه أولاً وقلة ماله ثانياً، وهو يظهر بهذا عقوقاً لا مسوغ له لوالدته فيقول [٣]:

لَقَدْ حَرَّمَتْ أمِّي عليَّ عَدِمْتُهـــــــــا كرائِمَ قَوْمي ثَمَ قِلّة مَالِيـــــــــــــــا

لن تفضي هذه الروايات وتلك الأبيات إلى القول بانعدام إيجابية العلاقة بين الأبناء والآباء في العصر الأموي، ولن تسوغ الحكم بانقطاع المودة بينهم، فلكل مجتمع صالحه وطالحه، وفي كل مجتمع تحيا بذور الخير برفقة بذرة الشر، إلا أن العبرة بالأعم الأغلب، وقد غلب على أبناء المجتمع الأموي فيما شاع من خلال الشعر والأخبار أن علاقة الأبناء بوالديهم علاقة تقوم على بر الوالدين، ورعايتهما، والفخر بهما، ورثائهما بحزن عميق تبعثه مودة الأبناء ومحبتهم وتعلقهم بوالديهم.

وما تلك العلاقات السلبية _ التي كانت تقوم على عقوق الأبناء للآباء وإساءة الأدب معهم، وإغضابهم استرضاء لزوجاتهم – إلا نزر يسير تستدعي وجودها طبيعة بعض الأنفس البشرية، وتماشياً مع كَبَدِ الإنسان الذي يحيا في هذه الدنيا الغَرور.

ـ الأخوة :

كغيرها من العلاقات الإنسانية، كانت علاقة الأخوة في المجتمع الأموي تقوم عند بعضهم على أساس المحبة والوفاء، والحرص والدعم المعنوي والمادي، فكان الأخ لأخيه صنوَ نفسه وعديل روحه، ورفيق حياته، وسنده في الخطوب، وملجأه في المحن، إلا أنها عند بعضهم الآخر علاقة

---

[١] . هو محمد بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة بن الوليد المخزومي، كان أبوه نائباً لعبد الملك بن مروان على المدينة النبوية سنة (٨٢هـ)، وكان آخر ولاتها في عهده، إذ عزله الوليد بن عبد الملك عنها وولى عليها عمر بن عبد العزيز، وهو أبو عائشة زوجة عبد الملك. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٩ : ٢١٣. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢ : ٢٨٢.

[٢] - الأصفهاني، الأغاني ، ج١، ص٣١٥ .

[٣] - ابن ميادة ، شعر ابن ميادة، ص٢٣٩ .

صُدِعت، فعَمِد أحد الأخوين أو كلاهما للإساءة لأخيه، فما كان منه إلا اللوم والعتاب، وتعدّاه أحياناً إلى الذم والهجاء.

ويحفل العصر الأموي بأشعار شعرائه التي تكشف عن متانة هذه العلاقة، حيث دعى من خلالها الشعراء الأمويون إلى الحرص على الأخ وعدم التفريط فيه، لأنه عضد أخيه وسنده، وهو مُعينه وناصرُه، ومن ذلك قول مسكين الدارمي [١]:

أخاكَ أخاكَ إنَّ مَن لا أخاً لـــــــــــهُ كَسَاعٍ إلى الهيْجا بغيرِ سِـــــــــــلاحِ

ويرتبط الأُخْوَةُ بمشاعر الحب والوفاء، ويعضدهما الدم الواحد وإن تخاصما حيناً، فهذا مالك بن أسماء الفَزَاري يخاصم أخاه عُيَيْنة لأمر ما، ويتفاقم الأمر بينهما، إلى أن يأخذ الحجّاج عُيَيْنَة، فيحبسه لجبايات كانت له، ويكتب إلى مالك ويعلمه بذلك، فينسى مالك مخاصمة أخيه، ويهرع إليه بعد أن قال[٢]:

ذَهبَ الرُّقادُ فما يُحَسُّ رُقـــــــــادُ ممّا شجاكَ ومَلّتِ العُـــــــــوَّادُ
خبرٌ أتاني عن عُيَيْنة مُفظِـــــــــعُ كادت تقطّعُ عندهُ الأكبـــــــــادُ
بلغ النفوس بلاؤهُ فكأننـــــــــا موتى وفينا الروح والأجســـــــــادُ
لمّا أتاني عن عُيينة أنّـــــــــهُ أمسى عليه تَظَاهَرُ الأقيـــــــــادُ
نَخَلَتْ لهُ نفسي النصيحة إنّـــــــــهُ عند الشدائدِ تَذْهَبُ الأحقـــــــــادُ
وعَلمِتُ أنّي إن فقدتُ مكانَـــــــــه ذهبَ البِعَادُ فكان فيه بِعـــــــــادُ
ورأيتُ في وجهِ العدوِ شَكَاسَـــــــــةً وتَغيَّرتْ لي أوجُهٌ وبِـــــــــلادُ
وذكرتُ أيّ فتىً يسدُ مكانـــــــــهُ بالرِفدِ حين تقاصرَ الأرفـــــــــادُ
أمَّن يُهينُ لنا كرائم مالـــــــــهِ ولنا إذا عُدْنا إليه مَعَـــــــــادُ

فهو يجد في أخيه الملجأ والمأمن، وبغيابه يفقد السند والناصر الذي لا مثيل له ولا بديل، وبرغم ما كان بينهما من خلاف إلا أنه يألم لألمه ويحزن لحزنه، ولا يرضى له الذل أو المهانة.

---

[١] - مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص٢٩ .

[٢] - الفزاري، مالك بن أسماء بن خارجة (ت نحو ١٠٠هـ) ، شعر مالك بن أسماء الفزاري، (جمع وتحقيق ودراسة شريف علاونة)، ط١، ٢٠٠٤ ، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، ص٧٥ – ٧٧ .

ويعرب الأخ عن بالغ اشتياقه وشدة حنينه للقاء أخيه، ويصرح بتعلقه به، كيف لا وهما أخوة تقاسما المحبة والمودة، يقول الحارث بن خالد المخزومي متمنياً لقاء أخيه الذي نأى عنه لأمر ما[١]:

لَعَمْري لئِن لم يَجْمَع الله بينَنَـــــــــــا بما شاءَ لا نزداد إلا تنائيـــــــــــــا
أعُدُّ الليالي إذ نأيتَ ولم أكُـــــــــــنْ بما زلَّ من عيشي أعُدُّ اللّياليـــــــــــا
أخافُ انقطاعَ العيشِ دون لقائِكـــــــــمُ بأرضٍ ولو مَنّيتُ نفسي الأمَانِيـــــــــا
إذا ما بكى ذو الشّجْوِ أصغيتُ نحْـــــوَهُ وآسَيْتُهُ بالشّجْوِ ما دام باكيـــــــــــا

ولا شك أن الأُخُوَّة تعني التعاضد والتعاون، وأن يحب الأخ لأخيه ما يحب لنفسه، فإن أصابت أحدهما ضائقة، أو ألمَّت به مصيبة، انبرى أخوه لمساعدته ونجدته بكل ما يملك ويستطيع، لايهدأ له بال ولا تقر له عين إلا بزوال نكبة أخيه، ولذا؛ حثَّت صفية زوجة عبد الله بن عمر ليشفع لأخيها المختار بن أبي عبيد عند يزيد بن معاوية، وأجهشت بالبكاء وألحَّت عليه في المسألة إلى أن كانت سبباً في إطلاق سراحه، يقول الطبري: " ... وعلمت صفية أخت المختار بمحبس أخيها وهي تحت عبد الله بن عمر، فبكت وجزعت، فلما رأى ذلك عبدالله بن عمر كتب مع زائدة إلى يزيد بن معاوية ..." [٢]، فأطلق سراحه.

إن عاطفة الأخوة عاطفة إنسانية نبيلة، عارمة بالشوق والمودة والمحبة، يحن بسببها لأخيه ويقلق لبعده، وتجافيه الراحة لغيابه، وهذا ما كان عليه حال مَسْلَمَة بن عبد الملك، فأرسل إلى أخيه الوليد، وهو غاز بالقسطنطينية يبثه لواعج شوقه وحنينه قائلاً [٣]:

أرِقْتُ وصحراءُ الطّوانَةِ بيننـــــــــا لبرقٍ تلالا نحو عَمْرَةَ يَلْمَـــــــــــحُ
أزَاوِلُ أمراً لم يكن لِيُطيقَـــــــــهُ مِن القوم إلا اللّوْذَعيُّ الصَّمَحْمَـــــــحُ

وبلغ وفاء عوين لأخيه جندب أن حفظه بعد مماته، وأدى واجبه عليه، وتحمّل أشد الأذى في سبيل ذلك، يقول أبو الفرج الأصفهاني: " كان لعبد الله بن الحجاج [٤] ابنان يقال لأحدهما عُوين والثاني جُندب، فمات جندب وعبد الله حيٌّ، فدفنه بظهر الكوفة، فمرَّ أخوه عُوين بحرَّاثٍ إلى جانب

---

[١] - المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي ، ص١٠٨ – ١٠٩.
[٢] - الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج٧ ، ص ٢٩ .
[٣] - صفوت، أحمد زكي (د.ت)، جمهرة رسائل العرب، المكتبة العلمية، بيروت، ٢ : ٢٨٦. الطوانة : صحراء في بلاد الشام قرب أنطاكية. اللوذعي: الخفيف. الصمحمح: الرجل الشديد.
[٤] - هو عبد الله بن الحجاج بن محصن بن جندب، يكنى أبا الأقرع، شاعر فاتك شجاع، كان ممن خرج مع عمر بن سعيد على عبد الملك بن مروان، فلما قتل عبد الملك بن مروان سعيداً خرج مع نجدة بن عامر الحنفي، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير، فكان معه إلى أن قُتل، ثم جاء إلى عبد الملك متنكراً، واحتال عليه حتى أمّنه. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٣. ص١١٥.

قبر جُندب، فنهاه أن يَقرَبه بفدَّانه، وحذّره ذلك، فلمّا كان الغد وجده قد حرث جانبه، وقد نبشه وأضرَّ به، فشد عليه فضربه بالسيف وعقر فدَّانه، وقال:

أقولُ لحَرَّاثي حَرِيْميَ جَنْبـــــــــــا فَدَانيكُما لا تحرُثا قبرَ جُنـــــــــــدبِ

فإنّكُما إنْ تَحْرُثـــــــــــاهُ تُشَرَّدا ويَذهَبْ فدَانُ مِنكُما كُلَّ مَذهَـــــــــبِ

قال الأصفهاني :" فأُخذ عوين، فاعتقله السجان، فضربه حتى شغله بنفسه "[١].

وقد يعاتب الأخ أخاه رأباً لصدع بينهما، وإزالة لشحناء كدّرت صفو أخوتهما، وجمعاً لشتات أواصرهما، ويأتي العتاب مذكِّراً بسابق الود، مجدداً عهد المحبة، مستلاً لمكنون الضغائن، يقول جرير في معاتبته أخويه عَمْراً وحكيماً [٢]:

رأيتُكَ يا حكيمُ علاكَ شيـــــــــــبٌ ولكن ما لحلمِكَ لا يثُـــــــــــوبُ

وعمرٌو قد كرهتُ عتاب عمـــــــــروٍ وقد كَثَرَ المعاتِبُ والذُنـــــــــوبُ

تمّنى أنْ أموتَ وأينَ مثلـــــــــي لقومِكَ حين تشعَبُني شَعُـــــــــوبُ

لقد صَدَّعتُ صَخرةَ مَن رَمَـــــــاكُمُ وقد يُرْمى بيَ الحجرُ الصَّليـــــــبُ

فهو يذكّرهما بفضائله عليهما، ويحاول ردّهما إلى جادة الصواب بما فيه خير أخوتهم وصلاح شأنهم واجتماع أمرهم.

وربما سيطرت بعض النوازع على علاقة الأخوة، فتحولت إلى مصلحة ومنفعة وحسب، ويسود الجفاء بين الأخوة فيعنِّف أحدهما الآخر ويلومه كما في لوم المغيرة بن حبناء [٣] لأخيه صخر بعد أن جاءت أخته تشكوه، يقول [٤]:

ألا من مُبْلغٌ صخرَ بن ليلـــــــــى فإني قد أتاني مَنْ نثاكـــــــــا

رسالَةَ ناصحٍ لكَ مستجيـــــــــبٍ إذا لم ترعَ حُرْمتَهُ رَعاكـــــــــا

وَصُوْلٍ لو رآكَ وأنتَ وهْـــــــــنٌ تباعُ بماله يوماً فداكـــــــــا

يرى خيراً إذا ما نِلتَ خيـــــــــراً ويشجي في الأمور بما شجاكـــــــــا

---

[١] - الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص ١١٥.

[٢] - جرير، ديوان جرير ، ١ : ٣٩٧ – ٣٩٨.

[٣] - هو المغيرة بن عمرو بن ربيعة الحنظلي التميمي، يكنى أبا عيسى، شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، قيل: حبناء لقب غلب على أبيه لحَبَنٍ كان أصابه، والحبن : ورم في البطن. وهو شاعر المهلّب، أنفد شعره في مدحه ومدح بنيه، وذكر حربهم للأزارقة، استشهد في خراسان سنة (٩١هـ). انظر: الأصفهاني، الأغاني ، ج١٣ ، ص ٨٤ - ١٠١ ، والآمدي، المؤتلف والمختلف ، ص١٣٢ - ١٣٣ . والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ٢ : ٧١٥. والمرزباني، معجم الشعراء، ص٢٧٣.

[٤] - الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص١٦٨. شكل هو وأخويه يزيد وصخر أعمدة بني حبناء، وقد كان المغيرة أموي الهوى وكان في صفوف المهلب يحارب الخوارج ويهجوهم. انظر: ابن اعثم الكوفي، الفتوح ، ١ : ٢٥١. نثاك: اغتابك، ووشى بك.

فإنكَ لا ترى أسماءَ أختـــــــــــــاً ولا تَريَنّنِي أبداً أخاكـــــــــــــا
فإن تعفف بها أو لا تَصِلّهـــــــــــا فإنَّ لأمِّها ولداً سِواكـــــــــــا
يَبَرُّ ويستجيبُ إذا دَعَتْـــــــــــهُ وإنْ عاصيتهُ فيها عَصَاكـــــــــــا
وكنتُ أرى بها شرفاً وفَضْـــــــــلاً على بعضِ الرِّجال وفوق ذاكـــــــــا

إن رسالة ابن حبناء هذه تصور تأصّل علاقة الأخوة وتجذرها بين الأخوين بالرغم مما طالها من جفاء ونأي، إلا أن ابن حبناء يصر على أن يحفظ أخاه ويرده إلى ملتقى الأخوة ومجمعها ورباطها، ويوضح أن الأخوة ليست تسمية فحسب، بل هي أخوة توجب على الأخ رعاية أخيه، وإخلاص النصح له، ودفع الأذى عنه، والقيام بكل ما من شأنه إسعاده، كما أنها توجب التشارك في الفرح والترح، والتلاحم في جميع الأحوال.

إلا أن صخراً أخذته العزة بالإثم، ولم يستجب لنداء الأخوة من أخيه، وأصر على رأيه، ودافع عن موقفه بقوله [١]:

أتاني من مغيرةَ زورُ قـــــــــولٍ تعمَّدهُ فقلتُ له كذاكـــــــــا
فإنْ تَكُ قد قطعْتَ الوصلَ منـــــــي فهذا حين أخلفني مناكـــــــا
تُمنِّيني إذا ما غِبتَ عنّـــــــي وتُخلِفَني مُناي إذا أراكـــــــا
وتوليني ملامة أهلِ بيتِـــــــي ولا تعطي الأقاربَ غير ذاكـــــــا
فإن تَكُ أختُنا عَتَبتْ علينـــــا فلا تَصرِم لظِنّتِها أخَاكـــــــا
فإنَ لها إذا عَتَبتْ علينـــــا رضاها صابرين لَها بذاكـــــــا
وإن تكُ قد عَتَبتْ عليَّ جهـــــلاً فلا والله لا أبْغي رِضَاكـــــــا

فقرّعه المغيرة وهجاه، وذم سوء تصرفه، فقال [٢]:

أبوكَ أبي وأنتَ أخي ولكـــــــنْ تفاضلتِ الطّبائعُ والظّـــــــروفُ
وأمكَ حين تُنسَبُ أمُّ صـــــــدقٍ ولكنّ ابنَها طَبِعٌ سخيـــــــفُ

---

[١] - الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ١٦٩ .
[٢] - الأصفهاني، الأغاني، ج١٣ ، ص١٠٠. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ٤٠٦ . طبع : ذي الخلق. سخيف : قليل الفعل.

وقد عاتب محمد بن بشير الخارجي أخاه عتابا قاسياً، لأنه كان يعاديه ويظلمه، ويخالط أعداءه ويجالسهم، قائلاً [١]:

كَفَانِي الذي ضيّقتَ منّي وإنمّا ... يُضيعُ الحقوقَ ظالماً مَن أضاعَها
أبَى لكَ كَسْبَ الخير رأيٌ مُقَصِّرٌ ... ونفسٌ أضاق اللهُ بالخير باعَها
إذا هي حَثّتْهُ على الخير مَرَّةً ... عَصَاها وإن همَّتْ بشَرٍّ أطاعَهَا
سأنهاكَ نهْيا مُجْمِلاً وقصائداً ... نواصِحَ تَشْفي من شَؤونٍ صُدَاعَهَا

وصور يزيد بن الحكم الثقفي ما بينه وبين أخيه من بغض وكره أفضى إلى تباعد وجفاء [٢]:

أخي يُسِرُّ لي الشّحناءَ يُضمرُها ... حتى وَرَى جَوْفهُ مِن غِمْرِهِ الداءُ
حَرّانُ ذو غَصَّةٍ جُرِّعْتُ غَصَّتَهُ ... وقد تعَرَّضَ دون الغَصَّةِ الماءُ
حتى إذا ما أساغَ الرَيقَ أنْزَلَنِي ... مِنْهُ كما يُنزِلُ الأعداءَ أعداءُ
أسْعَى فَيَكْفُرُ سَعْيِيْ ما سَعَيْتُ لَهُ ... إنَّي كذاك من الإخوانِ لَقَاءُ
وكم يدٍ ويدٍ لي عِنْدَهُ ويَدٍ ... يَعُدُّهنَّ تراثٍ وهي آلاءُ

تلك بعض الشوائب التي كانت تكدّر صفو العلاقة بين الأخوَة إلا أن رباطها لا ينفصم، وجذورها لا تُجتث، فالأخوة تسمو عن الصغائر وتتعاظم عن الأحقاد، ولذا؛ فإنَّ فقد الأخ لأخيه فاجعة لا تعدلها فاجعة، ومصيبة لا يندثر أثرها في النفس، إنَّ فقدان الأخ هو فقدان للطمأنينة والمحبة، وضياع للقوة والتآزر، وأمام هذا المصاب الجلل نظم شعراء العصر الأموي أجمل المراثي في إخوانهم، وعبروا من خلالها عن أرق المشاعر الأخوية وأنبلها، ومن ذلك ما قاله جرير مصوراً ضعفه وخور قواه بعد موت أخويه اللذين كانا بمنزلة المعين والناصر له [٣]:

خَليلَيَّ كم من زفْرَةٍ قد رَدَدْتُها ... وَمِنْ ظَلمةٍ وارَتْ على ضُحىً حَجْرا
إذا ما دعا قومٌ عليَّ أخاهُمُ ... دعوتُ فلم أسْمِعْ حكيماً ولا عَمْرا

وانقلبت الحال بعروة بن أذينة بعد موت شقيقه بكر، وأصبح يحيا ضنك الحياة ويتجرع علقمها، يقول [٤]:

---

[١] - الخارجي، محمد بن بشير (ت١٣٠هـ)، شعر محمد بن بشير الخارجي، ط١، (تحقيق محمد خير البقاعي)، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م، ص٩٣.

[٢] - القيسي، نوري، شعراء أمويون ، ٣: ٢٥٢ .الحران : العطشان. الترات : جمع ترة، وهي العيب والخطأ . الآلاء : النعم.

[٣] - جرير، ديوان جرير، ٢ : ٦٨٢.

[٤] - ابن أذينة، شعرعروة بن أذينة، ص٣٢٥ – ٣٢٦. سرى همي: أي هاج ليلاً. قيس فتر: قدر فتر. الفتر: ما بين طرف السبابة والإبهام إذا فتحتهما.

سَرَى همِّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْـــــــــرِي وغابَ النّجْمُ إلا قَيسَ فِتْـــــــــــــرِ
أراقبُ في المَجَرّة كلَ نجْـــــــــــمٍ تعَرّضَ للمجَرَّةِ كيف يَجْـــــــــــري
لهمٍّ لا أزالُ له مُدِيمـــــــــــــاً كأنَ القلبَ أسْعِرَ حَرَّ جَمْـــــــــــرِ
على بكرٍ أخي وَلّى حَمِيـــــــــــداً وأيُّ العيشِ يصفوُ بعد بَكْـــــــــــر

لقد عاش الأخ في المجتمع الأموي حياة تَعِسَة بعد فقده لأخيه، فالموت أخذ أقرب الناس إليه وأحبَّهم عنده، فعبرّ عن عِظم الخطب، يقول ذو الرمة في رثاء أخيه [١]:

خَوَى المسجدُ المعمورُ بعْدَ ابن دَلْهَـــمٍ فأضْحَى بأوفى قَوْمُهُ قد تَضَعْضَعـــــوا
تَعَزّيْتُ عن أوْفَى بِغَيْلانَ بَعـــــــدَهُ عَزَاءً وجَفْنُ العينِ ملآنُ مُتْـــــــرَعُ
ولم تُنْسِنِي أوْفَى المُصيبات بَعْـــــدهُ ولكِنْ نِكاءُ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَـــــعُ

وعَدّت مُلَيْكَة الشَّيْبانية [٢] موت أخيها خسارة فُدِح بها كل من يعرفه من الضيفان والجيران والموالي، وهي تبكيه بكاءً لا ينقضي، فتقول [٣]:

مَنْ لجارَتِكَ الضِّعافِ إذا حَلَّ بها نازلٌ من الحَدَثَـــــانِ؟
مَنْ لضيفٍ ينتابُ في ظُلمةِ الليلِ إذا مَلَّ مَنْزِلُ الضيْفَـــانِ؟
سوف أبكي عليكَ ما سَمِعَتْ أُذُناي يوماً تلاوة الفُرقـــانِ
أينَ مَن يَحفَظُ القَرابَة والصِّهرَ ويؤْتى لحاجةِ اللّهْفـــان ؟
ويَحُوطُ المولى ويَصْطنِعُ الخيْرَ ويجْزي الإحسان بالإحسانِ

ويظهر الشَّمَرْدَل اليَرْبوعي[٤] جزعاً وحزناً شديدين لاستشهاد إخوته في فتح خراسان، وقد أحس بالتفرّق والشتات، يحاول الصبر إلا أنه لا يطاوعه، فيقول [٥]:

أعاذِلُ كَمْ مِن رَوعَةٍ قد شَهِدْتُهـــــا وغُصّةِ حُزنٍ في فراقِ أخٍ جَـــــزْلِ
إذا وقَعَتْ بينَ الحَيَازيم أسْـــــدَفَتْ عليَّ الضُحى حتى تُنَسِّيني أهلـــــي

---

[١] - ذو الرمة ، ديوان ذي الرمة، ص٢٤ .

[٢] . شاعرة إسلامية عاصرت بني أمية، قتل أخوها وزوجها وابنها وعمّاها وخالاها مع الضحاك بن قيس الخارجي في أيام مروان بن محمد، فعاشت بعد قتل الضحاك بن قيس الخارجي في أيام مروان بن محمد، وما رقأت لها عين. وقد أورد المرزباني أشعاراً لها. انظر: المرزباني، محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، أشعار النساء، (تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي)، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م ، ص١٩٥ -١٩٨.

[٣] - المرزباني، أشعار النساء، ص١٩٧.

[٤] - هو الشمردل بن شُريك بن عبد الملك، وينتهي نسبه إلى يربوع من تميم، ويكنى بابن الخريطة، وقد نشأ نشأة بدوية خالصة، وتقلّب في أرض العراق واليمامة ثم انتقل لخراسان، وتوفي بعد سنة تسع ومائة، انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢، ص١١٢. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ٢ : ٦٨٥. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢٠٥. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ١ : ٥٤٤، والقيسي، نوري، شعراء أمويون، ٢ : ٥٠٥ – ٥٤٨ .

[٥] - القيسي، نوري، شعراء أمويون، ٢: ٥٤٠ – ٥٤٥.

وما أنا إلا مِثلُ مَنْ ضُرِبَتْ لـــــــــــهُ أسَى الدهر عن ابنيْ أبٍ فارَقا مِثْلـــــي
أقولُ إذ عُزِّيْتُ نفسي بإخـــــــــــوةٍ مَضَوا لا ضِعَافٍ في الحياةِ ولا عُـــــزْلِ
أبَى الموتُ إلا فجْعَ كلِ بنـــــــــــي أبٍ سَيُمْسونَ شتّى غيرَ مُجْتَمعي الشّمـــــلِ

ويطول الحديث إذا ما قصد بهذه الدراسة أن تجمع الأشعار الأموية التي جاءت في رثاء الأخوة إلا أنه يمكن القول إنَّ علاقة الأخوة في المجتمع الأموي تمثلت في محبة الأخوة لبعضهم ووفائِهم لحق تلك الرابطة المتينة وواجبها، فظهر الأخ في العصر الأموي حريصاً على أخيه، ناصحاً له، مدافعاً عنه، مشتاقاً للقائه، معاتباً له إذا ما انحرف عن جادة الصواب، لائماً إياه إن قصّر أو ظلم وغمط حق الأخوة، ولمّا وقع قضاء الموت وقدره واختار أحدهما، بكاه أخوه بكاءً حاراً، وتألَّم لفقده ألماً شديداً، وأحس أنه بفقده قد فارق نصيره وسَميره وأنيسه فرثاه أجمل رثاء.

ـ الجواري والقيان :

أفضت الفتوحات الإسلامية الواسعة التي قام بها العرب في العصر الأموي في مختلف أقطار الأرض إلى تدفق أعداد كبيرة من الجواري والقيان إلى المجتمع الأموي، وساعد في ذلك تشجيع الخلفاء والولاة على استجلاب الرقيق واستخدام الجواري، فأكثروا منهن، وحثوا على امتلاكهن، فتعددت أجناس الرقيق الجواري في قصور الخلفاء، ومنازل الولاة، وكثر في المجتمع كثرة كبيرة[١].

حتى إن عبد الملك بن مروان كان يقول: " من أراد أن يتخذ جارية للتلذذ فليتخذها بربرية، ومن أراد أن يتخذها للولد فليتخذها فارسية، ومن أراد أن يتخذها للخدمة فليتخذها رومية، ومن أراد الباءة فعليه بالبربريات، ومن أراد النجابة فعليه بالفارسيات " [٢].

ويؤكد نظرة عبد الملك بن مروان من أن الجواري كن مختلفات الأشكال والألوان والطباع ما يصفهن به ابن بطلان البغدادي في رسالته حين قال: " والبربريات ألوانهن على الأكثر سود، ويوجد فيهن الصفر، مطبوعات على الطاعة والموافاة في كل أمورهن، نشيطات للخدمة، ...،

---

[١] - انظر: زيدان، جرجي (١٩٦٧)، تاريخ التمدن الإسلامي، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ٢ : ٣٠٠.
[٢] - الأصفهاني ، الأغاني، ج٨، ص١٠ .

والزنجيات مساوئهن كثيرة ....، والروميات بيض شقر سباط الشعور، زرق العيون، عبيد طاعة وموافقة..."[١].

وقد شاع التسرِّي بالجواري في العصر الأموي، ومن تلد منهن، تسمى أم ولد، وتصبح لها حقوق اجتماعية جديدة، فلا يحق لمالكها أن يهبها أو يبيعها بل تبقى في حلاله حتى يموت، فتصير عندئذ حرة، تجري عليها أحكام الحرائر.

وكان التفاضل بين الجواري في الحُسن، وفي النجابة والنشاط، ولذا؛ ارتفعت أثمانهن وبلغت آلاف الدنانير، فقد ورد أن يزيد بن عبد الملك اشترى " سَلاّمة " [٢] بعشرين ألف دينار[٣].

وكان للجواري والقيان أبرز الأثر في حياة الخلفاء الأمويين والمجتمع ككل، ولا سيما اللواتي تمتعن بحظ وافر من الجمال والأدب، وإجادة الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وعُدَّت الجارية هدية قيِّمة يُتهادى بها، حتى إن الخلفاء كانوا يجيزون الشعراء بإعطائهم الجواري الحِسان[٤]، فالوليد ابن عبد الملك كان قد كافأ ابن ميادة وأهداه جارية أعجمية، جميلة حسناء، إلا أنها لا تفصح إذا نطقت، فقال ابن ميادة في ذلك [٥]:

جزاكَ اللهُ خيراً مِن أميرٍ ... فقد أعْطَيتَ مِبْراداً سَخونا

بأهلي ما ألَذّكِ عندَ نفسي ... لو انّك بالكلام تُعَرِّبينا

كأنّكِ ظَبْيَةٌ مَضَغَت أرَاكاً ... بوادي الجِزْعِ حينَ تُبَغْمِينا

وقد احتلت بعض الجواري مكانة رفيعة في العصر الأموي، واستطاعت أن تؤثر في سياسة الدولة وتدبير شؤونها، وكان لبعضهنّ الآخر تأثير بارز في في حياة الأسر والأفراد، وتسببن في كثير من المنازعات والخصومات بين أفراد الأسرة الواحدة، ومن ذلك ما تشعله من غَيْرة عند الزوجة، كما حدث مع أبي الأسود الدؤلي، الذي قالت له زوجه بعد أن استبدّت الغيرة بها: " لعمري لو كان يهمك أهلك وأمرهم وعيالك ما تلذذت بالقيان"، فرد عليها قائلاً [٦]:

أفاطِمُ مَهْلاً بعضَ لومِي فإنّما ... أمَتِّعُ نفسي، قد أجمَّ انطلاقيا

---

[١] - ابن بطلان البغدادي، أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون (ت ٤٥٨هـ)، رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق و تقليب العبيد، (تحقيق عبد السلام هارون)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، ١٩٥٤م، ص٣٧٢ .

[٢] - سلامة القس، من مولّدات المدينة، أخذت الغناء عن معبد وابن عائشة وجميلة، اشتراها يزيد بن عبد الملك . انظر ترجمتها: الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٢٤٠.

[٣] - المصدر نفسه ، ج٨ ، ص٢٤٢- ٢٤٣ .

[٤] - انظر: الذويخ، سعد فهد (٢٠٠٩)، صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، ط١ ، دار عالم الكتب الحديث، إربد، ص٧٨- ٧٩ .

[٥] - ابن ميادة، شعر ابن ميادة، ص٢٣٣. مبرداً سخوناً: إنها مبردة في الصيف مسخنة في الشتاء. التبغيم : ترخيم الصوت .

[٦] - الدؤلي، ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص ٨٠ .

وقد تكون الجارية موضع هوى الأخ وأخيه، وهذا ما حدث مع عُيَيْنَة بن أسماء حين هوى جارية لأخته، هند بنت أسماء، زوجة الحجاج الثقفي، وكان أخوه مالك بن أسماء متيَّماً بها أكثر منه، ولم يُعْلِم أخاه عُيَيْنة بهذا الوجد، فشكا عُيينة وجده بها إلى مالك، فقال مالك [١]:

أعُيَيْنَ هلاّ إذْ شُغِفْتَ بِهـــــــــــــا كُنْتَ استَعَنْتَ بفارِغِ العَقْـــــــــــــلِ

أقَبلتَ ترجو الغَوْثَ مِن قِبَلـــــــــــي والمسْتَغاثُ إليه في شُغْـــــــــــــلِ

ولم ينظر العرب في العصر الأموي بادئ الأمر إلى الجواري نظرة احترام، بل كانوا يتحاشون أن يكن أمهات لأولادهم حتى لا يفسد العرق، ولذلك بقي أولاد السراري أقل شأناً عند آبائهم وقومهم من أولاد الحرائر، ويظهر ذلك في تمثيل عبد الملك بن مروان لقول عمرو العبدي عندما استبق بنوه في حلبة الجياد فسبقوا مَسْلَمة، وكان ابن أَمَة [٢]:

نهيتُكُمُو أن تَحْمِلوا فوق خيْلِكُـــــــم هجيناً لكم يومَ الرِّهانِ فيُـــــــــدْرَكُ

فتَعْثرُ كفَاهُ ويسقطَ ســــــــــــوطَهُ وَتَخْدَرُ ساقاه فما يتَحَـــــــــــــرَّكُ

وهل يستوي المرءان : هذا ابن حُـــــرّةٍ وهذا ابن أخرى ظهرُها مُتَشَـــــــــرَّكُ

كما افتخر بعض الشعراء بأن صاحبته حُرَّة وليست من الجواري اللواتي يخدمن في البيوت، يقول كثير عزّة [٣]:

أخاضَتْ إليَّ الليلَ خَوْدٌ غَرِيْـــــــــرَةٌ جَبَانُ السُّرَى لم تَنْتَطِقْ عن تَفَضُّـــــــلِ

فمحبوبته ليست خادمة تنتطق للخدمة، بل حُرَّة شابة جديدة عهد بأمور الحب.

وبلغ أمر كراهة الزواج بالجواري مبلغاً، حيث قام القتال الكلابي بقتل جارية أراد عمه الزواج بها، بعد أن نصحه ألا يطأها، إلا أن عمه لم يُطِعه، فقتلها وقال مفتخراً [٤]:

أنا الذي ضَرَبْتُها بالمِنصَـــــــــــلِ عندَ القَرَيْنِ السَّائِلِ المُفَضّـــــــــــلِ

ضَرْباً بِكَفَّيْ بطَلٍ لم يَنْكُـــــــــــلِ

---

[١] - الفزاري، مالك بن أسماء، شعر مالك بن أسماء الفزاري، ص١٠٩ .

[٢] - الإبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٢هـ)، المستطرف في كل فن مستظرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٢م، ج٢، ص٨٥ .

[٣] - الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة ، ص٢٩١. الخود: المرأة الشابة. غريرة: حديثة السن لم تجرب الأمور. جبان: توصف به الأنثى أيضاً. التفضّل: لبس ثوب واحد.

[٤] - القتال الكلابي، ديوان القتال الكلابي، ص٨٤ . القرين : تصغير قرن، وهو حد ربوة تشرف على وهدة صغيرة. لم ينكل: لم يهرب من القتال.

وبالرغم من ذلك وُجِد في العصر الأموي مَن يميل نحو الجواري ويهواهن، ويشجع على اتخاذهن أمهات أولاد، فقد تسلب الجارية قلب سيِّدها، وتحوز محبته، فيرتبط بها ويحرص عليها، ويعفيه ذلك من بيعها، كما امتنع جرير عن بيع جاريته الديلمية التي نالت حبه، وأصبحت أمَّاً لولده فيما بعد، يقول[١]:

إذا عَرَضُوا ألفين منها تعرَّضَـــــــتْ ... لأمِّ حَكيمٍ حَاجَةَ في فُؤادِيَـــــــــــا

لقدْ زِدْتِ أهل الرَّيِّ عندي مَلاحَـــــــة ... وحَبَّبْتِ أضعافاً إليَّ المَوَالِيـــــــــا

وتمتعت بعض الجواري بالجمال والدَّهاء، فسيطرت على قلب من أحبَّها، وسحرته بدلالها ومنطقها، وأصبحت هي الآمر الناهي في كثير من الأمور، وصار عاشقها طوع بنانها يشكو إليها الحب، ويتضرع إليها بالرضى والقبول، كما كانت حال الأحوص مع الدّلفاء التي عدَّها أحسن الناس خلقاً ومنطقاً، غير أنها صرمته وصدَّته، فقال [٢]:

إنّما الدّلفاءُ هَمِّـــــــــي ... فليَدَعْني مَن يَلـــــــومُ

أحْسَنُ الناس جميعـــــاً ... حين تمشي وتَقـــــــوُمُ

حَبَّبَ الدّلفاءَ عنـــــــدِي ... مَنطِقٌ منها رَخيـــــــمُ

أصِلُ الحبْلَ لِتَرْضَـــــى ... وهي لِلحَبْلِ صَـــــــرُوم

حُبُّها في القلـــــــبِ داءٌ ... مُسْتَكِنٌّ لا يَرِيـــــــمُ

كما استطاعت بعض الجواري أن يُظهرن أنفسهن بأفضل صورة ممكنة، وذلك باستفادتهن من معارف وعلوم قومهن، أو مما يتعلَّمنه ويتلقَّينه من غيرهن من الجواري اللواتي كُنَّ يلتقين معهن في أسواق النخاسين [٣].

إن حديث عبد الملك بن مروان عن الجواري وقول ابن بطلان اللذين ذُكِرا آنفاً ليدلان بوضوح أن العرب في العصر الأموي عرفوا خصال وميزات كل جنس من الجواري، ولذا استخدموهن في أعمال تناسب جنسهن وطبيعتهن، فأبو الأسود الدؤلي اشترى جارية لتقوم بالخدمة، فحاولت أن تحببه بنكاحها، فأنشأ يقول[٤] :

أصلاحُ إنَّي لا أريدُكِ للصَّبـــــــــا ... فَدَعِي التّشَمُّلَ حولنا وتَبَذّلـــــــــي

---

[١] - جرير، ديوان جرير، ٢ : ٥٦٥ .
[٢] - الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص ٢٣٩ – ٢٤ . لا يريم : لا يبرح.
[٣] - أنظر : عبد النور، جبّور (١٩٤٧)، الجواري، دار المعارف، القاهرة، ص٢٨ .
[٤] - الدؤلي ، أبو الأسود ، ديوان أبي الأسود الدؤلي ، ص٨٨ – ٨٩ .

إنِّي أريدُك للعَجينِ وللرَّحَـــــــــــى ... ولِحَمْلِ قِرْبَتِنَا وطَبْخِ المِرْجَـــــــــــلِ
وإذا تَرَوَّحَ ضَيْفُ أهلِكِ أوغَـــــــــدَا ... فَخُذِي لآخرَ نحو أهْلِكِ مُقبِـــــــــــلِ

ولعبت الجارية دور الوسيطة، وقامت بعمل البريد بين المحب وصاحبته، وشكلت حلقة الوصل بينهما، وخير من أناط هذه المهمة بالجواري عمر بن أبي ربيعة حيث كان يرسلهن إلى محبوبته ليقرئنها السلام، ويعلمنها عن حاله وما يعانيه، يقول [١]:

فَبَعَثْتُ جاريتي ، فقلتُ لها : اذهبـــــي ... فاشْكِي إليها ما علِمْتِ وسلَمِـــــــــي
قولي يقولُ تَحَوَّبِي في عاشـــــــــقٍ ... كَلفٍ بكم حتى المماتِ متيَّـــــــــــمِ
فَكَّي رهينَتَهُ ، فإن لم تفعَلِـــــــــي ... فابْكِي على قَتْلِ ابن عَمِّكِ واسْلَمِـــــــي
فَتَبَسَّمَتْ عَجَباً ، وقالت : حَقَّـــــــهُ ... أنْ لا يُعَلِّمَنا بما لم نَعْلَـــــــــــمِ

ولم تكن أية جارية تصلح لأن تكون وسيطة، فلا بد أن تكون محل ثقة سيدها ومستودع سره، وتمتلك من قوة الشخصية والذكاء ما يمكّنها من حسن التخلص في المواقف الحرجة وإقناع المحبوبة برسالة سيدها، وقد تمتعت جارية العرجي بهذه الصفات، فأرسلها لصاحبته بعد أن أوصدت الأبواب في وجهه، وقال يصف الطريقة التي اتبعتها جاريته في إقناع محبوبته [٢]:

تَغَشّتْ ثياب الليل ، ثمَّ تأطَّـــــــرَتْ ... كما اهتَزّ عِرقٌ من قَنَاً مُتَأَلِّـــــــــلُ
بَدَتْها بقولٍ ليِّنٍ ، وتمثَّلَـــــــــــتْ ... مِنَ الشِّعرِ ما يَرْقِيْ به المُتَمَثِّـــــــــلُ
فما كان إلا فَرْطَ خَمْسٍ حَسِبْتُـــــــهُ ... مِن الدَّهر ، حتى جاء – لايَتَعلّـــــلُ –
بشيرٌ ، بأنّا : قد أتينا ، فهل لنـــــــا ... مِنَ الخَوْخَة الصُّغرى سوى البابِ مَدْخَـلُ

وعنيت الجارية بمهمة تخضيب شعر سيدها ولحيته، فقد ذكر صاحب العقد الفريد أنه كانت عند معاوية جارية من أعز جواريه، وكانت تتولى خضابه، فغنّاه بُديح [٣]:

أليسَ عندكَ شُكْرٌ للتي جعلـــــــــتْ ... ما ابيضَّ من قادماتِ الشّعْر كالحَمَـــــمِ
وجدّدت مِنْكَ ما قد كانَ أخْلَقَـــــــهُ ... صَرفُ الزمانِ وطولُ الدهرِ والقِـــــدَمِ

---

[١] - عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٩٠.
[٢] - العرجي، ديوان العرجي، ص٣٠٣- ٣٠٤ . تغشت : لبست . تأطرت : تثنت في مشيتها . القنا : العذق من النخل . المتذلل : السهل الانقياد. الفرط : يُستخدم للعدِّ ما بين الثلاثة إلى الخمسة عشر .
[٣] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٧ ، ص١٧.

ويذكر أبو الفرج الأصفهاني أنه كان لمحمد بن عمرو بن حزم حين ولي المدينة جارية موكّلة بلحيته [١]. ولا غرو أن تقوم الجارية بتزيين شعر سيدتها وتجميلها وتزيينها، فقد ذكر ابن عائشة المغنّي المعروف أن أمَّهُ كانت تعمل ماشطة، وكانت مولاة لكثيّر بن الصّلت [٢].

وأنيطت بالجارية مهمة خدمة ضيوف سيدها، والاهتمام بهم، فقد كانت جارية عند رجل بالبصرة تُدعى "عَيْناء" تأتي بالشراب للفرزدق إذا ما دعاه صاحبها، يقول الفرزدق [٣]:

إذا دُعِيَتْ عَيْناءُ أيْقَنْتُ أنّنِـــــــــــي بِشَرْبَةِ رِيٍّ لا مَحَالةَ شـــــــــــارِبُ

وما ذاكَ مِنْ عَيْناءَ سَرْوٌ عَلِمْتُـــــــهُ ولكنّ مولاها كريمُ الضّرَابِـــــــــبِ

وكانت الجواري يقمن بحماية أموال وممتلكات أسيادهن، فقد أقعد غالب بن صعصعة أَمَةً تحفظ له ماءً يُقال له " القبيات "، فمرَّ ركب من بني نهشل وفقيم، فأوردوا إبلهم فمنعتهم الجارية فتناولوها بشيء من الضرب، فأتت الفرزدق تشكوهم، فقال [٤]:

لقد عَلِمَتْ يَوْمَ القَبيّاتِ نَهْشَـــــــــلٌ وحُرْدانُها أن قد مُنُوا بعسيـــــــــــرِ

عشية قالوا : إنّ أحواضَكُم لنـــــــــا فلاقوا جَوازَ الماء غيرَ يسيـــــــــــرِ

فما كان إلا ساعة ثَمّ أدْبَـــــــــرتْ فَقَيْمٌ بأعضادٍ رَبَتْ وظَهُـــــــــــورِ

وما كان من الفرزدق إلا أن خرج على القوم راكباً فرساً له، فشق أسقيتهم ونفر بامرأة منهم.

ومن أعمالهن الرَّعْي، وجلْب الماء من أماكنه، إلى غير ذلك من تلك الشؤون، وقمن أيضاً بصناعة الهوادج وتزيينها، وترصيع جوانبها بالجواهر والحلي، ويصرّح ابن قيس الرقيات بمهنتهن هذه فيقول[٥]:

إنّ في الهَوْدَجِ المُحَفَفِ بالدِّيـــــــــــ ـباجِ ريماً مع الجواري رَبيبـــــــــــا

صنّعَتْهُ أيدي الجواري وعَلّقـــــــــــ ـــنَ عليهِ زَبَرْجَداً مَثْقوبـــــــــــا

وحظيت بنات العائلات الغنيات بجوارٍ جميلات حسناوات يعملن وصيفات لهن، يقُمْن على خدمتهن ورعايتهن، يقول ابن قيس الرقيات [٦]:

---

[١] - انظر : الأصفهاني، الأغاني ، ج١٩ ، ص١٤٦.
[٢] - المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٢٠٣.
[٣] - الفرزدق ، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٥. السرو : السخاء والفضل. الضرايب : الواحد ضريبة ، وهي الطبيعة والسجية.
[٤] - المصدر نفسه، ١: ٢٠٤ . الحردان: المصاب بالحرد، وهو ضعف الأعصاب. ربت: سمنت. الأعضاد: جمع عضد، وهو ما بين المرفق إلى الكتف.
[٥] - الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص٥٧ . الريم : الظبي الأبيض.
[٦] - الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢١٣.

يَخْفَيْنَ في المَشْيِ القَرِيـــــــــــــــــــ ـــبِ إذا يَزُرْنَ صَدِيْقَهُنّـــــــــــــــــــهْ
وبَنَاتُ كِسرى في الحَريـــــــــــــــــــ ـــرِ عَواملٌ يَخْدُمْنَهُنّـــــــــــــــــــهْ

وهكذا، كان للجواري في العصر الأموي دورهن البارز في الحياة الاجتماعية، فقد أثَّرن في العلاقات الأسرية، وكنَّ سبباً لعدد من المشاكل والخصومات، ومن جانب آخر كنّ خادمات أنيطت بهن أعمال متعددة قمن بها، واعتبرن أيضاً سلعة نفيسة يتهادى بها القوم آنذاك.

أما القينة فهي الجارية المغنية المتزيّنة، وقيل للمغنية : قينة إذا كان الغناء صناعة لها، وذلك من عمل الإماء دون الحرائر[١]، فالقيان مجموعة من مجموعات الجواري وطبقة من طبقاتهن، تُناط بها مهمة الغناء.

والقيان جوارٍ أتقن فن الغناء، وقد انتشرت انتشاراً واسعاً في العصر الأموي ، وكثرت كثرة مفرطة، حتى أصبحت الحجاز آنذاك أهم مركز للغناء في العصر الأموي، وكانت المدينة أسبق من مكة إليه، وأصبح الغناء في العصر فناً مستقلاً له نظرياته وقواعده وأصوله التي دفعت به إلى الذروة، ولعل أشهرهن حينئذ؛ عزَّة الميلاء، وجميلة، وسلاّمة القس، وسلاّمة الزرقاء، ولبلبة، وفرعة، ولذة العيش، وسُعَيْدة، وحبَّابة، وغيرهن[٢].

وقد كان للقيان حضور مميز في العصر الأموي، وكان لهن الأثر البارز في حياة أفراده، بدءاً من مطارحتهن الحب والغرام وما يتبع ذلك من التغني بجمالهن ودلالهن وحسنهن، والتحسر لفراقهن، ووصف مجلسهن وأدوات غنائهن وحركاتهن وطرائقهن في الغناء، ومن ذلك شغف الأحوص بالقينة سلاّمة وولعه بها واستجداؤه لها بقوله [٣]:

أسَلامُ إنّكِ قد مَلَكْتِ فأسْجِحِـــــــــــي قد يَملِكُ الحرُّ الكريمُ فَيُسْجِـــــــــــحُ
مُنِّي على عانٍ أطلّتِ عَنـــــــــــاءَهُ في الغُلِّ عندكِ والعُناةَ تُسَـــــــــــرَّحُ
وإذا شكوتُ إلى سَلامَة حُبَّهـــــــــــا قالت أجِدَّ مِنكَ ذا أمْ تَمْـــــــــــزَحُ

---

[١] - انظر: ابن منظور ، لسان العرب، مادة (قين).
[٢] - انظر: ضيف، شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص٦٣ – ٨٧ .
[٣] - الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص ١٠٨- ١٠٩. العُناة : جمع عانٍ، وهو الأسير الخاضع . الغُلّ : القيد. الإسجاح : حسن العفو ، ومنه المثل السائر : ملكت فأسجح .

وقد شغلت القيان الخلفاء أحياناً عن أمور السياسة والخلافة والدين، ومنهن حبّابة، وهي قينة من قيان المدينة، تميزت بجمالها وحسنها ودلالها، فاشتراها يزيد بن عبد الملك ونقلها إلى الشام، فغنّته وشغلته، ووصفها وضاح اليمن[١] قبل أن يشتريها يزيد فقال [٢]:

يا مَن لقلبٍ لا يُطيـــــــــــــــعُ الزاجرينَ ولا يُفيـــــــقْ
تسلو قلوبُ ذوي الهَـــــوَى وهو المُكلّفُ والمَشُـــــــوقْ
تَبلَت حبابَة قلبَـــــــــــــهُ بالدَّلِّ والشّكْلِ الأنيـــــــــقْ

وظلت حبّابة تعيش في كنف الملك تأمر وتنهى كما تريد، بل تولي وتعزل مَن تريد [٣].

وقد اهتمت القينة – كما توجبه طبيعة مهنتها – بمظهرها ولباسها وزينتها، فكانت لذلك محط إعجاب مَن يراها، فتأسر قلبه وتسيطر على جوارحه، وتغدو الآمرة الناهية في شؤونه وما يتولاّه، ويصف ابن قيس الرقيات فتنة القيان وسمرهن بقوله [٤]:

لقدْ فُتِنَتْ ريَّا وسلاّمَةُ القَسَّـــــــــــا فلمْ تَتْرُكا للقَسِّ عَقلاً ولا نَفْسَـــــــــــا
وما استعبَدَ الرُّهبانَ بالدَّيْرِ مِنْهُمـــــــا ولم يَسْتَحِلاّ لا حَرَاماً ولا نَجْسَـــــــــا
فتاتانِ أمّا منهُما فشبيهةُ الهِـــــــلالِ وأخرى مِنْهُما تُشبِهُ الشّمْسَـــــــــــا

وبذا انتقلت القينة من موضع المستعبد إلى موضع الآمر، ومن المنفِّذ إلى صاحب القرار.

وتفنَّنت القينة بالضرب على العود، وأتقنته أيَّما إتقان، ومنهن؛ عزَّة الميلاء التي كانت من أحسن الناس ضرباً بعود، وقيل فيها : ما أحسن ضربها بالمزاهر والمعازف وسائر الملاهي [٥].

وإذا مهرت القينة في الغناء واشتهرت به، أصبحت معلِّمة لهذا الفن، تؤمها غيرها من الجواري ليتعلَّمن منها فن الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وهذا كان حال جميلة التي أصبح منزلها مدرسة يأوي إليه من يرغب بتعلم الغناء من الرجال والنساء، وكان من تلامذتها؛ حبّابة، وعقيلة وربيحة، وبعض جواري عمر بن أبي ربيعة، وكذلك حال " شهدة " جارية الوليد بن يزيد التي اشتراها لتعلِّم بقية جواريه ضرب العود والغناء [٦].

---

[١] - هو عبد الرحمن بن إسماعيل الخولاني، لقب بالوضاح لوسامته، قيل إنه مات مقتولاً نحو سنة (٨٩هـ) بأمر من الخليفة الوليد بن عبد الملك لتشبيبه بزوجته أم البنين. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص ٢٩٣. والزركلي، الأعلام، ٤ : ٦٩.
[٢] - حداد، حنا جميل (١٩٨٤)، وضاح اليمن، حياته وما تبقى من شعره، مجلة المورد، المجلد الثالث عشر، العدد (٢)، العراق، ص١١٩ .
[٣] - انظر : العمروسي، فايد (١٩٦١)، الجواري والمغنيات، دار المعارف، القاهرة، ص١٠٤.
[٤] - الرقيات، عبيد الله بن قيس ، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص١٢١ – ١٢٢ .
[٥] - انظر : الأصفهاني، الأغاني ، ج١٧ ، ص١٦٢.
[٦] - انظر : ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ص١٩٩.

ووعى بعض الشعراء الأمويين أثر القيان على أفراد المجتمع، فحذّروا منهن، ومما يقمن به من التحايل على الرجال وإغرائهن لهم حتى يأخذن أموالهم، مستخدمات في ذلك أساليبهن المختلفة، مثل؛ النظر، والغنج، والغمز، إضافة إلى جمال مظهرهن وحسن غنائهن وعزفهن، فما إن يحققن بغيتهن حتى يغدرن بفريستهن ويتركنه، وهذا من يعبر عنه الشاعر عمرو بن أحمر الباهلي[١] بقوله [٢]:

عذّبني ذو الجلالِ بالنّـــــــــــــارِ ... أنْ هامَ قلبي بذاتِ إسْـــــــــــــوارِ
ولا تعَشّقْتُ قينَةً أبـــــــــــــداً ... حتى ترانِي رَهِينَ أحْجَـــــــــــــارِ
كَم من غَنِيٍّ تركْنَ ذا عَـــــــــــدَمٍ ... أوْرَثْنَهُ الذّلَّ بعد إكثـــــــــــارِ
سَلَبْنَ منه الفؤاد بالنظر الـــــــــــ ... ـرَّطْبِ وغُنْجٍ وغَمْزِ أبْصَـــــــــــارِ
وبالتّشاجي أتلَفْنَ مُهْجَتَـــــــــــهُ ... وحُسْنِ لحنٍ وقَرْعِ أوتـــــــــــارِ
حتى إذ ما مَضَتْ دراهِمُـــــــــــهُ ... وصار ذا فكرةٍ وتَسْهـــــــــــارِ
ناوَلْنَهُ المِسْحَ ثم قُلنَ لـــــــــــهُ ... بيِّضْهُ بالنهر نَهْرِ بَشّـــــــــــارِ
فلا تَغُرَّنّكَ قَيْنة أبـــــــــــداً ... وَدعْ وِصالَ القِيانِ في النّـــــــــــارِ
فليسَ في الغدرِ عنـــــــــــدهنّ إذا ... هَوِيْنَ أو شِئْنَ ذاك مِن عـــــــــــارِ

لقد شغلت القينة أبناء المجتمع الأموي خاصته وعامته، وألهتهم وأطربتهم وأشاعت بينهم عادات وتقاليد عديدة، وتسلّمت القينة مقاليد الأمور لدى محبيها ومريديها، فارتسموا أمرها ونّفذوا رغباتها، بعد أن ولعوا بها وأحبوها.

وفي الوقت ذاته كانت القينة سبباً في انتشار دور الغناء والحانات في العصر الأموي وكان لها أبرز الأثر في انتشار الشعر الغنائي وتفنن الشعراء في نظمه، وشكّلت بدورها هذا محوراً هاماً فاعلاً مؤثراً في أبناء المجتمع الأموي وعلاقاتهم وعاداتهم وتقاليدهم وأنماط معيشتهم وشؤون حياتهم.

---

[١] - هو عمرو بن أحمر بن العمرّد بن الباهلي، يكنى أبا الخطّاب، شاعر مخضرم، عاش نحو ٩٠ عاماً، كان من شعراء الجاهلية، واسلم، وغزا مغازي في الروم، وأصيبت إحدى عينيه، نزل بالشام، ثم سكن الجزيرة، وأدرك أيام عبد الملك بن مروان، قال البغدادي: كان يتقدم شعراء زمانه، وعده ابن سلام في الطبقة الثالثة من الإسلاميين، وكان يكثر من الغريب في شعره.انظر: الزركلي، الأعلام، ٥ : ٢٣٧.

[٢] - الباهلي، أبو الخطاب عمرو بن أحمر (ت ٦٥هـ)، شعر عمرو بن أحمر الباهلي ، (جمع وتحقيق حسين عطوان)، مجمع اللغة العربية ، دمشق، ١٩٦٠، ص١٠٩- ١١٠ . النظر الرطب : الناعم. المسح : الكساء من الشَّعر . نهر بشار : نهر بالبصرة منسوب إلى بشار بن مسلم الباهلي شقيق قتيبة بن مسلم .

الفصل الثاني

العادات والتقاليد في المجتمع الأموي

لكل مجتمع عاداته وتقاليده ونظمه وضوابطه، التي يتقيد بها أفراده، وينطوون تحت لوائها، وتتشكل عادات كل مجتمع وتقاليده وفق عقائده، وعناصره السكانية ووضعهم المادي، ومدى اتصاله بالمجتمعات الأخرى وتأثره بها، ودرجة تحضر كل عنصر ورقيه، وغيرها من الروافد التي ترفد المجتمعات بالجديد، وتغيّر في عاداته، وتؤثر في أخلاق أفراده وسلوكهم وأنماط معيشتهم.

وينطوي تحت مسمى عادات مجتمع ما وتقاليده، مثُلُه وقيمه وأخلاقه، وما هو مقبول ومرفوض من سلوكيات، إضافة إلى أنماط معيشة أفراده وأطعمتهم وملابسهم ومناسباتهم الاجتماعية، وغيرها من الأمور التي تعكس المنظومة الحياتية له، وتعطي للرائي صورة لنظامه، ورسماً لمحدداته وقوانينه التي يسير وفقها.

وقد أثر الإسلام في عادات المجتمع الأموي وتقاليده، وألزمه كثيراً من القيم والمثل والأخلاق، وأوجب عليه العديد من الواجبات، ونهى عن كثير من الآفات الاجتماعية، كما أن طبيعة الحياة الاقتصادية التي عاشها أبناء المجتمع الأموي، وما فيها من ترف وثراء، انعكست بشكل واضح على أنماط معيشتهم، وأنواع أطعمتهم، وملابسهم، وأشربتهم، وأثرت في قيمهم وعاداتهم وسلوكياتهم، هذا إلى جانب اتصال المجتمع الأموي بغيره من المجتمعات التي فتحت له أبوابها نتيجة الفتوح الإسلامية الواسعة مما جعل المجتمع الأموي متأثراً بها ومؤثراً فيها، ورفدته بعادات وتقاليد جديدة قَبِلَ ما قَبِلَ منها، ورفض ما رفض، وشكّل العنصر السّكاني الأجنبي الوافد من تلك البلاد المفتوحة عنصراً مهماً مؤثراً وناقلاً لعادات وتقاليد جديدة.

ويحاول هذا الفصل استجلاء عادات المجتمع الأموي وتقاليده من خلال الشعر، من حيث المثل والأخلاق والقيم السائدة فيه، ومناسباته الاجتماعية، وأطعمته وأشربته، وأشكال ملبسه وأنواعها وألوانها، ثم سيتطرق لتبيان تلك العادات والتقاليد التي كانت بمنزلة آفات اجتماعية نبذها المجتمع ورفضها.

- **المُثُل والأخلاق :**

لقد تمكّن الإسلام من نفوس العرب في العصر الأموي، ورسّخت تعاليمه ومُثلهُ وقيمه في نفوسهم، فأخذ كثير من شعرائه يدعون إلى التقوى والزهد والعفة والوفاء، وحضُّوا على الكرم ونبذوا البخل،...، ونشروا قيم الإسلام ومثله كافة، ودعوا إلى التمسك بها لتكون نهجهم في تعاملاتهم وسلوكياتهم وعلاقاتهم الاجتماعية، ومن تلك المثل والأخلاق التي سادت المجتمع الأموي وتحلّى بها أفراده والتزمها ودعا إليها شعراؤه:

- **العـفــة :**

وهي " الكفُّ عمّا لا يحلّ ويجمل، والكفّ عن المحارم والأطماع الدنيّة "[١]، وقد حضّ الشعر الأموي على ضبط النفس، ولجمها عن الانسياق وراء الشهوات والنزوات، وكبح جماح النفس، ولا سيما في مجتمع يعيش بعضه المدنيّة، ويلج أبواب التمدن التي تنفتح على بهارج وثروات وشهوات عديدة متنوعة.

ولذا؛ اعتد المجتمع الأموي بالعفة، وحضّ عليها، فهذا عبد الله بن معاوية يدعو لمصاحبة العفيف والاقتداء به، فيقول[٢]:

أُبْلُ الرِّجالَ إذا أردتَ إخاءَهـــــــــــمْ ... وتَوسَّمَنَّ أمورَهُمْ ، وتَفقَّـــــــــــدِ
فإذا رأيتَ أخا العفافةِ والنُّهـــــــــــى ... فبهِ اليدينِ – قريرَ عيْنٍ – فاشْـــدُدِ

ويتبدّى فخر مسكين الدَّارمي بعفّته وزهد نفسه، وقدرته على كبح هواها، ليس في فقره وحسب، بل في يسره أيضاً، وهنا تتجلى قيمة العفة الحقيقية عند حاجة صاحبها، فالعفة عن فقر وفاقة أكثر مدعاة للإعجاب والفخر من العفة عن غنى وسعة، يقول الدارمي[٣]:

ولستُ إذا ما سرّني الدّهرُ ضاحكاً ... ولا خاشعاً ما عشتُ من حادثِ الدّهـرِ
ولا جاعِلاً عِرضي لمالي وقايـــة ... ولكن أقي عِرضي فيحرِزُهُ وَفْـــــري
أعِفُّ لدى عُسْري وأبْدي تجمُّـلاً ... ولا خيرَ في من لا يعفُّ لدى العُسْـــرِ

---

[١] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (عفف).
[٢] . عبد الله بن معاوية (ت ١٣١هـ)، شعر عبد الله بن معاوية، ط٢، (جمعه عبد الحميد الراضي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٣ – ٤٤. وانظر شواهد أخرى: المصدر نفسه، ص٤٥.
[٣] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص٤١ – ٤٢.

وإنّي لأستحيي إذا كنتُ مُعْسِـراً صديقي ، وإخواني بأن يعلموا فقـري
وأقطعُ إخواني وما حالَ عهدهُـم حياءً وإعراضاً ، وما بيَ من كِبْـــرِ

ويعفُّ الإنسان الأموي ويَعْتَدُّ بحماية حليفه فلا يغدر به، ويقضي على شح نفسه وطمعها، فهو لا يسأل الآخرين، ولا يستعطي، فهو يعف عن السؤال ويترفع عن الاستجداء، وكثيراً ما فخر الأمويون بذلك، ومنهم ابن ميّادة الذي يقول[١]:

إنّي امرؤٌ أعتفي الحاجاتِ أطلُبها كما اعتفَى سَنِقٌ يُلْقَى لهُ العُشُـبُ [٢]
ولا ألِحُّ على الخلانِ أسألَهُـــمْ كما يُلِحُّ بعَظْمِ الغارِبِ القتـــبُ [٣]
ولا أطاوِعُ ندماني لأخدَعَـــهُ عن مالهِ حينَ يسْترخي به اللّبـبُ [٤]

ومن أخلاق أبناء المجتمع الأموي حفظ اللسان عن الأذى، وبعده عن النميمة والغيبة، وانصرافه عن الدنايا، وبذلك يفخر سراقة البارقي، فيقول [٥]:

وإنْ أكُ مَفْجوعاً حزيناً مُـــرَزّأ يؤرِّقني طيفُ الهمومِ الطـــوارِقِ
فما أنا بالواني ولا عاجزُ القـوى ولا نَزِقٌ يَخْشى أذاتي مُرافِقـــي
ولا لاطِمٌ وجه ابنِ عمي سفاهـة ولا أنا بالعوراءِ يوماً بناطِـــقِ

ويجمع الأخطل في مدحته ليزيد بن معاوية جملة من القيم الأخلاقية ينعته بها، فهو المقدام الشجاع في الحرب، ينحدر من أبٍ عفيف النفس ، يوفي بالعهد، ويصبر عند الشدائد، وقد ورث يزيد هذه الخصال عن أبيه، يقول الأخطل [٦]:

تخَمَّطَ فَحْلَ الحربِ ، حتى تواضعتْ له ، واعتلاها ذا مشيبٍ ، وأمـرَدا [٧]
وما وجَدَتْ فيها قريشٌ لأمْرِهـــا أعفَّ ، وأوفى من أبيكَ ، وأمْجَـــدا
وأصْلَبَ عوداً حين ضاقت أمورُها وهَمَّتْ مَعَدٌّ أن تَخيمَ ، وتخْمُـــدا [٨]

إن طبيعة الحياة الصحراوية الواسعة المظلمة التي تسهّل على الفرد ممارسة شهواته متخفياً، وطبيعة الحياة المدنية التي تزخر بألوان الشهوات، وتحفل ببهارج المدنية وملذاتها ومتعها جعلت

---

[١] . ابن ميادة ، شعر ابن ميادة ، ص١٨ .
[٢] . السَّنِق : البعير الذي أكل حتى بشم .
[٣] . الغارب : ما بين السنام والعنق . القتب : الحبل .
[٤] . اللبب : البال ، يقال : إنه لرخي اللبب، ويقال: فلان في بال رخي ولبب رخي؛ أي في سعة وخصب وأمن. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (لبب).
[٥] . البارقي ، ديوان سراقة البارقي، ص ٥٦ .
[٦] . الأخطل ، شعر الأخطل، ص ٢٠٨ .
[٧] . التخمط : هياج الفحل ، ونصب " فحلاً " على الفعل ، كأنه قال تخمط كذا .
[٨] . تخيم : تتكص وتجبن .

العفة من القيم والمثل الأخلاقية التي يكرّم صاحبها، ويمدح على التحلي بها، فهذا جرير يمدح عمر بن عبد العزيز واصفاً عفته وعصيانه لهواه، فيقول [١] :

أنتَ المباركُ والمهدِيُّ سيرتُــهُ تعصي الهوى وتقومُ الليلَ بالسُّــوَرِ
أصبحْتَ للمنبر المعمورِ مجلِسُـهُ زَيْنَاً وزَيْنَ قِبابِ المُلْكِ والحُجَـــرِ

ويتضمن خلق العفة السيطرة على شهوة النفس بترك الملذات والشهوات وإن كانت مغرية، وهكذا كان عمر بن عبد العزيز ينصرف عن إغواء الدنيا وإغرائها له، مقبلاً على الآخرة، مستمراً في الطاعات، يقول العَرْجي مصوّراً ذلك [٢]:

فلمّا أتاكَ الملكُ عفواً ولم يكــن لِطالِبِ دنيا بعدهُ من تَكَلّـــمِ
تركْتَ الذي يفنى وإن كان مونِقاً وآثَرْتَ ما يبقى برأيٍ مُصَمّـــمِ
وأضْرَرْتَ بالفاني وشَمَّرْت للـذي أمامكَ في يومٍ من الشرِّ مظلِـــمِ

ويمدح الفرزدق زياد بن الربيع [٣]، فيخلع عليه صفة العفة، فهو الذي ينزه نفسه عن ملذات الدنيا ومتعها، ولا يبتهج بإقبال الدنيا بزخرفها، ولا يجزع من نوازل الدهر ومصائبه [٤]:

أبَتْ ناقتي إلا زياداً ورغبَتــي وما الجودُ من أخلاقِهِ ببديـــعِ
فتىً غيرُ مِفْراحٍ بدنيا يُصيبُهــا ومِن نكباتِ الدّهرِ غيرُ جَـــزوعِ

ويقتضي خلق العفة الذي تحلى به أفراد المجتمع الأموي أنّ " حرم الجوار مقدّس لا يجوز خرقه وتدنيسه "[٥] ويجب حمايته والذود عنه، فيعف الجار عن جاره ولا يؤذيه، ولا ينتقصه حقه، ولا ينال من عرضه، وبهذا يمدح الراعي النميري بني عدي بن جندب، فيقول فيهم [٦]:

إذا انسلخَ الشهرُ الحرام فودِّعــي بلادَ تميمٍ وانصري أرض عامـــرِ
وأثني على الحيَّيْنِ عمروٍ ومالـكٍ ثناءً يوافيهِمْ بنجدٍ وغائـــــرِ
كرامٍ إذا تلقاهمُ عن جَنَابـــــةٍ أعِفّاءُ عن بيتِ الغريبِ المُــجاوِرِ [٧]

---

١ . جرير، ديوان جرير، ١ : ٤١٦ .
٢ . العرجي، ديوان العرجي، ص ٣٣٥ .
٣ . هو زياد بن الربيع اليحمدي، يكنى أبا خداش، ولاه الحجاج البحرين وعزله عنها سنة ٧٩هـ. انظر: العصفري، تاريخ خليفة بن خياط، ١ : ٨٠.
٤ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٩٥ .
٥ . البستاني ، بطرس(١٩٤٤)، الشعراء الفرسان، منشورات دار المكشوف، (د.م)، ص ١٠٣ .
٦ . الراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص ٢١١ .
٧ . عن جنابة : أي بعد غربة وبعد .

وقد تجلى خلق العفة وقيمتها عند الخوارج الذين ابتغوا الدار الآخرة، فأعرضوا عن متاع الدنيا وزخرفها، وعفّوا عن مباهجها ومتعها، وأصبح التكافل الاجتماعي سمة لهم، فذو الوّفْر واليسار منهم يعود على مَن لا مال له، والفقير لعفّته وصبره يبدو كصاحب المال الوفير، وهكذا هم في تكافلهم وعفّتهم، ولهذا يمدحهم عمرو بن الحسن الإباضي الكوفي[١] بقوله [٢]:

في فتيةٍ شرطوا نفوسَهُـــمُ ... للمشرَفيّة والقنا السّمْـــــــرِ
متراحمينَ : ذوو يسارهـــمُ ... يتعطّفون على ذوي الفقـــــرِ
وذوو خَصاصَتِهِم كأنّهـــمُ ... من صِدْقِ عفّتِهِم ذوو وفْـــرِ
متجمّلينَ بطيبِ خيمِهِـــمُ ... لا يهلعونَ لنبوةِ الدهـــــرِ
فكذاكَ مُثْريهم ومُقْتِرُهـــم ... أكْرِمْ بمقترهم وبالمُثْـــــري

وفي رثاء عمرو بن الحصين لأبي حمزة بن عوف الأزدي [٣] ضمن قصيدته جملة من مظاهر خلق العفة، مثل حفظ اللسان، والوفاء بالعهد ونبذ الغدر والخداع، ونزاهة النفس والانتصار على هواها وغرائزها في عسرها ويسرها، فقال [٤]:

أوفى بذمّتِهِم إذا عقـــــدوا ... وأعفُّ عند العسرِ واليُسْـــــرِ
متأهِّبون لكلِّ صالحـــــةٍ ... ناهونَ مَن لاقوا عن النّكْـــــرِ
صُمْتٌ إذا احتضروا مجالِسَهُـمْ ... وزنٌ لقولِ خطيبِهِمْ وقـــــرِ
كم من أخٍ لكَ قد فَجِعْتَ بـــهِ ... قوّامِ ليلته إلى الفجـــــرِ
ظمآنُ وَقْدَةَ كلِّ هاجِـــرَةٍ ... ترّاكُ لذّتِهِ على قـــــدرِ
ترّاكُ ما تهوى النفـــوسُ إذا ... رغبُ النفوسِ دعا إلى المـــزري
ومبرّأ من كلِّ سيّئـــــةٍ ... عفّ الهوى ذا مِرّةٍ شَـــــزْر

وهكذا كان خلق العفة ظاهرة جلية في المجتمع الأموي، انتصر صاحبها على شهوة نفسه، وكبح جماح هواها، وسيطر على غرائزها ، فحفظ لسانه من فحش القول، وصان جواره، وابتعد عن الدنايا والأطماع، وأوفى بعهده، وأبرأ ذمته، فحُقَّ له بتلك الخصال النبيلة أن يتفاخر، وانطلقت لذلك ألسن الشعراء تلهج بمديح مَن يتحلى بهذه الخلّة الكريمة.

---

[١] . هو من الموالي، وأحد شعراء الخوارج، وله قصيدة طويلة يرثي فيها الأباضية. انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ١ : ١٥.
[٢] . عباس ، إحسان، شعر الخوارج، ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .
[٣] . هو المختار بن عوف الأزدي السلمي البصري، يكنى أبا حمزة الخارجي، وهو من الخوارج الأباضية، كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مروان بن محمد، فلم يزل كذلك حتى وافى عبد الله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ١٢٨هـ. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ٤ : ٣٠٢. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢ : ٤٦٧.
[٤] . عباس ، إحسان، شعر الخوارج، ص ٢٢٤ .

- **الإبـاء والأنفة :**

إنّ حرص العربي على عزّته وإبائه يتمثل في رفضه الضيم، ونبذه القهر، وإبائه الذلَّ والهوان، وعدم تقبّله لكل ما من شأنه أن يسلبه حريّته وينتقص من كرامته، فمن استطاع رفض هذا الذلّ تمكَّن من إثبات ذاته وشخصه وسط مجتمعه، أما من يقبل الهوان ويرتضي الذلَّ فإنّه يبقى وضيعاً لا شأن له ولا قيمة، لذلك " بلغ حب العربي لحريَّته مبلغاً كبيراً، حتى إذا حاولت أن تحدّها أو تنقص من أطرافها هاج كأنَّه وحش في قفص وثار ثورة جنونية لتحطيم أغلاله والعودة إلى حريَّته" [١].

ولقد اهتم العربيّ الأبيّ في المجتمع الأمويّ بصون كرامته وصيانة حريته، ومما يؤكد صحة هذا الرأي أن أحد أهم أسباب الحروب في العصر الأموي رفض الضيم والدفاع عن الكرامة، إضافة إلى نجدة المستغيث أو المستجير، أو رداً على نقض لحلفٍ دون سبب، أو ردعاً لأحد المعتدين، وغيرها من الأسباب، فمعظم تلك الحروب والمنازعات كانت " محاماة لشرفهم، وصيانة لعزهم ومنزلتهم، ومحافظة على مجدهم أن يُسْتَذل "[٢]، فصيانة الحمى وحفظ الكرامة شأن العربي الأموي الأبي ومهمته، ولذا حرص الفرد في المجتمع الأموي على التحلي بالإباء والأنفة والعزة، يقول جرير [٣]:

لمّا رأيتُ جموعَهُمْ قدْ أَثْعَلَتْ ... أيْقَنْتُ أنْ ليْسَتْ بدارِ مُقَـــــامِ [٤]

فكَرَرْتُ مَحْمِيَةً وراءَ ذِمارِكُم ... إنَّ الكريمَ ، عن الذِّمارِ ، محامِي [٥]

إذ لا يذودُ عن الحِمَى متوكِّلٌ ... رُمِيَتْ يَدَاهُ بِفَالِجٍ وجُـــــذامِ [٦]

إن الفرد في العصر الأموي، كما يقول عفيف عبد الرحمن كان " يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل، يحارب الخصم ويقاتله قتالاً انتحارياً، وهو يعلم أحياناً تفوق خصمه عليه،

---

[١] . أمين، أحمد (د.ت)، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ص ٣٤ .

[٢] . الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٣هـ)، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٣ أجزاء، (شرحه وصححه محمد بهجة الأثري)، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى ، (د.ت)، ١ : ١٠١ .

[٣] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٤٩٠ .

[٤] . أثعلت: كثرت. والإثعال: كثرة الجماعة، وهو مأخوذ من ثَعَلَ الأسْنانَ: وهو أن يركب سنٌّ سنّاً.

[٥] . محمية: أي لأجل المنع والحماية .

[٦] . متوكّلٌ: رجل من كليب دعا عليه .

وذلك لدفع الذل الذي يحاول أن يجعله يعيش فيه "[١]، ومما يؤكد ذلك قول الوليد بن يزيد الذي يصف فيه فتية تحلَّوْا بخلق الإباء، فما رضوا بالذل، ولا قبلوا الضيم [٢]:

في فتيةٍ تأبَى الهوانَ وجوهُهُم شُمِّ الأنوفِ جحاجحٍ ساداتِ [٣]

إن يَطْلُبُوا بتِراتِهم يُعْطَوْا بهـا أو يُطْلَبُوا لا يُدْرَكـوا بِتِراتِ [٤]

وكان من جملة المفاخر التي عددها الفرزدق في خطابه لمعاوية بن أبي سفيان أنه عزيز في قومه، أبيٌ لا يرضى الضيم ولا يقاربه، فهو مَعْلَمُ شموخٍ ومحطُّ رفعةٍ في أهله، يقول [٥]:

ألستَ أعزّ الناسِ قوماً وأسـرةً وأمْنَعَهُمْ جاراً إذا ضِيمَ جانِبُـهْ

وما وَلَدَتْ بعْدَ النبيِّ وأهلِـهِ كمِثْلي حَصَانٌ في الرّجال يقـارِبُهْ

أبي غالبٌ والمرءُ صعصَعَةُ الـذي إلى دارمٍ يَنْمِي فَمَنْ ذا يُناسِبُـهْ

أنا ابن الجبالِ الشّمِّ في عدد الحصـى وعِرْقُ الثَرى عِرْقِي ، فمن ذا يُحاسِبُـهْ

وبيتي إلى جنبٍ رحيبٍ فِنـاؤهُ ومِن دونِهِ البدرُ المضيء كواكِبُـهْ

وكم من أبٍ لي يا معاوِيَ لمْ يَـزَلْ أغرَّ يُباري الرّيحَ ما ازورَّ جانِبُـهْ

لم يقبل العربي في العصر الأموي الذلَّ، كما أنه أنِفَ الضَّيم وكره الهوان، ومقت الحياة الذليلة، وفضَّل الموت العزيز عليها، وفي ذلك يقول عَقيل بن عُلَّفة المُرِّي [٦] :

هوانُ الحياةِ وضيمُ الممـاتِ وكُلّاً أراهُ طعاماً وبيـلا [٧]

فإن لمْ يكُن غيرُ إحداهُمـا فسيرُوا إلى الموتِ سَيْراً جميلا

ولا تقعُدوا وبكمُ مُنَّـةٌ كفى بالحوادثِ للمرءِ غـولا [٨]

ويؤكد أيضاً رفضه للهوان قوله [٩]:

أبى ليَ أنْ أرضَى الدَّنِيَّةَ أنَّني أمُدُّ عِناناً لمْ تَخُنْهُ الشَّكائِـمُ

---

[١] . عبد الرحمن، عفيف، (١٩٨١)، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، مجلة مجمع اللغة العربية الاردني ،٤٠(١١-١٢)، ص١٣٧ .
[٢] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد ، ص ٣١ .
[٣] . الجحاجح : جمع جحجح، وهو السيد السمح الكريم .
[٤] . التِرات: جمع الترة، وهي الثأر .
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٥٣ . صعصعة: جد الفرزدق، الملقب بمحيي الموؤودات.
[٦] .علاونة، شريف (٢٠٠٤)، عقيل بن علفة المري، سيرته وشعره، ط١، دار المناهج، عمان، ص١٠٧ – ص١٠٨ .
[٧] . الطعام الوبيل: غير المستمرأ .
[٨] . المُنّة: القوة . الغول : ما غال الشيء فذهب به .
[٩] . علاونة، عَقيل بن علفة المري، سيرته وشعره، ص ٣١ .

وبلغ الأمر بمسكين الدارمي أن يفضّل الإقامة في دار الشدة والخوف مع الكرامة وحفظ الذات على الإقامة في دار الترف والإقبال مع المذلة والهوان، وهو إنْ خاف على نفسه الذلَّ أباهُ وارتحلَ إلى حيث يمكنه حفظ كرامته وعزّته وإباء نفسه، ففي الرحيل منآة عن الذل والهوان، يقول [١]:

وربَّ أمورٍ قد بَرَيْتُ لِحاءَهـــــا وَقَوَّمْتُ من أصْلابِها ثم زِعْتُها [٢]

أقيمُ بدارِ الحربِ ما لمْ أَهُنْ بِها فإن خِفْتُ من دارٍ هواناً تركْتُها

إن دعوة العربي في العصر الأموي لصون العرض، ودفع الذل والمهانة دعوة متجددة دعا إليها الشاعر الأموي وحضّ عليها، ويتضح ذلك في قول سراقة البارقي الذي يعد نهجاً واضحاً لأخلاق المجتمع الأموي ومثله وقيمه النبيلة [٣]:

وإنْ افتَقَرْتَ فلا تكُن مُتَخَشِّعَـــــــــاً ترجو الفَواضِلَ عندَ غيرِ المُفْضِـــــلِ [٤]

وإذا كُفِيْتَ فكُن لِعِرْضِكَ صائِنـــــــــاً وإذا أجِنْتَ لِبَذْلِهِ فَتَبَـــــــــــــذَّلِ

وامنع هضيمَتَكَ الذَّليلَ ولا يُـــــــــرَى مولاكَ مُهْتضَماً وأنتَ بِمَعْـــــــزِلِ [٥]

وإذا تُنُوزِعَتِ الأمورُ فلا تكـــــــــنْ ممن يُطَأطِئُ خَدَّهُ للأسْفَـــــــــــــلِ

واعمِدْ لأعلاها فإنّكَ واجـــــــــــدٌ أحسابَ قومِكَ باليفاعِ الأطـــــــــوَلِ

إن الذل من أشد الأهوال وقعاً على الإنسان، وأكثرها إيلاماً لنفسيته وتنكيلاً بكرامته، وقد وعى إنسان العصر الأموي ذلك أتم الوعي وأدركه أكمل إدراك، يقول القتال الكلابي [٦]:

فما الشرُّ كلُّ الشرِّ لا خيرَ بعدَهُ على الناسِ إلا أن تَذِلَّ رِقابُها

ويصف القتَّال الكلابي أفراد المجتمع الأموي الذين اشرأبت أعناقهم أبيَّة تطاول عنان السماء بشموخها وعزَّتها، فهم لا يقدمون على ما يحطُّ من قدرهم، أو يدنّس كرامتهم، مثل الفرار من الغزو، الذي يجلب العار والخزي لفاعله، يقول [٧]:

طِوالُ أنْضِيَةِ الأعناقِ لم يجدوا ريحَ الإماءِ إذا راحتْ بأزْفارِ

لا يتركونَ أخاهُمْ في مُـــودَّأَةٍ يسفى عليهِ دليك الذلّ والعارِ

---

[١] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص ٢٥ .
[٢] . برى العود برياً: أي نحته. زعتها: أراد إزالتها من عصبتها، يقال: زاع لحمه، زوعاً، زال عن العصب.
[٣] . البارقي، ديوان سراقة البارقي، ص ٦١ .
[٤] . المتخشع: المتظاهر بالمسكنة.
[٥] . الهضيمة: الظلم . واليفاع : المرتفع من الأرض.
[٦] . القتال الكلابي، ديوان القتال الكلابي، ص٣٣ .
[٧] . المصدر نفسه، ص٥٥ – ٥٦. الأنضية: جمع نضي، وهو عظم العنق. الأزفار: جمع زفر، وهي الأحمال ويضرب مثلاً للرجال، فيقال: إنه لزفر، أي حمّال للأثقال. المودأة: المضيقة. الدليك: الذي دلك مرة بعد أخرى، أو هو التراب الذي تسفيه الريح.
[٧] . المودأة : المضيقة. الدليك: الذي دلك مرة بعد أخرى، أو هو التراب الذي تسفيه الريح.

ولا يفرون والمخزاةُ تقرَعُهــمْ حتى يصيبوا بأيدٍ ذاتِ أظفـارِ

ولا يعنـي الإبـاء التكبـر والغـرور، ولا يفضـي إلـى التعـالي عـن النـاس، فقد انبـرى عبـد الله بـن الزَّبِير الأسدي [١] يمدح إبـاء بشر بـن مـروان وعـزة نفسـه، فهـو كالشمس رفعـة وعليـاء، إلا أنـه قريب من الناس متواضع إليهم، فإباؤه ليس تكبراً، ولا تعجرفاً، يقول [٢]:

رأيْتُكَ كالشُّموسِ تُرى قريباً وتمْنَعُ مَسْحَ ناصيةٍ وخَـــــــدِّ

ويمتدحه سراقة البارقي أيضاً، مستخدماً التشبيه ذاته، فيقول [٣]:

أغَرُّ كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَرْوَعُ ماجِدٌ نجيبٌ عن الأعداءِ ليسَ بناكِلِ
وَضَارَبَ حتى أَقْصَدَتْهُ رِماحُهُمْ فَبُورِكتَ مِنْ وَرَّادِ موتٍ حُلاحِلِ
سَخَوْتَ بِنَفْسٍ عندَ ذاكَ عزيزةٍ علينا وأَجْلى كُلُّ وانٍ وَخـاذِلِ

وكذلك فعل الراعي النميري في مدحه لـه، وأشـار إلـى أنفتـه وعـزة نفسـه، التـي رافقتهـا خصـال طيبة أخرى تمثلت في شخصـه، فهـو كـريم معطـاء، شـجاع لا يهـاب، سـليل حسـب أصـيل، ونسـب رفيع [٤]:

وَقَدْ عَلِمَ الأقوامُ أنّكَ تشتــري جَميلَ الثنا والحمدُ أبْقى وأربَـحُ
وأنْتَ امرُؤٌ تُرْوي السِّجـــالَ وينتحي لأبْعَدَ منَّا سَيْبُكَ المُتَمَنِّحُ
وإنَّكَ وَهَّابٌ أَغَرُّ وتـــــارةً هِزَبْرٌ عليْهِ نُقْبَةُ الموتِ أصْبَـحُ
أبوكَ الذي نَجَّى بيَثْرِبَ قَوْمَهُ وأنتَ المُفَدَّى مِن بنيهِ المُمَــدَّحُ

وفي مدح كثيّر لعبد الملك بن مروان يتجلى خلق الإبـاء، فعبـد الملـك لا يقبـل خسّـةً ولا ذلـةً، بـل يدفع كل ما من شأنه أن يخدش إباءه أو ينتقص من كرامتـه وعـزة نفسـه، فسـما بـذلك إلـى أقاصـي المجد ونال الشرف والرفعة، يقول كثيِّر [٥]:

وكُنْتَ إذا نابَتْكَ يوماً مُلِمَّـــةٌ نَبَلْتَ لها آبا الوليدِ نِبالَهـــــــا

---

[١] . هو عبد الله بن الزَّبير (بفتح الزاي وكسر الباء) بن الأشيم بن الأعشى، ويختلط اسمه باسم الخليفة عبد الله بن الزُّبير بن العوام، وهو شاعر من شعراء الكوفة المشهورين بالهجاء في العصر الأموي، وهو من أسد خزيمة، كان مرهوب اللسان سريع الغضب، وكانت وفاته في حدود سنة ٧٥هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١٤ : ٢١٧. والمرزباني، معجم الشعراء، ص٤٣٩. والبغدادي، خزانة الأدب، ٢ : ٢٦٤. وابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص١٩٥.

[٢] . الأسدي، عبد الله بن الزبير (ت ٧٥هـ)، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٧٤م، ص ٧٢. وانظر شواهد أخرى: ص٨٥، ص٩١، ص١١١.

[٣] . البارقي، ديوان سراقة البارقي، ص٧٩. وانظر شواهد أخرى: ص٨٠، ص٨٨، ص١٠٠.

[٤] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٩٩ ـ ص١٠٠. وانظر شواهد أخرى: ص ١١٦ .

[٥] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص ٨٤ – ٨٥ . مصالها: أدناها، وأقلّها.

سَمَوْتَ وأدرَكْتَ العَلاءَ وإنّما يُلَقَّى عُلَيَّاتِ العُلا مَن سَما لهـــا
وصُلْتَ فنالَتْ كَفُّكَ المجدَ كلَّهُ ولم تبلُغ الأيدي السَّوامي مَصالها

وتبقى هي ذاتها المعاني التي ينطوي عليها خلق الإباء واضحة جلية في جُلِّ المدائح التي وصفت إباء الممدوح ورفعته، واعتزازه بكرامته ورفضه لكل أشكال الظلم، مع تحليه بخصال بطولية أخرى، كان من الطبيعي وجودها في أخلاق الفرد الأبي، ولذلك يأتي كثيّر عزة على ذكر تلك المعاني وتقريرها في مدحته لعبد العزيز بن مروان، قائلاً [١]:

وفيكَ ابنَ ليلى عِزَّةٌ وبسالـــةٌ وغَرْبٌ وموزونٌ من الحلمِ ثاقِـــلُ [٢]
أبأتَ الذي وُلِّيتَ حتى رأبْتَـــهُ وأنتَ لذي القربى وذي الودِّ واصلُ [٣]
وإنّكَ تأبى الضيمَ في كلِّ موطِنٍ قديماً ، وأنتَ الشّيظَمِيُّ الحُلاحِـــلُ [٤]

وثمة شواهد كثيرة يمكن أن تنظر في مظانها [٥]، تظهر بجلاء ثناء الشعراء الأمويين على الإنسان الأبي ومدحهم له، ووصفهم لممدوحيهم بالإباء والرفعة ورفض الظلم والذل وصون الحمى.

لقد هانت الحياة عند الفرد في العصر الأموي في سبيل ترفُّعه عن الدنايا والسفاسف، واستعذب الموت لأجل الرفعة والعزة، فتجلّت أنفته وكبرياؤه، وفخر بإبائه، وصونه لعرضه وذوده عن محارمه، ورفضه للضيم والهوان، فنال بذلك تقدير المجتمع وإعجابه.

- **الوفاء :**

يشير الوفاء لغويّاً إلى " الإتمام " [٦]، ويعد من الفضائل التي يحمدها الإنسان، لما له من آثار إيجابية ومنافع عديدة في حياة المجتمعات، ولتأثيره البالغ في تماسك المجتمع وترابط أفراده، وإشاعة الأمن والثقة فيما بينهم، فالوفاء " ينمي الفضيلة بين أبناء المجتمع، وهو انتصارُ للإنسان

---

١ . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص ٢٩٥ .
٢ . الغرب: الحدة والنشاط . موزون : راجح .
٣ . أبأت: جعلت له متبوأً ، أي منزلاً وكنفاً . رأب الصدع : لأمه
٤ . الشيظمي: الجسيم الفتيّ . الحلاحل : السيد الشريف .
٥ . انظر: الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص٩٥ . والكناني، نصر بن سيار (ت١٣١هـ)، ديوان نصر بن سيار الكناني، (جمع عبد الله الخطيب)، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٧٢م، ص٢٧، ص٣٧. والرقيات، عبيد بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢٨٣، ص٢٩٧ . وعباس، إحسان، شعر الخوارج، ص٨٦. وابن أذينة، شعر عروة بن أذينة، ص٨٢، ص٢٢٦، ص٢٢٨، ص٢٤٩، ص٢٥٠، ص٢٥٥، ص٣٣٥، ص٣٣٦. ونصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص٦٨، ص١١٩ .
٦ . ابن منظور، لسان العرب، مادة (وفي).

على نفسه، بعد صراع مرير يتجاذب طرفيه عاملان هما الخير في الوفاء، والشر في الخُلْفِ والغدر " [١]، كما أن للوفاء شأناً كبيراً في توحيد المجتمعات وتوثيق الصلات بين أفرادها فتشيع بينهم المحبة والمودة، فيغدو بذلك المجتمع قوياً متماسكاً، تتصاغر أمامه الأعداء، وتذل عنده الصعاب، لأن قوة المجتمعات تعتمد على نبذ الرذائل والتمسك بالقيم السامية النبيلة، أما نقيض الوفاء فهو الغدر الذي ينشر الكراهية والبغضاء، فيقطع الأواصر، ويفكك العرى، ويهدم المجتمعات.

ولقد ربط العرب الحرية بالوفاء وإتمام الوعود، والعرب تقول: " أنجز حرٌ ما وعد "[٢]، ولذلك اعتدّ المجتمع الأموي بالوفاء اعتداداً عظيماً، لأنه من القيم المثالية في عصرهم، حتى وإن كلّفهم ذلك مسؤوليات جسيمة وأعباء ثقيلة، يقول عبد الله بن معاوية [٣]:

ولَسْتَ مستبقياً أخاً لـــــكَ لا تصْفح عمّا يكون من زَلَلِـــــهْ
ليس الفتى بالذي يحول عن الـ ـعهدِ ، ويؤتى الصديقُ من قِبَلِـــهْ

ويوفي عبد الله بن معاوية بعهده، ويخلص في وده لصحبه، حتى وإن ابتعدوا عنه، إلا أنه صائنٌ لودهم، وفيٌ لعهدهم، يقول [٤]:

لسْتُ إنْ زاغَ ذو إخـــاءٍ وودٍّ عن طريقٍ بتابعٍ أثَـــــرَهْ
بل أديمُ الثناءَ والودّ حتـــى يتبع الحقَّ بعْدُ أو يـــــذَرهْ

ويقول أيضاً مبيناً مدى وفائه وصدق عهده وودّه لغيره [٥]:

أصُدُّ صدودَ امرئٍ مجمِـــلٍ إذا حال ذو الودِّ عن حالـــــهِ
ولستُ بمُسْتَعْتِبٍ صاحِبـــاً إذا جعلَ الهَجْرَ من بالِـــــهِ
ولكنني صارمٌ حبلَـــــهُ وذلكَ فعلي بأمثالِـــــــهِ
ومهما أدلَّ بحقٍّ لـــــهُ عرفتُ لهُ حقَّ إدلالِـــــهِ
وإني على كلِّ حالٍ لـــــهُ من إدبارِ ودٍّ وإقبالِـــــهِ
لَراعٍ لأحسَنِ ما بيننـــــا بحِفْظِ الإخاءِ وإجْلالِـــــهِ

---

[١] . زلط ، عبد الحليم محمود (١٩٨٤)، البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي، مجلة الدارة، العدد (٣) : ١٥٣.
[٢] . ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، (تحقيق محمد الإسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م، ٣ : ١٤٩ .
[٣] . عبد الله بن معاوية ، شعر عبد الله بن معاوية ، ص ٢١ . وانظر شواهد أخرى : ص ٣٠ ، ص٧٧، ص٨٥ .
[٤] . المصدر نفسه، ص٤٨ .
[٥] . المصدر نفسه، ص ٧٢ .

لقد تغنّى كثير من شعراء العصر الأموي بسمة الوفاء، وإنجاز العهد، وصون المواعيد، وحفظ الجوار، ودعوا أفراد المجتمع إلى أن يكون الوفاء من خصالهم، فالأوفياء يُلجأ إليهم في الشدائد، ويوفون بواجباتهم تجاه الآخرين، يقول القطامي [١]:

وإذا أصابكَ والحوادثُ جَمَّـــةً حَدَثٌ حَداكَ إلى أخيكَ الأوْثَـــــقِ
وهمُ الرّجالُ وكلُّ ذلكَ فيهِـــمُ يُجَدونَ في رَحْبٍ وفي مُتَضَيَّـــقِ
إنَّ الرِّجالَ إذا طلَبْتَ نوالَهُـــمْ منهمْ خليلُ مودّةٍ وتملّـــــــــقِ
وأخو مكارَمَةٍ على علاّتِـــهِ فَوَجَدْتَ خيرَهُمُ خليلَ المصـــــدقِ

وقد اهتم العرب في العصر الأموي بالوفاء، فدعوا إلى التحلي به بوصفه فضيلة أخلاقية سامية، ترقى بالمجتمع وتزيد من قوته وتماسك أفراده، يقول الفرزدق مستقبحاً الغدر، فهو عنده أشد وقعاً من سفك دم البريء [٢]:

فإنّا وجدْنا الغَدْرَ أعظَمَ سُبَّـــةً وأفضَحَ من قتلِ امرئٍ غيرِ مذنِـــبِ

ويؤكد جرير عمق المفارقة بين الوفي والغادر، فالأول يتحلّى بفضيلة تعود بالنفع لمجتمعه، أما الثاني فخص برذيلة تفتُّ في عضد مجتمعه وتهلكه، قائلاً [٣]:

ليتَ الزُّبيرَ بِنا تَلَبَّسَ حبْلُـــهُ ليسَ الوفيُّ لجارهِ كالغـــــادِرِ

وتظهر منزلة الوفاء وإنجاز الوعد وإتمامه جلية لدى الراعي النميري، فهي منزلة سامقة يقرُّ برفعتها الجميع، ويطال نفعها الأمم كلها، حيث يقول [٤] :

فلا يكونَنَّ موعوداً وأيْتَ بـــهِ دَيْنَاً يعودُ إلى مطَلٍ وليّـــــــانِ
واعلَم بأنّ نجاح الوعدِ منزلـــةً جليلة القدْرِ عندَ الإنسِ والجـــانِ

ولقد حُقَّ للمتوكل الليثي الفخر والاعتزاز، واستحق الشرف والمجد، لأنه وفيٌّ بعهده، فلا يغدر ولا يخون، ولذلك يقول [٥] :

خليليَّ غُضَّا اللّومَ عنّيَ إننـــي على العهدِ لا مُخْنٍ ولا مُتَـــــوانِ
سيعلمُ قومي أنني كنتُ سُـورَةً من العِزّ إنْ داعي المَنونِ دَعانـــي

---

١ . القطامي، ديوان القطامي، ص ١١١ - ١١٢.
٢ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١.
٣ . جرير، ديوان جرير، ١ : ٣١٠.
٤ . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص ٢٤٩.
٥ . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص ١٩٤. مخنن: مفحش ومفسد .

ويفخر مسكين الدارمي بوفاء قومه، وبعدهم عن الغدر والعار، وهم على ذلك حتى يموتوا، ولذلك فهم قومٌ أعزاءٌ ذوو مجد ورفعة، أحرزوا بخصالهم النبيلة الشرف والمكانة الرفيعة في مجتمعهم، يقول [١] :

في المجدِ غرَّتُنا مبيّنـــــةٌ للناظرينَ كأنها البـــــــدرُ
لا يرهبُ الجيرانُ غَدْرَتَنـــا حتى يواريَ ذِكْرَها القبـــــرُ

ولا يقتصر خلق الوفاء على إتمام الوعود، بل له مظهر آخر يتمثل في حفظ الأمانة وصونها، فالإنسان الوفي يتحمل الكثير من الصعاب من أجل الحفاظ عليها حتى يؤديها إلى صاحبها، ولما يلاقيه في ذلك من متاعب وعوائق كان يفتخر بحفظها، ولا شك فيما لذلك من أثر في حفظ المجتمع وتماسك أبنائه وتقوية أواصرهم، يقول المتوكل الليثي [٢] :

أبْلِغْ رُمَيْمَ على التّنائي أنّنـــي وصَّالُ إخوانِ الصَّفاءِ صَـــرومُ
أرعى الأمانةَ للأمينِ بِحَقّهـــا فَيَبينُ عَفَاً سِرُّهُ مَكتُـــــــــومُ

ويقول العرجي في شأن الأمانة وثقلها، حاضّاً على التحمّل والتصبّر في سبيل حفظها، فمهما لاقى المؤتَمَنُ من صعاب وجب عليه الوفاء بها وصيانتها [٣] :

وما حُمِّلَ الإنسانُ مِثْلَ أمانـــةٍ أشقَّ عليهِ حينَ يحْملُها حَمْـــلا
فإنْ أنتَ حُمِّلْتَ الأمانةَ فاصطَبِـرْ عليها ، فقد حُمِّلْتَ من أمرها ثِقْـــلا
ولا تقْبَلَنْ فيمَن رضيتَ نميمـــةً وقل للذي يأتيكَ يحمِلُها : مَهْـــلا

ويتبدى خلق الوفاء وقيمته في حماية المستجير، لأن المجير يقطع على نفسه وعداً بتوفير الحماية لمن أجار، ولابد أن يتم وعده، ولذا؛ " كان العرب يحرصون على جارهم حرصهم على شرفهم "[٤]، مما جعل أفراد المجتمع الأموي يتسابقون لإجارة من يأوي إليهم من الضعفاء والفقراء، فيكرمونهم، ويمدون لهم أيدي العون، ويقدمون لهم كل سبل الراحة، ويبذلون كل ما في وسعهم لحمايتهم، يقول عروة بن أذينة [٥]:

وجارٍ منعناهُ فَقَرَّ جَنَابُـــــــهُ ونامَ وما جارُ الذليلِ بنائِـــــــمِ
وكنَا له تُرْساً من الخوفِ يَتّقـي بنا شوكة الأعداءِ أهلِ النّقائِـــمِ

---

[١] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص ٤٤ .
[٢] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي ، ص ٧٨ . رميم: مرخم رميمة، علم إمرأة .
[٣] . العرجي، ديوان العرجي، ص ٢٩٢ .
[٤] . الجبوري، يحيى (١٩٦٨)، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، مطبعة المعارف، بغداد، ص ٦٧ .
[٥] . ابن أذينة،عروة، شعر عروة بن أذينة، ص ١١٦. النقائم : المكافأة في العقوبة .

مثّل الوفاء قيمة أخلاقية في العصر الأموي، ولذلك امتاز صاحبها عن غيره، ونال بالاتصاف بها أقاصي المجد، وارتقى إلى أعالي درجات التميز، فوجب له الثناء والمدح، حتى انبرى شعراء العصر الأموي يمدحون أهل الوفاء، لإنجازهم العهود والمواثيق، وكتمانهم الأسرار، وصونهم الأمانات، وحسن إجارتهم للمستجير، فهذا ابن قيس الرّقيات يمدح عبد الملك بن مروان، لصونه للعهود، ووفائه بالحقوق، وحمايته للمستجير [١]:

أحَلّكَ اللهُ والخليفة، بالـــــــــــ ـغوْطَةِ، داراً بها بنو الحَكَـــــمِ
المانِعو الجارَ أن يُضامَ، فمـــــا جارٌ دعا فيهِم بِمُهْتَضَـــــــــمِ
والوارثو منبرَ الخلافةِ، والـــــــ ـموفونَ، عند العهدِ، بالذِّمـــمِ
والجابرو كَسْرَ من أرادوا، وما الـــ ـكَسْرُ الذي أوْهَنُوا بِمُلْتَئِـــــــمِ

وينطوي خلق الوفاء أيضاً على صون عرض الجار، وحسن الجوار، وصدق الصداقة مع الصديق، وفي ذلك يقول الأحوص الأنصاري [٢]:

ثِنْتانِ لا أدْنو لوصْلِهِمـــا عِرسُ الخليلِ وجارةَ الجُنْـــبِ
أما الخليلُ فلَسْتُ فاجِعـــهُ والجارُ أوصاني بهِ ربّـــــي

ويقول جرير مادحاً وفاء بني رفاعة لحق مستجيرهم، وإكرامهم له أفضل الكرم، وحمايتهم له، حتى غدوا بذلك الفعل الطيب سادة يشار لهم بالبنان [٣]:

وإنَّ بني رِفاعة مِنْ تميـــــمٍ هُمُ اللّجَأ المُؤَمَّلُ والنّصيـــــرُ
هُمُ الأخيارُ مَنْسَكَةً وَهَدْيَـــــاً وفي الهيْجا كأنهمُ الصّقـــــورُ
مرائيبُ الثأى حُشُدُ المَقــارِي وُفَاةٌ حينَ لا يُوفِي خَفيـــــرُ [٤]

ويثني الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، لوفائه لمستجيريه من آل المهلب الذين فرّوا من اضطهاد الحجاج، فسليمان أوفى مجير، وخير وافٍ لمن يستجير به [٥] :

لعمري لقد أوفى وزاد وفـــاؤُهُ على كلِّ جارٍ ، جارُ آلِ المهلّـــبِ
أمرَّ لهُمْ حبلاً ، فلمّا ارْتَقَوا بـــهِ أتى دونَهُ مِنهُمْ بِدَرْءٍ ومَنْكَـــبِ [٦]

---

[١] . الرقيات، عبيد الله بن قيس ، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ١٨٨ .
[٢] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص٢٩ .
[٣] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٤٦٢ .
[٤] . مرائيب: من رأب الثأي: أصلح الفساد. الثأي: الإفساد والجراح والقتل ونحوه . المقاري: جمع مقراة، وهي القصعة يقدم الأكل فيها للضيف. الخفير: المجير.
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٩.
[٦] . أمرّ لهم حبلاً: فتله فتلاً محكماً ، وأراد بالحبل الذمة. الدرء: الإعانة. المنكب: العون.

وقالَ لهم : حُلّوا الرّحالَ ، فإنّكُـــمْ ... هَرَبْتُمْ ، فألقوها إلى خيرِ مَهْـــــرَبِ
أتَوْهُ ولم يُرْسِلْ إليهِم ، وما ألَـوْا ... عن الأمنَعِ الأوْفى الجِوارِ المُـهَذّبِ [١]
فكانَ كما ظَنّوا بهِ ، والذي رَجَـوْا ... لهُم حينَ ألْقَوْا عن حراجيجِ لُغّـبِ [٢]
إلى خيرِ بيتٍ فيهِ أوْفى مُجـاوِرٍ ... جِواراً إلى أطنابِهِ خيرَ مذْهَـــــــبِ

كما أن الوفاء للمرأة من القيم الأخلاقية التي اعتدّ بها الشاعر الأموي، ويعبر عن هذا طهمان بن عمرو الكلابي[٣] بقوله [٤] :

وإني لليلى بعدَ شيبِ مفارِقـــي ... وبعدَ تحنّي أعْظَمي لصديـــــقُ
وإني إن يلْغَى بكِ القومُ بينَهـــم ... أحاديثُ أجنيها ، عليكِ شفيـــقُ

ويمدح الكميت بن زيد الأسدي [٥] وفاء خالد القسري [٦]، وإتمامه لمواعيده، فيقول [٧] :

لا تخلِفُ الوَعْدَ إنْ وعَـدْتَ ولا ... خلفكَ للراغبين منقلـــــــبُ

وابن ميّادة وفيٌ لأم مالك وإن طال به العهد، واعتلج في قلبه الشوق [٨]:

وإنّي لمَا استوْدَعْتِ يا أمَّ مالـكٍ ... على قِدَمٍ من عهْدِهِ لكتـــــومُ
وإني على الشوقِ الذي أنا داخـلٌ ... إذا باحَ أصحابُ الهوى لكتـــومُ

وتكثر الشواهد الشعرية في دواوين العصر الأموي التي قيل بعضها فخراً بالتحلي بخلق الوفاء، والاعتداد به، والدعوة إليه بوصفه قيمة أخلاقية فضلى، وجاء بعضها الآخر مدحاً للإنسان

---

[١] . ألوا: أبطأوا .
[٢] . الحراجيج: جمع حرجوج، وهي الناقة الشديدة الضامرة. اللغب: العطاش.
[٣] . هو طهمان بن عمرو بن سلمة بن سكن، من قبيلة كلاب بن عامر بن صعصعة، شاعر من صعاليك العرب وفتّاكهم، كان زمن عبد الملك بن مروان، وكان أبوه سيد قومه، توفي سنة ٨٠هـ. انظر: البكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ١ : ١٣٦. والزركلي، الأعلام، ٣: ٣٣٤ – ٣٣٥.
[٤] . الكلابي، طهمان بن عمرو (ت ٨٠هـ)، ديوان طهمان بن عمرو الكلابي، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م، ص ٢٣ .
[٥] . هو الكميت بن زيد بن خنيس بن مجالد، من أسد خزيمة، كان خطيباً لهم، وفقيهاً للشيعة، شاعر الهاشميين، من أهل الكوفة، أشهر شعره الهاشميات، قال أبو عبيدة: لو لم يكن لبني أسد منقبة غير الكميت لكفاهم، كان عالماً بلغات العرب خبيراً بأيامها، راوياً لعدد كبير من الشعراء القدامى، وكان من المعلمين المشهورين في العصر الأموي، وكانت وفاته سنة ١٢٦هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٥٦. والمرزباني، معجم الشعراء، ص٣٧٨. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥ : ٣٢٠. والزركلي، الأعلام، ٦ : ٩٢ – ٩٣.
[٦] . هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، يكنى أبا الهيثم، أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم، توفي سنة ١٢٦هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٢٢، ص٢٢. وابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م، ٢ : ٢٢٧. والزركلي، الأعلام، ٢ : ٢٩٧.
[٧] . الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ١ : ٨٤ .
[٨] . ابن ميادة ، شعر ابن ميادة ، ص٩٧ .

الوفي وثناءً عليه، كونه شخصية خلوقة ذات خصال لا يحوزها غيره، وقيل غيرها في رثاء الوفي، وأشار غيرها إلى ذم الخائن الغادر، والتبرئ منه ومن فعلته [١].

- **الحِلْم :**

تحتشد في شخصية الأموي جملة من القيم الخُلُقية، وتتجسد تلك القيم السامية في أفعاله ودعواته وممارساته، ومن تلك القيم النبيلة والأخلاق الكريمة الحلم، فالإنسان الحليم ينصر المظلوم، ويدفع الشر، " ويتخذ من ضبط النفس والصبر أولى خطوات دفع الشر، ثم هو يصفح عن المعتدي ويبتدر إلى المكرمات، وفي الساعة العصيبة تتلاشى أحقاده، بل يسمو على عنف الغريزة البشرية" [٢]، إنه يعمد إلى الهدوء والاتزان، وينصرف عن الغضب والنزق والطيش، يصفح الصفح الجميل، صفح المقتدر الحليم، وليس صفح الخنوع أو الذلة أو الضعف، بل هو صفحٌ يتسامى عن الصغائر، ويتعاظم عن الجهلة، ويربأ بصاحبه عن الإحن والأحقاد، يقول معاوية بن أبي سفيان[٣]:

رأيتُ كِرامَ الناسِ إن كُفَّ عنهـــمُ بحلمٍ رأوا فضلاً لمن قد تَحَلَّمــا
ولا سيما إن كان عفواً بقـــــدرةٍ فذلك أحرى أن يُجَلَّ ويعظُمـــا

إن الحليم ليس ضعيفاً ولا متخاذلاً، إنما يعفو عن الزلات تكرّماً وفضلاً منه، وسعةً في صدره، يوضّح ذلك قول معاوية بن أبي سفيان [٤]:

عفوتُ عن جهلِهم حلماً ومكرمةً والحلمُ عن قدرةٍ من أفضلِ الكرمِ

وبقدر سعة صدر الإنسان الحليم، ومدى تحمله سفه الآخرين، والتجاوز عن عثراتهم، يستحوذ على احترام الناس ومحبتهم، ويمتّن علاقاته معهم، يقول النعمان بن بشير الأنصاري [٥]:

إذا يزنُ الناسُ أحلامَهُـــمْ وجدْتهُمْ رُجُحَ المُخْتَفَــلْ [١]

---

[١] . انظر: جرير، ديوان جرير، ١ : ٢٥٨ ، ٢ : ٨٥٨ ، ٢ : ٦٢٤ ، ١ : ٤٤٣ ، ١ : ٢١٢. والفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ص١٩، ص٢١، ص٢٦٧ . الرقيات، ابن قيس ، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ١٩٢،٢٧٣ . والأخطل، شعر الأخطل، ص ٢٧٥ . والخزاعي، كثير عزة، ديوان كثير عزة، ص١١٢، ص١٢٢، ص١٢٩، ص١٧٧، ص١٩٧، ص٢١٦، ص٢٤٣، ص٤٠٦، ص٤٣٠. ومسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص٢٨، ص٥٢ . وعباس، إحسان، شعر الخوارج ، ص٢٦ ، ص٢٩، ص٣٨، ص٨٥ . والكناني، نصر بن سيار، ديوان نصر بن سيار، ص ٤٢. والمخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص٥٢ .

[٢] . فالح، جليل (١٩٨٠)، البطل في شعر الحماسة ، مجلة آداب الرافدين، العدد (١٤)، ص ٢٥٢ .

[٣] . خماش، نبال تيسير (١٩٨٤)، شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي، مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان، ص ٩٨ .

[٤] . المصدر نفسه، ص ٩٩ .

[٥] . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ص١١١.

فالحلم يسمو بالنفس عن الصغائر، ويترفع بها عن السفاسف، ولا يلحقه من ذلك ضرر أو خسران، بل ينال الحظوة والرفعة بين الناس، وهذا ما يراه الأخضر اللهبي [٢]، إذ يقول [٣] :

زَعمَ ابنُ سلمى أنَّ حِلْمي ضَرَّ بي ... ما ضرَّ قبْليَ أهْلَهُ الحِلْـــــمُ
إنّا أناسٌ من سجيَّتِهِـــــــمْ ... صِدْقُ الحديثِ ، ورأيُهُمْ حَتْـــمُ
لَبِسوا الحياءَ فإنْ نَظَرْتَ حَسِبْتَهُمْ ... سَقِموا ، ولمْ يمْسَسْهمُ سَقَـــمُ
إنِّي وجدْتُ العُدْمَ أكْبَـــــــرُهُ ... عُدْمُ العُقولِ ، وذلك العُـــــدْمُ
والمرءُ أكْثرُ عيبِهِ ضَـــــــرراً ... خَطَلُ اللّسانِ ، وصمْتُهُ حُكْـــمُ

والإنسان الحليم يقابل سقطات الآخرين بصفحه، ويرد على زلاتهم بسماحته، ويقابل هَنَاتِهم بعفوه، فيرده حلمه عن جهل الآخرين، ويتجاوز بسعة صدره عن أخطائهم، وهذا ما كان عليه الفرزدق، إذ يقول [٤] :

وإتي ليَنْهاني عنِ الجهلِ فيكُـــمُ ... إذا كِدْتُ ، خَلّاتٌ من الحلمِ أربعُ :
حياءٌ وبُقْيا واتِّقاءٌ ، وإنـــــني ... كريمٌ فأعطي ما أشاءُ وأمنـــــعُ
وإنْ أعْفُ أستبْقي حُلُومَ مجاشعٍ ... فإن العصا كانت لذي الحلم تُقْرَعُ [٥]

وكذلك يعُدُّ عروة بن أذينة الحلم مكرمة وفضيلة، والتخلّق به يحفظ الصلات والأرحام، ويوطّد العلاقات ويوثق الأواصر، يقول [٦] :

ولكن نرى الحلمَ فضلاً ولا ... نحاوِلُ قطْعَ الأصولِ اجتِثاثـــــا

ويرى سابق البربري أن خصلة الحلم لا تفضلها سجية، وأنها ترتفع بصاحبها إلى مراتب العلا وتجلب له الثناء والتبجيل [٧]:

أخْمِدْ بِحِلْمِكَ ما يُذْكيهِ ذو سَفَـهٍ ... من نارِ غيظِكَ واصْفَحْ إنْ جنى جانِ
فالحِلْمُ أفْضلُ ما ازْدانَ اللبيبُ به ... والأخذُ بالعفوِ أحلى ما جنى جـــانِ

---

[١] . رجح: ثقال الرجاحة والحلم. المحتفل: مجتمع القوم.
[٢] . هو الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب، من قريش، شاعر من فصحاء بني هاشم، كان معاصراً للفرزدق والأحوص وله معهما أخبار، وهو أول هاشمي مدح أموياً بعد ما كان بينهما، وكان شديد السمرة، ولذا؛ قيل له: (الأخضر)، و(اللهبي) نسبة إلى أبي لهب، توفي سنة٩٥هـ. انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ص٣٠٩. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٣٥. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٧٠٠ – ٧٠١. وابن حزم جمهرة أنساب العرب، ص٧٢. والزبيري، نسب قريش، ص٩٠. والزركلي، الأعلام، ٥ : ١٥٠.
[٣] . الأخضر اللهبي، الفضل بن العباس بن عتبة الهاشمي القرشي (ت٩٥هـ)، شعر الأخضر اللهبي، (جمع محمود أبو الخير)، دار الفرقان، عمان، ١٩٩٣م، ص٧٣ .
[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ :٤٠٣ .
[٥] . ذو الحلم: عامر بن الظرب العدواني، حكم أسنّ فخشي أن يضل في أحكامه فقال لبعض بنيه أن يُقرع له العصا ينبهه إذا أخطأ .
[٦] . ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص ٣٠ .
[٧] . البربري، أبو سعيد سابق بن عبد الله (ت١٠٠هـ)، شعر سابق بن عبد الله البربري، (جمع بدر أحمد ضيف)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٣٩ .

إن الحلم نقيض للسفه والحنق، لأن صاحبه يُعْمِلُ عقله ويضبط نفسه، ويملك هواه، وهذه خصال أخلاقية لا تتيسّر لأي إنسان، ولذلك كان الحلم مدعاة للفخر ومجلبة للمدح والإعـــجاب، كما كان الحلم وما يتضمنه من رحمة وعطف وترفّق مدعاة لمدح بشر بن مروان، فقال فيه عبد الله بن الزَّبِير الأسدي [١] :

أقام لنا الدينَ القويمَ بحِلْمِـهِ ورأيٍ له فضْلٌ على كلِّ قائِلِ
حليمٌ على الجُهَّالِ مِنّا ورحمةٌ على كلِّ حافٍ من مَعَدٍّ وناعِلِ

إن حلم الإنسان وأناته يكونان مع من يستحق الحلم، أما الحلم عن الأعداء فيُفْهَمُ ضعفاً وتخاذلاً، فالإنسان الأموي الحليم يترفق وقت الرفق، أما في وقت الشدة فهو صعب المراس، لا يعفو عن عدو غادر، ولا يحلم عمن لا يستحق حلمه، وكذلك فإنّ بني أمية كما يصفهم الأخطل [٢]:

بيْضٌ مصاليتُ ، أبناءُ الملوكِ ، فلن يُدْرِكَ ما قدَّموا عُجْمٌ ، ولا عَـرَبُ
إن يَحْلُموا عنكَ فالأحلامُ شيمَتُهُـمْ والموتُ ساعةَ يَحْمى منْهُمُ الغضَبُ
كأنَّهُمْ ، عند ذاكُمْ ، ليسَ بينَهُـــمُ وبين مَنْ حاربوا قُرْبى ، ولا نَسَبُ

وأعجب الفرزدق بحلم بني المهلّب فأطلق لسانه يمتدحهم ويثني عليهم بقوله [٣] :

غَلَبوا بأنـهمُ الفوارسُ في الوَغَى والأكثرونَ غداةَ كُلِّ كِثَارِ
والأحلَمونَ إذا الحُلُومُ تهزهزت بالقومِ ليسَ حُلومُهُمْ بصِغارِ

إنّ الترفع عن الخنا حِلْم، ولا سيما إذا كان عن قدرة واستطاعة، والحليم يربأ بنفسه عن الخوض في التوافه والمنكرات، وينزه نفسه عن الفواحش والرذائل، فرصانته واتزانه يمنعانه من ذاك كله، كما يقول ابن قيس الرقيات [٤]:

تَخالُهُمُ لِلْحِلْمِ صُمَّاً عن الخَنـــا وَخُرْسَاً عن الفحشاءِ عندَ التَّهَاجُرِ
وَمَرْضى إذا لوقوا ، حياءً وعِفّةً وعندَ الحِفاظِ كالليوثِ الخَـــوادِرِ

---

[١] . الأسدي، عبد الله بن الزبير، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، ص ١١٢. ومعد: هو معد بن عدنان، أبو قبائل الشمال، وقد أراد العرب هنا.
[٢] . الأخطل، شعر الأخطل ، ١ : ٨٥ . والمصاليت: جمع منصلت، وهو المسرع إلى الأمور.
[٣] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٠٧ .
[٤] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص ٣٢١ .

ويعبر سراقة البارقي عن المعنى ذاته، واصفاً الإنسان الحليم الذي ينبع حلمه من قوة واتزان ورجاحة عقل، فهو يغالب غيظه، ويكبح ثورة غضبه، ويطفئ نار انفعاله بالابتسامة التي تنم عن حلم واسع، وتعقل حصيف، وتأنٍ لا يتصف به إلا الحليم، يقول سراقة [١] :

لمن لا يخافُ القومُ سَقْطَةَ رأيِهِ إذا زاغَ أصحابُ الحُلومِ العَوازِبِ [٢]

وسائِلُهُ مُعْطَى الجَزيلِ ولم تكـن تُهَيِّبُهُ قِدْمَاً عِظامُ المواهِـــــبِ

وكانَ هيوباً للفواحِشِ كلِّهـــــا وليسَ لأبطالِ الرِّجالِ بهايِـــــبِ

لقد عُدَّ خلق الحلم في العصر الأموي سجية طيبة، يحبِّذها المجتمع، ويحضُّ أبناءه على التحلي والاتصاف بها، فقد كانت العرب تقول فيه: " الحلم مطّيةٌ وطيئة تبلّغ راكبها قاصية المجد، وتملّكه ناصية الحمد"[٣]، ولذلك كان الإنسان الحليم شخصية متميزة تستحق المدح والثناء، فأثنت عليها ألسن معظم شعراء العصر الأموي، فهذا العرجي يمدح حلم أحدهم، فيقول [٤]:

لهُ رغبَةٌ في أمرِهِ وتَجَرُّدٌ حليمٌ لدى جَهْلِ الجَهولِ وقورُ

فَرَجِّ الفتى ما دام يحيا فإنّهُ إلى خيرِ حالاتِ المنيبِ يصيرُ

والمتتبع للشعر الأموي يجد أنه حفل بالأشعار التي تحضُّ على خلق الحلم، وتدعو أفراد المجتمع إلى التحلي به، كما أنه يجد الكثير من الأشعار التي قيلت في مدح الحليم والثناء عليه، وقد أكثر الشعراء من ذكر الحلم والتوقف عنده، فمن " أشرف نعوت الإنسان أن يدعى حليماً، لأنه لا يدعاه حتى يكون عاقلاً وعالماً ومصطبراً محتسباً وعفوّاً وصافحاً ومحتملاً وكاظماً، وهذه شرائف الأخلاق وكرائم السجايا والخصال "[٥]، ولذلك ظل خلق الحلم مضمار سباق بين أبناء العصر الأموي يحرصون على التحلي به، ويتفاخرون بالاتصاف به، ويمتدحون الناس الحلماء، وقد أسهم الإنسان الحليم في تماسك الجماعة، وولد بين أفرادها التآلف والمحبة، وأبعدهم عن الأحقاد والضغائن، وعمل على لمِّ الشمل، وإصلاح ذات البين، ونشر معاني الرفق والعطف بين أفراد قومه.

---

[١] . البارقي، سراقة، ديوان سراقة البارقي، ص ٨٦ .
[٢] . العوازب: الشوارد .
[٣] . النويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (ت٨٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م، ٦ : ٥٠.
[٤] . العرجي، ديوان العرجي، ص ٢٣٠ .
[٥] . النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٦ : ٥٠ .

- **الكرم:**

يعد الكرم من الفضائل والقيم العربية، لأن الحياة القاسية جعلت الإنسان يتصارع معها باستمرار ليوفر لنفسه وعائلته أسباب البقاء والحياة، فيظهر الكريم بصورة المنقذ في هذه الحياة، الذي يوفر لإنسانها ما يحتاجه من رزق للبقاء، وكان لزاماً بعدها أن يعد الكريم إنساناً ذا خلق طيب رفيع، ذلك أن الكرم فيه معنى الإيثار، ويقال: " مآثر العرب مكارمها " [١]، فالكريم يفضل غيره على نفسه، ويصارع نفسه ويعلو على شهواتها " فيقمع شره نفسه، ويتغلب على شحّها، ليؤثر غيره على نفسه أو يشركه في خيره " [٢].

وتسابق أهل العصر الأموي للاتصاف بهذه الخصلة والامتياز بها، فجعل منها ذلك راية خفاقة يتنافسون للانضواء تحت لوائها، ومزية هامت بها النفوس إلى أن أصبحت " سجية متأصلة في نفوسهم، فهم يلقون الضيف بالبشر والترحاب ويبذلون له أجود ما لديهم من طعام" [٣] وغيره مما هم في أمس الحاجة إليه، لكنهم ينفقون مالهم ويبذلون متاعهم ونفائسهم ويقدمونها لمن يعرفون ومن لا يعرفون، وهم بتأدية واجبهم هذا على أكمل وجه لفي غاية السرور والغبطة، لا يمنّون بما عندهم ولا يتبعون ما أنفقوا منّاً ولا أذى .

وقد رفدت الفتوح والغزوات بني أمية بما يحتاجون إليه من الأموال، فكثر الأجواد الذين ينثرون أموالهم يميناً وشمالاً يطلبون بها حسن الذكر والأحدوثة، وكما أُمْتُدِحَ الكريم لكرمه، فقد ذُمَّ البخيل لبخله، كما أن التغيرات في الحياة الاجتماعية والاقتصادية وما أحدثته من معطيات جديدة في المجتمع الأموي رفعت من شأن المال، فالحياة لا ترحم، وليس هناك رزق يأتي من حيث لا يحتسب الشخص، فإما أن تجد المال فتعيش هادئ البال قرير العين، وإما أن لا تجده فتعيش تعِساً محروماً، " ومن هنا ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية واحتل جوانب غير قليلة منها، فقد كان أساسياً في حياة الناس، فطبيعي أن يكون أساسياً في فنِّهم وشعرهم "[٤]، فالمال دعامة هامة من دعائم الحياة، وبذله في وجوه الخير فضيلة.

---

[١] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرم).
[٢] . الحوفي، أحمد محمد، (١٩٥٢)، الحياة العربية من الشعر االجاهلي، ط٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ص٣٢ .
[٣] . الجبوري، يحيى، الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي، ص ٦٢ .
[٤] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ١٣٤ .

إن المـال هـو أداة الكـرم، وبإغداقـه علـى المحتـاج المعسِـر، وبذلـه لسـد حاجـات المحـرومين المعوزين ضمان لسلامة المجتمع وأهله، وفي ظل تلك الحاجة الملحّة للمال كان إنفاقه والجود بـه خصلة تستحق الفخر بها، فالفرزدق اعتاد إكرام ضيوفه فهو ينحر لهم أجود النوق، يقول [١]:

وَسارٍ قتلتُ الجوعَ عنه بضرْبـةٍ ... أتانا طَرُوقاً ، بالحُسامِ المهنّـــدِ
على ساقِ مِقْحَادٍ جعَلْنا عَشـاءَه ... شطائبَ من حُرِّ السنامِ المُسَرْهَـدِ
وطارقِ ليلٍ قدْ أتاني وَسَاقَـهُ ... إليَّ سَنَا ناري وكَلبٍ مُعَـــوَّدِ
وَمُسْتَنْبِحٍ أوْقَدْتُ ناري لصَوْتِـهِ ... بلا قمرٍ يَسري وَلا ضَوْءِ فرقَـــدِ
ونارٍ رفعناها لمن يبتغي القِـرى ... على مُشْرِفٍ فوقَ الجَرَاثيمِ موقَـدِ[٢]

إن الكريم مَن يتقي ذمَّ نفسه من خلال إيثاره وكرمـه، فهذا طريق كل مَن يريد الذكر الحسن والمكانـة الرفيعـة بين قومـه، لأن البخل مذمَـة والشحّ منقصـة للإنسـان، والإنسـان الذي يلتزم قيم المجتمع ومثله لا يضيره أن يهين ماله، ويبذله في سبيل ذلك مما قل منـه أو صـغر، ويتضـح هذا المعنى في حوار أعشى همدان [٣] مع زوجه، إذ يقول [٤] :

قالت تُعاتبني عِرْسِي وتسألُنـــي ... أينَ الدراهمُ عَنّا والدَّنانيـــــرُ
فقلتُ أنفقتُها والله يُخْلِفَهَـــــا ... والدّهرُ ذو مرَّةٍ عُسْرٌ وميســـورُ
إن يرزق الله أعدائي فقد رُزِقـت ... من قبلهم في مراعيها الخنازيـــر
قالت فَرِزْقَكَ رزقٌ غيرُ مُتّســـعٍ ... وما لديكَ من الخيراتِ قِمْطيـــــرُ

إن الإنسان الكريم لا يقف عند حدود بذل المال وحسب، بل يستقبل ضيفه أحسن استقبال، فيبش في وجهه، ولا يمن عليه بما قدم له، ويتضح هذا المعنى لدى مسكين الدارمي إذ يقول [٥]:

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رَحْلـــهِ ... ويخصبُ عندي والمحلُّ جديـــبُ
وما الخصب للأضيافِ أن يكثر القـرى ... ولكنّما وجه الكريم خصيـــبُ

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١: ١٤١ – ١٤٢ . المقحاد: الناقة العظيمة السنام. شطائب: قطع اللحم المشرحة طولا. المسرهد: السمين.
[٢] . الجراثيم: جمع جرثومة، وهي التراب المجتمع في أصول الشجر، وأراد هنا الظاهر المرتفع.
[٣] . هو عبد الرحمن بن الحارث بن نظام بن جشم الأعشى الهمداني، يكنى أبا المصبح، أحد الفصحاء المفوّهين، وهو شاعر اليمانيين بالكوفة، وفارسهم في عصره، كان أحد الفقهاء القرّاء، وكان من الغزاة في أيام الحجاج، غزا الديلم وله شعر كثير في وصف بلادهم ووقائع المسلمين معهم، ولما خرج عبد الرحمن بن الأشعث انحاز أعشى همدان إليه واستولى على سجستان معه، وقاتل رجال الحجاج الثقفي، فقتله الحجاج سنة نيّف وثمانين للهجرة. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٦ : ٤١. والمرزباني، الموشح، ١ : ١٥٥. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٦ : ٦٥. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤ : ١٨٥. والزركلي، الأعلام، ٢ : ٣١٢.
[٤] . الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، الحيوان ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،(د.ت)، ٧ :٦٢ .
[٥] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص٢٤ .

ويؤكد ذلك في موضع آخر بقوله[١] :

إذا متَّ فانعيني لأضياف شُـــقَة ... رمى بهم داج بهيم الغياطـــــل [٢]
يَشِبُّ لهم ناري فيُعْرَفُ ضوؤهـــا ... ويحتلُّ بيتي بالفضاءِ المقابـــــلِ
ولستُ بوقّافٍ إذا الخيلُ أسرعـــت ... ولستُ بعبّاسٍ إلى الضيف باســلِ [٣]
ولكنهُ يلقاهُ مني تحيـــــــــةَ ... ويأتيهِ قبل العذر بذلي ونائلـــــي
ويلقاهمُ وجهي طليقاً وعاجـــلاً ... قرايَ ومن خير القرى كل عاجــلِ

ويُضفي سراقة البارقي على قومه طائفة من الصفات الطيّبة والخلال الحسنة، فهم أهل منعَة ونجدة وحسب رفيع وشرف تليد، ويتوقف عند كرم قومه وسخائهم في وقت الجدب والقحط، حتى نالوا بهذا الفعل المجد والرفعة [٤]:

أخْبِرْتُ عن قومي بِعِزَّ حاضِـــرٍ ... وقيامِ مجدٍ في الزمـــــانِ الأولِ
ومآثرٍ كانتْ لهمْ معلومـــــــةٍ ... في الصالحينَ وسُؤدُدٍ لم يُنْحَـــلِ
الدافعينَ الذمَّ عن أحسابِهـــــمْ ... والمكرمينَ ثَوِيِّهِمْ في المنـــزِلِ [٥]
والمُطعِمينَ إذا الرّياحُ تناوَحَـــتْ ... بِقَتَامِها في كلِّ عامٍ ممـــــحِلِ[٦]
المانعين من الظّلامَةِ جارَهُـــمْ ... حتى يَبِينَ كسَيِّدٍ لم يُبْـــــتَلِ [٧]
والخالطينَ دَخيلَهُمْ بنُفوسِهِـــمْ ... وَذَوِي بقيَّةِ مالِهِمْ في العُيَّـــلِ [٨]
وترى غَنِيَّهُمُ غزيراً رِفْـــــدُهُ ... وفَقيرَهُمْ مِثْلَ الغنِيِّ المُفْضِـــلِ
وترى لهمْ سِيْمَى مُبيناً مجدُهـــا ... غلبوا عليها الناسَ عند المَحْفَـلِ [٩]

إن فضيلة الكرم مطمح الأقوام، باكتسابها يتفاخرون، وبالاتصاف بها تعلو مراتبهم بين القبائل، ولهذا كان للأخضر اللَّهبي الحق بأن يفخر بسمو مرتبة قومه بين الأقوام، فيقول [١٠]:

وسُمِّيْنا الأطايِبَ من قُرَيـــشٍ ... على كرمٍ ، فلاط بنا وطابـــا
وأيُّ الخيرِ لم نسبِق إليـــهِ ... ولم نَفْتح بهِ للناسِ بابَـــــا

---

[١] . المصدر نفسه، ص ٥١. وانظر شواهد أخرى: ص٤٤ ، ص٤٥ ، ص٥٨، ص٥٩.
[٢] . الغياطل: ظلمات الليل.
[٣] . الباسل: الوجه العبوس الشديد .
[٤] . البارقي، سراقة ، ديوان سراقة البارقي، ص ٦١- ٦٢ .
[٥] . الثوي: بمعنى الضيف هنا.
[٦] . تناوحت: استقبل بعضها بعضاً . القتام: الغبار .
[٧] . لم يتبل: لم يؤخذ منه التبل، أي أنه منيع لم يؤخذ منه ثأر لمنعة جواره. .
[٨] . الدّخيل: الضيف. العيّل: المفتقرون .
[٩] . السيمى: العلامة.
[١٠] . الأخضر اللّهبي، شعر الأخضر اللهبي، ص٤٩. وانظر شواهد أخرى: ص ٥٨ .

لقد دفع طلب الذكر وحسن الأحدوثة، وطيب الثناء، واجتلاب المكانة المرموقة، وخوف الذم والتشهير بين القبائل خلفاء بني أمية ليجودوا بعطاياهم لكل مجتدٍ، ولهذا مدح الشعراء الخلفاء لكرمهم وجودهم، فهذا الأخطل يمدح كرم عبد الملك بن مروان قائلاً [١]:

إلى مؤمِنٍ تجلو صحيفةُ وجههِ بلابِلَ تَغْشَى من همومٍ ومِن كَرْبِ
مناخُ ذوي الحاجاتِ يستمطِرونَهُ عَطاءَ كريمٍ من أَسَارى ومن نَهْبِ

والممدوح في جوده وكرمه يفوق الفرات في فيضانه، وهي صورة مألوفة عند الشعراء، إذ كثيراً ما صوّر الشعراء كرم ممدوحيهم وكثرة عطاياهم بالنهر حال تدفّقه وفيضانه، يقول الأخطل[٢]:

وما الفراتُ إذا جاشتْ غوارِبُـــــهُ في حافَتيه وفي أوساطهِ العُشَــرُ
وزَعْزَعَتْه رياحُ الصيفِ واضْطَرَبَـتْ فوقَ الجآجِئِ من آذِيِّهِ غُـــدُرُ
مُسْحَنْفَرٌ من جبالِ الرومِ يستُـــرُهُ منها أكافيفُ فيها دونَـــهُ زَوَرُ
يوماً بأجودَ منهُ حينَ تسألُـــــهُ ولا بأجْهَرَ منهُ حين يُجْتَهَـــــرُ

ويصف الفرزدق سليمان بن عبد الملك لكثرة كرمه وسخاء عطائه بالمطر الذي يغيث الناس في سني القحط والجدب، فيصلح حالهم ويسدُّ عوزهم، ويرد فقرهم، يقول [٣]:

سليمانُ غَيْثُ الممحلينَ ومَنْ بـــه عن البائسِ المِسْكين حُلّت سلاسِلُـــهْ
وما قام مُذْ مات النبيُّ محمـــــدٌ وعثمانُ فوقَ الأرضِ راعٍ يُعادِلُـــهْ
أرى كلَّ بَحْرٍ غيرَ بحْرِكَ أصْبَحَـت تشقّقُ عن يَبْسِ المعينِ سَواحِلُـــهْ

إن سمة الكرم في الإنسان تستوجب له المدح والتقدير والاحترام، وتجعله محط أنظار قومه، وتضمن له درجة المتفوق عنهم، المتميز بينهم، لذا؛ يمتدح جرير كرم الحجاج بن يوسف وأهله، فهم كرماء أسخياء، انمازوا بكرمهم وفضلهم في الوقت الذي بخل فيه غيرهم، يقول فيهم [٤]:

---

[١] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٩ . وانظر شواهد أخرى: ص١٣، ص٦٤، ص٨٦، ص١٤٣، ص٢٠٢، ص٢٢٣، ص٢٢٤، ص٢٥٢، ص٢٦٣، ص٢٦٤، ص٢٨٩- ٢٩٠ .

[٢] . المصدر نفسه، ١ : ٥٤. الغوارب : الأمواج، والعشر: الشجر. زعزعته: حرَّكته. الجآجئ: جمع جؤجؤ، وهو الصدر. الآذيّ: الموج. الغدر: جمع غدير. المسحنفر: الماضي السريع الممتد، وقيل: الكثير الصبِّ الواسع. أكافيف الجبل: حروفه الناتئة في أعراضه، زور: ميل.

[٣] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٨٧ . وانظر شواهد أخرى : ج١ ، ص٥٤، ص٦٢- ص٦٣، ص٦٥- ص٦٦، ص١٤٤، ص١٤٨، ص١٧٠، ص١٧٩، ص١٨٥، ص٢١٣، ص٢٢١، ص٢٢٥، ص٢٢٨، ص٢٣٣، ص٢٨٢، ص٢٩٨، ص٣١١، ص٣٢٩، ص٣٣٢، ص٣٣٦، ص٣٤١، ص٤١٢، ص٤٠٦ .

[٤] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٢٤٧. وانظر شواهد أخرى : ٢ : ٧٤١ ، ١ : ٣٤٩ ، ١ : ٥٠٨ ، ١ : ٢٩٠ ، ٢ : ٧٤٥. اليفاع: المرتفع من الأرض. المرقب: المكان العالي المشرف .

وإذا المجاورُ خافَ من أزمانِـــهِ كَرْبَاً ، وحَلَّ إليكُمُ لم يُكْـــــرَبِ
فاتْفَحْ لَنا بِسِجالِ فضلٍ منكُـــمُ واسْمَعْ ثَنائي في تلاقي الأرْكُـــبِ
آباؤكَ المُتَخَيَّرون أولو النهـــى رفعوا بناءَكَ في اليَفاعِ المَرْقَـبِ
تَنْدى أكفّكُمُ بخيرٍ فاضـــــلٍ قِدْماً إذا يَبِسَتْ أكفُّ الخُيَّـــــبِ

ومن خصال الإنسان الكريم إطعام الضيف وإكرامه والترحاب به، والتهلل في وجهه، كما أن الإنسان الكريم يؤثر بما عنده ضيفه ويختار له أسمن الإبل وأجودها، يقول ابن قيس الرقـيات[١]:

يُطْعِمونَ السَّديفَ من قَحَد الشّـوْ لِ مَن آوَتْ إليهمُ البطحـــاءُ [٢]
في جِفَانٍ كأنّهُنَّ جـــــوابٍ مُتْرَعاتٍ كما تفيضُ النَّهـــاءُ [٣]
وَهُمُ المُحْتَبونَ في حُلَلِ اليُمْـــــ ـنَةِ فيهمُ سماحة وبهـــــاءُ
أقسموا لا نزالُ نُطْعِمُ ما هَبَّـــــ ـتْ رياحُ الشَّمالِ والأصْبـــاءُ

فهم يطعمون في وقت الشدة والجدب إذا هبّت رياح الشمال ونفقت الماشية، وهم لكرمهم وجودهم يملأون جفانهم الواسعة بالسديف.

إن الإنسان الجواد يتسامى على شح النفس، ويطغى على حبِّها للمال، ويقهر شهوتها ويكبح جماحها، فهو من رحمة الله بالأرض، وهذا ما يراه أبو دَهْبَل الجمحي[٤] في ابن الأزرق[٥]، فهو لا لا يرد السائل ولا يحرمه، ويطال خيره وكرمه الجميع، فَعُدَّ لذلك رجلاً كريماً جواداً، حُلْوُ الشَّمائل، كثير الفضائل، حسن الأخلاق والأفعال، فيمدحه قائلاً [٦]:

وما كنتَ إلا رحمةَ اللهِ أُرْسِلَتْ لِهَلْكَى قريشٍ لا بخيلاً ولا خبا
فلو كان ما تعطي رياءً تنازعت به خلجات البخل يَجْذِبْنَهُ جَذْبَا

ولم يكن الإنسان الكريم في العصر الأموي جواداً في الرّخاء وحسب، بل في أوقات الجدب والقحط، ولا سيما في فصل الشتاء، فهنا تبرز قيمة التضحية والبذل، وذاك كان صنيع آل المهلّب،

---

[١] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، شعر عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٨٧. وانظر شواهد أخرى: ص١٨٨، ص٢٠٩ ، ص٣١٠ .
[٢] . السديف: السّنام، وقيل شحمه، والقحد: أصل السنام. الشّول من النوق: التي خفَّ لبنها وارتفع ضرعها، وأتى عليها سبعة أشهر من يوم نتاجها أو ثمانية، فلم يبق في ضروعها إلا شول من اللبن، أي بقية ثلث ما كانت تجلب جِدثانَ نتاجها، وواحدها شائلة
[٣] . الجفان: جمع جفنة، وهي أعظم ما يكون من القصاع. الجوابي: جمع جابية، وهي الحوض الضخم. النهاء: جمع نهي، وهي الغدير.
[٤] . هو وهب بن زمعة بن أسد بن جمح، أحد الشعراء العشاق المشهورين، من أهل مكة، جمع إلى الطبع التجويد، له مدائح في معاوية وعبد الله بن الزبير، كان صالحاً فولاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن، وتوفي بعليب (موضع بتهامة) سنة ٦٣هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٧ : ١٤٣. وابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ١٣٢. وابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢ : ٢٠٣.
[٥] . هو عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة الهبزري الأزرق ، كان والياً لابن الزبير على الجند ومخاليفها، ولما مات رثاه أبو دهبل وأوصى أن يدفن إلى جانبه بعليب. (انظر : الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ)، نسب قريش، (تحقيق أ. ليفي برفنسال إيفاريست)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٣م، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢.
[٦] . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص ٥٨ .

فقد " كان المهالبة في دولة بني أمية كما كان البرامكة في دولة بني العباس مَضْرب المثل في الجود والكرم " [١]، وفيهم يقول بُكَيْر بن الأخْنس[٢] مادحاً كرمهم في سني المحل والجدب [٣]:

نزلتُ على آل المهلّبِ شاتيـــاً فقيراً بعيدَ الدَّارِ في سَنَةٍ مَحْلِ
فما زالَ بي إلطافُهُم وافتقادُهُم وإكرامُهُم حتى حَسِبْتُهُم أهْلـــي

ويُعْرَفُ الإنسان الكريم عند شظف العيش، وفي ضنك الحياة، وتحت وطأة الفاقة والحاجة تبرز الحاجة إلى الجواد المفضال، وفي سني العوز والجدب تظهر أفعاله الحسنة وعطاياه السخية، وإيثاره للآخرين بما عنده، فيعم خيره وفضله الجميع، فيتماسك المجتمع، وتقوى أواصره، يقول أبو دَهَبل الجمحي واصفاً ابن الأزرق [٤]:

نخافُ عزلَ امرئٍ كنا نعيشُ بـــهِ معروفُهُ إن طلبْنا الجودَ موجـــودُ
إن تغدُ من مِنْقَلَي نجرانَ مرتحلاً يرحل من اليمن المعروفُ والجودُ [٥]
ما زلتَ في دفعاتِ الخيرِ تفعَلُهـا لمَّا اعترى الناسَ لأواءٌ ومجهـودُ

وذلك ما يراه كثيّر في بشر بن أبي مروان، يقول [٦] :

أبا مروانَ أنت فتى قريشٍ وكَهْلُهُمُ إذا عُدَّ الكهـــول
تولّيهِ العشيرةُ ما عناهـــا فلا ضَيْقُ الذراعِ ولا بخيلُ
إليكَ تُشيرُ أيديهم إذا مـــا رَضُوا أو غالهُم أمرٌ جليلُ
كلا يوميه بالمعروفِ طَلْقٌ وكلٌّ فِعالِهِ حَسَنٌ جمـــيلُ
جوادٌ سابقٌ في اليُسْرِ بحرٌ وفي العِلاّتِ وهّابٌ بـذولُ

---

[١] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص ١٣١ .
[٢] . هو بُكير بن فيروز الحجازي، وابن الأخنس كنيته، وعدّه علماء الجرح والتعديل في الطبقة السادسة من طبقات رواة الحديث النبوي الشريف، وعُدّ ثقة عندهم. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢: ١٥٧.
[٣] . الجاحظ، البيان والتبيين، ٣ : ٢٣٣ .
[٤] . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص ١٠٤ ـ ص ١٠٥. وانظر شواهد أخرى: ص ٩٦ .
[٥] . المنقل: المنزل، ونجران : من مخاليف اليمن من ناحية مكة .
[٦] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص١٢٣. وانظر شواهد أخرى: ص٧٩، ص١٢١، ص١٢٣، ص٢٨٨، ص٢٩٥، ص٣٣٨، ص٣٤٢.

كما أن فضيلة الكرم التي تمسك بها أفراد المجتمع الأموي قضت بأن لا يعبس الجواد في وجه ضيفه، ولا ينهر سائله، ولا يرد المحتاج إليه، وفي ذلك تقول ليلى الأخيليَّة[١] في محبوبها [٢]:

فتىً كان للمولى سناءً وَرِفْعَةً وللطَّارِقِ السَّاري قِرًى غير باسِرِ

أما ابن قيس الرقيات فيجد في طلحة بن عبد الله الخزاعي [٣] كرماً غير محدود، وأفعالاً حميدة يستحق الثناء عليها بعد أن وافته المنية، فيقول في رثائه له [٤]:

إنما كان طَلْحَةُ الخيرِ بحـــراً شُقَّ للمُعْتَفينَ منهُ بُحـــورُ
ثمَّ كان الذي تَلَقَّاكَ منـــــهُ نائلٌ واسعٌ وَسَيْبٌ غَزيـــرُ
يَتَّقي الذَّمَّ بالفِعالِ ، ويبنـــي مجدَ مَنْ قد تَضَمَّنَتْهُ القبورُ
بالطِّعانِ الشَّديدِ، والنّائِلِ الجَزْ لِ ، إذا نَكَّسَ البَخيلُ الدَّثورُ

ولما كانت خصلة الكرم موضع فخر واعتزاز لمن اتصف بها، ولما كان الإنسان الكريم عنصراً هاماً في النائبات والشدائد، فإن موته شكل خسارة لقومه ومجتمعه، فهو مقري الضيف، وفاك العاني، ومجير الدخيل، والعطوف على المحتاج البائس، ولهذا كله رثاه شعراء العصر الأموي، لما له من طيب ذكر، وحسن صيت، وجميل صنيع، له أبلغ الأثر في تماسك مجتمعه وأمان أهله، فهذا ابن ميادة يرى في الوليد بن يزيد صورة الجواد الكريم، العطوف على المحتاج، الباذل في وقت الشدة، لذا فهو يرثيه قائلاً [٥] :

ألا أبكي الوليد فتى قريشٍ وأسمَحها إذا عُدَّ السّماحُ
وأجْبَرُهَا لذي عظمٍ مَهيضٍ إذا ضَنَّتْ بِدَرَّتِها اللقاحُ [٦]

إنَّ الكرم عُدَّ من أعظم القيم والمثل الأخلاقية في المجتمع الأموي، ففي بيئة قاسية يصارع فيها الإنسان أسباب البقاء والحياة، يظهر الكريم الجواد منقذاً لهؤلاء الفقراء من الفناء، ومكرماً لضيفه، حريصاً على حسن وفادته وإغاثته، كما أن فضيلة الجود من الفضائل الأخلاقية التي تأصلت في

---

[١] . هي ليلى بنت عبد الله الأخيلية، كانت من أشهر النساء ولا يتقدم عليها إلا الخنساء، كان توبة بن الحمير يهواها، وهي من بني عامر بن صعصعة، وهي شاعرة فصيحة ذكية جميلة، وفدت على الحجاج مرات، فكان يكرمها ويقرّبها، توفيت نحو ٨٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١١ : ٢٠٤. والمرزباني، معجم الشعراء، ص٣٤٣. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص١١٩. والزركلي، الأعلام، ٥ : ٢٤٩.

[٢] . ليلى الأخيلية، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد (ت٨٠هـ)، ديوان ليلى الأخيلية، (جمع إبراهيم العطية وخليل العطية)، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م، ص٣٨. باسر: عابس.

[٣] . هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي، طلحة الطلحات، أحد الأجواد المقدمين، كان أجود أهل البصرة في زمانه، وكان يميل إلى بني أمية فيكرمونه، ولاه زياد بن مسلمة على سجستان فتوفي فيها والياً سنة ٦٥هـ. انظر: البغدادي، خزانة الأدب، ٢ : ٣٩٢. وابن حبيب، المحبر، ص١٥٦. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥ : ٢٣.

[٤] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، شعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، ص ١١٣. وانظر شواهد أخرى: ص١٩٦، ص٢٤٣، ص٢٩٣.

[٥] . ابن ميادة، شعر ابن ميادة، ص ٣٣ .

[٦] . المهيض: المكسور. ضنت: بخلت. اللقاح: الإبل .

شخصية الإنسان الأموي، وهي فضيلة عالية التقدير، استحق بها المكانة الرفيعة، لأنه أسهم في الحفاظ على أفراد مجتمعه، ووقاهم بؤس العوز والحاجة.

- **الحزم :**

الحزم من المثل والخصال العربية التي يتّسم صاحبها بضبط الأمور، والأخذ فيها بثقة واقتدار، متجاوزاً تردد النفس وتخوفها اللذين يقودان إلى الوقوع في الهفوات والمزالق، فتفقد الاحترام والثقة بصاحبها، كما أن الحزم يتطلّب وعياً بالأمر وإدراكاً تاماً لحيثياته وتفاصيله، يلازم ذلك ثقة في الإقدام، ووضوح في الرؤيا، وعزم لا يعرف التردد ، وقدرة فائقة على تحمل تبعات الأمر ومسؤولياته، تلك هي الصفات التي يتمتع بها الإنسان الحازم، فهو " يواجه حوادث الحياة، مهما كان نوعها بهدوء ورصانة، فلا يستخفه الفرح ولا يقتله الترح " [١]، أي أنه هادئ الطباع، مستقر في تصرفاته، ماضي العزم، واثق الخطو، وهذا ما كان عليه المتوكل الليثي فهو يصف نفسه قائلاً[٢] :

وكنتُ امرءاً يأبى لي الضيمَ أنني ... صَرُومٌ إذا الأمرُ المُهِمُّ عَناني
وَصُولٌ صَرومٌ لا أقولُ لمدبِرٍ ... هَلُمَّ إذا ما اغتشَّني وعَصاني
خليليَّ لو كنتُ امرءاً فيَّ سَقْطَةٌ ... تضعضعت أو زلّت بيَ القَدَمانِ
أعيشُ على بغْيِ العُداةِ ورغْمِهِم ... وآتي الذي أهوى على الشنآنِ [٣]
ولكنني ثَبْتُ المريرةِ حازِمٌ ... إذا صاحَ حُلاَّبي ملأتُ عِناني [٤]

إن الرجل الحازم إنسان ذو بصيرة نافذة، لأنه يقف شامخاً قوياً في الموقف الذي يتخاذل فيه الآخرون، كما أنه يتحلى بإقدام في الحوادث الفاصلة، واضعاً نصب عينيه أسمى المبادئ والقيم التي يعزّ بها مجتمعه وينتصر له، فليس هو المتهور الذي يفلت من يديه زمام البصيرة الواعية، ولا هو الراغب في أن يسفك دماً لبريء، ولا هو الصادر عن الأهواء والرغبات، بل يحكمه في حزمه ونفاذ قراره مصلحة الناس، وإلى هذا يدعو سراقة البارقي بقوله [٥] :

وأرَى مِنَ الرَّأيِ المُصيبِ ثَباتُـــهُ ... أنْ لا تَصِلْ حَبْلاً إذا لمْ تُوصَـــلِ

---

[١] . اليازجي ، كمال (١٩٧٣) ، في الشعر العربي القديم ، ط١، ٢م ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ص٥٢ .
[٢] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي ، ص ١٩٨ – ٢٠٠ .
[٣] . رغمهم: من المراغمة وهي المغاضبة . الشنآن : البغض .
[٤] . المريرة : العزيمة . الحلاب : الأنصار . المحلب : الناصر .
[٥] . البارقي ، سراقة ، ديوان سراقة البارقي ، ص ٦٠ .

واسْتَبْقِ وُدَّكَ للصَّديقِ ولا تقَـــلْ ... أبداً لِذِي ضِغْنٍ مُبينٍ أقْبِـــــلِ
وَدعِ الفَواحِشَ ما اسْتطعْتَ لأهْلِهـا ... وإذا هَمَمْتَ بأمْرِ صِدْقٍ فافْعَــلِ
وإذ غَضِبْتَ فلا تكُنْ أنْشوطَـــةً ... مُسْتَعتِداً لِفَحَاشَةٍ وَتَبَسُّـــــلِ [١]

إن الحـزم " يهـذب القـوة مـن الطـيش والنـزق " [٢]، فالإنسـان الحـازم لا يبتـدع الحـروب والنزاعات، ولا يتجرأ في غير الحق، ولا يستغل طاعة مجتمعه له ليبث الضغائن والأحقاد، ويفسد الأواصر، ويقطع العرى الوثيقة بين أفراده، إلا أنه في ذات الوقت يحدوه العزم في الحق، والثبات على الموقف الصحيح، يقول الأخطل في عبد الملك بن مروان[٣]:

إلى امرئٍ ، لا تعرّينا نوافِلُـــهُ ... أظفَرَهُ الله ، فلْيَهْنَأ لهُ الظَّفَـــــــرُ
الخائِضِ الغَمْرِ ، والميمونِ طائِرُهُ ... خليفةِ اللهِ ، يُسْتَسْقى به المطـــــرُ [٤]
والهمُّ ، بعدَ نجيِّ النفسِ ، يبعَثُـــهُ ... بالحزمِ ، والأصمعانِ : القلبُ والحَذرُ [٥]

إن مضاء العزيمة والثبات على الرأي المبتغى، والإقدام حيث يحجم الآخرون، هي مبعث تغني شعراء المجتمع الأموي بالإنسان الحازم ومدحهم له، ولما لخصاله تلك من أثر في المحافظة على مجتمعه وقوته، ولذا؛ يمدح الراعي النميري حزم عبد الملك بن مروان قائلاً [٦]:

وَزَنَتْ أميَّة أمْرَها فَدَعَتْ لـــهُ ... مَن لم يكُن غُمْراً ولا مجهــولا
مَروانُ أحْزَمُها إذا نزلَتْ بـــهِ ... حُدْبُ الأمورِ وخَيْرُها مَسْـؤولا[٧]

إنّ أهم المواقف التي يبرز فيها الإنسان الحازم مواقف الحرب، حيث يحتاج مثل هذا الموقف إلى رجل ثابت حازم، لا يتضعضع ولا يجبن، يتخذ القرارات الحاسمة التي يعجز عن اتخاذها غيره، فالحرب بأحداثها الجسام تتطلب جرأة وإقداماً وعزماً لا يلين، ليس في القتال وحسب، بل وفي اتخاذ الخطوات والتدابير التي تكفل النصر وتضمن الظفر، وهنا يظهر الإنسان الحازم، فتنصت لرأيه الأسماع، وينفّذ أوامره الأتباع، وفي هذا يقول القطامي [٨]:

---

[١] . الأنشوطة : العقدة التي يسهل حلها . وأراد أن لا تكون مندفعاً في غضبك . التبسل : العبوس من الغضب . مستعتداً: مستعدّاً.
[٢] . دراوشة، صلاح الدين أحمد (٢٠٠١)، القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات، ط١، مكتبة الفجر، إربد، ص ١١٨ .
[٣] . الأخطل، شعر الأخطل، ص ١٨ . وانظر شواهد أخرى: ص ٣٠٩، ص٣١٩، ص٣٦٦ .
[٤] . الغمر: الماء الكثير . الميمون الطائر : المبارك الحظ .
[٥] . نجيّ النفس : ما ناجى به نفسه . الأصمع : الذكي الحاد .
[٦] . الراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص ٥٨ .
[٧] . حدب الأمور: الأمور الشاقة المشكلة، والحدب ، جمع حدباء .
[٨] . القطامي، ديوان القطامي ، ص ٦٤ .

وحَسَبْتِنا نَزَعُ الكتيبةَ غُدْوَةً فيغيّفونِ ونرجِعُ السُّرعانـــا [١]
ونَحِلُّ كلَّ حِمَىً نُخَبَّرُ أنّـــهُ منحَ البروقَ ، وما يُحَلُّ حِمانـا
وإذا تسَعْسَعَت الحروبُ فمالكٌ منها المطاعِنُ والأشدُّ سنانـا [٢]
ونُطيعُ آمِرَنا ونجعَلُ أمْرَنـــا لذوي جَلادتنا وحَزْمِ قِوانـــا

ويتجلى حزم الأموي " باستعمال الشدة فيما يقتضي الشدة، واللين حين يحسن اللين "[٣]، ففي مواطن الشدة مثل الحروب يكون شديداً صلباً، أما في السلم فيكون ليناً عطوفاً، فالاعتدال سجيّته، والاتزان خصلته، وذلك ما كان عليه عبد الله بن الزَّبِير الأسدي حيث يقول [٤] :

وإنّي لَمِنْ نَبْعَةٍ صُمٍّ مكاسِرُها إذا تقادَمَت القَصْباءُ والعُشَـــرُ [٥]
ولا ألينُ لغيرِ الحقِّ أتْبَعُـــهُ حتى يلينَ لضرسِ الماضِغِ الحَجَرُ

إن فضيلة الحزم تجعل صاحبها ماضي العزيمة تاركاً التردد، وتبعده عن التأثر بالآراء المتعددة المتضاربة، ولذا؛ احتفظ المجتمع الأموي للإنسان الحازم بمشاعر الإعجاب والإكبار لخصاله الكريمة المضامين، السامية الأهداف، وانطلقت أفواه الشعراء الأمويين تمتدح حزمه وثبات رأيه، فإذا ما وافته المنية استحق رثاءهم وتسجيلهم لمآثره النبيلة، بوصفه شخصية برزت وتميزت في بيئتهم ومجتمعهم، وهدفت إلى المحافظة على تماسك مجتمعها وقوته.

- **<u>الصبر :</u>**

إن الصبر على الشدائد وتحمل الصعاب صورة متميزة من صور أخلاق المجتمع الأموي ومثله وقيمه، ويتمثل خلق الصبر في " التجلّد وعدم الجزع، يقال: صَبَرَ على الأمر: احتمله ولم يجزع، ويفيد حبس النفس وضبطها عند الجزع "[٦]، ففي الصبر تحكّم في النفس، وضبط لمخاوفها ونزعاتها، وتعويدها على التحمل والتجلد، وليس ذلك بالأمر الهين، ولا يستطيعه أيٌّ كان، ولذلك

---

[١] . يغيفون : يفرون .
[٢] . تسعسعت حال فلان : إذا انحطت ، وتسعسع : اضطرب . مالك : هو مالك بن عبادة بن سعد بن زهير بن حشيم ، وكان رأس تغلب بعد أبيه .
[٣] . اليازجي ، كمال، في الشعر العربي القديم ، ١ : ٤٩ .
[٤] . الأسدي، عبد الله بن الزبير ، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي ، ص ٨١ .
[٥] . النبع : شجر تتخذ منه أجود الرماح ، يريد نسبه . العشَر : شجر له صمغ .
[٦] . ابن منظور، لسان العرب، مادة (صبر) .

كان من يتصف بالصبر إنساناً تفرّد عن غيره بشدة تحملهِ وتجلّده، فهو رجلُ ألِفَ القوارع وجرّب الخطوب ولم يكن رده عليها إلا احتمالاً، وتجلداً، وصبراً، يقول يزيد بن معاوية بن أبي سفيان [١]:

يأبى وجَدِّكَ أنْ ألِيْنَ لِلَوْعَةٍ عَقْلٌ أعيشُ بهِ وَقَلْبٌ قُلَّبُ

إن الصبر " أنجى للمحارب من الفشل " [٢]، كما أن ثباته أمام أعدائه وتحمله لمقارعتهم ومنازلتهم، وصموده أمامهم، يفت في عضدهم ويضعف قواهم، ولذا آمن الخوارج بأن الصبر لابد أن يقود صاحبه للظفر والفرج، فلم يجبنوا ولم يستكينوا، يقول مرداس بن أدية [٣] مفاخراً بصحبه[٤] :

فلَسْنا إذا جَمَّتْ جُموعُ عَدُوِّنا وجاءوا علينا مِثْلَ طامِيَةِ البحْرِ
نَكُفّ إذا جاشتْ إلينا بُحورُهُمْ ولا بمهاييبٍ نحيدُ عن البُتْرِ
ولكننا نلقَى القَنا بِنُحورِنا وَبِالهَامِ نلّقى كلَّ أبيَضَ ذي أثَرِ
إذا جَشَأتْ نَفسُ الجبانِ وهَلّلَت صَبَرْنا ولو كانَ القيامَ على الجَمْرِ

ويمتدح النعمان بن بشير الأنصاري مبلغ احتمال أحدهم وصبره ، فيقول [٥] :

يبادِرُهُ كُلُّ مُسْتَبْسِلٍ كَحَدِّ السِّنانِ شُجاعٍ بَطَلْ
صَبورٍ وقورٍ لما نابَهُ بكلِّ لَذِيذٍ حُسامٍ قَصِلْ

لقد عُدَّ الصبر قيمة أخلاقية سامقة في المجتمع الأموي؛ لأن صاحبها يتحمّل ما لا يحتمله الآخرون، ويقاسي الشدائد متجلّداً، وهذا الفعل له أثره البالغ في حفظ المجتمع، وتقوية دعائمه، ويؤكد ذلك قول الفرزدق [٦] :

لَئِنْ صَبَرَتْ نَفسي لقد أُمِرَتْ بهِ وخيرُ عباد الله مَن كان أصْبَرَا

---

[١] . يزيد بن معاوية، شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ص٤٩ .
[٢] . البستاني، بطرس، الشعراء الفرسان، ص ٢٤٠ .
[٣] . هو مرداس بن حدير بن عمرو بن عبيد بن كعب التميمي، يكنى أبا بلال، و(أدية) أمّه، وهو من عظماء الشراة، وأحد الخطباء والأبطال العبّاد، شهد صفين مع علي وأنكر التحكيم، وشهد النهروان مع الخوارج، وهو عندهم رمز السلف الصالح، توفي سنة ٦١هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٧ : ٢٠٢. وعباس، إحسان، شعر الخوارج، ص٤٨.
[٤] . عباس ، إحسان، شعر الخوارج ، ص ٥١ - ٥٢ . وجمّت : غزرت وكثرت
[٥] . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري ، ص ١١٠ . ومستبسل : الذي يوطّن نفسه على الموت أو الضرب . وحسام: سيف قاطع ، القصل : القطع .
[٦] . الفرزدق، ديوان الفرزدق ، ١ : ٢٩٦ .

كما يؤكده أيضاً قول أبي دَهْبل الجمحي، مبيناً فضل الصبر في الحدث الجسيم، فبالصبر لا تضيق النفس عند الشدائد، ولا تضعف في الملمات، ولا تجزع من النوائب فتفقدها القدرة على حسن التأتي[١]:

قل لابنِ قيسٍ أخي الرُّقياتِ ما أحْسَنَ العُرْفَ في المصيباتِ

ويرى كثيّر عزة أن من حق الإنسان الصبور أن يتميز عن غيره، فله الفضل والتقدم لصبره وشدة بأسه، يقول [٢] :

بهاليلُ معروفٌ لكُم أن تَفَضَّلوا وأن تحفظوا الأحسابَ في كلِّ موطنِ
بصبرٍ وإبقاءٍ على جُلِّ قومِكُمْ على كلِّ حالٍ بالأنا والتّحَنُّنِ

إن الصبر على الأهوال أمر يتباهى به الإنسان الصبور ويفخر به، إذ ليس بمقدور أيٍ كان أن يتصف بالصبر، ولذا يفتخر الأخطل بصبر قومه وتجلّدهم في الحروب [٣] :

فَنَحنُ أخٌ ، لم يُلْقَ في الناس مثلُنا أخاً، حينَ شابَ الدّهرُ وابيَضَّ حاجِبُه
وإنّا لَصُبْرٌ في مواطِنِ قَوْمِنا إذا ما القَنَا الخَطِّيُّ عُلّتْ مَخاضِبُهْ
وإنّا لَحَمَّالو العَدُوِّ ، إذا غَدا على مَرْكَبٍ ، لا تُسْتَلَذُ مراكِبُهْ

إنّ الصبر قيمة أخلاقية بارزة في العصر الأموي، تميّز أصحابها عن غيرهم، لأن الصبر " كريه الطعم مرُّ المذاق، فالاعتصام به ليس من الهيّنات " [٤]، ولذلك فإنه خصلة ثمينة ومزية كريمة يصعب على الإنسان العادي أن يتحلى بها، إلا إذا كان له إرادة صلبة، وثبات لا يلين، فيكون بالصبر" للنفسِ غلوباً، وللأمور محتملاً، وفي الضراء متجملاً، ولنفسه عند الرأي والحفاظ مرتَبَطاً، وللحزم مؤثِراً، وللهوى تاركاً، وللمشقة التي يرجو حسن عاقبتها مستخفّاً، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً"[٥]، فيفاخر بصبره وقوة احتماله، فهذا سراقة البارقي يفخر بصبره في ساحات الوغى، فيقول[٦]:

مَتَى ما تَلْقَ بي خيْلاً تَداعى ودونَ فِراقِها وَجَعٌ وَمَوْتُ
فَلَسْتُ بِكَارِهٍ لِلِقاءِ رَبِّي وَلا فَرِحِ الفُؤادِ إذا نَجَوْتُ

---

[١] . الجمحي، أبو دهبل ، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص ٥٠ . العرف : الصبر .
[٢] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص ٢٥٢. بهاليل : سادة أشراف . والأنا : جمع أناة ، وهي الرفق والتؤدة .
[٣] . الأخطل، شعر الأخطل ، ١ : ٢٨٦ . شاب الدهر: اشتد وصعُب. وعُلّتْ : سقيت مرة بعد أخرى. المخاضب: جمع مخضب، وهو عامل الرمح، أي القسم الأعلى منه.
[٤] . اليازجي، في الشعر العربي القديم ، ٢ : ١١٢ .
[٥] . ابن المقفع، عبد الله (ت ١٤٢هـ)، الأدب الصغير والأدب الكبير، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠، ص١١٠ – ١١١ .
[٦] . البارقي، سراقة ، ديوان سراقة البارقي ، ص ٤٥ – ٤٦ .

أقاتِلُ حِيْنَ أعْرَفُ وَسْطَ قَوْمــي ... وأسْتَحيي الكِرامَ إذا نَبَـــــــوْتُ
وأصْبِرُ في أمورٍ قدْ عَرَتْنـــي ... فَما جَزِعَ الفُؤادُ وما شَكَـــــوْتُ

ويقاتل الجرّاح الحَكَميُّ [١] جمع الخزر وهو يعلم أنه يخوض معركة غير متكافئة في العدد والعدة، ولكنه يعلم بجانب ذلك أنه إنما يقاتل دفاعاً عن العقيدة والشرف، وأن الصبر سلاح المؤمن الواثق بحسن العاقبة، وديدن المجتمع ومحط تقديره، فلم يزل يقاتل حتى قتل وهو يرتجز[٢]:

لمْ يَبْقَ إلا حسبي ودينـــي ... وَصارِمٌ ذو صَنْعَةٍ مَسْنـــونُ
للهِ درُّ الصّبْرِ من قَريـــنِ ... قرينِ صِدْقٍ غيرِ ما خَـــؤُونِ

لقد كان لسمة الصبر أهمية بالغة في العصر الأموي، فقد كانت مدعاة لتفاخرهم بها، وقد مدح الشعراء من اتصف بها وأثنوا عليه، وتتعدد الشواهد الشعرية ـ التي لا مجال لإيرادها جميعاً في هذه الدراسة ـ على ذلك [٣] .

لقد شكل موت الإنسان الذي تحلى بخلق الصبر واتسم بفضيلة التجلد وقوة التحمل خسارة فادحة للمجتمع، لما لشخصيته من أثر بارز فيه، ولما اتصفت به من ثبات جأشٍ، وطيب ذكر، ومضاء عزم، فكانت بخصالها هذه شخصية مؤثرة متميزة، أثبتت وجودها وتركت أثراً طيباً لا يمحوه الموت، ولذا؛ سجل شعراء العصر الأموي أعذب الأشعار في رثاء ذلك الإنسان الصبور، فهذا جرير يرثي عمر بن عبد العزيز، فيقول [٤]:

تَنْعى النّعاةُ أميرَ المؤمنينَ لنـا ؛ ... يا خيْرَ من حَجَّ بيْتَ اللهِ واعْتَمَـــرا
حُمِّلْتَ أمراً عَظيماً فاصْطَبَرْتَ لـهُ ... وَقَمْتَ فيهِ بأمْرِ اللهِ ، يا عُمَـــــرَا
فالشّمسُ كاسِفَة ليْسَتْ بِطالِعَــةٍ ... تبكِي عليكَ ، نجومَ الليلِ والقمــرا

---

[١] . هو الجراح بن عبد الله الحَكَمي، يكنى أبا عقبة، أمير خراسان، وأحد الأشراف الشجعان، دمشقي الأصل والمولد، ولي البصرة للحجاج، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وأرمينية وأذربيجان ليزيد بن عبد الملك، غزا الخزر وغيرهم، فافتتح حصن بلنجر وحصوناً أخرى، واستشهد غازياً سنة ١١٢هـ. انظر: الزركلي، الأعلام، ٣ : ١١٥. وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢ : ٤٠٢. والذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥ : ١٩٠.

[٢] . الكوفي، ابن أعثم، كتاب الفتوح ، ٨ : ٤١ .

[٣] . انظر: الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١: ص٣١٦، ص٣٣٢ ، ص٣٣٩ ، ص ٣٤٢، ص٤٠٩. والخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص ٨٦، ص٢٥٢، ص٤٠٥ . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ص ١٠٧. وعباس، إحسان، شعر الخوارج، ص٥ ، ص٣٣ ، ص٤٧ ، ص٨٥ .

[٤] . جرير، ديوان جرير ، ٢ : ٧٣٦ .

ويرثي كثيّر عزة خالد بن عبد الله الأسدي [١]، فهو الذي يحتمل ما ينوء غيره بحملانه، إنه صبور في الشدائد، متجملٌ عند المصائب، لا تفتُّ الأهوال في عزيمته، ولا تضعف المصائب شكيمته، فيقول[٢]:

على خالدٍ أصبحتُ أبكي لخالــدٍ ... وأصْدُقُ نَفْساً قد أصِيْبَ خليلُهـــا
تذكّرتُ منهُ بعدَ أوّلِ هجْعَـــةٍ ... مساعِيَ لا أدري على من أحيلُهـــا
وكنتَ إذْ نابَتْ قريْشاً مُلِمَّـــة ... وقالَ رجالٌ سادةٌ : مَن يُزيلهـــا
فأينَ لها لا معجَباً بنجاحِهـــا ... ولا يحملُ الأثقالَ إلا حَمولهـــا
فأينَ الذي كانتْ معدٌّ تَنوبُـــهُ ... ويحتملُ الأعباءَ ثم يَعُولُهـــا

كما يرثي سراقة البارقي أحدهم لثباته في ساحة القتال، وصبره في النوازل، ولفقده تظل النساء طوال وقتها نائحة لأنها فقدت بطلاً صابراً كان يحمي ذمار قومه ويذود عنهم، يقــول[٣]:

فأنتَ متى ما جِئتَنا في بيوتنـــا ... سَمِعْتَ عويلاً من عَوانٍ وعاتِــقِ [٤]
يُبَكِّيْنَ محمودَ الضريبةِ ماجِــداً ... صبوراً لدى الهيجاءِ عندَ الحقائِــقِ [٥]

وكذلك ظل خلق الصبر صورة حية برزت قيمتها في العصر الأموي، واتضحت معالمه في أفراده، الذين شكلوا نماذج إنسانية خلوقة في ثبات جأشهم وتجلُّدهم، وشدّة احتمالهم للشّدائد والصّعاب، فَعَلَوْا ونالوا المجد، وامتدحهم شعراء العصر، وأقر لهم المجتمع الأموي بالشرف والسيادة، وتألم لفقدهم، فرثاهم شعراؤه أجمل الرثاء.

- **<u>الشجاعة والفروسية :</u>**

إن الشجاع الفارس يتفانى من أجل تحقيق النصر والدفاع عن وجود القبيلة والوفاء لأحلافها، وهو إضافة إلى ذلك يجيد فنون القتال بأنواعها، شجاع غير هيّاب، مهمته الكر والفر، والفتك بالخصوم، يتقن المهارات القتالية، ويحسن المداورة والمراوغة، وسرعة الانقضاض، وشجاعته

---

[١] . هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص، أحد رجالات بني أمية، اشترك مع عبد الملك في حرب مصعب بن الزبير، وبعد انتصار عبد الملك سنة ٧٠هـ ولاه البصرة، فبقي عليها والياً إلى أن ضمت لبشر بن مروان، وبعد وفاة بشر ردّت إليه إلى أن تولى الحجاج العراق فعزله عنها. انظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢ : ٢٦٧. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٥ : ٣٧٤. والزركلي، الأعلام، ٥ : ٢٦٥.

[٢] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة ، ص ٢٧٢ .

[٣] . البارقي ، سراقة ، ديوان سراقة البارقي ، ص ٥٧ .

[٤] . العوان : النصف من النساء . العاتق : الشابة المخدرة التي لم تتزوج .

[٥] . الضريبة : الطبيعة والسجية . الحقائق : جمع حقيقة ، وهي ما يحق للإنسان حمايته .

أهم مقوماته وأبرز صفاته، تكسبه الثقة بالنفس والجرأة في الفعل، فالشجاع " في حصن من شجاعته وفي حماية من جرأته، يستعذب الموت ويسترخص القتل، وكأنه يسرع الخطو إليه، يحدوه إقدام لا يعرف المبالاة ولا الإحجام، إنما يعرف شقّ الجباه وطعن النحور وإزهاق النفوس"[١]، ولذلك عدَّت العرب "الشجاعة وقاية والجبن مقتلة "[٢]، فالشجاعة والفروسية حصن المجتمع، والجبن مكمن ضعفه وهوانه، لذا؛ يتفاخر الفرسان دائماً بشجاعتهم وإقدامهم وجرأتهم في القتال، وفي هذا وفي ذلك يقول جرير مفتخراً بفروسية قومه إذا ما وقعت الحرب [٣]:

لقد علمَ الحيُّ المصبِّحُ أنَّنا متى ما يُقَلْ يا لَلْفوارس نركبِ

وفي موضع آخر يفتخر بمآثر قومه ومناقبهم، وبسالتهم وشجاعتهم، ومهارتهم القتالية، فيقول[٤]:

أَلَسْنا نحنُ قد عَلِمَت مَعَدٌّ غداةَ الرَّوْعِ أجْدَرَ أنْ نَغَارا
وأضْرَبَ بالسيوفِ إذا تلاقتْ هَوَادي الخيلِ صادِيَةً حِرارَا
وأَطْعَنَ حينَ تختلفُ العَوالي بمأزولٍ إذا ما النَّقْعُ ثارا [٥]
وأحْمَدَ في القِرَى وأعزَّ نَصْراً وأمْنَعَ جانِباً وأعَزَّ جارا

إن صورة الشجاعة والفروسية تبرز في هيئة الفارس الشجاع الصلب، والمقاتل المقدام الذي يهبُّ للغزو بكل ثبات وعزم، والمبارز البارع الذي يتقن المهارات القتالية ويوقع بها أكبر الخسائر في العدو، والفتى الحصيف الذي يجيد التخطيط والتدبير للمعركة بما يضمن له النصر، والحالم التواق للارتقاء بمجتمعه إلى أعلى مراتب المجد وأسمى درجات العزة، القابض على جمر الطموح العالي، السائر بخطىً واثقة بنفسها، عازمة على الوصول إلى مبتغاها النبيل، وتكاد تلك الصور تتجلى في معظم الشعر الأموي الذي خُص لوصف للحرب وأحداثها والتغني بالانتصارات والفتوحات، وفي مدائح الشعراء الأمويين وبعض مراثيهم، كما تجلت واضحة عند فخرهم بأقوامهم، فهذا الفرزدق يعتز بشجاعة قومه، فهم فرسان لا يلين جانبهم، يحتملون الصعاب ويخوضون الغمرات يعضدهم في ذلك إيمانهم بربهم وثقتهم بقوتهم وشجاعتهم، حتى غدوا بذلك أهلاً للحل والعقد بين الناس[٦]:

يختَلِفُ الناسُ ما لم نجتَمِعْ لهمُ، ولا اختلافَ إذا ما أجمَعَت مُضَرُ

---

[١] . ضيف، شوقي، البطولة في الشعر العربي، ص١٧ ـ ١٨ .
[٢] . النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣ : ٢٢٤ .
[٣] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٣٠٥ .
[٤] . المصدر نفسه، ٢ : ٨٨٨. وانظر شواهد أخرى: ١ : ٢٨٥ ، ١ : ٣٢٩ ، ١ : ٣٣٨ ،١ : ١٥٢ ـ ١٥٣.
[٥] . المأزول: الموضع الضيق.
[٦] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١: ٢٠٠. الرأس: أراد به الملك. المأثور: السيف. وانظر شواهد أخرى: ١: ١٨ ، ١: ٤٠ ، ١: ١٥٩، ١: ٣٤٨

مِنّا الكواهلُ والأعناقُ تَقْدُمُـها، والرأسُ منا وفيه السمعُ والبصـــرُ
ولا نحالِفُ إلا اللهَ من أحـــــدٍ غير السيوفِ إذا ما اغرَوْرَقَ النّظرُ
وَمَنْ يَمِلْ يُمِلِ المأثورُ ذِرْوَتَــهُ حيثُ التَقى من حَفافي رأسه الشَّعَرُ
أما العدوُّ فإنَّا لا نلينُ لـــــهمْ، حتى يلينَ لِضِرْسِ الماضِغِ الحــجرُ

وهذا قَطَـرِيُّ بـن الفُجـاءة التميمـيُّ الخـارجيُّ [١] يقتحم الهـول ولا يخـاف المـوت، بـل يتصـدى للرماح من كل جهة، ويستمر على ذلك، يقاتل ببسالة وإقدام حتى وإن جرح وسالت دمـاؤه بغزارة مخضبة سرج فرسه ولجامه، يقول [٢]:

لا يرْكَنَنْ أحدٌ إلى الإحــجـــامِ يومَ الوَغَى مُتَخَوِّفَاً لحُمَـــــامِ
فلقدْ أراني للرَّماح دَرِيْنَـــــةً من عن يميني مرَّةً وأمامـــي
حتى خَضَبْتُ بِمَا تَحَدَّرَ مِن دَمِي أكْنافَ سَرْجِي أو عِنَانُ لِجَامِـي
مُتَعرِّضاً للموتِ أضْرِبُ مُعْلِمـاً بُهْمَ الحروبِ مُشَهَّرَ الأعـــلامِ
أدْعو الكُماةَ إلى النِّزَالِ ولا أرى نَحْرَالكريمِ على القَنَا بِحَـــرامِ

وعلى الرغم من أن شجاعة الخوارج وفروسيتهم يقف وراءها باعث ديني، إلا أنها تتضمن إصراراً وإقداماً، ولا يفتُّ في عضدها خوف من موت، أو رهبة من استشهاد، وها هو ذا شاعرهم عبيدة بن هلال اليشكري [٣] يصوّر شجاعة أصحابه واستعذابهم الموت أبلغ تصوير، قائلاً[٤]:

ومُسَوَّمٍ للموت يركبُ درعَـهُ بين القَواضِبِ والقنا الخَطّارِ
يَهْوي وترفَعُهُ الرِّماحُ كـأنــهُ شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مخالبِ ضار
فَثَوى صريعاً والرِّمَاحُ تنوشُهُ إن الشُّراة قصيرة الأعمــار

ومن الخصال التي يتصف بها الشجاع الفارس، مِراسُـهُ الحرب واعتيادها، وبذلـه النفس فيهـا، فهو لا يُسالم إذا استعرت الحرب، ولا يحجم عند اللقاء، ولا يتردد في خوض غمار الحرب، وإنما يقتحم الشدائد والغمرات، ولا يهاب تفاقم الأحداث، وهكذا كان مالك بن الريب [١]، إذ يقول [٢] :

---

[١] . هو شاعر الخوارج وفارسها وخطيبها والخليفة المسمى أمير المؤمنين في أصحابه، يكنى في السلم أبا محمد وفي الحرب أبو نعامة، وقد خاض معارك قاسية ضد جيوش الزبيريين أولاً ثم الأمويين، توفي سنة ٧٨هـ أو ٧٩هـ. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ٤ : ٩٣.

[٢] . عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص ١١٢ .

[٣] . من رؤساء الأزارقة وشعرائهم وخطبائهم، كان في أول خروجهم من المقدّمين فيهم، وأرادوا مبايعته، فأبى، ودلّهم على قطري، وقد أبلى في الحرب ضد المهلب، حاصره سفيان بن الأبرد في حصن (قومس) وقتله ومن معه سنة ٧٧هـ. انظر: الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢ : ٣٨٢. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ١ : ٦٧. والزركلي، الأعلام، ٤ : ١٩٩.

[٤] . عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص ٩٢ - ٩٣. يركب درعه: مجاز عن سقوطه مضرّجاً بدمه فوق درعه. القنا الخطّار: الرماح الطويلة. والشلو هنا: العضو من أعضاء الجسم إذا بُتِرْ. وتنوشُهُ : تأخذه من كل جانب. ومسوّم: معلم بسمة.

إني لأستحيي الفــوارسَ أن أُرى بأرضِ العدا بَوَّ المخاضِ الــرّوائمِ [٣]
وما أنا بالنّائي الحفيظةَ في الوغى ولا المُتَّقي في السِّلمِ جرَّ الجـــرائمِ
ولا المُتأنِّي في العواقب للّـــــذي أهِمُّ به من فاتكاتِ العزائـــــــــمِ
ولكنني مُسْتَوحِدُ العزْمِ مُقْـــــدِمٌ على غَمراتِ الحادثِ المـــــــتفاقِمِ

وخصلة الشجاعة والفروسية فضيلة حق لأصحابها التفاخر لأنها تحفظ عليهم مجتمعهم وتماسكه، وتجعلهم في مأمن من عدوهم، يقول عبيد الله بن الحر الجُعْفِي مشيداً بحسن بلاء قومه في الحروب، متغنياً بشجاعتهم وفروسيتهم، التي لا يعتورها خوف أو جبن، ولا يساورها رهبة أو ضعف، فيقول[٤]:

الضَّاربونَ من الأقوام هامَهُمُ بحيث يقرع عن هاماتها الصَّلَـعُ
والطَّاعِنونَ ولم تَرْعَش أكفُّهُمُ إذا العوالي بأيدي القوم تختـرَعُ
شمُّ العَرانينِ ساداتٌ كأنَّــهُمُ بيض السيوف التي لم يعلها الطَبَعُ

إنّ قوم القطامي يلازمون سيوفهم، ويجترئون على العدو، فلا يخافون ضراوة المعارك واشتدادها، ولا يفرون من ساحاتها، فهم فرسان شجعان ذوو شأن ورفعة [٥]:

ومَعْقِلُنا السيوفُ إذا أنَخْنـــا وقدْ طارَ القنازِعُ والشـــــرارُ
بِضَرْبٍ تَبْصُرُ العميانُ منـــهُ وتعْشى دونهُ الحَدَقُ البِصـــــارُ
نهزّ المشرفيَّة ثمّ نعـــــدو ولَيْسَ بنا عن العـــادي ازورارُ

والأشعار التي قالها شعراء العصر الأموي يفخرون فيها بشجاعة فرسانهم وبأسهم في الحروب، كثيرة [٦]، ومن الجدير أن يستطلعها القارئ في مظانها، إذ لا سبيل لحصرها في هذه الدراسة.

---

[١] . هو مالك بن الريب بن حوط المازني التميمي، نشأ في بادية بني تيم في البصرة، شاعر من الظرفاء الأدباء الفتاك، اشتهر في أوائل العصر الأموي، وقد هرب من الحجاج لأنه هجاه، وغزا مع سعيد بن العاص، وتوفي نحو ٦٠ هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٢٢ : ٢٨٨. والمرزباني، معجم الشعراء، ١ : ٨٢. والزركلي، الأعلام، ٥ : ٢٦١.

[٢] . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ١ : ٤٠.

[٣] . البوّ : ولد الناقة إذا مات وحُشُوَ جلده بالتبن لتعطف عليه فتدر. الروائم: جمع رائمة وهي العطوف على ولدها.

[٤] . الكوفي، ابن أعثم، كتاب الفتوح، ٢ : ٣٦١ . الطبع: الصدأ.

[٥] . القطامي، ديوان القطامي، ص١٤٩. وانظر شواهد أخرى: ص٣٦، ، ص٩٠ ، ص٩١ ، ص٩٦ ، ص١٢٨ ، ص١٧٦- ص ١٧٧.

[٦] . انظر: البارقي، سراقة، ديوان سراقة البارقي، ص٤٩، ص١٠٠ ، ص ١٠١ . وعباس، إحسان، شعر الخوارج ، ص٤٢ – ٤٤، ص٦٣- ص٦٥، ص٧٣ ، ص٩٠ ، ص٩٥. والتيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ، ص١٠٦، ص١٢٤. والليثي ، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص١٢٤، ص٢٢٣، ص٢٤٢. وابن سهية المرّي، شعر أرطأة بن سهية المري، ص٥٩- ٦٠ . وابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٨٧ ، ص١٠٠ ، ص١٠٣، ص١٣٧ ، ص١٨٨، ص٢٠٨ ، ص٢٥٠ ، ص٢٥٢ ، ص٢٨٢.

ويتضح نموذج الشجاع الفارس أيضاً في مدائح الشعراء للخلفاء، حيث إن البطولة الحربية ذات مكانة رفيعة تجعل منها صفة يبرزها الشعراء في مدائحهم، ويصفون بها ممدوحيهم من الخلفاء والأمراء، وغالباً ما تتضمن مدحة الشاعر للخليفة حديثاً عن بطولته الحربية وشدة إيقاعه بالأعداء، وذوده عن المحارم ودفاعه عن الثغور، وما ذلك إلا دليل على أهمية هذه الخصلة في المجتمع الأموي، وسمو مكانتها، ومن ذلك مدح الأخطل لعبد الملك بن مروان، الذي تبرز فيه صورة الشجاع الفارس الذي يستقل الشدائد وتصغر في عينيه العظائم، فهو يركب الحرب على كل حال من حالاتها، لا يخشى الأعداء ولا يهابهم، يقول الأخطل [١]:

تَرَى الحَلَقَ الماذيَ تجري فُضُولُـهُ ... على مستخِفٍّ بالنوائبِ والحـربِ [٢]

أخوها إذا شالت عَضُوضاً سَمَا لها ... على كلِّ حالٍ من ذُلولٍ ومن صَعْبِ [٣]

إمامٌ سما بالخيل حتى تَقَلْقَلَـــتْ ... قلائدُ في أعناقِ مُعْمَلَةٍ حُـــدْبِ [٤]

شواخِصَ بالأبصارِ من كل مُقْـرَبٍ ... أعِدَّ لِهَيْجا أو مُوَافَقةِ الرَّكْـــبِ [٥]

وجاء رؤبة بن العجاج على ذكر شجاعة خالد القسري وفروسيته، وما اتسم به من قوة وحزم وجلد في مواجهة الشدائد والإحن، فقد وحّد صفوف الأمة، وقهر الأعداء ودفع كيدهم عن ثغور المسلمين، يقول ابن العجاج [٦]:

بخالدٍ ذا مِرَّةٍ مُعاضِـــــدا ... إذا الأمورُ أعرَوْرَتِ الشدائـــدا [٧]

شَدّ العرى واَحكَمَ المقاعِـــدا ... محرابَ حربٍ يقْرَعُ الصَّنَـــادِدَا

إنْ هيجَ هَيْجٌ هِجْتَهُ مُناجِـــدا ... في كلِّ يومٍ يُشْهَرُ المَجَالِـــدا [٨]

وكما فخر الشعراء الأمويون بشجاعة أقوامهم، وامتدحوا فرسانهم، فقد رثوهم أيضاً، فالشجاع الفارس هو الذي يزف بشائر النصر لمجتمعه، ويجلب لها الغنائم التي يفوز بها من فتوحاته، فإذا

---

[١] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ :٣٩ . وانظر: مؤلف مجهول، نقائض جرير والأخطل، (عني بطبعها الأب أنطون صالحاني اليسوعي)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ،١٩٢٢، ص ٩٧ .

[٢] . الحَلَقُ: أراد حلَقَ الدروع، والماذي : الأبيض الخالص من الحديد ، وتجري فضوله : يعني أنها درع سابغة ، وهي التي تجرها في الأرض أو على كعبيك طولاً وسعةً .

[٣] . شالت الحرب: اشتعلت، والعضوض : الشديدة .

[٤] . تقلقلت: تحرَّكت واضطربت، والمعملة: المُدأبة في السير، والحُدب: جمع أحدب، والأنثى حدباء، وهي الخاضعة، أخضعها طول التعب.

[٥] . المقرّب: المؤثر المكرَّم.، والمقربات من الخيل : التي تؤثر باللبن دون العيال وتقرّب من البيوت .

[٦] . رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص ١٤٧ .

[٧] . المِرَّة: القوة والشدة، أعرورت: تأزمت واشتدت.

[٨] . الهَيْج: الحرب، وأهاجها: أثارها، المجالد : جمع مجلد ، وهو قطعة من جلد أو خرقة تلطم بها النائحة وجهها.

مات توقف سيل الغنائم، يتضح هذا المعنى في قول نهار بن توسعة [١] في رثاء المهلب [٢] بن أبي صُفرة[٣]:

ألا ذهب الغزو المُقَرِّبُ للغنـــــى ... ومات الندى والجودُ بعد المهلّـبِ
أقاما بمروِ الرُّوذِ رهْنيْ ضريـحهِ ... وقد غُيِّبا عن كلِّ شرقٍ ومغْـــرِبِ

ويعلن الفرزدق أنه لم يبق بعد الجرّاح الحكمي من يذود عن المحارم، ويغيث الملهوف، ويشيع الأمن، فكيف لا تبكيه النساء؟ وقد فقدت بموته فارساً شهماً، وبطلاً بارعاً مقداماً يَلُذْنَ به إذا احتدم الصراع وجاش العدو، يقول [٤]:

ومَن بعده تدْعو النساء إذا سَعتْ ... وقد رفَعت عنه ذُيولَ المخـــادمِ [٥]
وكان إلى الجرّاح يسْعى، إذا رأتْ ... حياضَ المنايا عينُهُ، كُلُّ جـــارمِ
وقد عَلِمَ الساعي إليه لتَعْطِفَـنْ ... له حَبْلَ منّاعٍ من الخوف سالـــمِ
لتبْكِ النساءُ الساعياتُ، إذا دعتْ ... لها حامياً، يوماً، ذِمارَ المحـــارم
وتبكِ عليهِ الشمس والقمرُ الـذي ... به يَدَعُ السّارينَ مِيلَ العمائـــمِ [٦]

وخلاصة القول، إن الشجاعة والفروسية من القيم والخصال الفاضلة التي اعتز بها المجتمع الأموي، وحض أبناءه على الاتصاف بها، فبها ترتسم ملامح الأمة، ومن عيني الشجاع الفارس تتبدى بوارق التطلع الحاد الذي يرسم أبعادها وطموحاتها.

وقد احتفى الشعر في العصر الأموي بخصلة الشجاعة والفروسية أبهى احتفاء، فكانت موضع فخر وتميز، ومحط أنظار أبناء العصر، وموضع تقديرهم وإعجابهم، يحترمون ويجلون من يتصف بها ويمتدحونه، ويذمون وينتقصون من يتخلّى عنها ويجانبها، وأدرك شعراء العصر الأموي أن الفارس، وهو يمارس ألوان الشجاعة، ويقدم نماذج الاقتحام البطولي، هو جزء من المجتمع الذي منحه تلك الصفات، ووهبه المسؤوليات الجسام، فهم " حين يخلعون الفضائل على

---

[١] . هو نهار بن توسعة بن أبي عتبان، من بني بكر بن وائل، شاعر بكر في خراسان، كان هجّاءً، هجا قتيبة بن مسلم فطلبه، فهرب واستجار بأم قتيبة، فترضّت له ابنها فرضي عنه وأكرمه، توفي سنة ٨٣هـ. انظر: ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ١ : ٥٢٨ – ٥٢٩ . والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٩٣. والبكري، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، ص٨١٧.

[٢] . هو ظالم بن سراق الأزدي العتكيّ أبو سعيد، أمير، بطّاش، جواد، قال فيه عبد الله بن الزبير: هذا سيد أهل العراق، ولد في دبا، ونشا في البصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة ٧٩هـ، ومات فيها، وهو أول من اتخذ الركب من الحديد، وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب، وكان شعاره في الحرب (حتم لا ينصرون). انظر: الزركلي، الأعلام، ٨ : ٢٦٠ – ٢٦١.

[٣] . الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٣٨٦. والمسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ)، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١، ص٢٩٤

[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢٣٩ .

[٥] . المخادم: خلاخيل المرأة. ويريد من تدعو النساء بعده عندما تشمر ذيولها للهرب يوم الشدة وقد كشفت خلاخيلها.

[٦] . ميل العمائم: أي أخذ النعاس بعيونهم، فهوت رؤوسهم ومالت عمائمهم، كل هذا لاطمئنانهم.

البطل، فإنهم يستوحون قيم المجتمع ومثله العليا في عصر معين، وهم بذلك يحاولون تقريب صورته من صورة الإنسان النموذج التي تعد المثل الأعلى في ذلك المجتمع " [١].

- **النقد الاجتماعي :**

لقد تعرّض المجتمع الأموي لسلسلة من الهزات الناجمة عن تحول المجتمع العربي من البداوة إلى المدنية، وظهور الدولة بسلطتها الحاكمة. وقد أضافت التغيرات السكانية التي جرت في تركيبة المجتمع العربي أموراً في حياة الناس لم يرتضوها، فنبذوها حفاظاً على قيم مجتمعهم ومثله، وانطلقت ألسن شعراء العصر الأموي تنتقد صوراً من الآفات الاجتماعية التي ظهرت في مجتمعهم، مثل؛ تغير القيم وانقلابها، وتقطع العلاقات الاجتماعية وتقوضّها، وتغير الأصدقاء والأقارب وتقلّبهم، وظلم السلطة والمتنفذين من أفراد المجتمع، وسوء الأحوال الاقتصادية وما أدت إليه من فقر وجوع ومرض.

وقد سعى شعراء العصر الأموي وأفراده بنقدهم ذاك إلى نبذ السلوكيات الفاسدة، ورفض كل ما من شأنه أن يسيء لمجتمعهم وحياة أهلهم، فجادت قرائحهم وألسنتهم بما يحفظ عليهم حياتهم الكريمة، وبما يرونه صورة فضلى لمجتمعهم، يربأون بها عن المفاسد والآفات والنقائص التي تقوّض دعائمه وأساساته.

- **انقلاب القيم :**

لقد تمسّك أهل المجتمع الأموي بجملة من القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة والمثل الرفيعة التي سبق الحديث عنها آنفاً، ودعا شعراؤه إلى التمسك بها، وحضوا على التحلي بها، فإذا ما انقلبت القيم وتبدلت الأخلاق بنقيضها بادروا لذم صاحبها ونهوه عن فعلها والاتصاف بها، وعدّوا ذلك التغيّر والانقلاب منقصة ومذمّة تحطّ من قدر صاحبها.

---

[١] . الرقب، شفيق، (١٩٨٤)، شعر الجهاد في عصر الموحدين، مكتبة الأقصى، عمان، ص ٩٤ .

وكما حض شعراء العصر الأموي على التحلي بخلق الإباء، ودعوا الناس إلى تمثل هذه القيمة الكريمة، فكان إباء الإنسان الأموي موضع مدحٍ ومجلب تكريم له، فقد ذم الشعراء الأمويون الذليل، وجعلوه موضع هجائهم ومحطّ سخطهم، وفي ذلك يقول المتوكل الليثي [١] :

تَلْقى الدَّنِيَّ يَذُمُّ مَنْ يَنْوي العُلـــــى ... جَهْلاً وَمَتْنُ قناتِه موصـــــــومُ

فِعْلَ المُنافِقِ ظلَّ يأبِنُ ذا النّهـــــى ... في دينهِ ونِفاقَهُ معلـــــــــومُ

وتنصّلوا من أفعال الدّني الذليل، وقبّحوا ذكره، وذمّوا صنيعه الذي ارتضى به الهوان والذلّ، وقبِل به لنفسه المهانة والخسَّة، يقول جرير هاجياً ذلّ بني ربيعة الجوع، فهم قوم أذلاء لا يحق لهم الفخر [٢]:

أقولُ وذاكُمْ للعَجيبِ الـــــذي أرى ... أمالِ ابنَ مالٍ ! ما ربيعةُ والفخـــرُ

أساءوا فكانتْ من ربيعة عـــــادةً ... بأن لا يزالوا نازلينَ ولا يَقَـــــرُوا

يحالِفَهُمْ فَقْرٌ قديمٌ وذِلّـــــــــــة ... وبِئْسَ الحليفانِ : المذلّة والفقـــــرُ

ويهجو الفرزدق بني باهلة أقذع هجاء لذلّهم وهوانهم، فقد انتُزعت منهم الحميّة والإباء حتى باتوا يرتضون الدنيّة لأعراضهم، فلا تثور ثائرتهم على من يمسّها بسوء، يقول [٣]:

والباهليُّ بكل أرضٍ حَلّهـــــــــا ... عَبْدٌ يُقِرُّ على الهوانِ المُجْلِـــــبِ

والباهليُّ ولو رأى عِرْساً لـــــــهُ ... يُغْشَى حرامُ فِراشِها لمْ يغضَـــــبِ

أما يزيد بن الطَّثريَّة [٤] فلا يقبل فعلة الذليل، ويربأ بنفسه عن الانسياق لدناياه وخسائسه، فهو لا يستكين، بل يسعى لمجابهة خصمه وأضغانه بمثلها، ويترفّع عن مساعدة الذليل الشائن حتى ولو بقي معزولاً دون سند أو معين، ومبعث ذلك شعوره بالاعتزاز والإباء، يقول [٥]:

لا أتّقي حَسَكَ الضغائنِ بالرّقـــــى ... فعلَ الذليلِ وإن بقيتُ وحيـــــدا

لكن أجوِّدُ للضّغائنِ مثلَهـــــــــا ... حتى تموتَ وللحقود حقـــــــودا

---

[١] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص ٩٠ . موصوم: من الوصم، أي العيب والعار . متن قناته : يريد هنا شرفه .

[٢] . جرير، ديوان جرير، ١ : ١٧٨. مال : ترخيم مالك، وأراد مالك بن حنظلة بن مالك .

[٣] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٥ .

[٤] . هو يزيد بن سلمة بن سمرة، ابن الطَّثريَّة، من بني قشير بن كعب، بن عامر بن صعصعة، شاعر مطبوع، من شعراء بني أمية، مقدَّمٌ عندهم، كنيته أبو المكشوح، ونسبته إلى أمه من بني طَثر، من عنز بن وائل، كان حسن الشعر، حلو الحديث، شريفاً، متلافاً للمال، صاحب غزل وطرف وفصاحة وشجاعة، مات سنة ١٢٦هـ. انظر: الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، ٢ : ٥٨٣. والأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١٥٨. وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥ : ٤١٠. والزركلي، الأعلام، ٨ : ١٨٣.

[٥] . ابن الطَّثرية، يزيد بن سلمة بن سمرة (ت١٢٦هـ)، شعر يزيد بن الطثرية، ص٣٦ . حسك الضغائن : الحقد والعداوة .

وهكذا ظل الذليل محطّ هجاء شعراء العصر الأموي وذمهم، فهذا منير بن صخر بن يَعْمُر الرَّاسِبي[١] يذم اللئام الأذلاء من بني قيس، على الرغم من كونهم أخواله، ويسخر منهم ومن ضعفهم، لأنهم يرتضون الذل لأنفسهم، ولمن يستجير بهم أيضاً، ويعقد مقارنة بينهم وبين بني عقيل الأعزة الأُباة، الذين لا يقبلون لمن يستجير بهم ظلماً ولا ذلةً، فأحرزوا بذلك الشرف والرفعة بين القبائل، يقول [٢]:

وجدتُ بني قيسٍ لئاماً أذِلّـــــــــة كثيراً خناهُم ضُحْكَة في المَحَـــافِلِ
وجدْتُهم لمّا أتيتُ بلادَهُـــــــــمْ ضِعافاً قواهم نُهْزَةً للقبائِـــــــلِ
وجارُ عقيلٍ لا يخافُ هَضِيْمَـــــــة يحلُّ نجاةً عن يد المُتَنَـــــــاولِ
ظلوماً ولا يلفى مُجاورُ بيتِهِـــــــمْ يدَ الدهر مظلوماً مُقِرَّاً بباطِـــــلِ
ترى جارهم فيهم كريماً وضيفَهُـــمْ مَنيْعاً حِماهُ آمناً للغَوَائِـــــــــلِ

لقد هجا شعراء العصر الأموي من رضي لنفسه الذلة والدنية، ووصفوه بأبشع الصفات، وتنصلوا منه وابتعدوا عنه، فلحق بالذليل احتقار من المجتمع وازدراء لشخصه وتصرفه، فبات معزولاً مذموماً.

وكما عد الكرم في العصر الأموي خلقاً حميداً فحظي فاعله بالمدح حياً وميتاً، فقد ذم البخل بوصفه خلقاً سيئاً، وخصلة ذميمة يستقبح صاحبها، يقول عمر بن لجأ في ذم البخيل [٣]:

كليبٌ مُنْيَةُ الغازي إذا ما غزا أو شِقْوَةُ الضّيفِ الدّخيلِ

ويرى الأحوص الأنصاري في البخل دناءة لا سموّ لصاحبه [٤]:

وفي البخل عارٌ فاضحٌ ونقيصةٌ على أهله والجودُ أبقى وأوسعُ

ولقد لحق الخزي ببني سعد لبخلهم وشحهم، فهم لا يحسنون إلى الضيف ولا يطعمونه، وهذا ما جرعليهم العار إلى الأبد، يقول الراعي النميري فيهم [٥]:

إنّ ابن مغراء ليس نائلنـــــــــا حتى ينالَ بياض الشمس راميهـــا

---

[١] . شاعر من شعراء الخوارج، له شعر في هجاء أخواله من بني قيس لأنهم رفضوا أن يجيروه من عبيد بن زياد عندما طلب منهم ذلك، وقد مدح رجلاً من بني عقيل أجاره. انظر: عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص٦٣.

[٢] . عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص٦٣. الخنا: العار. ضحكة: هزأة، يضحك منهم ويستهزأ بهم. نهزة: فرصة، أي تنتهز القبائل ضعفهم فتعدو عليهم .

[٣] . التيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ ، ص ١٢٢ .

[٤] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص ١١٥ .

[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص ٢٥١. ابن مغراء: هو أوس بن مغراء السعدي، شاعر إسلامي هاجى الراعي. انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥١. اللوايا: ما يدخره الرجل للضيف أو لنفسه، وقيل هو ما تخبئه المرأة للضيف في بيتها.

تبلى ثياب بني سعد إذا دُفِنـــــــوا تحت التراب ولا تبلى مخازيهـــا
الآكلين اللوايا دون ضيفهـــــــمُ والقِدرُ مخبوءةٌ فيها أثافيهـــــا

- **تغيّر الأصدقاء والأقارب وتقلبهم :**

لقد حرص أهل المجتمع الأموي على صفاء العلاقات الاجتماعية، بما يكفل تماسك مجتمعهم وتعاضد أفراده، ونبذوا كل الضغائن والأحقاد والآفات التي تفت في عضد تلك العلاقات، وتفك عرى أواصرها، فهذا محمد بن بشير الخارجي بلغ أذى أخيه له حداً أضرّ به، فضاق به ذرعاً، ودعاه للكفّ عما يأتيه من أفعال لا تليق بأخوتهما، فتوجه إليه ناصحاً واعظاً، فقال[١]:

وإني قد نَصَحْتُ فلم تُصَدِّق بِنُصْحي واعْتَدَدْتَ فما تُبالي
أراني قد بدا لي أنّ نُصحِي لِغَيّكَ واعتدادِكَ في ضلالِ
وإنَّ جزاءَ عهدِكَ إذ تُوَلِّي بأن أُغْضِي وأسْكُتَ لا أُبَالي

وقد أنكر عبد الله بن الزَّبير الأسدي ما وصل إليه التباغض بين عبد الله بن الزُّبير وأخيه عمرو، إذ أمر الأول بتقييد أخيه وجلده بالسياط حتى أهلكه، فاستفظع الأسدي الأمر، وندد بهذا الفعل الشنيع الذي يقطع الأرحام، فقال[٢]:

أيا راكِبَن إمّا عَرَضت فَبَلّغْـــــــنْ كبير بني العّوام إن قيلَ مَنْ تَعْنـي
ستعلمُ إنْ جالَتْ بكَ الحربُ جَوْلَـــة إذا فُوِّقَ الرّامون أسهُمَ مَن تَعْنـي
فأصبَحَتِ الأرحامُ حينَ وَلِيْتَهـــــا بكفّيْكَ أكراشاً تُجَرُّ على دِمْـــــنِ
عَقَدْتمُ لِعمرو عُقْدَةً وغَدَرْتُـــــــمُ بأبيضَ كالمصباح في ليلة الدَّجْـنِ
فلم أرَ وفْداً كان للغدْرِ عاقِـــــــداً كَوَفْدِكَ شدَّوا غيرَ موفٍ ولا مُسْنِي
قَتَلْتُم أخاكُم بالسِّياطِ سَفَاهَـــــــة فيا لكَ للرأي المُضَلّلِ والأفْـــــنِ

ويُفترض أن يكون ابن عم المرء سنداً له، يعضدهما الود والعون، فهما من أصل واحد، إلا أن هذه العلاقة كانت تقوم أحياناً على التنافس والتحاسد، فكره ذلك أهل المجتمع الأموي ونبذوه، وحضوا على تقوية هذه العلاقة، والحفاظ على متانتها، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة [١]

---

[١] . عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص١١٢.
[٢] . الأسدي، عبد الله بن الزبير، شعر عبد الله بن الزبير الأسدي، ص١٣٣ – ١٣٦. الأفن: الحمق.

ألا مَن يَرى رأيَ امْرىءٍ ذي قَرابَـةٍ ... أبَتْ نَفْسُهُ بالبُغْضِ إلا تَطَلّعـــا
وما ذاكَ عن شيءٍ أكون اجْتَنَيْتُـهُ ... إليكَ وما حاولتُ سُوْءاً فَيُمْنَعـــا
وكان ابن عمّ المرءِ مِثلَ مِجَنِّـهِ ... يَقِيْهِ إذا لاقى الكَمِيَّ المُقَنَّعـــا
إذا ما ابن عمِّ المرءِ أفرَدَ رُكْنَـهُ ... وإنْ كان جَلْداً ذا عَزاءٍ تَضعْضَعـا
فَنَصْرَكَ أرجو ، لا العداوةَ ، إنّمـا ... أبوكَ أبي ، وإنّما صَفَقَنا مَعـا
وإنْ كانَ للعُتْبَى فأهْلُ قَرَابَـةٍ ... وإن كان هذا لانْتِقاصٍ فَمُضْرَعـا
فهذا عتابٌ وازْدِجارٌ فإن يَعُـدْ ... وَجَدِّكَ أدْرِكْ ما تسلّفْتَ أجْمَعـا

وينتقد أرطأة بن سهية المري الحال التي وصلت إليه علاقته مع أبناء عمومته، واصفاً ما بينهم من قطيعة وتباغض وعداء، فيقول [٢]:

لقد طالما عِشنا جميعاً وَوِدُّنـا ... جميعٌ إذا ما يبتَغي الأنْسَ آنِـسُ
كَذلكَ صَرْفُ الدهر ليس بتـارِكٍ ... حبيباً ويبقى عمرُهُ المُتَقاعِـسُ
ونحنُ بنوعمٍّ على ذات بينِنَـا ... زرابيٌّ فيها بغْضَة وتنافُـسُ
ونحنُ كصدعِ العُسِّ إن يُعطَ شاعِبـاً ... يدَعْهُ وفيه عَيْبُهُ مُتشاخِـسُ
كفى بيننا أن لا تُرَدَّ تَحِيَّـةٌ ... على جانبٍ ولا يُشمَّتَ عاطِـسُ

ويتوقع من القريب أن يمدّ يد العون لقريبه إذا احتاجها، وأن لا يخذله، وينصره في الحق، فإذا ما انقلب الحال وكان القريب أنانياً مستأثراً بما لديه، ولا يقدم العون لأقربائه، انتقده أهل المجتمع الأموي وشعراؤه، فهذا قيس بن ذريح يعاتب ويلوم خاله الذي تنكّر له في الشدة والجدب، ولم يساعده وقت حاجته، فيقول [٣]:

أنْبِئْتُ أنَّ لِخالي هَجْمَةً حُبُسَـاً ... كأنّهُنَّ بِجَنْبِ المِشْعَرِ النّصُـلُ
قدْ كُنتَ فيما مَضَى قِدْماً تُجَاوِرُنَـا ... لا ناقَةٌ لك ترعَاها ولا جَمَـلُ
ما ضَرَّ خالي عَمْراً لو تَقَسَّمَهـا ... بعض الحِياضِ وَجَمَّ البِئْرِ مُحْتَفِـلُ

---

[١] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٢٢- ١٢٣. المجن: الترس الذي يتقي به الفارس سيوف الأعداء. الكمي: المتغطي بسلاحه. أفرد ركنه: أراد جعله وحيداً. تضعضع: ضعف. المضرع: المتخثّع.

[٢] . ابن سهية المري، شعر أرطأة بن سهية المري، ص٧١. الزرابي: البسط واحدها زربية. وهي مختلفة الألوان ولذلك ضربها مثلاً. العُس: القدح الضخم. الشاعب: مصطلح الأقداح. المتشاخِس: المتفاوت المتباين.

[٣] . ابن ذريح، ديوان قيس لبنى، ص٩٦. الهجمة من الإبل: ما بين السبعين إلى المائة. الحُبُس: الموقوفة في سبيل الله. الحابس: الإبل كانت تحبس عند البيوت لكرمها. السَّعْرُ والمِشعَر: النبات، والشجر الملتف. النصيل: الفأس. الحوض: جمع حياض، من حاض الماء أي جمعه. جمّ البئر: تراجع ماؤها. محتَفل: امتلأ جنباه.

وانتقد العرب في العصر الأموي خيانة الصديق، وقلة وفائه وخديعته، يقول أبو الأسود الدؤلي [١]:

لعَمْري لقدْ أفشَيْتُ يوماً فخانَنِـــي ... إلى بعْضِ مَنْ لم أخْشَ سِرَّاً مُمَنَّعَا
فَمزقَهُ مَزقَ القَمَا وهوَ غافِـــلٌ ... ونادى بما أَخْفَيْتُ منهُ فأسْمَعـــا
فقلتُ ولم أفحشْ : لَعَاً لك عالِيـــاً ... وقد يَعْثُرُ السَّاعي إذا كان مُسْرِعَا
فَلَسْتُ بجازِيكَ الملامَةَ إنَّـــــي ... أرى العفوَ أدنى للسّدادِ وأوسَعَـا

ويتكرر نقده الاجتماعي هذا في موضوع آخر، يتمثل بشكواه خيانة صديقه له، وذلك بإفشائه لسره، يقول[٢] :

أمِنتُ على السِّرِّ امْرِءاً غيرَ حازمٍ ... ولكنّهُ في النُّصْحِ غيرُ مُرِيـبِ
أذاعَ بهِ في الناسِ حـــتى كأنّهُ ... بعلياءَ نارٌ أُوْقِدَتْ لِثِـــــقُوبِ

لقد طال النقد الاجتماعي في العصر الأموي كل ما يمس علاقات أفراده الاجتماعية، وكل ما يرِثُّ حبائلها، نابذاً كل السلوكيات والتصرفات التي تهدمها وتقطعها، ليبقى المجتمع قوياً بعلاقات أفراده وأواصرهم الوثيقة.

- الفقر وسوء الأحوال المعيشية :

شاع الفقر في البادية والمدينة كما شاع الغنى على السّواء، وشكا الشعراء الأمويون فقر الناس وجوعهم وبؤسهم، وانتقدوا سوء تدبير أمور حياتهم الاقتصادية، التي أفضت إلى انتشار كثير من المفاسد والآفات الاجتماعية، فهذا جرير يرحل للحجاج مشتكياً منتقداً جدب الحياة وجوع الفتيات، فيقول [٣]:

ألا نشكو إليكَ زمان مَحْـــلٍ ... وشُرْبَ الماءِ في زَمَنِ الجليـدِ
ومَعتبةَ العيال وهم سِغـابٌ ... على دَرِّ المُحَالِجةِ الرَّفـــــودِ
زماناً يتركُ الفتيات سـُـوداً ... وقد كان المحاجِرُ غَيْرَ سُـــودِ

---

[١] . الدؤلي، أبو الأسود، ديوان أبي الأسود الدؤلي، ص٤٣ – ٤٤. القماء: المطر يقود السحاب. لعاً: تقال للعاثر لينتعش.
[٢] . الدؤلي، أبو الأسود، ديوان أبي الأسود الدؤلي ، ص٤٥. ثقبت النار: طرح عليها الحطب ليرتفع لهبها.
[٣] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٢٨. المجالحة من الإبل: التي تدوم على محلبها لا ينقطع درها شتاءها كله، وهي المُكود، وكذاك الرفود والجلوح.

وقد دافع الفرزدق عن أفراد تميم، وعبّرعن قضايا جماعته والمآسي التي يعانونها، وانتقد سوء توزيع الثروة، وغياب العدالة الاجتماعية، فقال [١]:

أغِثْ مُضَراً إنّ السِّنِينَ تتابَعَــتْ ... عليـــها بِجِزٍّ يكسِرُ العَظْمَ جــازِرُهْ
فكلُّ مَعَدٍّ غَيْرُهُمْ حَولَ ساعِـــــدٍ ... من الرِّيفِ لم تُحظَرْ عليهم قناطِـرُه
وهم حيثُ حَلَّ الجوعُ بينَ تِهامَةٍ ... وخَيبَرَ والوادي الذي الجوعُ حاضِرُهْ

وانتقد عبيد الله بن الحر الفقر وما يرتب على صاحبه من ذلة وهوان، وعد الموت أكرم منه فقال[٢]:

لعلّ القَنا تدني بأطرافها الغِنــى ... فنحيا كراماً أو نموتُ فَنُقتَـــــــــلُ
ألمْ ترَ أنَّ الفقْرَ يزري بأهلـــهِ ... وأنَّ الغِنى فيه العلـــــى والتَّجمُّـــلُ
وإنكَ إنْ لا تركب الهَوْل لا تنَـلْ ... منَ المال ما يكفي الصَّدِيقَ ويفضُـــلُ

وكثيرة هي الأشعار التي شكت الفقر وتردي أحوال الناس المادية، وانتقدت استبداد الولاة والحكام، وتعسف أهل الأمر في توزيع الثروات، ويستطيع القارئ أن يستطلع تفصيلاً في هذا في عدد من الدراسات التي خُصّت للحديث عن الحياة الاقتصادية في العصر الأموي [٣].

- **<u>الظلم الاجتماعي :</u>**

انتقد أهل المجتمع الأموي المعاملة غير الإنسانية لهم، والإساءة إليهم من قبل السلطة الحاكمة، فالكميت بن زيد الأسدي يبيّن مساوئ السلطة الحاكمة ومعاملتها غير الإنسانية لأهل مجتمعه، إذ يعاملونهم كما تعامل الأغنام، دون أدنى احترام أو تقدير لإنسانيتهم، يقول [٤]:

سَاسَةٌ لا كمن يرى رِعْيَةَ النَّا ... سِ سواءً وَرِعْيَةَ الأنْعـــــامِ
لا كَعبْدِ المليكِ أو كَوَليـــــدِ ... أو سُليمانَ بَعْدُ أو كهِشـــــامِ

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٤٩. الحز: القطع. الساعد: الناحية. الوادي: أي وادي القرى.
[٢] . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ١ : ١١١.
[٣] . انظر: رواقة، إنعام موسى، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، ص٢٢ - ٤٢. وعبد الله، علي أحمد (٢٠٠٣)، شعر الشكوى في العصر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
[٤] . الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ٢ : ١٧٥.

ويشكو الكميت بن زيد الأسدي أيضاً جور الأمويين وظلمهم، وسفكهم لدماء المسلمين، واستبدادهم المالي، فيقول [١]:

لَهُم كلَّ عامٍ بدِعَةٌ يُحْدِثونَها ... أزَلُّوا بها أتباعَهُمْ ثُمَّ أوحَلوا
تَحِلُّ دماءُ المسلمينَ لديهمُ ... ويَحْرُمُ طَلْعُ النَّخْلَةِ المُتَهَدِّلُ
وأظماؤُنا الأعشارُ فيما لديهمُ ... وليسَ لنا في رِحلَةِ الناسِ أرحُلُ
فيا ربِّ هل إلا بكَ النّصرُ نبتغِي ... عليهمْ وهَلْ إلا عليكَ المُعَوَّلُ

وقد صوّر الراعي النميري ظلم السعاة وسياساتهم التي هدفت إلى إرضاء الخليفة الأموي، والمحافظة على دخل الدولة دون مبالاة بأحوال الناس، محاولاً إيقاظ شعور المسؤولية في ضمير الخليفة عبد الملك بن مروان عبر شكوى شيخ ضعيف تعبر عن أرقه وهمّه وضعف حيلته في دفع الظلم الذي حاق به وبعشيرته، يقول الراعي [٢]:

أوَلِيَّ أمْرِ اللهِ إنَّ عَشيْرَتي ... أمْسَى سَوَامُهُمُ عِزِيْنَ فَلُولا
قَطَعوا اليَمامَةَ يُطْرَدُونَ كأنّهُمْ ... قومٌ أصابوا ظالِمينَ قتيْلا
يَحْدُونَ حُدْبَاً مائلاً أشْرَافُها ... في كلِّ منزلةٍ يَدَعْنَ رَعيلا
شَهْرَيْ ربيْعٍ ما تذوقُ لَبُونُهُمْ ... إلا حُمُوضاً وَخْمَةً وَدَويلا

وارتجاه أن يرد عنه وعن عشيرته الحيف الذي طالهم من ولاته وسعاته، وناشده لأنه الخليفة والملجأ، والمستعان في الملمات والنكبات [٣]:

فادْفَعْ مَظَالِمَ عَيَّلَتْ أبْناءَنا ... عَنّا وأنْقِذْ شِلْوَنا المَأكُولا
فَنَرى عَطيَّة ذاكَ إنْ أعْطَيْتَهُ ... مِن ربِّنا فَضْلاً ومِنْكَ جَزِيْلا

ويستفزّه ليعاقب السعاة، مذكراً إياه بموقعه الذي يستوجب عليه محاسبة الظالم، فهو الآمر الناهي الذي يجب أن يطاع، وهو الذي يستطيع رد الحقوق وتحقيق العدل بين الرعية [٤]:

أنْتَ الخليفَة حِلْمُهُ وفَعَالُهُ ... وإذا أرَدْتَ لِظالِمٍ تنْكيلا
إنَّ السُّعاةَ عَصَوْكَ حينَ بَعَثْتَهُم ... وأتَوْا دَواعِيَ لو عَلِمْتَ وَغُولا
إنَّ الذينَ أمَرْتَهُمْ أنْ يَعْدِلوا ... لمْ يفعَلوا مِمَّا أمَرْتَ فَتِيْلا

---

[١] . المصدر نفسه، ٢ : ٢١٢. الوَحل: الطين الرقيق. المتهدل: المسترخي. الحرمل: حب كالسمسم، واحدته حرملة. الأرحل: السفر.
[٢] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ٥٥. عزين: جماع عزة، وهي جماعات في تفرقة. الأشراف: الأسنمة. والحدب: الإبل المهزولة. والرعيل: اسم كل قطعة متقدمة من الخيل والإبل والرجال ونحوها. والدويل: ما تحطّم واسود من النبات.
[٣] . المصدر نفسه، ٥٧. شلو الإنسان: جسده بعد بلاه.
[٤] . المصدر نفسه، ص ٥٧ – ٦١. الغول: الداهية، وكل ما أهلك الإنسان فهو غول.

ولتحقق شكواه أثراً في نفس الخليفة يفصل له المظالم التي ارتكبها هؤلاء السعاة، ويعدد له أساليبهم القمعية التي يتّبعونها، إذ لا يجرؤ المظلوم أن يعبر أو يرفض الظلم، بل عليه أن يخنع ويرتضي فعالهم، وإلا فسيأكل السياط جلده ويمزق جسده [١]:

أخَذوا المَخَاضَ منَ العِشَارِ ظَلامَـةَ مِنّا وتُكْتَبُ للأميرِ أفِيْـــــــــــلا[٢]
أخَذوا العَرِيْفَ فَقَطَعوا حَيْزومَـــــهُ بالأصْبَحِيَّةِ قائِماً مَغْلـــــــــــولا[٣]
حتى إذا لم يتْرُكوا لِعِظامِـــــــــهِ لحْماً ولا لِفؤادِهِ مَعْقـــــــــولا[٤]
نَسِيَ الأمانَة مِنْ مَخافَةِ لَقَـــــــحٍ شُمُسٍ تَرَكْنَ بضَبْعِهِ مَجْـــــــزولا[٥]

وحتى الموالي أعلنوا ظلامتهم لعبد الله بن الزبير على لسان أبي حرّة مولى خزاعة، فقد انتقد وشكا ما يلاقيه هو وأمثاله من الموالي من التفريق والتمييز، وما يعيشونه من ظلم وقهر، وجوع وفقر، يقول[٦]:

أبلغْ أُميَّةَ عنِّي إن عَرَضْتَ لـها وابنَ الزُّبيرِ وأبلغْ ذلـــك العَرَبا
إنَّ الموالِيَ أضْحَتْ وهي عاتِبةٌ على الخليفة تشكو الجُوعَ والحَرَبَا

وينتهي الأمر إلى أن أهل المجتمع الأموي وشعراءه دافعوا عن حقوقهم ومجتمعهم، وكانوا الصوت المرتفع في نقد كثير من الآفات الاجتماعية والسلوكيات غير الأخلاقية والتصرفات غير الإنسانية التي واجهوها، فاحتجوا عليها ونبذوها، فلم يحيدوا عن قيمهم وثوابتهم وأخلاقهم الرفيعة، ولم يرضوا بالظلم والقهر، ولم يقبلوا الفساد والإهانة، وانتقدوا قطع العلاقات الاجتماعية، واستهجنوا كل ما يسيء إليها، وشكوا فقرهم وقلة حيلتهم، وسوء إدارة حكامهم وولاتهم وسعاتهم، وانطلقوا في ذلك كله من حرصهم الشديد على مجتمعهم وديمومة علاقات أفراده الاجتماعية، وصلاح أحوالهم المعيشية التي يضمنون بها عيشاً كريماً.

---

[١] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري ، ص٦١ – ٦٢.
[٢] . المخاض: النوق الحوامل، والفصيل ابنها. ظلامة: أي يغلب سريعاً. الأفيل: من أولاد الإبل، ما أتى عليه سبعة أشهر.
[٣] . عريف القوم: سيدهم. والعريف: القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، وقيل: هو النقيب، وهو دون الرئيس. الحيزوم: الصدر، وقيل: ما استدار بالظهر والبطن. الأصبحية: السياط من القد، نسبت إلى ذي أصبح الحميري.
[٤] . المعقول: العقل.
[٥] . لقح: أيد ترتفع عليه بالسياط، وقد شبهها بأذناب الإبل اللواقح. شمس: صفة للإبل الحوامل لا للأيدي. الضبع (بالفتح): العضد كلها، وقيل: أوسطها بلحمها. المجزول: المقطوع.
[٦] . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٥ : ١٨٨.

- **الأطعمة والأشربة :**

اتسمت معيشة العرب في بادئ الأمر بالبساطة، " فكانوا في صدر الإسلام يكتفون بالقليل من الطعام الذي لم يجاوز لوناً أو لونين، وكان خير أدمهم اللحم "[١]، ويبيّن حديث ابن طباطبا مبلغ زهد الخلفاء الراشدين وتقشفهم ، حيث يقول: " اعلم أنها دولة لم تكن طرز دول الدنيا، وهي بالأمور النبوية والأحوال الأخروية أشبه، والحق في هذا أن زيَّها قد كان زي الأنبياء، وهديها هدي الأولياء، وفتوحها فتوح الملوك الكبار، فأما زيُّها فهو الخشونة في العيش، والتقلل في المطعم والملبس ... وكان طعامهم من أدنى أطعمة فقرائهم " [٢] .

وتبدلت هذه الحال في العصر الأموي، لما عاشه الأمويون من رغد العيش وترفه، ولاتصالهم بالأمم الأخرى التي عرفوا منها ألواناً متعددة من الأطعمة لم تكن مألوفة لديهم من قبل، ومن ذلك؛ سؤال الحجاج للدَّهاقين عن ولائم الفرس حينما أولم في اختتان بعض ولده، حيث سأل عن أعظم صنيع عرفوه [٣].

وقد تنوعت أصناف الأطعمة التي عرفها الناس في العصر الأموي، وتعددت طرائق تحضيرها وأدواتها، وكان من أشهرها " الشواء "، الذي رافق تناوله عند بعضهم شرب الخمر المجوّدة المعتقة المنتقاة، فالراعي النميري يلتئم وأصحابه ليتناولوا الطيور المشوية ويشربون الخمر المصنوعة من العنب المحبوس [٤]:

ونازَعَني بها نَدْمَانُ صِدقٍ شِوَاءَ الطَّيْرِ والعِنَبَ الحَقِينا

وقدم المضيف الشواء والسقاء لضيفه، فكان بذلك موضع مدحه وثنائه، وهذا حال الفرزدق الذي أثنى على صاحبه لأنه أكرم ضيفه بالشواء واللحم القديد، وأسقاه الخمرة الصافية، يقول[٥] :

جَمَعَ الشِّواءَ مع القَديدِ لِضَيفِهِ كَرَماً وَيَثْنِي بالسُّلافِ القَرْقَفِ
مِن عاقِرٍ كَدَمِ الرُّعافِ مُدامَةٍ صَهباءَ، أَشْبَهَها دِماءُ الرُّعَّفِ

---

[١] . أبو موسى، أحمد (٢٠٠٨)، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، منشورات جامعة تشرين، اللاذقية، ص٣٦٣.
[٢] . ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي (ت٧٠٩هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (تحقيق عبد القادر محمد مايو)، دار الفكر العربي، حلب، ١٩٩٧م، ص١١٨.
[٣] . انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص٤٩١.
[٤] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٤٨. الحقين: الذي جمع في السقاء وحقن، أي حُبس.
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ١٨. السُّلاف: الخمرة. القرقف: التي تقرقف شاربهالبرودتها؛ أي ترعده.

وقال في موضع آخر [١]:

ولا زادَ إلا فَضْلَتانِ : سُـــلافةٌ وأبيضُ مِن ماء الغَمامةِ قَرْقَفُ

وأَشْلاءُ لحْمٍ من حُبَارَى يَصيدُها إذا نحنُ شئِنا صاحِبٌ مُتَأَلِّـــفُ

وقد يكون الشواء على الجمر، أو يُكْبَس بعد مزجه بالتوابل فيسمى " الجردناج" ، ويذكره إسماعيل بن عمار [٢] بقوله [٣]:

يشوي لنا الشَّيْخُ شَوْرَيْنٌ دواجِنُهُ بالجُرْدَنَاجِ وسَـــــحَّاجِ الشَّقابِينِ

ومن المأكولات التي آثر بها الفرزدق صديقه " اللَّوية "، وهو طعام تدّخره المرأة وتؤثر به زوجها وصِبْيتَها وبعض قرابتها، يقول [٤]:

آثَرْتَ نَفسكَ باللَوِيَّةِ والّتي كانت لـــــــــها ولِمِثْلِها الأَذْخَارُ

ويصف الفرزدق أيضاً نوعاً آخر من المأكولات، وهي حنطة شامية ملتوتة بالزيت [٥]:

أَتَتْهُمْ بِعِيرٍ لَمْ تَكُنْ هَجَـــــــــرِيَّةً ولا حِنْطَةَ الشّـــامِ المَزِيْتِ خَمِيرُها

وشاعت أطعمة في العصر الأموي نتيجة تقليد أهله للأعاجم، فأكلوا " السُّكباج "، وهو نوع من المرق، كان يصنع من مرق اللحم والخل وتوضع فيه اللحوم المطبوخة كالدراج ونحوه، وكانوا يدعونه " سيد المرق "، وعرفوا " الفَالُوذَج "، وهو نوع من الحلوى، و" اللوزينج " المحشو باللوز والسكر، والجوزاب والخشاف والجلاب وغيرهما، وعرفوا طبخ اللحم باللبن والخضار والتوابل[٦].

وتناول العرب في العصر الأموي الأسماك، فأكلوا " القُبابَ "، وهو سمك يشبه الكنعد، وقد صوّره جرير، فقال [٧]:

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق ، ٢ : ٢٥- ٢٦. الحبارى: طائر. المتألف: الذي ربيناه، وتألفناه.

[٢] . هو إسماعيل بن عمار بن عيينة بن الطفيل الأسدي، مخضرم من شعراء الدولتين، ومن ساكني الكوفة، كان هجّاءً مرّاً، و كان في جواره رجل ينهاه عن السكر وهجاء الناس وكان إسماعيل يبغضه، وكان يسمع غناء قيان لرجل يدعى (ابن رامين) ويقول فيهن الشعر، اتهمه أمير الكوفة بأنه من الشراة، وأنهم يجتمعون عنده فسجنه، ثم أطلقه الحكم بن أبي الصلت لما ولي الكوفة، وأحسن إليه، فأكثر إسماعيل في مدحه، توفي نحو ١٥٧هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ١١ : ٣٦٧. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٣ : ٢٣٢. والزركلي، الأعلام، ١ : ٣٢٠.

[٣] . الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص٣٦٩. سحّاج: مقشّر. الشقابين: طائر نبطي.

[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٧٥.

[٥] . المصدر نفسه، ١ : ٣٦٧. الهجرية: الحاملة التمر من هجر. المزيت: الملتوت بالزيت.

[٦] . انظر: زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ٥ : ٨١.

[٧] . جرير، ديوان جرير، ١ : ١٤٨. الصير: الصحناة، وهو إدام يُتخذ من السمك.

لا تَحْسَبَنَّ مِرَاسَ الحَرْبِ إذ خَطَرَتْ أَكْلَ القُبابِ وأَدْمَ الرُّغْفِ بالصِّيْرِ

والصِّيْرُ: سميكات مملوحة تعمل منها الصَّحْناة [١]، وقد ذكرها جرير بقوله [٢]:

كانوا إذا جَعلوا في صِيْرِهِم بصلاً واسْتَوْسَقُوا مَالِحَاً من كَنْعَدٍ جَذَفُوا

ولم يستطع جرير توفير " الصِّنَاب " لجاريته، وهو إدام يُتَّخذ من الخردل المضروب بالزبيب، ويذكر أيضاً الصّلائق، وهي الرِّقاق، وكل ذلك من الأطعمة التي عرفها أهل المجتمع الأموي، يقول[٣]:

تُكَلِّفُني مَعِيشَـــــــــةَ آل زيدٍ ومَنْ لي بالصَّلائِـــقِ والصِّنابِ

ويرد الفرزدق على هجائه له، فيقول [٤]:

لَئِنْ تَفْرَكْكَ عِلْجَـــــةُ آل زَيْدٍ وَيُعْوِزْكَ المُرَقَّقُ والصِّـــــنابُ

فَقِدْماً كان عيشُ أبِيـــــكَ مُرَّاً يَعيشُ بما تعيْشُ به الكِـــــلابُ

وكان الراعي النميري يطعم خيله " الرِّقاق "؛ لتغدو قوية سريعة، يقول واصفاً مبلغ عنايته بها[٥]:

عافِي الرِّقاقَ مِنْـهَبٍ مَبُوحِ وفي الدِّهاسِ مِضْبرٍ ضَـــــروحِ

وعرف الناس في العصر الأموي من الأطعمة " الخمير "، وهو الخبز المختمر[٦]، يقول الكميت الأسدي واصفاً هذا النوع من الطعام [٧]:

وأقامُوا على الجِفانِ مـــــلاءً قُمْعَاً واريـــــاً كَسَوْهُ الخميرا

والزيت من الأطعمة المعروفة الشائعة في العصر الأموي، وقد ذكرها الفرزدق في قوله[٨]:

---

[١] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صير).
[٢] . جرير، ديوان جرير، ١ : ١٧٧.
[٣] . المصدر نفسه، ٢ : ٨١٢.
[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٠٦. تفركك: من فركت المرأة زوجها، أي أبغضته. العلجة: الضخمة القوية. المرقق: الرغيف الواسع الرقيق.
[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٢٦٩. المنهب: الفرس الفائق في العدو. المبوح: المباح. الدهاس: المكان السهل. مضبر: جمع قوائمه. الضروح: الرموح.
[٦] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمر).
[٧] . الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ١ : ٢٠٠. القمع: السنام. الواري: السمين. الخمير: الخبز المختمر، وأراد الثريد.
[٨] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ١٣ – ١٤. المهم: القفر. التجانف: من تجانف؛ أي عدل عن الطريق.

عِتاقٌ تَغَشَّتْها السُّرَى كُلَّ ليلَــةٍ وَرُكْبانُها كالمَهَـــــمَهِ المُتجانِفِ

كأنَّ عَصيرَ الزَّيتِ مِمّا تكَلَّفَــتْ تَحَلَّبَ مِن أعنَاقِــها والسّــوالِفِ

فهو يشبه عَرَقها المُتحلِّب من أعناقها بالزيت في اسوداده وخثوره.

ويرسم ذو الرّمة صورة عيون الإبل إذا تعبت كأنها الزيت اللامع في أواني النحاس[١]:

فجِئْنا على خوصٍ كأنَّ عيونَها صُباباتُ زيتٍ في أوَاقيَّ من صُفْرِ

ومن الأطعمة المعروفة لديهم أيضاً، " النَّشِيْل "، وهو اللحم المطبوخ بغير توابل، إضافة إلى طعام يتخذ من اللحم يدعى " الخَضِيْعَة "، وقد حشوا كروش الضأن الصغيرة بالأرز المتبّل والفلفل والزعفران، وأطلقوا عليه اسم " السَّخاتير " [٢].

وعرف عن بعض خلفاء بني أمية حبهم للطعام، ومنهم؛ معاوية بن أبي سفيان، الذي كان يكثر من الطعام حتى قيل إنه كان يأكل في كل يوم خمس أكلات، كما اشتهر سليمان بن عبد الملك بحبه للطعام وتفننه في اختيار ألوانه وأصنافه، وعُرف بنَهَمِه [٣].

ولاهتمامهم بالأطعمة وأصنافها وأشكالها جعلوا لكل مناسبة اسماً خاصاً بها، فأطلقوا لفظ "الوليمة" على طعام العرس، و" الإعذار " على طعام الختان، و" الخرس " على طعام الولادة، و" النقيعة " على طعام القادم من السفر، و" المأدبة " على طعام الضيف، و" الوكيرة " على طعام الاحتفاء ببناء الدور [٤]، وقد يرافق هذه الأطعمة أصنافٌ متنوعة من الأشربة، ويصحبها الغناء والموسيقى في الاحتفالات.

وتنوعت أنواع الخضراوات والفواكه في العصر الأموي، وكان يُجلب معظمها من غوطة دمشق، التي اشتهرت بزراعة الكرمة، واللوزيات، والتوت[٥]، وغيرها من المحاصيل الزراعية، التي كانت مادة لأطعمتهم وأشربتهم.

---

[١] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٢٢٨. الخوص: الإبل الغائرات العيون. الصبابات: ما بقي من الزيت في قعر الإناء.

[٢] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص١٢٦. والمسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، ص٤٠.

[٣] . انظر: أبو موسى، أحمد، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص٣٦٥.

[٤] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص١٢٠ – ١٢١.

[٥] . انظر: حسين، فالح (١٩٧٨)، الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ص١٢٦ – ١٢٩.

وشاعت عندهم ألوان من الحلوى مثل؛ الطَّفْشَلِيَّة، والهريسة، والفِجْليّة، والكُرُنْبَة، والخبيص، والكعك [١]، وعرف الناس في العصر الأموي عدداً من أنواع الأشربة، وقد ذكرها الشعراء الأمويون في أشعارهم، وكان من أشهرها العسل، حيث ذكره جرير مشبهاً به حديث صاحبته [٢]:

وبِمنطِقٍ شَغَفَ الفُؤادَ كـــــأنّهُ عَسَـــــــلٌ يَجُدْنَ به بغيرِ مِزاجِ

وكذلك فعل ذو الرُّمة حينما جعل حديث صاحبته كطعم الشهد، وهو من أسماء العسل [٣]:

حديثاً كطعمِ الشَّهْدِ حُلوَاً صُدُورُهُ وأعْـــجازُهُ الخُطْبانُ دونَ المَحَارِمِ

وقد شرب أهل العصر الأموي الزنجبيل، وحلّوه بالعسل، يقول ذو الرمة [٤]:

تُعاطِيْهِ أحياناً إذا جِيْدَ جَـــوْدَةً رُضاباً كَطَعْم الزَّنجبيلِ المُعَســـلِ

ومن الشراب الذي كان بمنزلة الطعام يُقرى به الضيف إذا حلَّ " المُسْطار"، وهو من أنواع الشراب السائد في العصر الأموي، وفيه حموضة، يصفه عدي بن الرقاع بقوله [٥]:

نَقْرِي الضُّيوفَ إذا ما الزَّادُ ضُنَّ بهِ مُسْطَارُ ماشِيةٍ لم يَعْدُ أنْ عُصِرا

واللبن من المشروبات الشائعة عند العرب في العصر الأموي، وساعد في شيوعه كثرة أنعامهم وإبلهم، فهذا ابن قيس الرقيات يذكره في مدحه لمصعب ابن الزبير، فيقول [٦]:

مَلِكٌ يُطْعِمُ الطَّـــــعامَ ويَسْقِي لَبنَ البُخْتِ في عِسَاسِ الخَلَنْجِ

وشاع عندهم شراب الزبيب بعد أن يُنتقع ويُدق في المهراس، ويُصب عليه الماء، ثم يُصفّى ويُشرب، وكذلك شراب السكر، ويأتي جرير على ذكر الشرابين في شكواه لسليمان بن سعد الخشني[٧] صاحب ديوان العطاء باليمامة [٨]:

---

[١] . رواقة، إنعام موسى إبراهيم (١٩٩٥)، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص٩٢. الكرنبة: السلق. الخبيص: الحلواء المخبوصة.

[٢] . جرير، ديوان جرير، ١ : ١٣٧.

[٣] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٤٢٠. الأعجاز: الأواخر. الخطبان: الحنظل المخطط.

[٤] . المصدر نفسه، ص٣٦٥. الرضاب: الريق. جيْد جودَة: أي عطش عطشة.

[٥] . العاملي، عدي بن الرقاع (ت٩٥هـ)، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، (تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م، ص١٨٩. عُصِر: طُيِّب . لم يعد : لم يجاوز.

[٦] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢٢٩. البخت: الإبل الخراسانية. عساس: جمع عُسّى، وهو قدح ضخم. الخلنج: شجر تتخذ من خشبه الأواني.

[٧] . هو سليمان بن سعد الخشني، أول من نقل الدواوين من الرومية إلى العربية، وأول مسلم ولي الدواوين كلها في العصر الأموي، وهو من أهل الأردن، انتقل إلى دمشق فولي الديوان لعبد الملك بن مروان، توفي نحو ١٠٥هـ. انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ١٤٤. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٧ : ٤٥٤. والزركلي، الأعلام، ٣ : ١٢٦.

[٨] . جرير، يدوان جرير، ٢ : ٧٣٠.

تركتُ عِيالي لا فواكِـــهَ عندهُمْ وعند ابن سعد سُكَّرٌ وزبيب

وعرف العرب آنذاك " السَّوِيْق"، وهو شراب يتخذ من الحنطة والشعير، وقد قدّمه الخليفة هشام بن عبد الملك للحجيج، وامتلأ دهليز كان في دار رَمْلَة بنت عبد الملك بأسوقة محلاّة ومحمّضة تسقى في الموسم[١].

والخمرة مشروب ليس بجديد في العصر الأموي، وهو شائع فيه، كثير الذكر عند شعرائه، وتفنن أهله في صُنعه وتحضيره، يقول المتوكل الليثي في وصفه [٢]:

كأنَّ مُدَامَةً صـــــــهباءَ صِرْفاً تَرَقْرَقُ بـــــين راوُوقٍ وَدَنِّ
تُعَلُّ بها الثَّـــــنايا من سُلَيْمى فراسَةُ مُقلَتِي وصَـحِيحُ ظَنِّي

وكانت الخمور تُجلب من الشام والعراق وفارس، والمستوردة منها من النوع الجيد، وهي باهظة الثمن، فلا يقتنيها إلا الكريم الثري[٣].

ويصف الأخطل لون خمرته، فهي كلون الجلد المدبوغ، قائلاً[٤]:

فكأنمـــــا أنا شارِبٌ جادَتْ لهُ بُصْرَى بِصَـــافِيةِ الأدِيمِ عُقارِ

ويشبه يزيد بن معاوية الخمر بقرن الشمس التي تأفل في فمه [٥]:

وشَمْســـــةُ كرمٍ بُرْجُها قَعْرُ دَنِّها ومَطلَعُها السَّاقي ومَغْرِبُهَا فَمِي

وهكذا، كان لرغد العيش الذي عاشه أهل المجتمع الأموي وترف حياتهم واتصالهم بالأمم الأخرى الأثر البالغ في معرفتهم لأنواع متعددة وأصناف متنوعة من الأطعمة والأشربة، مهروا في طبخها وتحضيرها، وشاع أكثرها على موائدهم وفي مناسباتهم.

---

[١] . انظر: الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ج٢، ص٢٤٩.
[٢] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص٢٧٠ – ٢٧١. الراووق: إناء خاص بالخمر. الدن: واحد الدنان، وهي الحباب. تعل: تسقى مرة بعد مرة. الثنايا: الأسنان، وهي أربع.
[٣] . حاوي، إيليا (د.ت)، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ص٧٤.
[٤] . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٤١٠. عقار: سريعة الأخذ. بصرى: موضع بالشام. صافية الأديم: خمرة حمراء اللون.
[٥] . يزيد بن معاوية، ديوان يزيد بن معاوية، ص٦٥.

- **الألبسة :**

كان العرب في جاهليتهم أميل إلى البساطة في الملبس، حيث تكوّن لباسهم من القميص، والحلّة، والإزار، والشّملة، والعباءة، والعمامة، كما عرفوا النعال والخفاف، واختصر لبسُها على بعض الخاصة [١].

واستمر العرب في العصر الأموي على ما كان العرب عليه في الجاهلية، مع بعض التطور الذي أصاب ملبسهم نتيجة اطّلاعهم على الأمم الأخرى وأرديتها، إضافة إلى ما أصاب مجتمعهم من ثراء وترف، فعرفوا أنماطاً جديدة من اللباس، فقيل إن أول من لبس الدراريع السود المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأول من لبس الخز الأدكن عبد الله بن عامر، وأول من لبس الطيلسان في المدينة جبير بن مطعم [٢].

وتناسب لباس أهل العصر الأموي مع طبيعة حياتهم وما أصابها من تبدل وتغير، فلبسوا أجود الملابس المصنوعة من الكتان والقطن والديباج والخز، ومن أهم الملابس التي عرفها الناس آنذاك وذكرها الشعراء الأمويون :

- **الثوب :**

وقد بالغ العرب في العصر الأموي في التفنن بأنواع الثياب وزخرفتها، ولا سيما نساؤه اللواتي تمتعن بقسط وافر من الحرية الاجتماعية، فانطلقن في دروب التحضر والتمدن، ينبذن في طريقهن هذا شظف العيش الذي عشنه، وخشونة الحياة التي حيينها سابقاً، حتى غدت المرأة الأموية مترفة منعمة متزينة، تتأثر بورق الورد لنعومته، كما يقول قيس بن ذريح [٣]:

ولو لبِسَتْ ثوباً من الوردِ خالصاً لخدَشَ منها جلدَها ورقُ الوردِ

ويصف العرجي ثياب محبوبته الرقيقة الناعمة الفوَّاحة بالطيب والعطور، فيقول [٤]:

مجاسِدُها نَفْخٌ مِلاءٌ كأنّها نواعِمُ حورٍ تحتهُ الماءُ رَاكِدُ

---

[١] . انظر: الجبوري، يحيى (١٩٨٩)، الملابس العربية في العصر الجاهلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص١٠.
[٢] . انظر: المصدر نفسه، ص١٢ – ١٣.
[٣] . ابن ذريح، ديوان قيس لبنى، ص٣٦.
[٤] . العرجي، ديوان العرجي، ص٢١١. المجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب الذي يلي البدن. النفخ: الرائحة الطيبة، وقصد الملاءة المطيبة. الحور: البيض الألوان.

- **الحُلَّــة :**

وتتكون من رداء وقميص وعمامة وإزار، أي كساء كامل[١]، ويصف النابغة الشيباني حلة يزيد بن عبد الملك التي تجل عن الوصف، فيقول [٢]:

ويلْبَسُ حُـــلَّةً أَعْذَرْتُ فيها عليهِ فوق مِئْزَرِهِ الرِداءُ

إلى الشُمِّ الشَّمارِخ مِن قُريشٍ تَجَوَّبُ عن ذوائبِها العَماءُ

ويذكر ابن قيس الرقيات الحُلَّة في مدحه لمصعب بن الزبير، فيقول [٣]:

وهُمُ المُحتبُون في حُلَلِ اليُمْـ ـنةِ فيهِم ســماحَةٌ وبَهاءُ

ولم يقتصر ارتداء الحُلة على الرجال دون النساء في العصر الأموي، فصاحبة العرجي ترتدي حُلَّة مطرزة مهدّبة، يقول [٤]:

في حُلَّةٍ من طِرازِ السُّوسِ مُشْرَبَةٍ تَعفو بِهَدَّابِها ما تُنْدِبُ القَدَمُ

وهي من بلدة السوس في خوزستان التي عرفت بتطريز الألبسة الحريرية.

- **الرداء والإزار :**

والإزار هو كل ما واراك وسترك[٥]، وقد ارتداه الرجل الأموي اهتماماً منه بأناقته ومظهره، كما ذكر ذلك جميل بن معمر حين قال [٦]:

وإذ أنا أغْيَدُ غَضُّ الشّــبابِ أجُرُّ الرِّدَاءَ مـــــع المِئْزَرِ

وإزار صاحبة ابن قيس الرقيات من الخز الأسود [٧]:

تَعْقِدُ المِئْزَرَ السُّخَامَ مِنَ الخـ ـزّ على حَقْوِ بادِنٍ مِكْسَالِ

وهو ليّن يغطي خصرها السمين.

---

١ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حلل).
٢ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٢٩. الشمارخ: جمع شمراخ، وهو أعلى الجبل. تجوب: تزايل وانكشف. العماء: السحاب أو المعتم منه.
٣ . الرقيات، عبيد بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٤٦. المحتبون: المشتملون بالثوب اليماني.
٤ . العرجي، ديوان العرجي، ص٣١٣. المشربة: المختلفة الألوان. الهداب: ما استرسل من حواشي الثوب.
٥ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (أزر).
٦ . جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ص١٠٦. أغيد : ناعم متأنٍّ.
٧ . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٧٩. السحام: المئزر اللين. الحقو: مكان عقد الإزار من الكشح. البادن: السمين.

ويبرز الشاعر نصيب بن رباح دقة خصر محبوبته بقوله [١]:

إذا ما الزّلُ ضاعَفنَ الحَـــشايا كَفَاها أن يُلاثَ بها إزارُ

ويصف النعمان بن بشير مشية محبوبته وحركتها وهي تلتحف رداءها كأنها رمح لدِنٌ يهتز، فيقول[٢]:

إذا أقبَلَتْ فُضُلاً في الـــرّداءِ تَمـــــشّى تأطُّرُ أصلابُها

تأطُّرَ صَعْدَةِ مُرَّانـــــــــةٍ من الهِيْفِ مُلتَبَـــسٍ غابُهَا

ويذكره جرير أيضاً بقوله [٣]:

ما نَظْرَةٌ لك يومَ تَجـــعَلُ دُونها فَضْلَ الرِّداءِ وتَتَّقي بالمِعْصَمِ

- **العباءة والسِّربال :**

والعباءة رمزت لدى الأمويين للمجد والرفعة، وغالباً ما تصنع من الخز كما يصفها جرير في هجائه لقوم الأخطل [٤]:

لن تُدرِكوا المجدَ أو تَشْروُا عباءَتكُم بالخَزّ أو تجعلوا التَّـــنوُّمَ ضَمْرانا

ويصف الراعي النميري سرباله الجديد الذي صنع من الكتان قائلاً [٥]:

وَسِربالِ كتَّانٍ لَبِسْتُ جَدِيدَهُ على الرَّحْلِ حتى أسْلَمَتْهُ بَنائِقُهْ

- **المَطارف والمَدَارع :**

والمطارف من الألبسة التي شاعت في العصر الأموي، وتفنن الرجال والنساء في لبسها، وارتداها خاصتهم، ويشير ابن قتيبة إلى ذلك بقوله: " أما وجوه العراق فكانوا يلبسون في دورهم

---

[١] . نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص٨٩. الزّل: التي لا عجيزة لها. الحشايا: ما بين ضلع الخلف إلى الورك.

[٢] . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ص٨٣ – ٨٤. الفضل: الثياب التي تتبذل للنوم. تأطر: تتثنى. أصلابها: ظهرها. الصعدة: القناة المستوية تنبت كذلك لا تحتاج إلى تثقيف. مرّانة: رمح. الهيف: ضمر البطن ورقة الخاصرة.

[٣] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٦٨.

[٤] . المصدر نفسه، ١ : ١٦٧. التنوم: شجرة غبراء تأكلها الظباء، لها حب عصارته شديدة الخضرة، تتخذ للصبغ عند التمشيط.

[٥] . الراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص٢٢٧. بنائقه: فتحات الأزرار، واحدته بنيقة.

الأكسية، وإذا خرجوا منها لبسوا المطارف "[١]، ويبيّن مِطرف محبوبة الفرزدق مدى غناها وترفها ودلالها، يقول[٢]:

إذا انْتَبَهَتْ حَدراءُ من نَوْمَةِ الضُّحَى دَعَتْ وعَليها دِرْعُ خَزٍّ ومِطْرَفُ

وتكسو المطارف المواضع المكتنزة في أجساد الفتيات اللواتي يصفهن هُدْبة بن الخشرم[٣] بقوله [٤]:

يَئُوْنَ بأكفالٍ ثِقالٍ وَأسْـــــــوُقٍ خِدَالٍ وأعضادٍ كَسَتْهَا المطارِفُ

ويذكر عمر بن أبي ربيعة المطارف المطرّزة الآتية من بلدة السّوس[٥] في خوزستان فيقول [٦]:

يَرْفُلْنَ في مِطْرَفاتِ السّوسِ آونةً وفي العتيقِ من الدّيباجِ والقَصَبِ

أما المَدَارِع والرَّوَادِع والدُّروع فهي من الملابس التي ارتداها أهل العصر الأموي، ووصفها شعراؤهم، ومنهم الراعي النميري، الذي يذكرها في قوله [٧]:

وليسَ مِن اللائي يبيعُ مُخارِقٌ بِحَجْرٍ ولا اللائي خَضَرْنَ المَدَارِعا

ويصف روادع الحسناوات التي غطت صدورهن المزيّنة بالياقوت والجمان، فيقول [٨]:

جُماناً وياقوتاً كأنَّ فُصُوصَهُ وَقُودُ الغضا سَدَّ الجيوبَ الرَّوادِعا

وقد ذكرها الفرزدق أيضاً [٩].

---

[١] . ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ج١، ص٢٩٨.
[٢] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢٣.
[٣] . هو هدبة بن الخشرم بن كُرْز بن أبي حية بن الكاهن، يكنى أبا سليمان، من بني عامر بن ثعلبة من سعد هزيم، من قضاعة، وهو شاعر فصيح، راوية، مرتجل، كثير الأمثال في شعره، من أهل بادية الحجاز بين تبوك والمدينة، وهو قاتل ابن عمه زيادة بن زيد العذري في أيام معاوية، فحبسه سعيد بن العاص وهو على المدينة خمس سنين أو ستاً إلى أن بلغ المسور بن زيادة وكان صغيراً فقتله بأبيه سنة ٥٠هـ. انظر: المرزباني، معجم الشعراء، ١ : ١٤٤. والزركلي، الأعلام، ٨ : ٧٨.
[٤] . هدبة بن الخشرم (ت٥٠هـ)، شعر هدبة بن الخشرم العذري، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦م، ص١١٨. خدال: جمع خدلة، وهي الساق الممتلئة. أسوق: جمع ساق.
[٥] . السوس: كورة بالأهواز، وقيل: بلدة من بلاد خوزستان، وقيل: بلد بالمغرب. وقيل: بلد ما وراء النهر. انظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ج٣، ص٢٨١.
[٦] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٩. القصب: الملابس المقصّبة المطرّزة.
[٧] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٣٥. مخارق: بائع الملابس. حجر: اسم موضع.
[٨] . المصدر نفسه، ص١٣٥. الردع: أن يردع ثوباً بطيب أو زعفران.
[٩] . انظر: الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢٥.

- **الجلْبَابُ والرَّيْطة :**

والجلباب لباس تستتر به المرأة، وهو أوسع من الخمار ودون الرِّداء، تغطي به المرأة رأسها وصدرها، وقيل: هو الملحفة، أو ما تغطي به المرأة الثياب من فوق كالملحفة[١]، يقول أبو دَهْبل الجُمحي في محبوبته [٢]:

يا حُسْنَهُ إذ سَّبني مُدْبِراً مُسْتَتِراً عنّي بجلبابِ

وقد يُصنع الجلباب من الفرو كما يصفه جرير بقوله [٣]:

من كُلِّ حَنْكَلَةٍ ترى جِلبابهَا فَرْواً وتقْلِبُ للعباءة نِيْرا

ويبدو أن المرأة الأموية لم تكن ترتديه لزوجها داخل بيتها، كما يظهر ذلك في قول الفرزدق[٤]:

إذا حُسِرَتْ عنها الجلابيبُ وارْتَدَتْ إلى الزَّوجِ مَيَّالاً يَكادُ يَصُوْرُها

والرَّيطة كل ثوب ليِّن دقيق، والجمع رَيْط ورياط[٥]. وقد أولعت المرأة الأموية بارتدائها لنعومتها ورقتها، إضافة إلى الجمال الذي تضفيه عليها، لاسيما إذا ما كانت مزركشة مطرَّزة، ويرى الأخطل الرَّيطة مبرزة لجمال من ترتديه، فهي كالظبية الرشيقة، يقول [٦]:

كأَنَّ الرَّيْطَ فوقَ ظِباءِ فَلْجٍ غداةَ لَبسْنَ ، للبيْنِ ، الثيابا

ويُبرز الرَّيط دقة خصر الفتيات اللواتي يرتدينه وعظم أردافهن، ولا سيما أنهن يلبسن ريطاً يمانياً ذا جودة عالية وصناعة متقنة، يقول كثير عزة [٧]:

كَسَوْنَ الرَّيْط ذا الهُدْبِ اليَماني خُصُوْراً فوقَ أعْجَازٍ ثِقالِ

وكانت خيوط الحرير من أكثر الخيوط استعمالاً في نسج الرَّيط، لتكون بها لينة ناعمة، يقول عمر ابن أبي ربيعة في فتيات ارتدين رياطاً طويلة من الخز [٨]:

---

١ . انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٧٨. وابن منظور، لسان العرب، مادة (جلب).
٢ . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص٩١.
٣ . جرير، ديوان جرير،، ١ : ٢٣١. الحنكلة: القصيرة الذميمة.
٤ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٦٢. أراد أن شعرها الطويل يكاد يميلها بثقله.
٥ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ريط).
٦ . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٢٦. فلج: اسم موضع.
٧ . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٢٨.
٨ . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٠.

يرْفُلْنَ في الرَّيْطِ والمُرُوطِ من الخَزِّ يُسَحِّبْنَها على الكُثُبِ

وتتعدد أنواع الرَّيط وأصنافه تبعاً للمادة التي نسج منها، والزركشة التي زُيّن بها، فمنها؛ الرَّيط المسهم، والمرقم، والمعضَّد، وريط الكتان، وريط الخز[١].

- **القسي والحِبَرات :**

القسي: نوع من الثياب، سمي بذلك نسبة إلى قس، وهو موضع بين العريش والقرما من أرض مصر، وكانت تُصنع فيه ثياب تخلط بالحرير[٢]، ويصف الشاعر الأموي محمد بن نمير الثقفي[٣] محبوبته التي تحتجب بالقسي قائلاً [٤]:

فأدنين حتى جوز الركب دونها حجاباً من القسي والحِبَراتِ

والحِبَرات: ضرب من الثياب الموشى من برود اليمن[٥]، وقد ذكره عبيد الله بن قيس الرقيات في وصفه لملابس صاحبته [٦]:

يَهَبُ البُخْتَ والنَّجائِبَ والقَيْـ ـنَةَ تَمشي في الرَّيطِ والحَبِراتِ

وافتُتن عمر بن أبي ربيعة بلابسة الحِبَرات، وأولع بها قلبه، فقال [٧]:

صادَ قلبي اليومَ ظبيٌ مُقْبِلٌ مِن عَرَفـاتِ
في ظِباءٍ تتَهـادى عامِداً للجَمَـراتِ
وعليهِ الخَزُّ ، والقَـ ـزُّ وَوَشْيُ الحِبَراتِ

---

[١] . انظر: أسعد، رابحة مصطفى ياسين، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الأموي، ص٢٥.
[٢] . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٦.
[٣] . هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري، لقب النميري بكنية أبيه، ويقال: باسم جده، يكنى أبا المير، شاعر غزل من شعراء العصر الأموي، توفي سنة ٩٠هـ. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٦ : ١٩٩ – ٢٠٠.
[٤] . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ٣ : ١٢٥ – ١٢٦. القسي: ضرب من الثياب منسوب إلى قس، وهو موضع بين العريش والقرما من أرض مصر، كانت تصنع فيه ثياب تخلط بالحرير.
[٥] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حبر).
[٦] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٨٨. البخت: الإبل الخراسانية. النجائب: جمع نجيبة، وهي الناقة الكريمة.
[٧] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٨.

- **الخِمارُ والنِّقاب :**

والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها... وهو كالعمامة [١]، ويبدو أنه لم يكن يستر رأسها كاملاً، إذ تمكن النابغة الشيباني من وصف شعر بعض الفتيات مشبهاً إياها بعناقيد الكرم، موظفاً في ذلك الخمار بقوله [٢]:

لُثْنَ خُمْراً على عناقيدِ كَرْمٍ يانعاتٍ أُتْمِمْنَ في إكْمَالِ

واستبان شعر محبوبته من تحت خمارها، فشبهه بعناقيد البلح أيضاً [٣]:

تحتَ الخِمارِ لها جَثْلٌ تَعكَّفهُ مِثلُ العَثاكيل سوداً حين تُقْتَطَفُ

وغالباً ما يصنع الخمار من الحرير الذي يمتاز بليونته ونعومة ملمسه، لأن الخمار ملامس للوجه، وخليق به أن يكون كذلك، يقول الحارث بن خالد المخزومي [٤]:

أماطَتْ كِساءَ الخَزِّ عن حُرِّ وجْهِهَا وأرْخَتْ على المَتْنَينِ بُرْداً مُهَلْهَلا

ومن أسماء الخمار " النصيف "، وقد ذكره عمر بن أبي ربيعة في وصفه لجمال وجه فتاته[٥]:

وتُدْني النَّصيْفَ على واضِحٍ جميلٍ إذا سَفَرَتْ عَنْهُ خُرْ

أما النِّقاب فهو من أغطية الوجه، وقيل: هو نوع من البراقع الصغيرة، يوضع على الوجه دون المحجر [٦].

ويرى ابن ميّادة أن النقاب يزيد جمال العيون وفتنتها، وبهذا وصف محبوبته فقال [٧]:

يا أطْيَبَ الناسِ ريقاً بعد هَجْعَتِها وأمْلَحَ الناسِ عَيْناً حين تَنْتَقِبُ

---

[١] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خمر). والفيروزأبادي، محمد بن بعقوب بن محمد (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٢م، مادة (خمر).
[٢] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١٥٠. لاثت الخمار: عصبته.
[٣] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١٥. الجثل: الشعر الكثيف. تعكفه: تعطفه. العثاكيل: عناقيد النخيل.
[٤] . المخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص٨٥.
[٥] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٠٥.
[٦] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٣٩.
[٧] . ابن ميادة، شعر ابن ميادة، ص٥٨.

ولا يوافقه العرجي في رأيه هذا، فمحبوبته حسنة جميلة سواء اتخذت النقاب أم خلعته، فهي فائقة الجمال في الحالين، يقول [١]:

كالبَدْرِ صورَتُها إذا انتَقَبَتْ وإذا سَفَرْتِ فأنتِ كالشَّمسِ

وقد اتخذت النساء الأمويات أجود أنواع النقب التي تعكس درجة رفاهها ورغد عيشها، وهي تجدده متخيرة الأفضل دوماً، يقول المتوكل الليثي [٢]:

نَواعِمُ يتَّخِذْنَ لِكُلِّ مُمْسى مُرُوطَ الخَزِّ والنَّقَبِ النِّعالا
يَصُنَّ مَحاسِناً ويُرِينَ أُخرى إذا ذو الحِلْمِ أبْصَرهُنَّ مالا

- البُرْقُع والقناع :

ويشبه البرقع في العصر الأموي البرقع المستعمل في يومنا هذا، فهو قطعة من القماش تثقب من موضع العينين تبصر المرأة منهما، ويلحق به خيطان تشدهما في قفا رأسها [٣].

وإذا ما تبرقعت المرأة، بدت عيناها كعيون الغزلان، لأن البرقع يظهرهما دون سواهما من تفصيلات الوجه، فيضفي عليهما حسناً وسحراً يسلب الألباب، يقول الراعي النميري في ذلك [٤]:

فلَّما اسْتَقلَّتْ في الهوادجِ أقْبَلَتْ بأَعيُنِ آرامٍ كُسِينَ البَرَاقِعا

ويقول العرجي في المعنى ذاته، مصوراً عيون محبوبته الصورة ذاتها [٥]:

بانت لنا بعيونٍ من براقِعِها مملوءةٍ مُقَلَ الغِزلانِ والبَقَرِ

أما القناع فهو من أغطية المرأة للرأس والوجه، وقد يغطي المنكبين وجزءاً من صدرها [٦].

---

١. العرجي، ديوان العرجي، ص٢٥١.
٢. الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص١٥٥.
٣. انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٣٨.
٤. الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٣٤.
٥. العرجي، ديوان العرجي، ص٢٤١.
٦. انظر: ابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٣٨.

وقد وظفه الشعراء الأمويون لإبراز محاسن المرأة وجمال وجهها وجيدها، فأجاد في ذلك عمر بن أبي ربيعة حين دفعه قناع محبوبته إلى أن يتاملها ويملّي نظره من حسنها [١]:

خَرَجَتْ تأَطَّرُ في الثيابِ كأنّها ريحٌ تَسنَّتْ عن كثيبٍ أهْيَـلا

فَجَلا القِناعُ سَحَابةً مشهورةً غَرَّاءَ تُعْشِي الطَّرْفَ أن يتأمّلا

وتمسكت المرأة بقناعها، ولم ترض أن يتكشف عنها، يقول عمر بن أبي ربيعة أيضاً [٢]:

ما ظبية من وحْش ذي بَقَرٍ تغدو بسُقطِ صَرِيْمَةٍ طِفلا

بألَذَّ منها إذ تقولُ لنا وأردتُ كَشْفَ قِناعها : مَهْلا

- **المرط والبُرد :**

المِرْط: هو كل ثوب غير مخيط، وهو كساء من صوفٍ أو خز، وقيل: هو الثوب الأخضر، وجمعه مُروط، وتلف كالإزار[٣].

والمتوكل الليثي يصف مروط الخزّ التي تتخذها النساء المترفات المنعّمات فيقول [٤]:

نواعِمُ يتّخذْنَ لِكلِّ مُمْسَى مُروط الخَزِّ والنَّقَبَ النِّعالا

ولطالما تزينت نساء العصر الأموي بالمروط، ففتنَّ وسحرن الناظر إليهن، فأرسل بصره إلى مفاتنهن ومحاسنهن، يقول عمر بن أبي ربيعة [٥]:

ومِن مالِئٍ عَيْنيهِ مِن شيءِ غَيْرِهِ إذا راحَ نَحْو الجَمْرَةِ البيضُ كالدُّمى

يُسَحِّبْنَ أذيالَ المُروطِ بأَسْـــوُقٍ خِدَالٍ إذا ولَّيْنَ أعْجَازُهـــــــا رِوَى

فالنساء كن يسلبن مروطهن ويختلن بلبسها، ويجررن أذيالهن.

---

[١] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٦٣. تأطر: تمشي تمايلاً. جلا: كشف. غرّاء: بيضاء.
[٢] . المصدر نفسه، ص١٧٤. ذو بقر: اسم موضع.
[٣] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرط).
[٤] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص١٥٥.
[٥] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٨ – ٩. الجمرة: الحصاة. البيض كالدمى: كناية عن النساء الجميلات. أسوق: جمع ساق. خدال: جمع خدلة، وهي الساق الممتلئة. روى: أي فيها ري.

واتُّخِذ المِرط وسيلة لوصف بدانة المرأة، ولا سيما عجيزتها، يقول هدبة بن الخشرم [١]:

رَدَاحٌ كأنَّ المِرْطَ منها برَمْلَةٍ هَيَامٍ وما ضَمَّ الوشاحانِ أهْيَفُ

والمرط يكشف حركة روادف محبوبة جميل بثينة، فيقول [٢]:

إذا ضَرَبَتْها الرِّيحُ في المِرطِ أجْفَلَتْ مآكِمُها ، والريحُ في المِرطِ أفْضَحُ

ويُبرز مرط صاحبة جرير المزركش بالأعلام عِظَم روادفها، فهي كالرمال المنعقدة، يقول[٣]:

كأنَّ المِرْط ذا الأنْيارِ يُكْسَى إذا اتَّزَرَتْ به ، عَقِداً رُكاما

والبردة كساء يلتحف به، قيل: البرد معروف من برود العصْبِ والوشي[٤]، وقد ورد ذكرها كثيراً في الشعر الأموي، ومنه قول العرجي في وصف محاسن المرأة [٥]:

إذا ضَرَبَتْ بالبُرْدِ من دون وجهِهَا تلالا أَحَمُّ المُقْلَتَينِ أَسيـــــلُ

والسِّيَراء ضرب من البرود، مسيّر فيه خطوط تُعمل من القز كالسيور، يقول ابن قيس الرقيات مشبهاً صاحبته بالسيراء لصفرة الطيب الذي استعملته [٦]:

صَفْراءُ كالسِّيَرَاءِ لـــــــم تَشْمِطْ عذوبَتَها بُحُـــوْرَهْ

ومن أنواعها أيضاً، برود العَصْب، وهي في الغالب طويلة كما يظهر من قول عمر بن أبي ربيعة[٧]:

يسحَبنَ خَلْفي ذيولَ الخزِّ آونَةً وناعِمَ العَصْبِ كيلا يُعْرَفَ الأثَرُ

وتغدو النساء بالبرود أبهى وأنضر وأجمل، فيقع في صبوتهن الحازم المتجلّد، وكذا حدث مع الوليد ابن يزيد عند رؤيته بعض الفتيات اللواتي ارتدين البرود الموشَّاة، فقال [٨]:

---

١ . هدبة بن الخشرم، شعر هدبة بن الخشرم العذري، ص١١١. الرداح: المرأة الثقيلة الأوراك.
٢ . جميل بن معمر، ديوان جميل، ص٤٥. المآكم: جمع مأكم ومأكمة، وهي لحمة على رأس الورك تصل بين العجز والمتن.
٣ . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٦٩. الأنيار: جمع نير. وهي الخيوط والقصب. العَقِد: الرملة المنعقدة.
٤ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (برد).
٥ . العرجي، ديوان العرجي، ص٢٩٨. تلالا (مخففة): أضاء ولمع. الأحم: الأسود، وأراد بها وجهها ذا العينين السوداوين. الأسيل: الناعم، أي وجهها.
٦ . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٠٩. بحوره: مرارة. تشمط: تمزج.
٧ . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٧٢. العصب: ضرب من برود اليمن، سمي عصباً لأان غزله يُعصب؛ أي يدرج ثم يصبغ ثم يُحاك ولا يُجمع.
٨ . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص١٥. رفل في ثيابه : أطالها وجرّها متبختراً . الكواعب : جمع الكاعب ، وهي الجارية التي نهد ثديها.

قد كُنْتُ أحْسِبُ أنَّني جَلْدُ القُـوى حتى رأيتُ كواعِباً أتْرابَـــا
يَرْفُلْنَ في وَشْيِ البُرودِ عَشِيَّـــةً مِثْلَ الظِّباءِ وقد مُلِئْن شَبَابَا

- **السَّابري والدِّيباج :**

السَّابِرِيُّ ثوب رقيق النسج، والأصل فيه الدُّروع السَّبريَّة المنسوبة إلى سابور [١].

ولليونة السابري ورقته ونعومته، شبه به عُمَر بن لجأ التيمي كشح المرأة فقال متغزلاً بها [٢]:

وكَشْحٍ كَطَيِّ السَّابِرِيِّ حَبَتْ لهُ رَوَادِفُ مِنْها وَعْثَةٌ مُتَخَضَّدَا

وقد يُصبَغُ السَّابري بالزعفران، فيصبح عاكساً للضوء الساقط عليه، فيلفت الأنظار إلى مَن ترتديه، يقول الفرزدق [٣]:

ترَاخَى بِهِنَّ اللّيلُ يَتْبَعْنَ فارِكَاً يُضِيْءُ سَنَاها سَابِرِيَّاً مُزَعْفَرَا

أما الدِّيباج، فهو نوع من الثياب فارسيٌ معّرب، وقيل: الثوب الذي سُداه ولُحْمَتُه من الحرير، وقيل: هي الثياب المتخذة من الإبريسم المنقوشة والمتزينة [٤].

وشاع هذا النوع في العصر الأموي نتيجة اتصال أهله بالأمم الأخرى بعد الفتوحات الإسلامية، فيذكر ابن سعد في الطبقات أن نساء المدينة تغيَّرن " فكن يلبسن الديباج والحرير والقطن والكتان، وكن يلبسن الثياب المُعَصْفرة، والثياب الرقيقة الشفافة " [٥].

ويشبه الفرزدق الفتيات اللواتي أبصرهن في الدِّيباج بالنوق البيض التي تُدلل ويأتي طعامها إليها، فيقول [٦]:

إذا رُحْنَ في الدِّيبَاجِ ، والخَزُّ فَوْقَهُ معاً ، مِثْل أبْكَارِ الهِجَانِ العَلائِفِ

---

[١] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سبر).
[٢] . التيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ، ص٧٩. الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف. وعثة: لينة. متخضّد: متليّن في غير كسر.
[٣] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٨٧. الفارك: المرأة التي أبغضت زوجها.
[٤] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دبج)، والفيروزأبادي، القاموس المحيط، مادة (دبج)، وابن سيدة، المخصص، ج٤، ص٧٦.
[٥] . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٨، ص٣٥٢.
[٦] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ١٢. الهجان: البيض من الإبل. العلائف: النوق التي تطعم ولا ترسل إلى المرعى.

ويبدو أن الدِّيباج لباس صيفي، فهو رقيق ناعم، تتقي به النساء وهج الشمس وأشعتها، يقول جميل بن معمر[١]:

إذا حَميَتْ شَمْسُ النَّهارِ اتّقَيْنَها بأكْسِيَةِ الدِّيباجِ والخَزِّ ذي الخَمْلِ

- **العمامة والقلنسوة :**

والعمامة من الأردية التي اتخذتها العرب لتغطية رؤوسها، واختلفت في حجمها تبعاً لسن لابسها ومركزه العلمي والاجتماعي، وغالباً ما كان الطَّيْلَسان يعتلي العمامة، وهو منديل كبير يتدلى على الكتفين ليقي الرقبة من حرارة الشمس، ويزيد مرتديه بهاء وجمالاً وأبهة، يقول الفرزدق في العمامة[٢]:

بني عاصم إنْ تَلْحَبوها فإنَّكُم ملاحي للسّوآتِ دُسْمُ العَمَائِمِ

ويرد ذكر العمامة كثيراً عند الفرزدق[٣]، ومن ذلك قوله أيضاً في موضع آخر بتصوير رائق[٤]:

أنَخْنَا بِهَجْرٍ بَعْدَما وَقَدَ الحَصَى وذابَ لُعابُ الشَّمْسِ فوقَ العَمَائِمِ

فالعمائم تحمي الرؤوس من لظى الشمس وحرقتها، وتمنح مرتديها هيبة ووقاراً، ولذا؛ لابد أن تكون نظيفة ناصعة، يقول عدي بن الرقاع في عمامة أهملها صاحبها، فهي غير نظيفة [٥]:

أهْوَى يُعَصِّبُ رأسَهُ بعَمَامةٍ دَسْمَاءَ لم يَكُ حين نامَ طَوَاهَا

والقُلُنْسُوة من الملابس التي تزيَّن بها العرب في العصر الأموي، وقد عُني بلبسها قضاة العصر وفقهاؤه، ويؤكد ذلك قول الجاحظ: " إنه لكل قوم زي، فكان من يدخل على أصحاب السلطان يلبس المبطّنة، أو الدَّارعة، أو العباء، أو الباز، ويعلّق الخنجر، وكان القضاة يلبسون القلائس العظام حتى ولو كانوا في قيظ الصيف " [٦].

---

١ . جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ص١٧٦. الخمل: ما يكون كالزغب على وجه الثوب.
٢ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢٦٣. تلحبوها: تقطعوها.
٣ . انظر: المصدر نفسه ، ٢ : ٢٦٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٣، ٣١٦.
٤ . المصدر نفسه، ٢ : ٢٩٦.
٥ . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٠٤.
٦ . الجاحظ، البيان والتبيين، ٣ : ٧٨.

وأشار أبو الفرج الأصفهاني إلى " أن الشاعر مجنون ليلى خرج لمقابلة صاحبته وعليه حُلَّتان له فاخرتان، وطيلسان وقلنسوة " [١].

وأخبر أيضاً " أن الوليد بن يزيد خلع على مولاه الغُزَيِّل قلنسوة وشي مذهّبة كانت على رأسه"[٢].

وذكر قيس بن الملوح هذا النوع من الملابس في شعره، فقال [٣]:

ولم تُغْنِ سِيجانُ العِرَاقَيْنِ نَقْرَةً وَرُقْشُ القَلَنْسِيَ بالرِّجالِ الأطاوِلِ

وتنبئ الشواهد الشعرية الآنفة الذكر، أن الشعراء الأمويين قد سجلوا في أشعارهم معظم الملابس التي ارتداها واتخذها أهل العصر، ولا شك أن كثرة أنواعها وأصنافها وأشكالها تدل على المستوى الحضاري الرفيع الذي بلغه أهل العصر الأموي، وقد تمايز الناس بارتداء تلك الملابس تبعاً لمستواهم المعيشي ومركزهم الاجتماعي والعلمي والسياسي، وعُرفت بعض طبقاته بارتداء أنواع معينة منها.

وهناك أنواع عديدة أخرى من الملابس التي عرفها الناس في العصر الأموي، مثل؛ النِّطاق، والقميص، والصِّرار، والمُجسّد، والسّاج، والسدوسي، والدِّمقس، والجَنْدي، والقُوْهِي، والقُبْطُري، والعَصْب، والرَّقم، والإتْب، والشِّعار، واللِّثام، والبواسين ، والبُجُد، والمُرَحَّل، والمُفَوَّف، والوشي، والجَبَاب، والملاحِف، والقطائِف المخملية، والقطائف المرعزية، وغيرها، مما يتعذر على هذه الدراسة تفصيل الحديث في أشكالها وألوانها وأنواعها وطريقة لباسها، وقد خُصت دراسات أخرى للتفصيل في ذلك يَجْمُل بالقارئ أن يطالعها [٤].

واعتاد الناس في العصر الأموي لبس النِّعال، واهتموا بأشكالها وأنواعها، إذ قال الأحنف: " استجيدوا النِّعال فإنها خلاخل الرِّجال " [٥].

---

[١] . الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٢٩.

[٢] . المصدر نفسه، ج٧، ص١٠٤.

[٣] . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص١٧٧. السّيجان: الطيالسة السود، واحدها ساج. ولم تغن نقرة: أي شيئاً. الرقش: جمع رقشاء وأرقش، وهو ما فيه نقط من بياض وسواد.

[٤] . انظر: أسعد، رابحة مصطفى ياسين، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الأموي، ص١٢ – ٣٩. والشجرواي، زكريا حسني إبراهيم، شعر زينة المرأة في العصر الأموي، ص٦٢ – ٨٩. والفقراء، انشراح علي (٢٠٠٥)، المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص٤٨ – ٦٣. ونصير، أمل، صورة المرأة في الشعر الأموي، ص١٠٤ – ١٢٧. والمومني، عمر عيد سليمان (٢٠٠٩)، التطور الحضاري في الشعر الغزلي الأموي، دار ابن بطوطة للنشر، عمان، ص٢٢ – ٣٤.

[٥] . الجاحظ، البيان والتبيين، ٣ : ٦٧.

وذكر الشعراء أنواعاً شتى من النِّعال، فمنها؛ النِّعال الرّقاق، ونعال الجلد، والسَّرائح، والخِدام، والحِذاء، ويبدو أن النِّعال الرِّقاق تدل على ترف من يرتديها وثرائه، فهي نعال جيدة الصنع، باهظة الثمن، يقول الفرزدق متباهياً [١]:

وإنّي من القومِ الرِّقاقِ نِعالُهُمْ ولَستُ بحمدِ الله والديَ الفِزْرُ

ويذكر جرير الخامة التي تُصنع منها النعال، فيقول [٢]:

منَ الأدمى أتينَكَ مُنْعَلاتٍ يُقَطِّعْنَ السَّرائِحَ والخِداما

وقد تكون رداءة النعل سبباً في تأخر لابسها عن قومه وجماعته من وجهة نظر القطامي، إذ يقول[٣]:

وإذا تخلَّفَ بَعدَهُنَّ لِحَاجةٍ حادٍ يُشَسَّعُ نَعْلَهُ لم يلْحَقِ

والشسع رباط الحِذاء.

ويحث الكميت بن زيد الأسدي قومه الذين يرتدون النعال على الإسراع في السير، فيقول[٤]:

أجِدُّوا النِّعالَ بأقدامِكُـــــمْ أجِدُّوا فَوَيْهَاً لكم جَــرْوَلُ

ويصف الفرزدق النّعال المخدّمات المجوَّدة التي لها سيور وتشد على الأرسغ [٥]:

كأنَّ نِعالَهُنَّ مُخدَّمَاتٍ على شَرَكِ الطَّريقِ إذا اسْتَنارا

وتخيَّر الخلفاء والأمراء النعال الرقاق الجيدة، التي لا يُشمُّ لها ريح إذا خُلعت، وفي ذلك يقول كثير عزة لمّا رثى عبد العزيز بن مروان [٦]:

كأنَّ ابن ليلى حينَ يَبدو فَتَنْجَلِـــي سُجُوفُ الخِباءِ عن مَهيْبٍ مُشَمَّـتِ
مُقَارِبُ خَطْوٍ لا يُغَيِّرُ نَعْلَـــــــهُ رهيفُ الشِرَّاكِ سَهْلَةَ المُتَسَمَّـــتِ

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ :٢٧٢. الفزر: لقب سعد بن مناة، ولقب بذلك لأنه أنهب إبلاً له في الموسم، وقال: مَن أخذ واحدة فهي له، ولا يأخذ أحد فزراً، أي أكثر من واحدة. الرقاق نعالهم: أي السادة المنعمون.

[٢] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٢٢٢. السرائح: النعال. الخِدام: السيور التي تشد إلى أرساغها بها.

[٣] . القطامي، ديوان القطامي، ص١٠٧.

[٤] . الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ٢ : ٣٠.

[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٩٢. المخدّمات: ما شد في أرساغهن الخدمات، وهي سيور غلاظ. شرك الطريق: ما حفرت الدواب بقوائمها على متن الطريق، والواحدة شريكة.

[٦] . الخزاعي، كثير عزة، ديوان كثير عزة، ص٣٢٤. السجوف: جمع سجف، وهو الستر. ملك مشمّت: محيّا. مقاربة الخطو: يعني بها التيه في المشي والخيلاء. رهيف: دقيق. الشراك: سير النعل. مسمّت النعل: أسفل من مخصرها إلى طرفها، والعرب تمدح برقة النعال. تطّب: تدعو وتستميل، أي هي طيبة الريح، ويريد أنها من جلد جيد مدبوغ.

إذا طُرِحتْ لم تَطَّبِ الكَلْبَ رِيْحُـــها وإن وُضِعَتْ في مَجْلِسِ القومِ شُمَّتِ

فنعل عبد العزيز بن مروان مجوّدة الصناعة، رقيقة، مصنوعة من جلد مدبوغ لا يخرج لها ريح، وتلك هي نعال الخاصة التي تدل على ثرائهم وغناهم، وقد لايستطيع لبسها فقراء الناس وعامتهم، لأنها بلا شك مكلفة وباهظة الثمن .

وموجز القول، إن الأمويين عرفوا النعال وانتعلوها، وتمايزت نعالهم بجلودها وسيورها وأصباغها وغلاظتها أو رقتها بحسب مستوى مرتديها الاجتماعي، وتبعاً للطبقة المعيشية التي ينتمي إليها، فكانت نعال العامة عادية غليظة تشتم لها رائحة كريهة إذا ما طال انتعالها، وتؤثر حفر الطرق فيها، فتمزقها، على العكس من نعال خاصة الناس وأثريائهم، فهي مدبوغة، جيدة الصنع، تُنتقى لها أفضل الجلود وأقواها، وهي رقيقة متينة.

الفـــصـــل الـــثـــالـــث

الـتـسـلـيـة والـتـرفـيـه

لابد لكل مجتمع من وجود ضروب تسلية وترفيه يعتادها أهله، ويتخذونها وسيلة للترفيه عن أنفسهم، وشغل أوقات فراغهم، وإدخال المرح والسرور إلى أسرهم وصغارهم، فبجانب الحياة الجادة التي عاشها أهل العصر الأموي كان في حياتهم جانباً يستروحون فيه، ويقضون أوقاتاً ممتعة تفرحهم وتسرّهم وتسلّي همومهم.

ويحاول هذا الفصل أن يلقي جانباً من الضوء على تلك الوسائل التي اتخذها أهل المجتمع الأموي للتسلية والترفيه، مثل؛ الصيد وطرائقه وأدواته، ومجالس الرقص والغناء، وما كان فيها من مغنين ومغنيات وآلات موسيقية، والخروج للنزه، وما عرفوه من ألعاب متنوعة. مستجلياً أثر الحضارات الأخرى التي انفتح عليها الأمويون في هذا الجانب من حياتهم.

- **الصيد والطرد :**

مارس الإنسان الصيد والطرد منذ قديم الزمان، واتخذه وسيلة لجلب قوته، أو تسلية لنفسه ورياضة ومتعة لها، لما يحفل به الصيد من متع ولذاذات تتحقق للصائدين عند ظفرهم بما عزّ عليهم وبَعُدَ عن منالهم، ولا تنحصر فائدة الصيد والطرد بكونه ضرباً من ضروب الترف واللهو، أو باباً واسعاً من أبواب التسلية والترفيه، فهو إلى جانب ذلك مضمار يتدرب فيه الصيادون على امتطاء صهوة الجياد صعوداً وانحداراً، " وهو يليِّن معاطفهم، ويشحذ همومهم ويعلي عزائمهم، ويحليّهم بالصبر والأناة، ويعلّمهم الاحتيال على الخصم، ويمرّن خيلهم بالطرّاد، ثم إنه يُذهب بهمومهم ويكفهم عن المحرمات، ويتيح لهم اللذة المباحة ... "[١].

ومن خلفاء بني أمية الذين كلفوا بالصيد وولعوا به، يزيد بن معاوية، فقد اتخذه رياضة ومتعة، وبلغ حبه للصيد أنه ألبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، وخصص لكل منها عبداً يخدمه ويرعاه [٢] .

وفي العصر الأموي غدا المسلمون في بسطة من العيش وسعة من الأرض، وثراء من المال، فأغرتهم الحياة بمتعتها ولذاتها، ففشى الصيد في زمنهم، وغدا عندهم وسيلة من وسائل التسلية

---

[١] . الباشا، عبد الرحمن رأفت، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ص١٤.
[٢] . انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص٤٥ – ٤٦.

والترفيه، ومظهراً من مظاهر الغنى والترف، ولا غرو في ذلك والناس - زمن بني أمية - ما زالوا قريبي عهد بالبادية، والصيد والطرد من أجمل معطيات حياة البادية وأعمال إنسانها.

كما أن للصيد فوائد أخرى عديدة، ففي ممارسته تمرين للخيل، ورياضة للنفس، ولذة في غيرمحرَّم، وفيه إزالة الهموم والغموم، كما يستشعر الصائد بلذة التعب [١].

ولعل إقصاء كثير من الناس عن السياسة وأمورها في العصر الأموي كان سبباً في تحييدهم عن الحياة الجادة، وحملهم حملاً على الحياة اللاهية المترفة، ولذا؛ كان الصيد باباً مشرعاً من أبواب الترف والترفيه، ومجالاً للإنفاق لا حد له، " فإنه لا مؤونة أغلظ من تكلّف آلات الصيد؛ لأنها خيل، وفهود، وكلاب، وآلات تحتاج في كل قليل إلى تجديد، ومن هنا، فإنه لا يشغف بالصيد إلا سخي " [٢]، لأنه يتطلب دوابَّ وآلات وأناساً تحتاج ريعاً ينفق عليهم، وقد كان في وسع كثير من أفراد المجتمع الأموي أن يجدوا ذلك كله، ولا سيما في ظل ثراء العيش ووجود الجواري والموالي، إضافة إلى الفراغ العريض في وقتهم.

ومن الذين أغرموا بالصيد واستمتعوا بممارسته الوليد بن يزيد، الذي يقول[٣]:

وَلَقدْ قَضَيتُ وإنْ تَجلَّلَ يمَّتـــــــــي شَيْبٌ على رَغْمِ العِدا لَذَّاتـــــــــي

مِن كاعباتٍ كالدُّمى ومَناصِـــــــفٍ ومراكبٍ للصَّيدِ والنَّشَـــــــواتِ

على أنّ الصيادين في المجتمع الأموي لم يكونوا جميعهم ممن يتخذون الصيد والطرد وسيلة للتسلية وطريقاً للمتعة والترفيه، بل كان منهم من يصطنع الصيد زهادة بما عند الناس، وجلباً لقوت يومهم، فالصيد " يؤثره رجلان متباينان الحال...، ملك ذو ثروة، أو زاهد ذو قناعة، فالملك يؤثره لحب الغلبة والظفر، أو للطرب واللذة والابتهاج بمظاهر العتاد والعدة، والزاهد يؤثره لكف نفسه عن دني المكاسب، والنأي بها عن مصرع المطالب، وصون ماء وجهه عن غضاضة الامتهان "[٤] ، وهكذا كان ذو الرمة الذي ورث مهنة الصيد عن أبيه، فهو حاذق لحرفته، سريع

---

١ . القاهري، محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ)، أنس الملا بوحش الفلا، (تحقيق محمد عيسى صالحية)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص١٩.
٢ . البازيار، أبو عبد الله الحسن بن الحسين، البيزره، (تحقيق محمد كرد علي)، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٣م. ص٢٠.
٣ . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٣١. الكاعب: الجارية التي نهد ثديها. المنصف: الخادم.
٤ . البازيار، البيزره، ص٢٠.

الأخذ لطريدته، والصيد حرفته وطعمته، منها يرتزق، ويسعى من خلالها للحصول على زاده، يقول[١]:

ومُطْعَمُ الصَّيدِ هبَّالٌ لِبُغْيَتِـــــــــــهِ ألْفى أباهُ بذاكَ الكسْبِ يكتَسِـــــــبُ
مُقَزَّعٌ أطلسُ الأطْمارِ ليسَ لـــــــهُ إلاّ الضِّراءَ وإلاّ صَيدَها نَشَـــــبُ

وقد تعددت أدوات الصيد وتنوعت طرائقه وأساليبه، وجاء الشعر الأموي على ذكرها ووصفها، فكان من أهم أدوات الصيد الشِّباك والسِّهام والنِّبال وكثيراً ما اعتمد الأمويون عليها في صيدهم، وغالباً ما ألصقوا بها الريش، وهذا ما فعلته لبنى بنبلها لترمي به قلب محبوبها قيس بن الملوح، يقول[٢]:

بَرَت نَبْلَها للصَّيد لبنى وَرَيَّشـــــتْ ورَيَّشتُ أُخرى مثلها وبَرَيْـــــــتُ
فلمّا رَمتني أقصَدَتْني بِسَـــــهْمِها وأخْطأتُها بالسَّهم حيث رَميْـــتُ

ويصور الراعي النميري صياداً يقلّب السهام المنونة بين أصابعه بعد أن ألصق بها الريش الكبيرة والصغيرة، لعله به يصطاد ما يسد رمقه ويطعم عياله الجوعى[٣]:

وفي بيْتِ الصَّفيحِ أبو عِيـــــــــالٍ كثيرُ الماء يَغْتَبِقُ السّـــــــــــمارا
يُقلِّبُ بالأناملِ مُرْهَفـــــــــاتٍ كَسَاهنَّ المناكِبَ والظُّهَـــــــــارا

واستخدم الصيادون الشِّباك، وهي شِرْكة يصيد بها في البر والماء[٤]، وكانوا ينصبونها في المراعي الخصبة، وفي الدروب التي تؤمها الوحوش، وعلى مشارع المياه، ويكثِّر حولها العلف الذي يغري الطرائد بالاقتراب منها والوقوع في شركها، وذلك كان حال نعامة من طيور فيحان طردتها شباك الصيد عن ماء يثرب، يقول الراعي النميري فيها[٥]:

أو رَعْلَةٌ من قطا فَيْحَانَ حَـــــلَأها عن ماء يَثْبَرَةَ الشُّبَّاكُ والرَّصَـــــدُ
تَنجو بِهِنَّ من الكُدْرِيِّ جانِيَـــــــةٌ بالرَّوضِ رَوْضِ عَمَاياتٍ لها وَكَـــدُ

---

[١] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٧٤. مطعم الصيد: محتال، طعمته وحرفته الاصطياد. هبّال: من الاهتبال، وهو الأخذ بسرعة. مقزَّع: خفيف الشعر. الضراء: من الأضراء، وهو الصيد. النشب: المال. الأطلس: الثوب الخلق، جمع أطلاس.

[٢] . ابن ذريح، ديوان قيس لبنى، ص٣١. راش السهم يُريشه: ألزق عليه الرّيش.

[٣] . الراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص٧٣-٧٤. السّمار: اللبن الذي ثلثاه ماء. المرهفات: السهام. المناكب: ريشات كبيرات. الظُّهارا: الريش المتوسط الحجم.

[٤] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (شبك).

[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٨٥-٨٦. الفيحان ويَثْبَرة: موضع في بلاد بني سعد، وقيل: واد. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢٨٢. الكُدْري: ضرب من القطا قصار الأذناب. الجانية: المذنبة. عمايات: جمع عماية، وهو جبل (يثنى ويجمع في الشعر). وكد: رائحة.

ولطالما استخدم صيادو العصر الأموي الجوارح للصيد، مثل؛ الصقور، والعقبان، والصقور، والكلاب، بالإضافة إلى الحيوانات الضارية التي يصفها النابغة الشيباني فيقول[١]:

حتى إذا كانَ من أفواهِها كَثَبـــــــاً وماطَلَتْهُ ضِراءٌ كُلُّها حَنِـــــــــسُ
كَرَّ وقد لَحِقَتْ منها سوابِقُـــــــــها كأنه مرزُبانٌ مُغْضَبٌ مَـــــــــرِسُ
يَهُزُّ لَدْناً يَذُبُّ الضارياتِ بـــــــــه فهُنَّ شتّانَ : مجروحٌ ومُنْحَـــــدِسُ

وذكر ابن ميّادة ضواري الصيد، مثل؛ العقبان، والنسور، فقال[٢]:

ألمْ تَرَ أنَّ الوَحْشَ يُخدَعُ مَـــــــرَّةً ويُخدَعُ أحياناً فَيُصْطادُ نُورُهـــــــا
بَلى ، وضواري الطَّيْرِ تُخْفِقٌ مَـــــرَّةً وإنْ فَرِهَتْ عِقْبانُها ونُسورُهـــــــا

ويصور الصقور بوصفها جوارح استخدمت للصيد، فيقول[٣]:

قليلُ طعامِ البَطْنِ إلا تَعِلَّـــــــــــةً من الصَّيدِ أحيانـــاً كما الصَّقْرُ آكِلُهْ

والشَّاهين جارح أخضر الظهر، أبيض البطن، طويل الجناحين، قصير العنق، وهو من أنواع الجوارح التي استخدمها الأمويون في صيدهم، وجمعه شواهين وشياهين [٤]، ويذكره الفرزدق في قوله [٥]:

حِمىً لمْ يَحُطْ عنهُ سريعٌ ولم يَخَـــــفْ نُويرَةَ يسعى بالشَّياهينِ طائِـــــرُهُ

كما درّب الصيّاد الأموي السباع على الصيد، واستخدمها للإيقاع بطريدته، يقول الراعي النميري[٦]:

تَظَلُّ بذي الأرطَى تَسَمَّعُ صَوْتَـــــهُ مُفَزَّعَةً تَخشى سباعاً ورامِيـــــــــا

---

[١] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٩. الكثب: الزبد. الضِّراء: كلاب الصيد. الحَنِسْ: الجريء. كثباً: قريباً. المِرزبان: الأسد. المرس: الشديد المراس. اللدن: هنا، القرن. يذب: يدفع. الضاريات: الكلاب المغراة بالصيد. المنحدس: المفتول.
[٢] . ابن ميادة، شعر ابن ميادة، ص١٢٩. النور: جمع نَوار، وهي النفر من الظباء والوحوش وغيرها. فرهت: استشرّت وتنشّطت.
[٣] . المصدر نفسه، ص١٩٢. التعلّة: ما يتعلل به، وهو القليل من الطعام.
[٤] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ٨ : ١٥٠.
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٢٥. سريع: عامل كان على حمى العراق. نويرة: رجل مازني.
[٦] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١١٢. ذي الأرطى: موضع.

ولمّا كان الصيد عند معظم الأمويين تسلية وترفيهاً، انسحب ذلك على اعتنائهم بالحيوانات التي تستخدم للصيد، فأولوها رعايتهم، وقضوا وقتاً في تدريبها وإعدادها للصيد، يقول الوليد بن يزيد[١]:

أنظرُ فإنْ أنتَ لم تقْدِرْ على مثـــــلٍ لهم سوى الكَلْبِ فاضربْهُ لهم مَثَـــلا
بَيْنا يُسمِّنُهُ للصَّيدِ صاحِبُـــــــــه حتى إذا ما قَوِي من بَعدِ ما هـــزلا

وقد تخيّر الصياد الأموي أجود الكلاب وأسرعها وأكثرها جرأة، وعكف على تقويتها وتدريبها لتغدو ماهرة في صيد الفرائس، يقول الراعي النميري[٢]:

أَشْلَى سَلُوقيّةً ظَلَّت وبات بِهـــــــا بِوَحْشِ إصْمِتَ في أصْلابِهـــــا أوَدُ
يَدِبُّ مُسْتَخْفِياً يغْشى الضّراء بهـــا حتى استقامت وأغراها له الطّــردُ

وبلغ الرفه والترف والتسلّي بالصيادين الأمويين أن زيَّنوا كلاب صيدهم وميّزوها عن غيرها بسيور جلدية وضعوها في رقابها، يقول الراعي النميري[٣]:

فَجَالَ إذْ رُعْنَهُ يَنأى بجانِبِـــــــــهِ وفي سوالِفِها مِن مِثْلِهِ قِـــــــــدَدُ

وعبّر الفخري عن كلف يزيد بن معاوية بالصيد، واتخاذه له رياضة ومتعة، حتى بلغ من لهجه به أنه ألبس كلاب الصيد الأساور من الذهب، والجلال المنسوجة منه، وخصص لكل منها عبداً يخدمه ويرعاه [٤].

لقد شكل الصيد سبيل ترفيه وطريق تسلية لدى الأمويين، ولا سيما أهل الثراء منهم، الذين كانوا يصطادون إمتاعاً لأنفسهم وليس رغبة في امتلاك الطريدة، فهم ليسوا بحاجتها، إلا أنهم بحاجة لما يسليهم ويرفّه عن أنفسهم، فهذا الوليد بن يزيد تصطاد كلابه غزالاً، إلا أنه يطلقه ويخلي سبيله لأن جيده وعينيه يشْبِها جِيْد وعيني سلمى محبوبته [٥]:

ولقد صِدْنا غزالاً سانِحـــــــــــاً قد أردْنا ذبْحَهُ لمّا سَنَـــــــــــحْ
فإذا شِبْهُكِ ما نُنْكِـــــــــــرُهُ حينَ أزجى طَرْفَهُ ثُم لَمَـــــــــــحْ

---

[١] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٩٦ – ٩٧.
[٢] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٦٧. إصمت: (بالكسر)، المكان القفر والفلاة التي لا أنيس فيها. الأود: الاعوجاج. أشلى عليه: أغرى الكلاب به. السلوقية: ضرب من الكلاب. يغشى الضراء بها: أي يستتر فيما بواريه ليصيد.
[٣] . المصدر نفسه، ص١٦٧. السالفة: صفحة العنق. القدد: جمع قدة، وهي سير غير مدبوغ.
[٤] . انظر: ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية، ص٤٥ – ٤٦.
[٥] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٣٥.

فتركناهُ ولولا حبُّكُـــــــــــــــمُ فاعلمي ذاك لقد كان ذُبِـــــــــــحْ
أنتَ يا ظبيُ طَليقٌ آمِـــــــــــــنٌ فاغدُ في الغِزلانِ مَسْـــــــروراً وَرُحْ

أما هشام بن عبد الملك، فقد حبس الحيوانات الوحشية في حائر قصر الزيتونة والرصافة، ثم جعل يقتنصها بترف كلّما طاب له أن يشبع رغبته في الصيد [١]، وقد صوّر جرير قصر الرصافة وما فيه من ثيران تبدو في وضح الشمس كأنها رؤساء مجوس هراة قائلاً [٢]:

نَظَرْتُ مِن الرَّصافةِ أينَ حَجْـــرٌ وَرَمْلٌ بين أهْلِهِما وبِيْـــــــــدُ
بِها الثَّيْرانُ تُحْسَبُ حينَ تُضْحـى مرازِبَةَ لها بِهَرَاةَ عيـــــــــدُ

وقد تمتع الشمردل اليربوعي بممارسة الصيد مع صقره الفاره الذي مرن الصيد واعتاده في مقتبل عمره، فيقول وقد غدا إلى الصيد قبل انبلاج الفجر[٣]:

وقدْ أغْتَدِي والصُّبْحُ في حِجابِـــهِ
واللّيْلُ لم يأوِ إلى مآبِـــــــــــهِ
وقدْ بَدَا أبْلَقَ منْ مُنْجابِـــــــــهِ
بِتُوَّجِيٍّ صاد في شبابِـــــــــــهِ

وهو صقر ذكي يعرف الصوت الذي يُدْعى به، ويدرك الإشارة التي يشار بها إليه، وهو بالإضافة إلى ذلك مذلل يصرّفه صقَّارهُ كيف يشاء، قد اعتاد الصيد واستمر عليه، فهو لا يفتأ يطلبه بشدة حتى إنه مزّق وثاقه الذي أوثق به لشدة مجاذبته إياه تحفُّزاً للصيد وشوقاً للانطلاق وراء الطرائد، يقول الشمردل اليربوعي[٤]:

مُعَاوِدٌ قدْ ذلَّ في إصْعابِـــــــــهِ
قد خَرَّقَ الضِّفَارَ من جِذابِـــــــهِ
وعرف الصوتَ الذي يُدْعى بـــهِ
ولَمْعَةِ المُلْمِعِ في أثوابِـــــــــهِ

---

[١] . انظر: طوقان، فواز (١٩٧٤)، الحائر في العمارة الأموية، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، ط١، مطبوعات الجامعة الأردنية، عمان، ص٧٦ – ١٠٧.

[٢] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٢٨٨ – ٢٩٠. مرازبة: مجوس. هراة: اسم موضع.

[٣] . الأصفهاني، الأغاني، ج١٣، ص٣٦١ – ٣٦٢. الأبلق: الذي خالط سواده بياض. المنجاب: المنكشف. التوَّجي: الصقر المنسوب إلى توَّج، وهي قرية بفارس.

[٤] . المصدر نفسه، ج١٣، ص٣٦١ – ٣٦٢. إصعابه: ترويضه. المعاود: المواظب. الضفار: ما شددت به البعير من الشعر المضفور. الإلماع: الإشارة بالثوب ونحوه.

وقد مهر الإنسان الأموي في ممارسة الصيد وتخيَّر له أحسن الأوقات وأفضل الأماكن التي تضمن له الصيد الوفير، فالأخطل يصطاد حمار الوحش في موطنه[١]:

ولَقدْ أصيْدُ الوَحْشَ في أوطانِهـا فَيَذِلُّ بعْدَ شَماسِهِ اليَعْفَـــــوْرُ

ويبيّن أن وقت الصباح هو أفضل أوقات الصيد [٢]:

ظَلَّ الرُّماةَ قُعُوداً في مَرَاصِدِهِـمْ للصَّيْدِ كلَّ صباحٍ عندَهمْ عيـــدُ

ولعل في الخروج للصيد غدوة فائدة في السيطرة على الوحش التي تكون في كِنَاسها لمّا تزل خاضعة لسلطان الكَرَى، فيسهُل طردُها وهي خاملة، ويدركها الصائد بِيُسْر.

كما يرى الأخطل أن موارد الماء من أفضل الأماكن لممارسة الصيد، فيقول [٣]:

على الشّرَائِعِ ما تَنْمِي رَمِيَّتُهُـمْ لهُمْ شِواءٌ إذا شاؤوا وتَقْدِيـــدُ

والقطا تستسلم عند حدود الماء فيسهل اصطيادها على الصائد الذي حار في تتبعها في الفيافي، يقول الفرزدق [٤]:

بَعيْدُ نياطِ الماءِ يسْتَسْلِمُ القطـــا بهِ وأدِلّاءُ الفَلاةِ حَيَائِـــــــرُه

وقد كان للصيادين في العصر الأموي عادات وطرائق مارسوها في صيدهم، كما أنهم لجأوا للعديد من المكائد والخدع التي تمكنهم من الإمساك بفرائسهم والظفر بها، ومن عاداتهم في الصيد، التخفي، لأن الوحش تفزع من نبأتهم، وتحملها رائحتهم على الهرب منهم، ولذا؛ فطن الصياد الأموي إلى ضرورة التخفي، فأخذ يحتفر لنفسه " قُتْرة " [٥] يختبئ فيها، ويتعمد اتخاذها عند موارد الماء، ويتفنن في ستر تلك الحفرة، فيغطيها بالصفيح، وقد صور ابن الدَّمينة الصياد مستتراً مترقباً فريسته بقوله [٦]:

كما اسْتَتَرَ الرَّامي لوَحْشِ غَرِيْـــرَةٍ فَأشْعِرْنَ ذُعْرَاً وهو بالصَّيْدِ طامِـــعُ

---

[١] . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٤٠٤. اليعفور: الظبي في لون التراب.
[٢] . المصدر نفسه، ١ : ١٠٤.
[٣] . المصدر نفسه، ١ : ١٠٤. الشرائع: جمع شريعة، وهي مورد الماء. ما تنمي: لا تبعد عنهم. التقديد: من القديد.
[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٤٨. نياط الماء: حده.
[٥] . القترة (بضم فسكون): كثبة من بعر أو حصى تكون قتراً قتراً، وتقتّر فلان أي تهيّأ للقتال، وقتّر الصائد للوحش إذا دخن بأوبار الإبل لئلا يجد الصيد ريحه فيهرب. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قتر).
[٦] . ابن الدمينة، أبو السري عبد الله بن عبيد الله (ت نحو ١٣٠هـ)، ديوان ابن الدمينة، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد حبيب، (تحقيق أحمد راتب النفاخ)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩م، ص

ويولي رؤبة بن العجاج بيت الصائد اهتمامه الزائد، فهو عنده كالرِّمس، ضيّق المدخل والمخرج، لا يتسع إلا لمقعده ومتكئه، يقارب مكان بنائه فليس هو بالقريب فيثير مخاوف الوحش، ولا بالبعيد فتطيش منه السهام[١]:

وقدْ بنى بَيْتاً خَفِيَّ المُنْزَبَـــــــقْ مُقْتَدِرَ النَّقْبِ خَفِيَّ المُمْتَـــــرَقْ
رَمْساً مِنَ النَّامُوسِ مَسْدودَ النَّفَــقْ مُضْطَمِرَاً كالقَبْرِ بالضَّيْـقِ الأَزَقْ
أَسَّسَهُ بينَ القريبِ والعَمَـــــــقْ أَجْوَفَ عن مَقْعَدِهِ والمُرْتَفَـــقْ

وربما يترك الصياد قترته، فيمشي رويداً رويداً، يحدوه الحذر واليقظة، منتظراً لحظة تدرك ضراؤه الوحش فتحيط بها ليخرج بعد يقين، قال الراعي النميري [٢]:

يَدِبُّ مُسْتَخْفِياً يغْشى الضِّراءُ بها حتى اسْتَقامت وأغراها له الطَّرْدُ

وقد فطن الصيادون إلى شدة حذر الفريسة وحرصها على النجاة، فعالجوها بالتخفي والمخاتلة، وقادتهم تجاربهم إلى ابتكار طرائق تسعفهم في تفادي إثارة انتباه تلك الطرائد، كما استخدموا وسائل وحيلاً متعددة للإيقاع بطرائدهم، مثل؛ الحبائل، والأشراك، والفِخاخ، والزُّبى (وهي حفائر تحفر على نشز من الأرض وتُغطّى، وفيها أو بقربها كلب أو ما أشبهه، حتى يأتي الأسد فيسقط فيها)[٣]، والاستماء (وهو أن يهيَّجَ الوحش في كِناسه عند شدة الحر حتى تخرج منه، ثم تترك لتعود، وتهيَّج مرّات أخرى حتى تتحيّر فلا تفارق كِناسها فيهجم عليها الصياد بالرّماح ويأخذها)[٤]، وقد صوّر جرير هذا الضرب من الاحتيال في صيد الطرائد بقوله [٥]:

بَقَرٌ أوانِسُ لم تُصِبْ غِرَّاتُهـــــا نَبْلَ الرُّماةِ ولا رماحَ المستمـــى

وينتهي القول في هذا الباب إلى أن الصيد والطّرد كان مما مارسه العرب في العصر الأموي تحصيلاً للقوت، أو دفاعاً عن النفس، أو تسلية وترفيهاً ومتعة، وقد مارسه أشرافهم وصعاليكهم، أغنياؤهم وفقراؤهم، كل يجذبه إليه هدف، وقد سلكوا في ذلك مسالك متعددة واتبعوا طرائق مختلفة، وتخيّروا للصيد أوقاتاً حمدوا فيها الخروج له، وفضّلوا أماكن ارتادوها لأجله.

---

[١] . ابن العجاج، ديوان رؤبة بن العجاج، ص١٠٧. المنزبق: الدخول. الممترق: الخروج. الأزق: الضيق.
[٢] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٦٧. يغشى الضراء بها: أي يستتر فيما يواريه ليختل، أي ليصيد.
[٣] . كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسين الرّملي (ت ٣٦٠هـ)، المصايد والمطارد، (تحقيق محمد أسعد طلس)، دار اليقظة، بغداد، دار اليقظة، ١٩٥٤م، ص١٧٩.
[٤] . المصدر نفسه، ص١٨١.
[٥] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧١٤.

مجالس الرقص والغناء :

عرف العرب الغناء منذ قديم الزمان، وولعوا به وأقبلوا عليه، وعرفوا بأغانيهم وأشعارهم الحماسية في الحروب، يقول المسعودي: " لم تكن أمة من الأمم بعد فارس والروم أولع بالملاهي والطّرب من العرب "[١]، فالشعر والغناء لازما حياة العرب القدماء في سلمهم وحربهم، وحتى في عباداتهم وصلاتهم التي يصفها القرآن بقوله تعالى : " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلاّ مُكَاءً وتَصْدِيَةً فذوقُوا العَذَابَ بِما كُنْتُمْ تَكْفُرون " [٢].

وشهد العصر الأموي ازدهاراً ملحوظاً لفن الغناء في حواضر الحجاز، حتى يرى شوقي ضيف أننا " لا نغلو إذا قلنا إن الغناء كان أهم شيء في الحياة بمكة وغيرها من مدن الحجاز في أثناء العصر الأموي، فقد أقبل الناس عليه إقبالاً شديداً، ويُخيّل إلى الإنسان أن أيام الناس ولياليهم كلها أصبحت غناء، ففي كل مكان وفي كل زمان لا تسمع إلا أحاديث الغناء والمغنين" [٣].

ولعل مردّ ذلك الإقبال الشديد على الغناء تلك التحولات السياسية والاجتماعية التي شهدتها الحجاز في العصر الأموي، إذ أصبحت في عزلة عن السياسة التي توطّدت سلطتها في الشام، كما عاش أهلها فراغاً واسعاً اقترن بكثرة في المال وكثرة في العبيد والإماء نتيجة الفتوحات الإسلامية، ولذا؛ نزح أكثر أهل الحجاز إلى فن الرقص والغناء " الذي كان للموالي فضل كبير في عودته، لأن أكثر المغنين والمغنيات منهم "[٤]، وقد اندفع الناس في الحجاز يعجبون بهذا الغناء، لما يشيعه من جو يملؤه الفرح والفكاهة والسرور، ولم يقتصر هذا الإعجاب على عامة الناس، بل رافقهم فيه الأمراء والفقهاء والعلماء والقضاة، وأقبلوا على فن الغناء واستمتعوا به [٥].

وقد عرفت الحجاز مجالس عديدة للرقص والغناء، مثل؛ مجلس عمر بن أبي ربيعة، ومجلس الثريا بنت علي، ومجلس جميلة المغَنِّية، وبرز عدد كبير من المغنين والمغنيات فيها، مثل؛

---

[١] . المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٨، ص٩٣.
[٢] . سورة الأنفال، الآية (٣٥).
[٣] . ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص٢٥٤ – ٢٥٥.
[٤] . المصدر نفسه، ص٢٦١.
[٥] . انظر: المصدر نفسه، ص٢٥٨ – ٢٦٠.

طُويس، ومالك بن السَّمح، وابن سريج، ومِسْجَع، ومَعْبد، وابن عائشة، وحكم الوادي، والغريض، وغيرهم [١].

وقد ارتقت مكانة المغنين والمغنيات عند خلفاء بني أمية لحبّهم وشغفهم بهذا الفن، حيث جاد الخلفاء الأمويون بأموالهم عليهم، وقرّبوهم من بلاطهم، " ولا يرتاب كل من يقرا أخبار هؤلاء المغنين في أن منزلتهم أخذت ترتفع في بلاط الخلفاء المروانيين، حتى ليظن أنهم سبقوا الشعراء، فقد كانوا يغنون هؤلاء الخلفاء وينادمونهم، ويعودون من عندهم، وقد ملأوا حجورهم ذهباً وفضة، وهذا كله نتيجة تفوقهم في فنّهم، وثمرة نبوغهم في غنائهم " [٢].

وتبادلت الزيارات بين المغنين في المواسم، واستقدم خلفاء بني أمية بعض المغنين إلى الشام، وسعى نفر منهم إلى الحصول عليهم مهما كان الثمن، فطرب الوليد بن يزيد إلى ابن عائشة، وكتب إلى عامل مكة أن أشخص إليَّ ابن سُريج، فأشخصه، كما انتقل فتيان مكة للسماع من مغنّي المدينة، وقدم فتيان المدينة للسماع من مغنّي مكة [٣].

ولعل انشغال أهل العراق بالفتوح والحروب الأهلية واختلاف نظرتهم إلى فن الغناء وآثاره يقف وراء انحساره لديهم وبقائه في الأديرة، إذ لم يكن الغناء سمة بارزة من سمات المجتمع الأموي فيها.

ولطالما ترافق الغناء مع الرقص وشرب الخمر لتكتمل اللذة وتتحصل المتعة والتسلية والترفيه، فهذا النابغة الشيباني يصف مجلس الشراب الذي تجد فيه الغناء يُغنَّى، والرَّيحان يُفْتَرَش، والأجساد تتراقص وتتمايل فرِحة طَرِبة مسرورة [٤]:

أخو ندامى كِرامٍ حلَّ ضَيْفَهُـــــمُ ... بِرَيَّةٍ باتَ يُسْقى غيرَ مَسْلـــــوبِ

تَدِبُّ فيها حُمَيَّاها وقد شَربـــــوا ... منها قِطابٌ ومنها غير مَقْطَـــوبِ

شَرْبٌ يُغَنَّونَ والرَّيْحانُ بيْنَهُـــــمُ ... وكلُّ جَحْلٍ من الخرطوم مسحـوبِ

---

[١] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٤٣، ج٢، ص١٩٥، ٣٥٣، ج٣، ص٢٨، ٢٧٣، ج٤، ص٢٢٤، ج٧، ص٩٨، ١٠٤، ج٨، ص١٩٥، ٣٣٣، ٣٤٧، ج١٥، ص٥٤، ١١٩، ج١٧، ١٦٤.

[٢] . ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص١٩٤.

[٣] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٢٨٧، ج٨، ص٣٥٢ ــ ٣٥٦.

[٤] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٣٧. الرية: الكأس الحافلة بالخمر. القطاب: الخمر الممزوجة بالماء. الجَحْل: القربة العظيمة. المشعر: ذو الشعر. مربوب: مصلّح بطلائه القار _وهو الزفت_ لئلا ينفذ ما فيه. الخرطوم: الخمر المؤثرة. الحميّا: سورة الخمر. شائلة: مرفوعة.

ترى القوائمَ منها وهي شائِلـــةَ مِن كلِّ ذي مُشْعَرٍ بالقارِ مَرْبــوبِ

وقد كان الناس في العصر الأموي يؤمّون مجالس الغناء والرقص بحثاً عن التسلية وتمضية أوقات فراغهم، فأخذوا يمضون وقتهم فيها، وتمر عليهم ساعات طوال يتسامرون ويتضاحكون ويستمتعون بالغناء والرقص، ويستلذون بما يتواجد هناك من خمر وشواء دون أن يحسوا بطول مكوثهم فيها، ولذا؛ يصف الراعي النميري يومه الذي بدا قصيراً لاستمتاعه بمجلس الرقص والغناء وتناول الشواء وشرب الخمر، فيقول [١]:

فَقَصَّرَ عني اليومَ كأسٌ رَوِيَّـــةٌ وَرَخْصُ الشّواءِ والقيانُ الصَّـوادِحُ

وكذلك كان مجلس ابن رامين يملؤه الغناء والطرب، يستلذ جالسوه بمعاقرة الخمر وأكل الشواء ورؤية الراقصات والمغنيات، يقول إسماعيل بن عمّار فيه [٢]:

لا أنْسَ سَعْدَةَ والزّرْقاءَ يَوْمَهُمـــا باللّجِّ شرقيَّة فوق الدّكاكيْـــــنِ
يُغَنِّيَانِ ابنَ رامينٍ على طَـــــرَبٍ بالمِسْجَحِيِّ وتشْبيبِ المُحِبِّيْـــنِ
أذاكَ أنْعَمُ أمْ يومٌ ظَللتُ بـــــــهِ فِراشِيَ الوَردُ في بستان شُورينِ
يشوي لنا الشيخُ شورِينٌ دَوَاجنَـه بالجَرْدَناجِ وسَحَّاج الشَّقابيـــنِ
نُسْقَى طِلاءً لِعِمْرانٍ يُعَتِّقَـــــــهُ يمْشِي الأصِحَّاءُ منهُ كَالمَجانيـنِ

ويصف الراعي النميري النساء الحسناوات اللائي ينغمسن في اللهو واللذات فيغنين ويرقصن ويطربن في مجالسهن، قائلاً [٣]:

وَخُوْدٌ من اللائي يُسَمِّعْنَ بالضُّحى قَرِيْضَ الرِّدافِي بالغناءِ المُهَـوَّدِ

ويذكر ذو الرمة مجالس الغناء والرقص الليلية، ويشيد بها وبما تشيع من أجواء الفرحة والغبطة فيقول [٤]:

وَأرْوَعَ مِهْيامِ السُّرى كلَّ ليلـــةٍ بذكرِ الغَواني في الغناءِ المُوَاصِلِ

---

[١] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٦١.
[٢] . الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص٣٦٩. اللج: الأصواب والجلبة. الدكاكين: الحوانيت.
[٣] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٢٠١. الرّدافي: الحدأة.
[٤] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٣٥٨. مهيام السرى: يهيم بالليل.

ويستمع عمر بن أبي ربيعة لضرب القينة على المِزْهَرِ، ويتمتع بمجاذبة الحسناوات أطراف الحديث في مجلس الرقص والغناء [١]:

فاهْتَصَرْنا من الحديثِ غُصُوْنَـــاً ... ما جنى مثلَها لَعَمْرِكِ جـــــانِي

ذاكَ طَوْراً وتارةً أبعَثُ القَيْـــــ ... ـنَةَ وَهْناً بالمِزْهَرِ الحَنَّـــــانِ

ولطالما أَنِسَ أهل العصر الأموي بهذه المجالس، ودأبوا على ارتيادها بحثاً عن التسلية والمرح، ويتضح هذا من قول الوليد بن يزيد [٢]:

أحِبُّ الغِناءَ وشُرْبَ الطَـــــلاءِ ... وأنْسَ النِّساءِ وَرَبُّ السُّـــــوَرْ

ودَلَّ الغَواني وعَزْفَ القِيـــــانِ ... بِصَنْجٍ يَمانٍ قُبَيْلَ السَّحَـــــــرْ

وَرِدْفٍ نبيلٍ وخَدٍّ أسيـــــــلٍ ... كَسَيْفٍ صَقيْلٍ يُحِيْرُ البَصَـــــرْ

و" الصَّنْجُ " من الآلات الموسيقية التي عرفها العرب في العصر الأموي، وهو الذي يكون في الدفوف ونحوه، ويُتّخذ من النحاس ويضرب بها على الأخرى [٣].

ويجعل العرجي من الحمامة وهي تشدو على غصن أيكة كأنها القينة التي تعزف أعذب الألحان، وتغني أجمل الغناء وهي تعزف على (العود) [٤]:

بِحاجَةٍ ما دَعَتْ شَجْواً مُطَوَّقَـــة ... في أيْكَةٍ بين أغصانٍ بتَغْريـــدِ

إذا دَعَتْ هاجَ ذا الأشجانِ مَنْطِقَهَا ... كأنَّها قَيْنَةٌ غَنَّتْ على عُـــــودِ

فهذه الحمامة تصدح بأعذب الغناء على غصن أيكة، وصوتها العذب الجميل شبيه بصوت القينة التي تعزف أرقّ الألحان وأجمل الغناء على آلتها الموسيقية التي تدعى (العود).

---

[١] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٢٠. اهتصرنا: جذبنا. وهناً: على مهل. المِزهر: العود. الحنّان: الصوت الذي يبعث الحنين.

[٢] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٥٤. السورة: الرفعة والمكانة.

[٣] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صنج).

[٤] . العرجي، ديوان العرجي، ص٢١٧. المطوّقة: الحمامة ذات الطوق. الأيكة: الشجر الكثيف الملتف.

ومن أشهر المغنيات اللواتي ذكرهن الشعراء الأمويون سلّامة القس [١]، فقد سحرت قلوب مستمعيها فتغنوا بها، يقول عبيد الله بن قيس الرقيات [٢]:

لقد فَتَنَتْ رَيَّا وسَلّامَةَ القَسَّـــــــا فلمْ تتْرُكا للقَسِّ عَقْلاً ولا نَفْسَـــــا
وما اسْتَعْبَدَ الرُّهْبانَ بالدَّيْرِ منهُمــا ولم يَسْتَحِلّا لا حَراماً ولا نَجْسَـــــا
فتاتانِ أمّا منهُما فشبيهَةَ الـــــــــ ـهِلالِ وأُخْرى منهما تُشْبهُ الشَّمْسَا

وقد تعلّق الشاعر الأحوص الأنصاري بالمغنية جميلة، فتغنّى بها وبمجلسها، فقال[٣]:

وبالقَفْرِ دارٌ من جميلَةَ هَيَّجَـــتْ سَوالِفَ حُبٍّ في فؤادِكَ مُنْصِـــبِ
ترى العينُ ما تهْوى وفيها زيادةٌ من الحُسْنِ إذ تبدو ومَلْهَىً لِمُلْعَبِ

وكثيراتٌ هن المغنيات اللواتي عُرفن في العصر الأموي، " وعلى رأسهن عزّة الميلاء، وكان لها دار يقصدها أهل المدينة لسماع الغناء" [٤]، وحبّابة، وسلّامة الزرقاء، وسُعَيْدة، والشَّماسِيَّة، وغيرهن، وكانت لهن دور ومجالس يغنين فيها ويرقصن، يقبل عليهن الغني والفقير من أشراف الناس وعامتهم، رغبة في تسلية أنفسهم وترفيهها والترويح عنها، وتمضية لأوقات فراغهم بما يؤنسهم، كما كان هناك مغنون رجال أطربوا مستمعيهم، مثل؛ طُوَيْس، ومَعْبَد، وابن عائشة، ونافع الخير، وغيرهم [٥].

وقد استخدم المغنون والمغنيات أنواعاً مختلفة من الآلات الموسيقية، ومهروا في العزف عليها، وكانت أكثر تلك الآلات التي عرفها الأمويون فارسية؛ لأن الحضارة الأموية تأثرت بحضارة فارس في جوانب عدة، ولذلك؛ فإن بعض أسماء آلات الموسيقا هي ألفاظ فارسية معربة[٦]، وقد أشار ابن خلدون إلى أن المغنين من الفرس والروم نقلوا مثل هذه الآلات إلى العرب عندما وصلوا

---

[١] . هي مغنية شاعرة من مولّدات المدينة، نشأت بها وأخذت الغناء عن معبد وطبقته فمهرت به وحذقت في الضرب على الأوتار، وشغف بها عبد الرحمن بن أبي عمار الجشمي (من قرّاء مكة) الملقب بالقس لكثرة عبادته، وكان تابعياً فنُسبت إليه وغلب عليها لقبه، سمع بها يزيد بن عبد الملك فاشتراها بعشرين ألف دينار فانتقلت إلى دمشق وبقيت عنده إلى أن توفي، ولها شعر في رثائه. انظر ترجمتها في: الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٣٣٤. وكحالة، عمر رضا (١٩٥٩)، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، المطبعة الهاشمية، دمشق، ج٢، ص٦٢٦. والعاملي، زينب بنت علي (٢٠٠٠)، معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربات الخدور، (تحقيق منى محمد زياد الخراط)، مؤسسة الريان ، بيروت، ص٢٥.

[٢] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٢١ – ١٢٢.

[٣] . الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص٢٣١. وضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص١٧٢. (لم أعثر على هذه الأبيات في ديوانه).

[٤] . ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص٦٨.

[٥] . انظر: المصدر نفسه، ص٦٧ – ٦٩.

[٦] . انظر: أسعد، رابحة مصطفى ياسين، مظاهر الحياة المادية في الشعر الأموي، ص١٢٦ .

إلى الحجاز وصاروا موالي للعرب، وغنّوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمزامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحَّنوا عليها أشعارهم [١].

و" المِزْهَر " من الآلات الموسيقية التي ذكرها الشعراء الأمويون، وهو العود الذي يضرب به، وربما يطلق المزهر على الدف نفسه [٢]، وفيه يقول النابغة الشيباني مشبهاً السحب المزينة بالبرق والرعد كأنها المزامير وقد هيّجها نقر المزاهر [٣]:

لهُ زِبْرِجٌ برقٌ ورعدٌ كأنّـــــــهُ مزاميرُ جُوْنٌ هَيَّجَتْها مَزاهِـــــرُ

وعرفوا من الآلات الموسيقية أيضاً " الطُّنْبور "، و" الطِّنْبار "، وهو فارسي معرب دخيل، ذو عنق طويل وله ستة أوتار [٤]، ويذكره الراعي النميري في وصفه لمجلس غنائي كان يرتاده قائلاً[٥]:

وَطَنْبُورٍ أجَشَّ وَرِيْحِ ضِغْـــــثٍ من الرَّيْحانِ يتّبعُ الشّؤونـــــــا
ونازَعَني بِها نَدْمَانُ صِـــــــدْقٍ شواءَ الطّيْرِ والعنبَ الحَقِيْنـــا[٦]

وجاء الشعراء الأمويون على ذكر (العود) بوصفه أحد أهم الآلات الموسيقية وأكثرها انتشاراً في العصر الأموي، وهو آلة ذات أوتار أربعة يضرب بها ويدق عليها [٧]، وقد وصف عمر بن أبي ربيعة صاحبته وهي تضرب عليه متمنياً أن يكون هو ظهر عودها [٨]:

أصْبَحَ القلبُ مُستَهاماً مُعَنّـــــى بفتاةٍ مِن أسْوَأ النّاسِ ظَنّـــــــا
قلتُ يوماً لها وحَرَّكَتِ العـــــو دَ بِمِضْرابِها فَغَنَّتْ وغَنَّـــــــى
ليْتَني كنتُ ظَهْرَ عودِكِ يومـــــاً فإذا ما احْتَضَنْتِنِي كنتُ بَطْنَـــــا

إنها فتاة تحسن الغناء والعزف على العود، وهي تصدر موسيقى من عودِها تمتاز بجودتها وحسن وقعها على الأذن.

---

[١] . انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج٣، ص٩٧٠.
[٢] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زهر).
[٣] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٦٨. الزبرج: الزينة. جُون: جمع جَون، بمعنى أسود. المزاهر: الدفوف يضرب عليها للطرب.
[٤] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طنبر). وشير، أدي (١٩٨٠)، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، مكتبة لبنان، بيروت، ص١١٣.
[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٤٨. الطنبور: آلة موسيقية. أجش: مرتفع الصوت. الشؤون: الشعب التي تجمع بين قبائل قبائل الرأس وهي أربعة أشؤن، والمعنى أن تطير الرائحة حتى تبلغ إلى شؤون رأسه.
[٦] . الحقين: الذي حقن في السقاء، أي حُبس. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حقن).
[٧] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عود).
[٨] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٢٩ – ٢٣٠. معنّى: متعب.

و " الطَّبْلُ " آلة موسيقية عُرفت في مجالس الغناء في العصر الأموي، وهو ذو وجهٍ واحدٍ أو وجهين، يُضرب عليه ليصدر صوتاً عالياً [١]، ويذكره النابغة الشيباني في تشبيهه السحب المرزمة المقعقعة بالطبول التي يجاوبها في آخر الليل زامر [٢]:

كأنَّ طُبُولاً فوقَ أعجازِ مُزْنِـــــهِ يجاوبها من آخر الليل زامِـــــرُ

وقد تكرر ذكر المزامير في الشعر الأموي، وهي آلة يزمر بها [٣]، فتهتز صلابيبها التي تصدر الأصوات، وفيه يقول النابغة الشيباني واصفاً موكب العيس والحداة وانطلاقهم بأراجيز تحث الإبل حثّاً [٤]:

بَتّوا القريْنَةَ فانصاعَ الحُداةُ بهـــمْ وهمْ ذوو زَجَلٍ عالٍ وتطريْـــبِ
مِنْهُ أراجيزُ تَزْفِي العِيْسَ إذ حُدِيَـتْ وفي المزامير أصواتُ الصَّلابيبِ

و " المِرْنانُ " آلة موسيقية، واسمها مأخوذ من الرنّة في فرح أو حزن [٥]، وقد ذكره محمد بن نمير الثقفي[٦] في قوله [٧]:

سَيُبْكِيْكِ مِرْنانُ العَشيِّ يُجيبُـــهُ لطيفُ بنان الكفِّ دُرْمٌ مرافِقَـــهْ
إذا ما بِساطَ اللّهْوِ مدَّ وألْقِيَـــتْ لِلَذّاتِهِ أنْماطَهُ ونَمارِقَـــــــهْ

ويشبّه النابغة الشيباني قعقعة الرّعد كأنها دفاف عرس أو ارتجاز حداء، وفي هذا إشارة إلى آلة موسيقية عُرفت في العصر الأموي، وهي (الدَّفُّ والدُّفّ)، وهي فارسية الأصل، وتشير إلى ما يُضرب به من آلات الطرب [٨]، يقول النابغة [٩]:

كأنَّ دِفافَ مأدُبَةٍ وعُـــــــرْسٍ وَرَجَّازٍ يُجاوِبُهُ الحُـــــــــداءُ

---

١ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (طبل).
٢ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٦٨. الأعجاز: جمع عَجُزٌ، وهو المؤخرة من البدن. المُزن: السحاب. الزامر: نافخ المزمار.
٣ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (زمر).
٤ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٣٥. تزفي: تدفع وتستحث. العيس: الإبل. الصلابيب: جمع صُلبوب، وهو لبّ المزمار الذي يصدر عنه الصوت.
٥ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رنن).
٦ . هو محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة بن ربيعة الثقفي، كان يكنى أبو المير، وهو شاعر غزل، مولده ومنشؤه بالطائف، وكان يهوى زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج بن يوسف، وله فيها أشعار يتشبب بها. انظر ترجمته في : الأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٢١١.
٧ . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ٣ : ١٣١. والأصفهاني، الأغاني، ج٦، ص٢١٣. درم: جمع أدرم، وهو مَن لا حجم لعظامه. مرنان العشي: كناية عن الصنج ذي الأوتار.
٨ . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دفف). وشير، أدي، معجم الألفاظ الفارسية المعربة، ص٦٥.
٩ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٢٤. الحُداء: الغناء الذي تستحث به الإبل على السير.

ويصل الحديث إلى أن أهل العصر الأموي اعتادوا ارتياد مجالس ودور الرقص والغناء طمعاً في التسلية والترفيه عن النفس، وقد تعددت لذلك أنواع الغناء وألوانه، وتطور تطوراً سريعاً تحت تأثير العناصر الأجنبية التي رفدت الفتوحات الإسلامية المجتمعَ الأموي بها، فعزفوا بالعيدان والطنابير والمعازف والطبول والمزامير، ولحّنت أشعار العرب وغنَّتها، وأدى هذا الضرب من التسلية واللهو إلى اشتهار عدد كبير من المغنين والمغنيات الذين برعوا في غنائهم وتفننوا في أدائهم فتشنّفت الآذان لسماعهم، وتطلّعت الأبصار لأدائهم، وفُتنت القلوب بما أشاعوه من أجواء المرح والسرور التي سادت الحانات والدور العامة حيث كان يتسلّى ويتلهّى الناس في العصر الأموي.

- **<u>ضروب تسلية وترفيه أخرى:</u>**

شغل الناس في العصر الأموي أوقات فراغهم ببعض ضروب التسلية ووسائل الترفيه، ولم يقتصروا في ذلك على الصيد والطرد ومجالس الغناء والرقص لتسلية أنفسهم والترفيه عنها، بل عرفوا ضروباً أخرى تسلّوا بها، واستمتعوا بتمضية أوقات فراغهم من خلالها، فكان المجتمع الأموي يحفل بكثير من الطفيليين والمهرجين والمضحكين وأصحاب الفكاهة والتندير الذين يضحكون مشاهديهم ويسلّونهم ويرفهون عنهم بنكتهم وإشاراتهم وحركاتهم ونوادرهم، واشتهر من بينهم (أشعب)[١]، الذي تفيض كتب الأدب بدعاباته وفكاهاته [٢]، وقد جالسه الرجال والنساء على السواء [٣].

ومن وسائل التسلية والترفيه البديعة (سباق الخيل)، فقد ولع به العرب في العصر الأموي ولوعاً شديداً، وأقاموا له ميادين خاصة، ولطالما فخروا بجيادهم التي تفوز فيه، ويذكر أنه كان لمعاوية حلبة يخرجون إليها في أيام معينة من العام للسباق، وكانوا يجيزون من يحوز السبق، أما هشام بن عبد الملك فقد ولع بالسبق هو الآخر، واستجاد الخيل له، وبذل في اقتناء الخيول العربية الأصيلة الأموال الطائلة، ويروي المسعودي أن هشام بن عبد الملك أجرى سباقاً اشترك فيه أربعة آلاف فرس، وكان يحضر حلقات السباق هو وأهل بيته مع جمع من الأمراء العرب ورجال

---

[١] . هو أشعب بن جبير، يكنى أبا العلاء وأبا القاسم، وعرف بأشعب الطماع، ولد سنة تسع للهجرة، وكان أبوه من مماليك عثمان بن عفان، وقد عُمّر حتى خلافة المهدي، ويقال: إنه مولى فاطمة بنت الحسين، ويقال: إنه مولى عبد الله بن الزبير، كان طيّب العشرة من الظرفاء، يجيد الغناء، وهو شخصية أضحكت الناس بنوادرها، كان يقوم بحركات تدهش الناس وتضحكهم، روى أبو الفرج الأصفهاني أخباراً كثيرة عنه. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٨، ص١٩٨ – ٢١٣. وابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ٢ : ١٠٢. والصفدي، الوافي بالوفيات، ٣ : ٢٦٠. الزركلي، الأعلام، ١ : ٣٣٢.

[٢] . انظر: ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، ص١٤٢.

[٣] . انظر: ضيف، شوقي، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، ص٢٧٠- ٢٧١.

الحاشية [١]. وقد شغف الوليد بن عبد الملك بهذه التسلية فكان من أسبق الخلفاء إلى تنظيمها، ومن أشهر الذين عرفوا بحبّهم لسباق الخيل والصيد والمصارعة الخليفة الوليد بن يزيد، وقد أحصي ما كان موجوداً لديه من الخيل فربا على الألف، واشتهرت له فرس اسمها " السندي " كان يسابق به في أيام هشام، وقد مارس النجديون والحجازيون في العصر الأموي هذا الضرب من التسلية وتعلقوا به، وأولوا عنايتهم بخيولهم التي يتخذونها للسباق [٢]، كما كانت أميرات البيت الأموي يتدربن على ركوب الخيل ويشتركن في السباق[٣].

ويشير جرير إلى سباق الخيل بقوله [٤]:

إذا شِئْتم أنْ تَمْسَحوا وجْهَ سابقٍ جَوادٍ فمدُّوا في الرِّهانِ عنانيا

كما اتّخذ الناس في العصر الأموي التنزه وسيلة للترفيه والتسلية، ومارسه معظم مترفي العصر الأموي رجالاً ونساءً، ويروى أنه لمّا تأيمت عائشة بنت طلحة كانت تقيم بمكة سنة، وبالمدينة سنة، وتخرج إلى مال عظيم لها بالطائف، وقصر كان لها هناك، فتتنزه فيه، وتجلس بالعشيات، فيتناضل بين يديها الرُّماة [٥].

وعدّت المرأة الأموية الخروج للنزه في الوديان والرّياض سبيلاً للتسلية والترفيه، فسكينة بنت الحسين _ رضي الله عنها _ استبدلت بمالها في الزوراء قصراً قريباً من وادي العقيق، وعندما تدفق الماء وسال في العقيق خرجت مع جواريها تمشي حتى جاءت السيل، فجلست تتنزه على جرفه [٦]، ثم قالت: والله لهذه الساعة من هذا القصر خير من الزوراء [٧].

وقد تتخذ المرأة الأموية من البادية وجهة لنزهتها، كما فعلت أم سلمة بنت يعقوب التي خرجت متبدّية مع جواريها وحشمها [٨] نحو الشراة [٩].

---

[١] . انظر: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣ : ٢١٨.
[٢] . انظر: السيف، عبد الله (١٩٨٣)، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٣٣٦ – ٣٣٨.
[٣] . انظر: الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، ص١٢ – ١٣.
[٤] . جرير، ديوان جرير، ٢: ١٠٤٣.
[٥] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ٦ : ٢١٦ – ٢١٧.
[٦] . الجرف: هو ما أكل الماء في أصله فاحتفره. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (جرف).
[٧] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٧٢.
[٨] . انظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ص٥٢٥.
[٩] . الشراة: صقع بالشام، بين دمشق والمدينة المنورة، ومن نواحية قرية الحميمة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٣ : ٣٣٢.

وكذلك نزهة هند المرّية [١] إلى الصحراء أيام الربيع مع أترابها [٢].

كما كان في خروج المرأة الأموية إلى الغدران تسلية وترفيه لها، فقد خرجت جماعة من النساء من البصرة إلى البرية بعد ليلة ماطرة للاستمتاع والسباحة في أحد الغدران [٣]، أو قد تخرج مع صويحباتها إلى الحدائق والبساتين الوارفة ليمضين أوقاتاً ممتعة بين أرجائها، وفي ذلك يقول عمر بن أبي ربيعة [٤]:

فرَأَيْتُ رِئْمَاً في مَجَاسِدِهـــا وَسْطَ الحَدائِقِ مُشْرِقَاً بَشَـــرُهْ

وكانت نساء البادية يخرجن إلى ملاعب لهن ليروّحن عن أنفسهن ويتسلين بممارسة بعض الألعاب الخاصة بهن، فبثينة صاحبة جميل خرجت مع بنات عمها إلى ملعب لهن للتسلية والترفيه[٥].

وقد دفعت رفاهية المرأة الأموية ونعيمها وترف حياتها إلى أن تفكر في سبل الترويح عن نفسها وإشغال أوقات فراغها، فحيناً تركب الخيل وتسابق غيرها على صهوته كأم سعيد الأسلمية [٦]، وبنت يحيى بن الحكم اللتين اعتلتا صهوة فرسيهما وتسابقتا عليهما متسلِّيَتين مستمتعتين حتى بدت خلاخلهما [٧].

وحيناً آخر تمارس الصيد تسلية وترفيهاً، مثل؛ صاحبة بني كلب التي خرجت للصيد معتلية ظهر جوادها لتطار أتاناً ومسحلاً، فأدركتهما، ورمتهما برمحها [٨].

ولم تكن هذه الوسائل شائعة في البادية، فالاندفاع وراء وسائل التسلية والترفيه من سباق للخيل، ومشاهدة للمهرجين، وخروج للنزه، وممارسة لبعض الألعاب، اقتصر في مجمله على قاطني

---

[١] . هي هند بنت الحارث المرّية، إحدى معشوقات عمر بن أبي ربيعة، قال فيها شعراً كثيراً. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص١٥٦.
[٢] . انظر: الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، زهر الآداب وثمر الألباب، (تحقيق صلاح الدين الهواري)، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠١م، ١ : ٢٩٩.
[٣] . انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦ : ٤٠٤.
[٤] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٠١. الرئم: الظبي الأبيض. المجاسد: جمع مجسد، وهو الثوب الذي يلي البدن والجسد. البشر: البشرة، وهي الجلد.
[٥] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص١٠٩- ١١٠.
[٦] . هي أم سعيد الأسلمية، سكنت المدينة، وقيل: إنها من أمجن النساء، كان يلازمها أحد ظرفاء المدينة. انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٤٤٧.
[٧] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج٤، ص٤٤٧.
[٨] . انظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦ : ٤٥٦. وابن قيم الجوزية، أخبار النساء، ص١٦٣. المسحل: الحمار الوحشي. الأتان: أنثى الحمار الوحشي.

المدن الكبرى والأرياف، ولعل شظف الحياة في البادية وقسوتها وسعي أهلها خلف موارد كسبهم ألقى بظلاله على طبيعة معيشتهم، فانطبعت بصورة الحياة الجادة الخشنة.

وقد كان في أعياد الناس في العصر الأموي واحتفالاتهم ومناسباتهم سبيلٌ للترفيه عن النفس وتسليتها، ففي العيدين كانت تخرج النساء والصغار إلى مصلى العيد لأداء الصلاة خلف صفوف الرجال، حتى المخدَّرات [١] والحيّض يخرجن ليتسلّين ويشهدن الخير ودعوة المسلمين، قالت أم عطية الأنصارية: " كنّا نؤمر أن نخرج يوم العيد حتى تخرج البكر من خدرها، وحتى تخرج الحيض فيكنّ خلف الناس فيكبرن بتكبيرهم ويدعون بدعائهم يرجون بذلك بركة هذا اليوم وطهرته" [٢].

كما كانت تذبح العقيقة في الختان، ويُدعى الناس ليشهدوا هذا الحفل، فيُسرُّ أهل المختون، ويروَّح عن المختون ببعض اللهو الخالي من المجون [٣]. وكذلك كانت تشهد أعراسهم وولائمهم في مناسباتهم الاجتماعية المتنوعة حضوراً ليهنئوا أهلها ويتسامرون ويتسلّون معهم.

ولعل في صناعة الدمى والتماثيل التي عرفها أهل العصر الأموي نوعاً من التسلية والترفيه لأهله، فقد مهروا وبرعوا في صناعتها وتجميلها لتكون أداة لعب مفرحة لمن يحظى بها، حتى أن كثيراً من الشعراء الأمويين شبّهوا محبوباتهم بالدّمى والتماثيل لجمالها وروعتها، ومنهم، عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج في موسم الحج ليرى الجميلات اللواتي يشبهن الدّمى جمالاً وأناقة، يقول[٤]:

خَرَجْتُ غَدَاةَ النَّفْرِ أعْتَرِضُ الدُّمَى فَلَمْ أرَ أحْلى مِنْكِ في العيْنِ والقَلْبِ

ويشبّه العَرجي النساء الجميلات اللواتي كسين شعراً طويلاً كانه النبات طولاً وكثافة بالدّمى، فيقول [٥]:

وفي السُّطُوحِ كأَمْثالِ الدُّمى خُرُدٌ يَبْكِيْنَ عَوْلَةَ وَجْدٍ غيْرِ مَمْذوقِ
مِنْ كلِّ ناشِرَةٍ فَرْعَاً لرُؤيَتِنـــــا وَمَفْرِقاً ذا نَباتٍ غيرِ مَفْــروقِ

---

[١] . المخدّرات: جمع مخدّرة، وهي التي لزمت البيت ونحوه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (خدر).
[٢] . ابن حجر الكناني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، فتح الباري بشرح البخاري، (باب صلاة العيد)، مطبعة مصطفي البابي، القاهرة، ١٩٥٩م، ٢ : ٢٨.
[٣] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٧، ص ١٠٩ – ١١٠.
[٤] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٦.
[٥] . العرجي، دبوان العرجي، ص٢٧٨. الخرد: جمع خريدة، وهي الفتاة العذراء، العولة: البكاء والعويل. الممذوق: الذي لا يخالطه كدر.

والتفنن والبراعة في صناعة الدّمى التي تمتاز بالدِّقة والأناقة يظهر جلياً في قول ابن قيس الرقيات الذي يصور دمى طُليت بماء الذهب أو الفضة فغدت أبهى وأجمل [١]:

فِيْهِمْ سُلَيْمى وَجارَتانِ لَهـــا والمسكُ من جَيْبِ دِرْعِها عَبِـــقُ
كأنَّها دُمْيَةٌ مُصَـــــــوَّرَةٌ مِيْعَ عليْها الزِّرْيابُ والـــــوَرِقُ

وشاع من وسائل التسلية وضروب الترفيه عند أهل المجتمع الأموي اللعب بالنَّرد والشطرنج، كما تسلّوا بالرمي على الجلّاهقات _ وهي قسي البندق _ وطيران الحمام[٢].

ومن أنواع التسلية التي عرفها الناس في العصر الأموي، الكرة، وكانوا يتدافعونها بالصّوالجة[٣]، والقُلَّة والمقلاة، وهما عودان يلعب بهما الصبيان [٤]، فيرمي الصبي بالقلّة في الهواء ثم يضربها بمقلاة في يده، وهي خشبة طولها ذراع [٥]، فتستمر القلة في حركتها، وإذا وقعت كان طرفاها مجافيين للأرض، فيضرب أحد طرفيها فتستدير وترتفع، ثم يعترضها بالمقلاة فيضربها في الهواء فتستمر ماضيه [٦].

لقد روَّحَ أبناء المجتمع الأموي عن أنفسهم وتسلّوا وأمضوا أوقات فراغهم بسبل أمتعتهم وأسرّتهم، فمارسوا الصيد والطرد، واستمعوا للغناء وشاهدوا الرقص، وخرجوا للتنزه في الوديان والغدران والحدائق والبساتين، ومارسوا جملة من الألعاب والرياضات، مثل؛ سباق الخيل، والكرة، الشِّطْرنج، والنرد، واللعب بالدّمى، وغيرها، مما ألقى على حياتهم ظلالاً من المرح والبهجة والسرور.

---

[١] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٥٠. ميع: سال، ومعته وأمعته: أذابته. الزرياب: الذهب. الورق: الفضة.
[٢] . انظر: ضيف، شوقي، العصر الإسلامي، ص١٩٧. السيف، عبد الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص٢٢٣ – ٢٣٥. ورواقة، إنعام موسى، الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي، ص١٠٢ – ١٠٣.
[٣] . الصوالجة: جمع صولج وصولجة، وهي عصا معقوف طرفها، يضرب بها الفارس الكرة، والصولجانة : العود المعوجّ. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (صلج).
[٤] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ٤ : ١٤.
[٥] . انظر: المصدر نفسه، ٤ : ١٥.
[٦] . انظر: أبو موسى، أحمد، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص٣٧٠.

الفـــصـــل الـــرابع

المهـــــن والحـــرف

شهد العصر الأموي نشاطاً اقتصادياً مميزاً وواضحاً، أثّر بشكل كبير في تكوين الحضارة العربية الإسلامية، وساعد على بلورتها وامتدادها زمانياً ومكانياً، وكان ذلك من خلال ضروب عديدة من الحرف والصناعات التي عرفها الأمويون وبرعوا فيها، وألوانٍ متنوعة من التجارة وما لازمها من مصارف، وإنشاء للأسواق والموانئ والمراكز التجارية، وتمهيد للطرق التجارية، وإقامة العلاقات الداخلية والخارجية، ومظاهر عمرانية ما زالت شواهدها ماثلة إلى يومنا هذا، شكلت مهاداً لحضارات متعاقبة، وحياة زراعية شهدتها بعض بيئات العصر التي توفرت فيها مقومات وظروف هيأت لقيام نشاط زراعي مثمر منظّم.

وقد رافق ذلك كله حركة علمية وثقافية نشطة وواسعة، كان قوامها الاهتمام بالتعليم والحرص على التأديب، والعناية بهما وبأهلهما، مما أسهم في انتشار العلوم المختلفة واتساعها على امتداد الدولة الأموية المترامية الأطراف آنذاك.

وسيعرض هذا الفصل _ من خلال الشعر _ لأبرز المهن والحرف التي عرفها أهل المجتمع الأموي، وأهم الصناعات التي عملوا بها، كما سيلقي الضوء على جوانب أخرى تكتمل بها صورة المجتمع الأموي مثل؛ الجانب العمراني، والتجاري.

- **<u>التعليم والتّأديب :</u>**

إن من أبرز معالم المجتمع الأموي _ ولا سيما في مطلع القرن الثاني الهجري _ ما وصل إليه من تقدم علمي ملحوظ، ولا سيّما في العلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث وقراءات، وفي الأدب، والكتابة التاريخية [١]، فقد عاشت الدولة الأموية حركة علمية نشطة ومتسارعة، منطلقة من أمر القرآن الحاثّ على العلم والمفضّل لأهله، ومن هنا، حظي التعليم والتأديب باهتمام خلفاء بني أمية وأمرائهم، وبرز أهل العلم واشتهروا بين أوساط الناس الذين أقبلوا عليهم يغرفون من بحور علومهم وآدابهم المتنوعة.

فهذا خالد بن يزيد بن معاوية ينصح بالتعلّم ويحثُّ عليه، إذ يرى فيه فائدة جمة للمتعلّم، يقول[٢]:

---

[١] . انظر: الزرو، خليل داود (١٩٧١)، الحياة العلمية في الشام في القرن الأول والثاني للهجرة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ص١٨ – ١٩. والموسى، سعد بن موسى (١٤٠٩هـ)، تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ص٣ – ٧.

[٢] . ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ٢٣٢.

هلْ أنتَ مُنْتَفِعٌ بِعِلـــــــــــــــمِكَ مَرَّة ؟ والعلم نافِـــــــــعْ
ومن المُشيرُ عليكَ بالـــــــــرَّ أيِ السَّديدِ أنْتَ سامِـــــــــــعْ

وكان عمر بن عبد العزيز يكتب بنفسه الأحاديث التي يرويها الرواة في مجلسه، كما كان من كبار الفقهاء التابعين في بلاد الشام، وكان الفقهاء يعدّون أنفسهم تلامذة عنده، فقد قال مجاهد فيه : " أتينا نعلّمه فما برحنا حتى تعلّمنا منه " [١].

وكذلك حضّ الشعراء الأمويون على اكتساب العلم والمعرفة، وأولوا المعلم والمؤدب عناية بالغة، وجعلوا له مكانة رفيعة، لما له من أثر في الناشئة وضمان سويتهم وحسن تنشئتهم وتربيتهم، يقول يزيد بن الحكم الثقفي مخاطباً ولده [٢]:

والناسُ مُبْتَنِيانِ : محمـــــــو دُ البِنايَةِ أو ذَميْـــــــــــــمُ
واعلَمْ بُنَيَّ فإنَّـــــــــــــهُ بالعلمِ يَنْتفِعُ العَليـــــــــــــمُ
إنَّ الأمورَ دَقيقَهـــــــــــا مما يَهيْجُ له العَظيْـــــــــــمُ

وظهر في العصر الأموي علماء كثر تخصصوا في معرفة الشعر ورواية الأنساب وأخبار الجاهلية وأيامها، وفيهم يقول مسكين الدارمي [٣]:

وحَكِّمْ دَغْفَلاً نرْحَل إليْـــــــــهِ ولا تُرِحْ المَطِيَّ من الكَـــــلالِ[٤]
تعالَ إلى بني الكَوَّاءِ يَقْضـــــوا بعِلْمهمِ بأنسابِ الرِّجـــــــالِ[٥]
تعالَ إلى ابن مذعورٍ شهـــــابٍ يُنَبِّئْ بالسَّوافِلِ والعَوالـــــي[٦]
وعنْدَ الكَيِّسِ النَّمْريِّ علـــــمٌ ولو أضْحى بِمُنْخَرَقِ الشِّمـــالِ[٧]

وليس هذا بمستغرب في عصر عاش فيه جماعة من كبار الصحابة والتابعين _ رضي الله عنهم_ وعدد كبير من العلماء الذين تنوعت نواحي نبوغهم وتفوّقهم، فظهر منهم في التفسير أمثال

---

[١] . ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٥ : ١٦٧.
[٢] . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ٣ : ٢٧٢.
[٣] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي، ص٦٤- ٦٥.
[٤] . دغفل: هو دغفل بن حنظلة بن زيد، الذهلي، الشيباني، يضرب به المثل في معرفة الأنساب، توفي سنة ٦٥هـ. انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨. الكلال: التعب والإعياء.
[٥] . بنو الكواء: هم رهط الكواء، وهو لقب أبي عبد الله بن عمر، ولقب بالكواء؛ لأنه كوي بالجاهلية، وقد عرف بنو الكواء بمعرفة الأنساب والأخبار، ورأيهم السديد في الحكومات والمنازعات. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١ : ٣٥١ .
[٦] . ابن مذعور: هو شهاب بن مذعور، وهو ابن الحارث بن حلزة اليشكري. السوافل والعوالي: يريد بها الأمور الخافية والظاهرة.
[٧] . الكيس النمري: هو زيد بن الكيس النمري، أحد نسابي العرب الأثبات. انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ١ : ٣٢٢. الشمال: جمع الشملة، وهو المعروف.

ابن عباس، وتلاميذه؛ كسعيد بن جُبير الذي أمره عبد الملك بن مروان أن يكتب له تفسير القرآن الكريم فكتبه سعيد، وحفظه عبد الملك عنده في الديوان [١]، ومجاهد بن جبر [٢]، وغيرهما.

ولا شك في أن العلم بمبادئ الدين الجديد قد حظي باهتمام الناس وتكالبهم عليه، فكانت حركة العلوم الدينية أوسع الحركات العلمية نطاقاً، حيث أقبل الناس على القرآن الكريم تلاوة لآياته، وفهماً لمعانيه، وتفسيراً وشرحاً له، واستنباطاً للأحكام الشرعية منه، فظهر عدد من أصحاب القراءات القرآنية المشهورين، وكان معظمهم من الموالي، مثل؛ عامر بن زيد اليحصبي، وحمزة الزيّات [٣]، وكان لهؤلاء العلماء كتب في القراءات، وكانت لهم مجالسهم العلمية التي يفد إليها تلاميذهم ليأخذوا عنهم علومهم، ويتعلموا ويتأدبواعلى أيديهم.

كما برز جماعة من الفقهاء أمثال؛ قبيصة بن ذؤيب الخزاعي[٤]، الذي تولى الكتابة لعبد الملك ابن مروان، وآخرون برعوا في علم الكلام، مثل؛ الحسن البصري، الذي أتقن علوماً عديدة، ونبغ في نواح متعددة.

ومن جانب آخر، كان الأمويون يهتمون كثيراً بأخبار العرب وأنسابهم في الجاهلية، وبأخبار الأمم الأخرى قبل الإسلام، وكان الإخباريون يجتمعون عند معاوية بن أبي سفيان فيتذاكر معهم ملوك العرب وسيرهم [٥].

وكان عبد الملك بن مروان يُعنى بتدوين أخبار العرب وأشعارها[٦]، ويرى إحسان عباس أنه كان أول من انتخب سبع قصائد من شعر الجاهلية والإسلام وجعلها في ديوان مفرد [٧].

---

[١] . هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء، حبشي الأصل من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، يكنى أبا عبد الله، فقيه محدث مفسر، سكن الكوفة ونشر العلم فيها، وكان أحد علماء التابعين، قتله الحجاج بواسط سنة ٩٥هـ. انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)، طبقات المفسرين، (تحقيق علي محمد عمر)، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ، ١ : ١٠.

[٢] . هو مجاهد بن جبر، مولى عبد الله بن السائب القارئ، كنيته أبو الحجاج، كان من العباد الزهاد، مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢ : ٥٠٩. والزركلي، الأعلام، ٣ : ٣٢٢.

[٣] . انظر: الألمعي، علي بن عبده (٢٠٠٦)، التعليم في العصر الأموي، ط١، مكتبة جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ص١٧.

[٤] . هو قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة الخزاعي، أبو سعيد المدني، ويقال: أبو إسحق، سكن الشام وعُدَّ من فقهاء أهل المدينة المبرزين، مات سنة ٨٧هـ، وقيل: سنة ٨٩هـ. انظر: السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت٩١١هـ)، طبقات الحفاظ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ١ : ٢٨.

[٥] . انظر: الأصفهاني، الاغاني، ج١٧، ص٣٨٠. والزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، ص٤١٦.

[٦] . انظر: البغدادي، خزانة الأدب، ١ : ١٢٤.

[٧] . انظر: عباس، إحسان (١٩٨٦)، عبد الملك بن مروان ودوره في ثقافة عصره، مجلة دراسات – العلوم الإنسانية، الجامعة الأردنية، المجلد الثالث عشر، (العدد الأول)، كانون الثاني، ص١٠٨.

وقد حرص الأمويون على نقاء اللغة وصفائها وصونها من كل دخيل، وحاربوا اللحن في اللغة، وكان مما يسقط منزلة الرجل في المجتمع أن يلحن، حتى قال عبد الملك بن مروان، وقد قيل لـه : " أسرع إليك الشَّيب ". قال: " شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن " [١].

كما عُدَّ عبد الملك بن مروان اللحن في الكلام أسوأ من الخرق في الثوب، والجدري في الوجـه، فقال : " اللحن في الكلام أقبح من التفتيق فـي الثـوب، والجـدري فـي الوجـه " [٢]، ودعـا إلـى تعلّم النحو، وعدَّ تعلُّمه واجباً مثل تعلم السنن والفريضـة، فقال : " تعلَّموا النحو، كما تتعلَّمون السُّنن والفرائض " [٣].

كذلك حضَّ الشعراء الأمويون علـى اكتساب العلم والمعرفـة، وقدَّروا المعلم والمؤدب تقديراً رفيعاً، وأولوه عناية بالغة، لما لـه من أثر فـي الناشئة، وحسن تنشئتهم وتربيتهم، يقول يزيد بن الحكم الثقفي مخاطباً ولده [٤]:

والنّاسُ مُبْتَنِيَانِ : محمـــــــو ... دُ البِنايَةِ أو ذَميْـــــــــــــمُ

واعْلَمْ بُنَيَّ فإنَّـــــــــــــهُ ... بالعِلْمِ يَنْتَفِعُ العَليـــــــــــــمُ

إنَّ الأمورَ دَقيقَهَـــــــــــا ... مما يَهيْجُ لهُ العَظيْـــــــــــمُ

واشتغل المسلمون في عهد الأمويين بالعلوم الطبيعيـة، ولا سيما الكيميـاء، وكـان خالد بـن يزيد أول مـن عنـي بنقـل الطـب والكيميـاء إلـى العربيـة، فـدعا جماعـة مـن اليونـانيين مـن مدرسـة الإسكندرية، حيث راجت صناعة الكيمياء، وطلب إليهم أن ينقلوا له كثيراً من الكتب اليونانية التـي تناولت البحث في صناعة الكيمياء العملية، وعمل على الحصول على الذهب عن طريق الكيمياء، كما طلب إليهم أن يترجموا كتب جالينوس في الطب، ووضع بذلك أساس التعاليم الطبية [٥].

وقد كـان التعليم فـي العصـر الأمـوي يجري فـي (الكتاتيب) أو (الكتّـاب)، وكـان يقوم علـى عملية التعليم فيها المعلمون أو المؤدبون [٦]، وكان الخليفة الوليد بـن عبـد الملك أول من خصـص

---

[١] . الجاحظ، البيان والتبيين، ١ : ١٣٥. وابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ١٨.
[٢] . ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ١٨.
[٣] . المصدر نفسه، ٢ : ١٩.
[٤] . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ص٢٧٢.
[٥] ، انظر: ابن النديم، الفهرست، ص٣٠٤. وأبو موسى، أحمد، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص٣٣٣ – ٣٣٥.
[٦] . انظر: الألمعي، التعليم في العصر الأموي، ص٤٤.

المؤدبين للأيتام [١]. كما كان التعليم يقام عبر حلقات العلم ومجالسه، وكانت تدرس فيها صنوف متعددة من العلوم والمعارف.

وفي عهد الأمويين، ظهر المؤدب الخاص في البيوت، وكان ذلك يسيراً على العائلات الغنية التي تستطيع ذلك أكثر من سواها، فكانت تكلّف أحد الأساتذة للقيام بتأديب أولادها في غرفة من غرف البيت لقاء أجر معيّن في الشهر، وكان على هذا الأستاذ أن يعلّم الأطفال القراءة والكتابة والقرآن والشعر والأدب [٢].

كما كان خلفاء بني أمية يختارون لأولادهم المعلمين والمؤدبين، ولم تشغلهم أعباء الخلافة وتسيير أمور الدولة وشؤونها عن تربية أولادهم، وتنشئتهم التنشئة الصحية عقلياً وجسمياً، مستعينين لتحقيق هذه الغاية بمعلمين ومؤدبين ليغذُّوا عقول أولادهم بمختلف فروع العلوم والمعارف، وليكسبوهم صفات حميدة تمكنهم من التعامل مع أفراد مجتمعهم وظروفه، ولذا؛ اختار معاوية بن أبي سفيان دغفلاً النسابة ليكون معلّماً لابنه يزيد [٣]، وكُلِّف إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر [٤] بتعليم أولاد عبد الملك بن مروان [٥]، وأتى عبد العزيز بن مروان بصالح بن كيسان ليعلّم ابنه عمر، واختار الوليد بن عبد الملك أبا عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر لتأديب ولده عبد العزيز وتعليمه [٦].

وقد بيّن الخلفاء لهؤلاء المعلمين الغاية المنشودة من اختيارهم، ووجهوهم إلى العلوم والمعارف التي سيغرسونها في أبنائهم، وحددوا لهم أجورهم مقابل عملهم، وكانوا يحضرون إلى مجالس التأديب والتعليم؛ ليقفوا على مدى استفادة أولادهم وتأدّبهم، ولينـاقشوا المعلم في عمله، موجهين إيّاه وداعمين.

وقد حرص المعلمون المؤدبون في العصر الأموي على تأدية رسالتهم على أتمّ وجه، ساعين لإكساب تلاميذهم الأخلاق الحميدة، وتعليمهم العلوم النافعة المفيدة، وتدريبهم وتربيتهم على جملة

---

[١] . انظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ)، تاريخ الخلفاء، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، ط١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ، ١ : ٢٢٣.

[٢] . انظر: أبو النصر، عمر (١٩٤٨)، الحضارة الأموية العربية في دمشق، مطابع روطوس، بيروت، ص٣٤٥ – ٣٤٦.

[٣] . انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٨.

[٤] . هو الإمام الكبير أبو عبد الله الدمشقي، مولى بني مخزوم، ومفقه أولاد عبد الملك، من الثقات العلماء، حدث عن السائب بن يزيد وأنس بن مالك وام الدرداء، وروى عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز، مات سنة ١٣٢هـ. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٥ : ٢١٣.

[٥] . انظر: ابن حبيب، المحبر، ص٤٧٦.

[٦] . انظر: المصدر نفسه، ص٤٧٧.

من العادات والسلوكيات الصحية السليمة، ومن ذلك؛ تلك التوجيهات التي أعطاها عبد الملك لمؤدب أولاده، حيث قال له: " واحف شعورهم تغلظ رقابهم، وأطعمهم اللحم يقووا، وعلّمهم الشعر يمجدوا وينجدوا، ومُرهم أن يستاكوا عرضاً، ويمصُّوا الماء مصَّاً، ولا يعبُّوا عبَّاً..."[١].

ولم يتطلب التعليم في البادية مالاً كثيراً يُدفع للمعلمين والمؤدبين، " فالتعليم فيها أو طلب الفصاحة والبلاغة لم يكن يكلف صاحبها مالاً، وإن كان يكلفه شيئاً من العناء والمشاق" [٢].

والبادية كما كانت مدرسة لطلاّب الفصاحة من الشعراء والأدباء، كانت كذلك مدرسة لأمراء بني أمية وأولادهم الذين كانوا يرسلونهم إلى البادية تقويماً لألسنتهم ومنعاً لهم من الوقوع في اللحن [٣].

أما البنات فكنّ يتعلمنّ القرآن ويحفظن الشعر، فقد كانت مولاة لبني الحجاج تحفظ شعراً وترويه وتنشره بين فتيات بني الحجاج [٤]، وكان صغار البنات يحضرن الدروس في المدارس الابتدائية بجانب الأطفال الذكور، ولكن بعض الناس في ذلك العصر كانوا يتجنبون تعليم بناتهم إلا قليلاً مما يتعلق بأمور دينهن، حتى قيل : " لا تعلموا بناتكم الكتابة، ولا تروُّوهن الشعر، وعلِّموهن القرآن، ومن القرآن، سورة النور " [٥].

وكانت بعض المدارس في العصر الأموي بمنزلة منارات يجتمع فيها المعلمون والمؤدبون والعلماء، وتشع من خلالها أنوار المعرفة، مثل؛ مدرسة الإسكندرية التي رفدت العرب بكثير من علوم اليونان عبر الترجمة، ومدرسة أنطاكية التي غدت في العصر الأموي موطناً لجميع المخطوطات التي كان يأتي بها العلماء من بيزنطية وبعض مناطق آسيا ليتم نقلها إلى اللغة العربية إغناءً للحضارة الجديدة التي كانت تسطع على العرب في ظل دولة بني أمية، ومدرسة حرّان التي أسهمت بعلومها وعلمائها إسهاماً كبيراً في نشوء وتطور الحضارة العربية الإسلامية، وغيرها الكثير من مراكز العلم ودور المعرفة [٦].

---

١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٩ : ٨٠.
٢ . أبو النصر، عمر، الحضارة الأموية العربية في دمشق، ص٣٤٥.
٣ . المصدر نفسه، ص٣٤٥.
٤ . انظر: الخربوطلي، علي حسني (د.ت)، حضارة العالم الإسلامي، العصر العربي، دار الهنا، القاهرة، ص٢٣٥.
٥ . القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥١هـ)، كتاب ذيل الأمالي والنوادر، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦م، ٢ : ٦٢.
٦ . انظر: الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٥٧ – ٢٦٧.

وبرز عدد من المعلمين والمؤدبين في العصر الأموي وبرعوا في أساليب التعليم وطرق التأديب، وكانت تضم كتاتيبهم وحلقاتهم في المساجد أعداداً غفيرة من الصبيان وطالبي العلم، فقد روي أن الضحّاك بن مزاحم الهلالي " كان فقيه مكتب عظيم، فيه ثلاثة آلاف صبي، وكان يركب حماراً ويدور عليهم إذا عيي " [١].

وكان الكميت والطرماح الشاعران معلمي صبيان، وكذلك كان الحجاج بن يوسف الثقفي وأبوه يعلّمان الصبيان بالطائف، وعبد الحميد بن يحيى الكاتب الوزير بدأ حياته معلم صبيان [٢].

وبفضل انتشار التعليم والتأديب، وإقبال الناس على العلم والمعرفة، وكثرة المشتغلين في حقولهما، وضعت العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية قواعدها، وضبطت أصولها مع نهاية العصر الأموي، ونشأت بعض المذاهب الإسلامية مع نهاية هذا العصر، مثل؛ مذهب مالك، ومذهب جعفر الصادق. وضبط علم النحو، ونشأ علم العروض، وتكون علم التاريخ نتيجة الاهتمام برواية الأخبار، ونشطت حركة الترجمة، واتسع الاهتمام بالعلوم الطبيعية، مثل؛ الفلك، والطب، والكيمياء، وعلم الحيوان، وغيرها [٣].

إن القول يتسع كثيراً إذا ما أراد الإحاطة بثقافة العصر الأموي وأدبه وعلومه وإنجازاته الفكرية، وقد انداحت لذلك صفحات كثر في دراسات خصّت للبحث في ثقافة العصر وعلومه[٤]، ولا تكاد تخلو دراسة أرّخت للعصر الأموي من فصل أو مبحث منها ينعقد للحديث عن هذا الجانب من العصر الأموي.

---

[١] . ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م، ١: ١٧٠.

[٢] . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١٦، ص٣٢٨. وابن النديم، الفهرست، ص١٣١.

[٣] . انظر: قاري، لطف الله (١٩٨٦)، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي، ط١، دار الرفاعي، الرياض، ص٢١ – ٢٢.

[٤] . انظر: أبو موسى، أحمد، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي. والألمعي، علي بن عبده، التعليم في العصر الأموي. وقاري، لطف الله، نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي، وطهبوب، صلاح (٢٠٠٤)، موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر الأموي، دار أسامة، عمان.

- **العمارة :**

كانت ضروب العمارة التي شهدها العصر الأموي استجابة طبيعية لاتجاه أهله نحو الاستقرار والتحضر بعد أن استقرت الفتوح في الأمصار الإسلامية، وقد آثروا السكينة على الترحال والتنقل، فبدأت الدولة الأموية بتمصير المدن وإقامة المنشآت الحضارية فيها، وبدأ سكان تلك المدن ببناء منازل تؤويهم، أو قصور تبرز مستواهم المعيشي أمام بقية الناس.

كما كانت العمارة وتطورها نتيجة لما ورثه العرب من ممتلكات فارس وروما في العراق والشام، واستجابة طبيعية للأموال التي تدفقت إلى خزينة الدولة وجيوب أهلها، فحاولوا بناء مدن حصينة لهم، واتخذوا لأنفسهم القصور والدور التي بنوها بالآجر والجص، وأفادوا في ذلك من خبرة البنَّائين الفرس والروم في تزيينها وزخرفتها، ومن ذلك ما اتخذه الأمويون من قصور ودور في كل من الشام والحجاز، فقد بنى معاوية بن أبي سفيان لنفسه دوراً بمكة يقال لها (الرقط) لاختلاف ألوانها، وأحضر لبنائها بنَّائين من فرس العراق، فاستخدموا في بنائها الجص الأبيض والآجر الأحمر، حتى أصبحت رقطاً [١]، وجلب هشام بن عبد الملك الأبواب من البلقاء لداره التي ابتناها في المدينة[٢]، كما اشتهرت دور ابن الزبير بمكة[٣] ، ويروى أن الحجاج أنفق على بناء قصره والجامع والخندقين والسور ثلاثة وأربعين ألف ألف درهم[٤]، وابتنى سعد بن أبي وقاص دار العقيق، وقد رفع سمكها ووسع فضاءها وجعل على أعلاها شرفات [٥].

وازدهر فن البناء والعمارة نتيجة اتصال العرب بالأمم المجاورة، وقد أمدهم العنصر الخارجي الذي انفتحوا عليه نتيجة الفتوحات الإسلامية بما يلزمهم من أناس مهرة في البناء، يعرفون أنواعه وطرائق تشييده والمواد اللازمة له، وأساليب تزيينه وتجميله.

وشاع البناء والعمران في معظم أرجاء الدولة الأموية ومناطقها، وتميزت به الشام، ولا غرو في ذلك فهي عاصمة الخلافة، إضافة إلى توافر المواد الخام الأولية اللازمة للبناء فيها، وقد

---

[١] . انظر : الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢ : ٢٣٧. والسمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٩١١هـ)، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م، ٢ : ٧٥٢.

[٢] . انظر: السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ٢ : ٧٥٢.

[٣] . انظر : الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢ : ٢٥٢.

[٤] . انظر: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ٥ : ٣٤٩.

[٥] . انظر : المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٢ : ٣٣٣.

وصف الشعراء الأمويون الآثار العمرانية الباهرة التي شهدتها بلاد الشام، فهذا الفرزدق يصف قصور الشام بقوله [١]:

قِيْدَت لهُ من قُصُورِ الشامِ ضُمَّرُها يَطْلُبْنَ شَرْقِيَّ أرْضٍ بعدَ تغريْبِ

ويصف ابن ميَّادة قصر بصرى في الشام، وهو من القصور المشهورة بقوله [٢]:

إذا جاوَزَتْ بُصْرَى تقطَّعَ وَصْلُها وأغْلَقَ بَوَّابانِ من دونِهما قصْرَا

ويبدو أن دور دمشق في العصر الأموي تحتل مكانة بارزة لجودتها وجمالها، لذا؛ يفضل الحارث بن خالد المخزومي الفتيات البدويات في مكة على الحسناوات الفاتنات اللواتي يسكنّ دور دمشق الجميلة، فيقول [٣]:

قاطِناتُ الحَجُون أشهى إلى قَلْـ بي من سـاكِناتِ دُوْرِ دِمَشْقِ

ويدلل وصف الراعي النميري لمصانع اليمن[٤] على كثرة العمران فيها، يقول [٥]:

وأنا الذي سَمِعَتْ مصانِعَ مـأرِبٍ وَقُرَى الشَّموسِ وأهلُهُنَّ هديـري

ومنازل حلوان مصر تهيِّج شوق كثيِّر عزّة وهو يرثي قاطنها عبد العزيز بن مروان، الذي أحال فقده القصور الأموية في حلوان موحشة، بعد أن كانت محطَّ أنظار الشعراء [٦]:

نَشِيْمُ على أرْضِ ابن ليلى مَخِيْلَـةً عريْضاً سَنَاها مُكْرَهِفّاً صَبيرُهـا

فأصبحتُ لو ألممتُ بالحَوْفِ شاقَنِي منازِلُ من حُلْوَانَ وَحْشٌ قصورُها

وشهدت الحجاز جانباً من العمران في العصر الأموي، ولعل قول كثيِّر عزَّة يشير إلى اشتهارها بالحصون المنيفة، يقول [٧]:

وّقد حال من رَضْوى وضَيْبَرَ دونهم شماريخُ للأرْوى بِهِنَّ حُصُـونُ

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٥.
[٢] . ابن ميادة، شعر ابن ميادة، ص١٣٤.
[٣] . المخزومي، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص١٢١. الحجون : مقبرة أهل مكة.
[٤] . المصانع تنقسم إلى قسمين ؛ مدني وديني، فالمدني؛ كالقلاع والحصون والأبراج والقصور والمراصد والجسور والقنوات والموانئ والطرق والدور والمستشفيات ... والديني؛ كالمعابد والجوامع والبيع والأديرة والكنائس والمدارس والملاجئ وما شاكلها. انظر : علي، محمد كرد (١٩٨٣)، خطط الشام، ط٣، مكتبة النوري، دمشق، ٥ : ٢٤١.
[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٢١٦.
[٦] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣١٥- ٣١٦. مخيلة: سحابة. السنا: البرق. المكفهر والمكرهف: السحاب الذي يغلظ و يركب بعضه بعضا. الحوف: من أعمال مصر.
[٧] . المصدر نفسه، ص١٧٢. ضيبر: اسم جبل بالحجاز. شماريخ: جمع شمراخ، وهو الشنخوب؛ أي رأس الجبل. الأروى: أنثى الوعل.

واشتهرت عَمّان بحصونها وقصورها، وقد وصفها كثير من شعراء العصر الأموي، ومنهم؛ الأحوص الأنصاري الذي يقول فيها [١]:

أَقُولُ بعَمَّانٍ وهلْ طَرَبي بـــــــــــهِ إلى أهلِ سَلْعٍ إن تَشوَّقْتُ نافِـــــعُ
أَصَاحِ ألمْ تَحْزُنْكَ ريحٌ مريضَـــــــةٌ وبَرْقٌ تلالا بالعَقِيْقَيْنِ لامـــــــعُ
نظرتُ على فَوْتٍ وأَوْفَى عَشِيَّـــــــةً بنا منظرٌ من حِصْنِ عَمّان يافِـــعُ

وكذلك اشتهرت عُمَان في العصر الأموي بقصورها الجميلة الممتدة لقول جرير [٢]:

أحْمَوْا عليكَ فلا تَجُوزُ بمنْهَل ما بينَ مِصْرَ إلى قصُور عُمَان

ويبدو أن معظم المناطق التي أقام بها العرب في العصر الأموي شهدت حركة عمرانية مزدهرة، ولا سيما بلاد الشام والعراق واليمن والحجاز، ولا غرابة في ذلك وقد عرفت هذه المناطق استقراراً أوجب نشوء هذه الحركة العمرانية، " فهذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري وأقدمها، وهي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن، وذلك أن الإنسان لِما جُبِلَ عليه من الفكر في عواقب أحواله لا بد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من الحر والبرد، كاتخاذ البيوت المكتنفة السقف والحيطان من سائر جهاتها[٣] .

- أنواع البناء :

لقد عرفت معظم البيئات الأموية _ولا سيما تلك التي شهدت تحضراً واستقراراً_ أنواعاً كثيرة من البناء والعمارة، تباينت في أشكالها والمواد المستخدمة في بنائها تبعاً لاختلاف البيئة، ومدى توافر المواد الأولية فيها، بالإضافة إلى وجود العمَّال المهرة الذين ينهضون بهذه الحرفة، ولعل التنوع في المباني يعود إلى اختلاف مستويات الحياة الاجتماعية للناس في المجتمع الأموي، ومع ذلك، شهدت معظم البيئات الأموية حضارة عمرانية تمثلت في العمارة الدينية، مثل؛ المساجد التي اهتموا بزخرفتها وهندستها. والعمارة الحربية، مثل؛ الحصون والقلاع. والعمارة المدنية، مثل؛ الدور، والبيوت، والأسوار، والجسور، والقناطر، والقباب، وغيرها.

---

[١] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١٨٣- ١٨٤. سلع: جبل بسوق المدينة. تشوفت: تطلعت. ريح مريضة: لينة الهبوب رقيقة. العقيقان: موضعان في المدينة، عقيق أكبر فيه بئر عروة، وأصغر فيه بئر رومة التي اشتراها عثمان رضي الله عنه. الفوت: السبق. أوفى: أشرف وارتفع. المنظر: اسم مكان. يافع: مشرق مرتفع.
[٢] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ١٠١٥. أحموا: اشتدوا.
[٣] . ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٣ : ٩٣٢.

ومن أشهر أنواع العمارة الدينية، المساجد، وقد تفنن العمال المهرة في بنائها وزخرفتها، وساعدهم في ذلك سعة اطّلاعهم على الفنون المعمارية التي كانت في البلاد المفتوحة، فقلَّدوها وأدخلوا عليها كثيراً من التحسينات التي تتلاءم وتعاليم دينهم، فغدت مساجدهم ذات طابع خاص بهم، تشهدها في معظم البيئات التي قطنوها، يقول الأخطل [١]:

قومٌ يظلُّون خُشْعاً في مســـــــاجِدِهم ولا يَدِيْنُونَ إلاّ الواحِدَ الصَّمَـــــــدا

وتعد المساجد من أهم أنواع البناء التي حظيت باهتمام الأمويين وعنايتهم، وتميَّزوا في بنائهم لها، وجعلوها مخالفة لما عُهِد في الأديرة والكنائس، فحرموا الصور والتماثيل فيها، وزيَّنوها بالأعمدة والفسيفساء والزخارف ذات الأشكال الهندسية المتعددة، كما وضعوا فيها التيجان والقناديل الذهبية أو الفضية، فغدت مظهراً معمارياً لا يدانيه مدان، ولا يجاريه مجار، يقول عدي بن الرقاع في مدحه للوليد بن عبد الملك [٢]:

فلا ترى نائلاً يجري كنائِلِـــــــــــهِ ولا كبُنيانِهِ في الأرضِ بُنيانـــــــا

بنى مساجدَ للإسلام جامِعـــــــــــةً ولم يَدعْ بيْت إشراكٍ كما كانـــــــا

ومن أبرز المساجد التي شيدها الأمويون قبة الصخرة التي تمثل نموذجاً جديداً يختلف عن بساطة المساجد الأولى، وهو من إنشاء الخليفة عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ)[٣] وتتجلى مهارة العمارة الأموية وإبداعها في هندسته، فليس في الإسلام مسجد أكبر منه، وله في قبلته مسقف، وقد أحيطت الصخرة ببناء مستدير، وحوله رواق دائري، وجعلت فوق الرواق قبة عالية مستديرة الرأس، محمولة على ستة عشر قوساً، وغشيت القبة بالرصاص الغليظ السميك، وزينت من الداخل بالفسيفساء، وأقيم وراء الرواق عمدان ودعائم أخرى نظِّمت على شكل مثمن منتظم [٤].

أما المسجد الأموي بدمشق فشاهد على فخامة العمارة الأموية ودقتها، وكان مكانه كنيسة اشتراها الوليد بن عبد الملك من النصارى وعوَّضهم بدلاً منها، وأمر بإقامة مسجد كبير مكانها[٥]، وفي ذلك يقول الفرزدق [٦]:

فَهَمَّكَ اللهُ تحْويلاً لبَيْعَتِهِـــــــم عن مسجدٍ فيهِ يُتلى طيِّبُ الكَلِـــــــمِ

---

١ . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٧٣٠. وقوله: خشْعاً: أراد خشَّعاً فخفف.
٢ . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٧٢.
٣ . انظر: البلاذري، فتوح البلدان، ص٣٤٣. وعباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ص١٤٣.
٤ . انظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ)، كتاب صورة الأرض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ص١٧١. والرفاعي، أنور(١٩٧٠)، الإنسان العربي والحضارة، دار الفكر، بيروت، ص٣٣٤.
٥ . انظر: علي، محمد كرد، كتاب خطط الشام، ٥ : ٢٧٥. والرفاعي، أنور، الإنسان العربي والحضارة، ص٣٣٥.
٦ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢١١.

كما مدح جرير الوليد بن عبد الملك لفعلته هذه، مشيداً بأمره [١]:

إنَّ الوليدَ خليفةٌ لخليفـــــــــةٍ ... رفعَ البناء على البناءِ الأعظَـــــــــمِ
فَعَلا بناؤكُمُ الذي شَرَّفْتُـــــــمُ ... ولكم أباطِحُ كلّ وادٍ مُفْعَـــــــــمِ
ولقد سَمَوْتَ إلى النصارى سَمْـوَةً ... رَجَفَتْ لوقْعَتِها جبال الدَّيْلـــــــــمِ
إنَّ الكنيسة كان هَدْمُ بنائـــــها ... قَسْراً فكانَ هزيمةً للأخْـــــــــرَمِ
فأراكَ ربُّكَ إذْ كَسَرْتَ صليبَهُـــم ... نورَ الهُدى وعَلِمْتَ ما لم تَعْلَـــــــمِ

ويصف النابغة الشيباني المسجد الأموي مفتخراً مادحاً من بناه وشيده [٢]:

قَلَعْتَ بيعَتَهم عن جوْفِ مســـــــجِدنا ... فَصخْرُها عن جديدِ الأرضِ منْسوفُ
كانت إذا قام أهل الدين فابْتَهَـــــــلوا ... باتت تجاوبنا فيها الأســـــــاقيفُ
أصواتُ عُجْمٍ إذا قاموا بِقُرْبَتِـــــــهم ... كما تصوَّت في الصبح الخطاطيـفُ
فاليومَ فيه صلاةُ الحقِّ ظاهـــــــرةٌ ... وصادِقٌ من كتاب الله معـــــروفُ

وتُبْهر طبقات الفضة التي تزخرف المسجد الأموي عيون الناظرين، كما أنه مزين بصنوف متنوعة من الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة، يقول النابغة [٣]:

فيه الزَّبَرْجَدُ والياقوتُ مؤتَلِـــــــقٌ ... والكِلْسُ والذهبُ العِقيانُ مرصـــــوفُ
ترى تهاويله من نحو قِبْلَتِـــــــنا ... يلوح فيه من الألوانِ تفويـــــــــفُ
يكادُ يُعْشي بصير القومِ زِبْرِجُـــــهُ ... حتى كأنَّ سوادَ العينِ مَطْـــــــرُوفُ
وفضَّةٌ تُعجِبُ الرّائين بَهْجَتُـــــها ... كريمُها فوقَ أعلاهُنَّ معطـــــــوفُ

ومهما ارتفعت الطير فهي لا تبلغ مدى قبته لعلوها، كما أن سقوف محاريبها بنيت من الساج الأسود [٤]:

وقبَّةٌ لا تكادُ الطيرُ تبْلُغُـــــها ... أعلى محاريبها بالسَّاجِ مَسْـــــقُوفُ

واستعمل البناؤون المهرة الرخام الشامي ليبطّنوا به واجهته الأمامية [٥]:

---

[١] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٦٩ – ٧٠. الأخرم: ملك من ملوك الروم.
[٢] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١٠- ١١١. الأساقيف: جمع أسقف، وهو أقل درجة من المطران. القُربة: الدعاء أو الصلاة . الخطاطيف: جمع خطاف، وهو طائر أسود.
[٣] . المصدر نفسه، ص١١١. العقيان: الخالص من الذهب. التهاويل: التصاوير. التفويف: الوشي والزخرفة. الزِّبرج: الزينة والوشي . مطروف: مصاب في طرفه فهو مغمض.
[٤] . المصدر نفسه، ص١١١. الساج: خشب أسود قوي.
[٥] . المصدر نفسه، ص١١١.

فكلُّ إقبالهِ واللهُ زيّـــــــــــنَهُ مُبَطّنٌ برخام الشـــــــــامِ محفـوفُ

ويمتد نور مصابيحه ليضيء لبنان والسيف (سواحل بلاد فارس)، وهي طافحة بالزيت الذي يشبه لونه الذهب، يقول النابغة [١]:

لها مصابيحُ فيها الزيتُ من ذَهَبٍ يضيءُ من نورِها لُبنانُ والسِّيْفُ

ويرى إحسان عباس أن المسلمين كانوا " يعدّون الجامع الأموي إحدى عجائب الدنيا، لذلك كان له تأثير في ما بني بعده من مساجد " [٢]، مثل؛ المسجد الأموي في حلب الذي بدئ ببنائه في عصر الوليد بن عبد الملك، وانتهى في عهد أخيه سليمان، وكذلك جامع الزيتونة في تونس، ومسجد سيدي عقبة في القيروان الذي بناه عقبة بن نافع، ثم هدم وأعيد بناؤه سنة (٧٦هـ)، ووسِّع بأمر من هشام بن عبد الملك سنة (١٠٥هـ).

ويتضح من مدح جرير للحجاج أن الأمويين أضافوا في بنائهم للمساجد المآذن والمنابر[٣]:

زيْنُ المنابِرِ حين تعلو مِنبَـــــــــرَاً وإذا ركِبْتَ فأنت زيْنُ الموكـــــبِ

ويظهر ذلك أيضاً في مدحه للوليد بن عبد الملك [٤]:

ولقد حَكَمْتَ فكان حُكمُكَ مَقْنَـــــــــعاً وخُلِقْتَ زيْنَ منابرٍ ومساجـــــــــدِ

لقد انصب اهتمام الأمويين على إنشاء المساجد الجامعة وتوسيعها وتزيينها، وبرعوا في ذلك وأتقنوه، وما ذلك إلا لاهتمامهم بالمجتمع وأهله وعاداتهم، و لتظل الدولة الإسلامية حاضرة منافسة للصبغة المسيحية، ولا سيما في البلاد الشامية التي كانت حديثة عهد بالإسلام، وقد أكثروا من بناء المساجد الضخمة التي تستوقف الناظر وتبهره بجمالها وروعتها، مدللة على عظمة الفن المعماري في العصر الأموي.

---

[١] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١٢.
[٢] . عباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ص١٥٥.
[٣] . انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٩ : ١٤٧، ١٠ : ١٦٥. والرفاعي، أنور، الإنسان العربي والحضارة، ص٣٣٨.
[٤] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٦٣٨. رجل مَقنع: إذا كان يقنع بقوله ورأيه.

- **العمارة المدنية :**

إن ترف العرب والنعيم الذي عاشوه بعد الفتح دفعهم إلى تشييد القصور والمنازل والدور، كما احتاجوا أيضاً إلى تمهيد الطرق، وبناء الأسوار والجسور، فشهدت مدنهم أعمالاً معمارية متقنة.

ومن أبرز أشكال العمارة المدنية، القصور، وقد عني الأمويون بها، واهتموا بتزيينها وزخرفتها، ومن أشهرها؛ قصر الخضراء الذي اتخذه معاوية منزلاً، وقد وصفه أبو دهبل بقوله[١]:

وهي زهْراءُ مثلُ لؤلؤة الغَـــوْ ... اصِ مِيْزَت من جوهر مكنـــون
ثم خاصِرتــها إلى القَبة الخضْـــ ... ـراءِ تمشي في مَرْمَرٍ مسنونِ[٢]
قَبّة من مراجلٍ ضَرَبُـــــــها ... عند بَرْد الشتاء في قَيْطَـــونِ[٣]
تجْعَلُ المِسْكَ واليَلَنْجوجَ والنّـــدَّ ... صِلاءً لها على الكَانـــــــونِ[٤]

فهو قصر مزين بالمرمر ومكسو بالقماش الأخضر، تفوح منه الروائح الزكية، مثل؛ المسك والعنبر، واليلنجوج.

وحفلت بادية الشام بوجود كثير من القصور التي أمر الأمويون بإنشائها، حيث كان الوليد بن عبد الملك محبوباً عند أهل الشام؛ لأنه حريص على العمارة والبناء كما جاء في قول جرير [٥]:

رفعَ البناءَ بنو الوليد وأسَّسُـــــوا ... بنيانَةً وصلت أرومة عـــــــادِ

وأشار إلى كثير من القصور في الشام حينما رثى عبد العزيز بن عبد الملك بقوله [٦]:

وأهلُ الشأمِ قد وجدوا عليْـــــــــهِ ... فأحْزَنَهُمْ وزُلْزِلَتْ القصـــــــورُ

وحرص الأمويون على تشييد قصورهم في الأماكن المرتفعة، وجعلوا أبوابها قوية منيعة، كما يبدو في قول العرجي [٧]:

---

[١] . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص٧٠ – ٧١.
[٢] . خاصَرَتُها: أي أخذت بيدها. في مرمر: على مرمر. مسنون: مصبوب على استواء.
[٣] . المراجل: ضرب من برود اليمن. القيطون: البيت في جوفه بيت (المخدع)، ويتخذ للنساء.
[٤] . اليلنجوج: عود البخور. الند: عود يتبخّر به، وقيل: هو العنبر. الكانون: الموقد.
[٥] . جرير، ديوان جرير، ١ : ٥٠٨.
[٦] . المصدر نفسه، ٢ : ٦٩٤.
[٧] . العرجي، ديوان العرجي، ص١٨٠. الأواسي: جمع آسية، وهي دعامة البيت والسارية في وسطه. الظراب: التلال الصغيرة المتقاربة. المحراب: أعلى البيت. الهدء: القطعة من الليل.

أيُّها القصرُ ذو الأواسيِّ والبُسْـــــــــ ـــــتانِ بين القُصورِ فوق الظِّرابِ
زانَكَ اللهُ بالعِمارةِ مِنـــــــــــــهُ وَوَقاكَ المَليكُ وشْكَ الخـــــــرابِ
بُمنيفٍ كأنّهُ رُكْنُ طَـــــــــــــوْدٍ ذي أَوَاسٍ مُطَمَّرِ المِحـــــــــــرْابِ
وتَرقَّيْتُ بالحِبالِ إليـــــــــــــهَا بَعْدَ هَدْءٍ وغَفْلَةِ البَـــــــــــوَّابِ

فصاحبة الشاعر تسكن قصراً عظيماً يتولى الحراس حمايته، وعلى الرغم من منعة القصر وعلوّه إلا أنه لم يمنع الشاعر من الوصول إلى معشوقته.

وكذلك يحاول الصِّمَّة القُشيري[١] أن يصعد أعلى القصر لعله يرى الحبيبة، فيقول [٢]:

خَليلَيَّ قُوما أشْرِفا القَصْرَ فانظُـــــــــرا بأعيانِكُم هل تُؤنِسانِ لنا نَجْـــــدا
وإني لأخشى إنْ عَلَونا عُلُـــــــــــوَّهُ فَنُشرِفُ أن يَزداد – وَيْحَكُمَا – بُعْدا

وتحفل كتب التاريخ والآثار[٣] بحديث واسع عن كثير من القصور الأموية التي شيَّدها خلفاؤهم وأمراؤهم وولاتهم، وتسهب في تبيان تفاصيل بنائها وهندستها، بما لا يدع مجالاً للمطلع عليها أن يشك في أن العمارة الأموية _ ولا سيما القصور _ انتشرت واتسعت في ذلك العصر، وأخذت طابعاً مميزاً.

لقد ابتنى الخلفاء والأمراء والأشراف القصور المنيعة العالية، وجصّصوها وزيَّنوها من الظاهر والباطن، وأبدعوا في زخرفتها وتجميلها، وكثرت القصور في البيئات الأموية، ولا سيما الشام، وقد ظلت حتى يومنا هذا معلماً حضارياً يشهد على التقدم العمراني في العصر الأموي، ويدلل على مهارة أولئك الحرفيين الذين شيَّدوها وزيَّنوها وبراعتهم.

كما ابتنى الأمويون البيوت والدور، وكانت دور دمشق مضرب المثل؛ لشهرتها، وكثرتها، وحسن بنائها، كما يصورها الحارث بن خالد المخزومي [٤]:

---

[١] . هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قشير، شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، ولجدّه قرة بن هبيرة صحبة بالنبي _صلى الله عليه وسلم_ وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه، وقد التحق بجيش الفتوح المتوجهة إلى الشرق، حيث الديلم وطبرستان، ومات فيها سنة ٩٥هـ، انظر: الأصفهاني، الأغاني،ج٦، ص٢٩٢، والبغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ٣ : ٦٣. والآمدي، المؤتلف والمختلف، ص٢١٤. والمرزباني، معجم الشعراء، ص١٤٤ – ١٤٥.

[٢] . الجبر، خالد عبد الرؤوف (٢٠٠٣)، الصمة بن عبد الله القشيري، حياته و شعره، دار المناهج، عمان، ص٧٩.

[٣] . انظر: الحسين، قصي، موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي، ص٣٠٣- ص٣٣٥. والخربوطلي، علي حسني، حضارة العالم الإسلامي، العصر العربي، ص٢٧٣ – ٢٩٤. وعباس، إحسان، تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي، ص١٤٣ – ١٥٣. وأبو النصر، عمر، الحضارة الأموية العربية في دمشق، ص٣٧١ – ٣٩٤. وأبو موسى، أحمد، التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي، ص٣٣٩ – ٣٥٠. وأحمد، لبيد إبراهيم وآخرون، الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي، ص٢٦١ – ٣٠٨.

[٤] . المخزومي، الحارث، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص١٢١. الحجون: مقبرة أهل مكة.

قاطناتُ الحَجُونِ أشهى إلى قلـــــ بي من ساكناتِ دورِ دمشـــــــــــق

ويقول أيضاً في وصف الدور والبيوت [١]:

القصْرُ فالنَّخْلُ فالجَمَّاءُ بينهُـــــــــــــما أشْهى إلى القلبِ من أبواب جَيْـرُونِ

إلى البلاطِ فما حَازَتْ قرائِنُـــــــــــــهُ دُوْرٌ نَزَحْنَ عن الفحشـــــاء والهُوْنِ

ويأتي الفرزدق على ذكر بيوت الرخام التي يسكنها المترفون المنعَّمون في قوله [٢]:

ألم تأتِ أهْلَ الحِجْرِ والحِجْرُ أهلُهُ بأنْعَمِ عيْشٍ في بيوتِ رُخَـــــــــــــامِ

ويشبه الأحوص الأنصاري ساكنات الدور بالدمى لجمالهن، فهن منعمات مرفَّهات، يقول[٣]:

هل هيّجَتْكَ مَغَانِي الحَيِّ والـــــــدُّوْرُ فاشْتَقْتَ إنَّ البَعيْدَ الدَّارِ مَعْـــــذُورُ

وقد يَحُلُّ بها إذْ عَيْشُنَا أَنِـــــــــقٌ بيْضٌ أوانِسُ أمْثَالُ الدُّمَى حُـــــورُ

وقد اتخذ أهل المجتمع الأموي في بعض بيئاته الدور والمنازل سكناً لهم، فاهتموا بعمارتها وهندستها، وأولوا بناءها رعايتهم وحرصهم؛ لتليق بهم، وتقيهم برد الشتاء وحرّ الصيف.

وعَرف الأمويون نوعاً من العمارة يسمى " القباب "، وكانت القباب في غالبها عالية شاهقة الارتفاع، وقد جاء الشعر الأموي على وصف القباب، ومن ذلك قول الفرزدق [٤]:

لآلِ المُعلّى قبَّةٌ يَبتَنونَـــــــــها بأيدي كِرامٍ رَفَعوها بِعَرْعَـــــــــرِ

إذا سَمَكوها بالمُعَلَّى تَضَمَّنَـــــــتْ رَبيْعَةَ طُرَّاً خائفين ومُعْتَـــــــرَي

وقد تشبه القباب في بنائها القصور، ويسكنها النساء المترفات، يقول النابغة الشيباني [٥]:

وهِجَـــــانٍ وقيـــــــانٍ وقِبـــــــابٍ كالقُصـــــورِ

---

[١] . المخزومي، الحارث، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص١٢٣. الجماد: أرض في المدينة كانت لسعيد بن العاص وصارت لمعاوية بعد وفاة سعيد. أبواب جيرون: في دمشق. القرائن: دور كانت لبني سعيد بن العاص متلاصقة، وسميت بذلك لاقترانها.

[٢] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢١٤. الحجر: واد بين المدينة والشام. وأهل الحجر: قوم ثمود.

[٣] . الأحوص الأنصاري، ديوان الأحوص الأنصاري، ص١٦١. المغاني: واحدها مغنى، وهو المنزل الذي غنى به أهله ثم ظعنوا. الأنق: الفرح والسرور.

[٤] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٥٦. العرعر: السرو. المعتري: القوي الشديد.

[٥] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٠. الهجان: البيض الكرام.

ويتضح ذلك أيضاً من قول عمربن أبي ربيعة [١]:

وَلَقدْ أُخْرِجُ الأَوانِـــــــسَ كالْحُـــــ ـــــــوِّ بُعَيْدَ الكَرى أمامَ القِبَــابِ

كما أتقن الأمويون بناء القناطر والجسور، " والقنطرة: ما ارتفع من البنيان على شكل عقد، وقد عرفت القناطر المائية خلال العصر الروماني، ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية المبكرة " [٢]، وقد برع الروم في بنائها وهندستها، حتى إن الفرزدق يمدح أبان بن الوليد البجلي لأنه استطاع أن يحطِّمها على الرغم من قوتها وصلابتها، فيقول [٣]:

إلى مُعْلوْلِبٍ لأبي أَبَـــــــــــانٍ يُحَطِّمُ كُلَّ قَنْطرة وجِسْـــــــــرِ

ومدح عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك لاهتمامه بعمارة المدن واحتفائه بالبناء والعمران، وقد ذكر القناطر ومدح حسن بنائها، فقال [٤]:

بَنَوا قَنَاطِرَهُ حتى إذا جَعَلـــــــــوا لَهُ من الجَنْدَلِ العادِيِّ أركـــــانا
فأحْسَنَ الصُّنْعَ بنَّاؤوكَ وارتفعـــــــوا فوق الذين تَغَنَّوا فيه أزمـــــانا
كَسَوْهُ من عَمَلِ الصُّنَّاعِ مُلْتَهِـــــــفَاً يكاد يْختَطِفُ الأَبصارَ عِقيـــــانا

وبنى الأمويون الأبراج الشاهقة والدَّسَاكر، وقد صوّر الراعي النميري أبراج الجولان ودساكره في الشام بقوله [٥]:

تَرَيْ حارِثَ الجولانِ يَبْرُقُ دُونَـــــــهُ دساكِرَ في أطرافِهِنَّ بُـــــــرُوجُ

ويذكر الفزردق الدساكر في قوله [٦]:

فأصْبَحْتُ في القومِ الجـــــــلوسِ مُغَلَّقَةً دوني عليها دَسَـــــــاكِـرُهُ

وشبه كثيّر عزَّة الناقة المحمَّلة بالهوادج كأنها البروج لارتفاعها الشاهق، فقال [٧]:

رأيْتُ جِمالَها تَعْلُو الثَّنـــــــــايا كأنَّ ذرى هَوَادِجِها البُـــــــرُوجُ

---

١. عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمربن أبي ربيعة، ص١٣. الحو: جمع حواء، وهي المرأة التي شفتاها حوّاء مائلة إلى السواد.
٢. رزق، عاصم محمد (٢٠٠٠)، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص٢٤٤.
٣. الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٣٩. المعلولب: الجيش الغالب.
٤. العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٧٣ . الجندل: الحجارة. العادي: الممتد. ملتهف: براق. العقيان: الذهب.
٥. الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص ١٢٧. حارث: قلة من قلل الجولان. الدسكرة: بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي.
٦. الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١٢. دساكره: قبابه.
٧. الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص١٨٩.

وبهذا، فقد كانت العمارة المدنية الأموية في أوج تألقها ورقيها آنذاك، وظفوا فيها كل خبراتهم ومعارفهم المعمارية التي امتلكوها أو اكتسبوها من الأمم الأخرى، وأنشأوا القصور والبيوت، وأقاموا الجسور والقباب والقناطر، وكانوا حريصين على جودة البناء ومتانته وجمال مظهره.

- العمارة الحربية :

لاشك في أن الدولة الأموية كانت بمسيس الحاجة إلى تحصين مدنها ومنشآتها، كيف لا ؟ وهي تشهد اضطرابات داخلية وأخطاراً خارجيّة، وحروباً عديدة، وفتوحاً كثيرة، لذا؛ فقد عمد الأمويون إلى بناء التحصينات الدفاعية، مثل؛ الحصون، والقلاع، والأبراج؛ ليتحصَّنوا بها، ويذودوا عن مدنهم ومنجزاتهم الحضارية، وقد اشتهر الحجاج ببناء المدن وتحصينها، ولهذا يمدحه أبو النجم العجلي مدللاً على منعته وعزته بقوله [١]:

ويل ام دورِ عزّةٍ ومجْـــــــــــــــــــــــــــدِ
دور ثقيفٍ بسواد نجـــــــــــــــــــــــــــدِ
أهل الحصون والخيولِ الجُـــــــــــــــــــرْدِ

وقد شكل الحصن حاجزاً منيعاً أمام الأعداء، فهو كالسيف يدفع شرَّهم ويقطع دابرهم، يقول ابن قيس الرقيات [٢]:

كانتْ حُصُوناً لهم سُـــــــــــــــيُوفُهُمُ وكلُّ حامي الحِفاظِ مُسْـــــــــــتَلِمِ

واشتهرت حصون عَمَّان، فتغني بها الشعراء الأمويون، ومن ذلك قول الأحوص الأنصاري[٣]:

نَظَرْتُ على فَوْتٍ وأوفَى عَشِـــــــيَّةً بنا مَنْظَرٌ من حِصْنِ عَمّانَ يـــــــافِعُ
لأُبْصِرَ أحْياءً بِخَـــــــــــاخٍ، تَضَمَّنَتْ منازِلُهُمْ منها التِّلاعُ الدَّوافـــــــــعُ

وبنى مسلمة بن عبد الملك حصناً منيعاً حصيناً، " وهو على تل بني سيَّار، وشرب أهله من المطر، وتَلُّ بني سيار مدينة صغيرة عليها سور من حجر، وهي على مرحلة من رأس العين"[٤].

---

[١] . العجلي، أبو النجم، ديوان أبي النجم العجلي، ص٢٢.
[٢] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢٠٥. مستلم : أي داخل في اللأمة.
[٣] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١٨٤. خاخ: موضع بين الحرمين يقال له روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، (خاخ). التلاع: مفردها تلعة، وهي أرض غليظة مرتفعة، يتردد فيها السيل.
[٤] . الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني (ت ٥٦٠هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م، ٢ : ٦٦٢.

وشبه بعض الشعراء الجبال الشاهقة الصعبة بالحصون المنيعة، ومن ذلك قول كثّير عزة [١]:

وقد حال من رَضْوى وخَيْبَرَ دونهم شماريخُ، للأرْوى بِهنَّ حُصُـــــونُ

ويذكر ياقوت الحموي أن دمشق كانت حصينة منيعة، أقيمت حولها أسوار قوية بلغ ارتفاعها ثمانية أمتار، وعرضها خمسة عشر قدماً، وكان لدمشق سبعةُ أبواب، وكان القادم يرى أبراجها العالية من مسافة بعيدة [٢].

وهكذا، فقد تعددت مظاهر العمران في العصر الأموي، وتنوعت أشكالها، وتباينت ضروبها واستخداماتها، إلا أنها جميعاً حظيت باهتمامهم، ودقة عملهم، وبراعة صنيعهم، وحرصهم على مظهرها الخارجي والداخلي، فبقي بعضها ماثلاً حتى يومنا هذا لينم عن براعتهم في البناء وإتقانهم له، وتفرّدهم في طابعه وجمالياته.

- **أدوات البناء والعمارة :**

إن مما ساعد على أن تبدو العمارة الأموية بمختلف أنواعها محكمة الصنعة بهية المظهر، تلك الأدوات والمواد الخام التي كانت تستعمل في البناء، وأدى تنوع العمارة الأموية إلى الحاجة لكثير من الأدوات والمواد الأولية التي يرى ابن خلدون أنها ضرورية لإحكام صنعة البناء وتجميله، إذ يقول: " إحكام صنعة البناء بحاجة إلى الآلات من الحجر والرخام والجير، أو التراب مخلطاً بالكلس، ومن صنائع البناء أن تجلل الحيطان بالكلس...، ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين" [٣]، وفي هذا الحديث ما يؤكد أن إجادة البناء وتزيينه يكون بما يستحضر له من مواد خام، مثل؛ الحجر بأنواعه، والرخام، وغيرها من مواد البناء.

وقد تعددت المواد التي استخدمها أبناء العصر الأموي في تشييد أبنيتهم، فاستعملوا في بعضها الحجارة، كما يتضح من قول عدي بن الرقاع [٤]:

قومٌ همُ ارتَضَوْا الحجارة قَبْلَـــــــــنَا مُبَطّنٌ برُخامِ الشـــــــامِ محفــوفُ

---

[١] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص١٧٢. خيبر: اسم جبل بالحجاز. شماريخ: جمع شمراخ، وهو الشخنوب؛ أي رأس الجبل . الأروى: أنثى الوعل.

[٢] . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ : ٤٦٣ – ٤٧٠.

[٣] . ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٣ : ٩٣٤ – ٩٣٥ .

[٤] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٦٢.

وصنعوا أشكالاً مختلفة من الآجر، وهو اللبن المطبوخ ، وقد عُدّ من أهم المواد المستخدمة في البناء والعمارة لدى الأمويين، يقول الأخطل ذاكراً عدداً من مواد البناء [١]:

كأنّها بُرْجُ رُوْمِيٍّ يُشَيِّـــــــــــــدُهُ لُزَّ بِجَصٍّ وآجُرٍّ وأحجـــــــــــار

والجبص مادة تدخل في صناعة البناء، يكون مخلوطاً بالرمال، وهو نوع من الحجارة تطحن وتحرق لتستخدم في البناء، وتلاط به الجدران من الداخل والخارج [٢]، وقد ذكره الفرزدق في قوله [٣]:

وَجَونٍ عليه الجَصُّ فيه مَرِيضَـــــــةٌ تَطَلَّعُ منهُ النَّفْسُ والموتُ حاضِرُهْ

ولزيادة إحكام صنعة البناء استخدم الحديد، فزاد البناء ثباتاً ومنعة، فغدا حصيناً لا يسهل هدمه أو اختراقه، وهكذا، فقد منع البناء المحكم هدبة بن الخشرم من زيارة محبوبته أو التسلسل لبيتها المشيَّد بالحجارة والحديد والشيد [٤]:

إنِّي عَداني أن أزورَكِ مُحْكَـــــــــــمٌ متى مَا أُحَرِّكْ فيه ساقيَ يَصْخَـــبِ
حديدٌ ومرصوصٌ بشيدٍ وجَنْـــــــــدَلٍ له شُرُفاتٌ مرقبٌ فوقَ مَرْقَـــــبِ

وكثيراً ما ألصقوا أرضية دورهم وقصورهم بالبلاط، الذي أضفى على أبنيتهم مظهراً جمالياً بهياً، وجعلها أكثر متانة وقوة، وقد ذكر الشعراء الأمويون هذه المادة الهامة في العمران، ومن ذلك ما جاء على لسان الحارث بن خالد المخزومي [٥]:

إلى البلاطِ فما حازَتْ قرائِنُـــــــــــهُ دُوْرٌ نَزَحْنَ عن الفحشاءِ والهُوْنِ

والكلس من المواد التي استعملها الأمويون في تشييد أبنيتهم، كما استخدموا خشب الساج في سقف المحاريب، وقد ذكرهما النابغة في أبيات [٦] وردت في الحديث عن أنواع العمارة والبناء، وإضافة إلى الفسيفساء التي استخدموها لتزيين أبنيتهم، فقد استعانوا بعدة أنواع من الطلاء والأصباغ، ومنها؛ ما يسمى " الإيداع "، وهو صباغ يستورد من أماكن بعيدة عبر البحر؛ لتجمل به الأبنية، كما أشار إلى ذلك ابن قيس الرقيات بقوله [٧]:

---

١ . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ١٦٣. لزّ: لصق وقرن. الجص: ما يبني به ويطيّن.
٢ . انظر: رزق، عاصم محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص٦٣ – ٦٤.
٣ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١٠. الجون: القصر. مريضة: أراد أنها كسولة الطرف لتنعمها. الجص: الكلس.
٤ . هدبة بن الخشرم ، شعر هدبة بن الخشرم العذري، ص٧١
٥ . المخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص١٢٣.
٦ . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١١.
٧ . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢٣٣.

فواللهِ لا يأتي بخيْرٍ صديقَـــــــــــهَا بَنُو جُنْدُعٍ ما اهتزَّ في البَحْرِ أيْدَعُ

وزيّن الأمويون أبنيتهم بالزبرجد، والمرمر، والياقوت، والعقيان المرصوف، وغيرها من مواد الزينة، فغدت أبنيتهم زاهية جميلة تختطف الأبصار كما صورها النابغة الشيباني [١]، وكما يصف عدي بن الرقاع المسجد الأموي الذي زها بألوانه وزينته، يقول [٢]:

كأنهُنَّ قياسُ الصيفِ إذْ طَـــــــرَدَتْ كَنَهْوَراً فَزَحَتْهُ الريح ريّـــــــــانا

إذا حَدَتْ قُزَحٌ منه سحابتَـــــــــــها رأيْتَ منهُ مع الشّـــــــؤبوبِ ألوانا

وخلاصة القول، إن فن العمارة الإسلامية ولد في العصر الأموي، وسرعان ما نما وترعرع بفضل ما أفاده المسلمون من فتوحاتهم، وما اطلعوا عليه من العناصر الفنية لدى الأمم الأخرى، فشيدوا عمائر أضافوا إليها من وحي أفكارهم وطبائعهم وثقافتهم ما ميّزها عن غيرها.

وقد بدا واضحاً من خلال تعدد صنوف البناء والعمران في العصر الأموي، وتنوع الأدوات المستخدمة في تشييده أنهم بلغوا شأواً عظيماً في هذا الجانب، واحترف صنّاعهم البناء، وأجادوا زخرفة الأبنية ونقشها، وبرعوا في تزيينها وتجميلها، وقد صور الشعراء الأمويون هذا المظهر الحضاري أبلغ تصوير، وذكروا طرز العمارة وأشكالها وأدواتها، وفخروا بمنجزات حضارتهم المعمارية.

---

[١] . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١١.

[٢] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٧٣. قياس: جمع قوس، يعني قوس قزح؛ أي فيه أخضر وأحمر وأصفر. الكنهور: السحاب المتراكم. الشؤبوب: مطرات شديدات الوقع قليلات العرض، وجمعه شآبيب.

- **الصناعة :**

إن التحول الحضري السريع الذي طرأ على المراكز التي أسسها العرب خلال مرحلة الفتوحات الإسلامية إبّان الخلافة الأموية دفع بعجلة الصناعة، وشجع الناس نحو امتهان الحرف الصناعية المتعددة، وكذلك أثّر توافد كثير من الأقوام غير العربية للاستقرار في تلك المراكز الحضرية في تقدّم الصناعات، واتّخاذ المهن والحرف التي كانت الحاجة ماسة إليها في تسيير الشؤون اليومية الحياتية.

ولا شك في أنّ التطور العلمي والثقافي الذي عاشه العرب في العصر الأموي، وما عرفوه من حضارات الأمم الأخرى وعلومهم، أدى إلى تطور صناعاتهم وتنوع منتوجاتهم بما يتوافق مع زيادة الطلب عليها والحاجة إليها، نتيجة تطور المجتمع العربي، واتساع رقعته آنذاك.

وقد عرف الأمويون عدداً من الصناعات وبرعوا فيها، وكان من أهمها:

- **الصناعة الحربية :**

إن كثرة الفتوحات الإسلامية في العصر الأموي استلزمت جملة من الأدوات والمعدات الحربية المتقنة الصناعة؛ حتى تفت في عضد عدوهم، وتمكنهم من تحقيق الانتصارات، ومن أبرز تلك المعدات وأشهرها " السيوف "، وقد تحدث الشعراء الأمويون بكثرة عنها، وذكروا منها "المشرفية" المنسوبة إلى المشارف، ويقال: إنها قرى بالشام، أو قرى من أرض اليمن، تجلب منها السيوف وتطبع فيها [١]، وقد امتازت السيوف المشرفية بشدة لمعانها وحدّتها وسرعة بترها، ولهذا يصفها المتوكل الليثي بقوله [٢]:

والمَشْرَفيَّةُ كلُّ أبيضَ باتِـــــــرٍ منها وآخَرُ مُخلَصٌ بِصِقـــــــــالِ

كما يشبهها الأخطل بالبروق لشدة لمعانها وحدّتها، وهي مجوّدة الصناعة جيدة الصقل، يقول[٣]:

والمَشْرَفيَّةُ أشْباهُ البُروقِ لـــــهـا في كُلِّ جُمْجُمَةٍ، أو بَيْضَةٍ خُـــدَدُ

---

[١] . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٥ : ١٣٢.
[٢] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص ١٨٦. مخلص: مجلوّ.
[٣] . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٤٤٥ . الخدد: جمع خدّة، وهي الحفرة المستطيلة.

ويقارع القطامي أعداءه بالسيوف المشرفية، فيضرب هاماتهم ويُذل جباههم حتى يحوز النصر، يقول [١]:

نَهُزُّ المَشْـــــــــرَفية ثم نَعْدُو ولِيـــــــسَ بنا عن العادي ازورارُ

وقد حرص عروة بن أذينة على مضاء سيفه، وحدَّته، ولمعانه؛ ليكون له أبلغ الأثر في خصمه، يقول [٢]:

صَبَحْنَاهُمُ حَرَّ الأسِـــــــــــنَّةِ بالقنا ضُحىً ثم وقْعَ المُرْهفاتِ الصوارِمِ

ويفتخر الجرّاح الحكمي بجودة سيفه وحسن صناعته، ويواظب على جليه وصقله والعناية به، فهو عدته وذخيرته في الحرب [٣]:

لم يَبْقَ إلاّ حســــــــــبي ودينــي وصارمٌ ذو صَنْعَةٍ مَسْـــــــــنونُ

وأشار الشعراء الأمويون إلى السيوف الهندية التي كان يُجلب معدنها الذي تصنع منه من الهند، وكان العرب يحسنون ضربها وصقلها لينازلوا بها أعداءهم ويفتكوا بهم، يقول كثير عزة [٤]:

الضَّارِبُونَ أمامَـــــــها وَوَراءَها بِمُهَنَّدَاتٍ قد أُجِيد صِقَالُـــــها

ورأى جرير أن سيوف الهند متقنة الصناعة شديدة الصقل [٥]:

على أعجازه إذا لاح فيـــــــــه سيوف الهند أخْلَصَها الجـــلاء

ويصف الفرزدق قدرتها الفائقة على القطع لجودة صناعتها، فيقول [٦]:

وكانّتْ إذا لاقَتْ بجيْلَةُ بالقَـــــنَا وبالهُنْدوانيّات يَفْرِي حديدُهـــــا

واشتهرت مدينة مؤتة (الواقعة جنوبي الأردن) بصناعة السيوف البتارة المصقولة، ويشير إلى هذا كثيرعزة في مدحه لعبد الملك بن مروان الذي لا يأبه مكائد الأعداء ولا يخاف خططهم[٧]:

إذا الناسُ ســـاموكُمْ من الأمر خُطّةً لها خَمْطَةٌ فيها السِّـــــــــمَامُ المُثَمَّلُ

---

١. القطامي، ديوان القطامي، ص١٤٩.
٢. ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٥٠.
٣. ابن أعثم الكوفي، كتاب الفتوح، ٨ : ٤١.
٤. الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٥٤.
٥. جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٢٦.
٦. الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٥١.
٧. الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٥٧. خمطة: خمر ذات ريح أو حامضة. السمام المثمل: السم الناقع.

أبى الله للشُّمِّ الأنوف كأنَّـــــــهُمْ صَوارِمُ يجلوها بمؤتة صَـــــيْقَلُ

كما اشتهرت يثرب أيضاً بصناعة السيوف التي امتازت بجودة مادتها وحسن صناعتها، حيث عكف الحدادون على صقلها وجليها فغدت حادة باترة، يقول الكميت الأسدي [١]:

صفائِحُ بيْـــــــــــــضٌ جَلَتْها القُيُو نُ مما تُخَيِّرْنَ من يَثْـــــــرِبِ

وقد جاء الشعراء الأمويون على ذكر صفات السيوف التي تنم على جودة الصناعة وإتقانها، مثل؛ الحسام، والبيض، والصارم، والصقيل، وهي صفات دالة على القوة والصلابة، يقول كثير عزة [٢]:

ذاكَ مثلُ الحُســـــامِ أخْلَصَهُ القيْـــ نُ جلاهُ الجَلاّءُ فازداد زَيْـــــنا

ويشبه الأحوص الأنصاري الخليفة الجواد المعطاء الحازم بالحسام القاطع الذي أجاد الحدادون صقله، فيقول [٣]:

أغَرُّ لمروانٍ وحَرْبٍ كأنّـــــــــهُ حسامٌ جَلَتْ عنه الصَّياقِلُ قاطِـــعُ

ويفتخر جميل بثينة بامتلاكه سيفاً قاطعاً جيد الصنع، فيقول[٤]:

معي صارمٌ قد أخْلَصَ القيْنُ صَقْلَهُ لهُ حين أُغْشـــــــــيْهِ الضَّرْيْبَةَ رونَقُ

ولا تتسع مثل هذه الدراسة لذكر جميع أشعار العصر الأموي التي قيلت في صناعة السيوف وأنواعها وأشكالها، إلا أن معظمها يشير إلى اتّخاذ الأمويين صناعة السيوف وبراعتهم في ذلك، من حيث صقلها لتكون حادة قاطعة ترهب العدو وتفتك به.

ومن ضروب الصناعة الحربية التي برع فيها الأمويون صناعة الرماح، وقد حفل الشعر الأموي بذكر أنواع الرماح، وأجزائها، وصفاتها، وطرائق السنَّان في سنِّها وشحذها وتلميعها، لتكون حادة شديدة الوقع فيمن تصيبه.

---

[١] . الأسدي، الكميت بن زيد، شعر الكميت بن زيد الأسدي، ص٦٢١ . القيون: الحدادون.
[٢] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٤٩٢.
[٣] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١٨٧. أغر: أبيض. الصياقيل: جمع صيقل، وهو شحاذ السيوف.
[٤] . جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ص ١٤٨. القين: الحداد. أغشيه: أدخله.

وعني الصانع الأموي بتثقيف الرماح وتسويتها عبر الثقاف، وهي خشبة مختلفة الرؤوس فيها خروق، فيدهن المثقف القناة ويدنيها من النار ثم يدخلها في خرق الثقاف، فيغمرها حتى يستوي اعوجاجها، فإذا أدناها من النار، قيل: صلاها، يقول عدي بن الرقاع [١]:

نَظَرَ المُثقِّفُ في كُعُـــــــــــوبِ قناتِهِ حتى يُقيْمَ ثِقَافُهُ مُنْـــــــــــآدَها

وغالباً ما كانت الرماح تسمّى بأسماء صانعيها، أو أماكن صنعها، فاشتهرت الرماح الرُّديْنية، التي قيل إنها سميت بذلك نسبة إلى "ردينة"، وهي امرأة كانت تصنع الرماح مع زوجها بخط هجر[٢] ويذكرها الفرزدق بقوله [٣]:

ونحنُ مَنَعْنَا من مَصَادٍ رِماحَـــــنا وكُنَّا إذا يَلْقَيْنَ غيرَ حَـــــــــــوائِمِ
رُدَيْنِيَّةً صُمَّ الكُعُوبِ كأنَّـــــــها مصـــــــــابيحُ في تركيبها المُتلاحِمُ

وهناك الرماح السمهرية التي يرى ابن منظور أنها تنسب إلى رجل اسمه "سمهر"، كان يقوّم الرماح، ويبدو أنه كان يبيع الرماح بخط هجر، وامرأته ردينة [٤] .

ويشير كثيّر عزّة إلى الرفعة التي بلغها عبد الملك بن مروان ذاكراً الرماح السمهرية بقوله [٥]:

مصانِعَ عِزّ ليس بالتُّرب شُـــرِّفَتْ ولكن بِصُمِّ السَّـــــمْهَرِيِّ المُعَرَّنِ

ومما نسب من الرماح إلى أماكن صنعها " الرماح الخَطِّية "، نسبة إلى خطّ، وهو مرفأ بالبحرين[٦]، ويصف النابغة الشيباني أثرها في الأعداء بقوله [٧]:

نُنْهِلُ الخطّيَّ من أعدائِـــــــــنا ثم نَفْرِي الـــــــــهام إن لم نَفْتَرِش

ونُسبت الرماح اليثربيّة إلى يثرب حيث كانت تُصنع، يقول كثيّر عزّة [٨]:

وماءٍ كأنَّ اليَثْرِبيَّة أنْصَـــــــــلَتْ بِأعْقارِهِ دَفْعِ الإزاءِ نـــــــــزوعِ

---

١ . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص٩٠. الكعوب: الأنابيب المنآد: المعوج.
٢ . الألوسي، محمود شكري، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ٢ : ٦٤.
٣ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٣١٥.
٤ . انظر: ابن منظور لسان العرب، مادة (سمهر).
٥ . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٥١. المُعَرَّن: المسمور. المعران: المسمار الذي يضم بين القناة والسنان.
٦ . انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ : ٣٧٨.
٧ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٩٧. الهام: جمع هامة، وهي الرأس. وانظر: الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٨٣.
٨ . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٦٠. الأعقار: جمع عقر، وهو مؤخر الحوض، وكذلك مفرغ الدلو من مؤخره. الإزاء: مفرغة من مقدمه ومصب الماء في الحوض . النزوع: البئر القريبة القعر. أنصلت: أثبت النصل.

وقد حرص الأمويون على حسن صناعة الرماح، لأنها تكسبهم المجد والرفعة، وبهذا يمتدح الفرزدق بني ضبة، فرماحهم مثقفة حادة تبعج من تصيبه وترديه قتيلا [١]:

يَهُزُّون أرماحاً طِوالاً مُتُونُـــــــــها بِهِنَّ الغنى يوم الوقيْعةِ والفَقْـــــرِ
وأوثَقُ مالٍ عندَ ضَبَّةَ بالغِـــــــــنى إذا احتربَ الناسُ، الإباحَةَ والقَسْرُ
وكانت إذا لاقت رئيســـــاً رماحُهُـمْ عَلَيْهِنَّ أن يبعَجْنَ سُـــــرَّتَهُ نَـــذْرُ

ومن الصناعات التي حظيت باهتمام الأمويين صناعة الدروع، وقد أجادوا صناعتها وإحكامها وتخيروا لها أجود الحديد، ونسب الشعراء الأمويون الدروع إلى صانعها، فكان منها؛ السليمانية ، وهي في المعنى، المنسوبة إلى داود عليه السلام لأنه أول من صنع الدروع [٢] .

وتتعددت صفات الدروع التي ذكرها شعراء العصر الأموي، فمنها؛ السابغة، وهي الفضفاضة التي تغطي البدن كله بأكمامها الطويلة، وحاشيتها التي تصل إلى نصف الساق، ويقال لها: المفاضة، وهي تضارع السابغة في المعنى [٣]. والبيضاء، ويقال لها: الماذيّة، وهي في اللسان، المنسوجة من خالص الحديد [٤] .

وقد أدرك العربي في العصر الأموي أهمية الدرع، لما كانت توفره من حماية لمعظم جسده، ولقدرتها على شل فاعلية أسلحة الخصم، وعدم تمكينها من أهدافها، لذا؛ حرص على حسن صناعتها وإتقانها، يقول النعمان بن بشير الأنصاري [٥]:

ليوثٌ إذا الحرْبُ العضوضُ تلقَحَتْ بِذي مِرَّةِ الفتيانِ أو نَتَجَتْ سَقْبَـــا [٦]
أهانوا لها ما دونَها وتَسَرْبلـــوا من الحَلَقِ الماذيِّ مُخْلَصَة شُهْبـــا [٧]

وقد كان الدرع من الأدوات الضرورية التي يحرص المقاتل الأموي على ادخارها لوقت الحاجة، وأجودها ما كانت عتيقة مجربة، وقد امتدح الفرزدق نصر بن سيار وقومه بامتلاكهم الدروع والمغافر السليمانية [٨]:

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٥٤ – ٢٥٥.
[٢] . انظر: ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٤٤ هـ)، كتاب السلاح، (تحقيق حاتم الضامن)، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت،(د.ت)، ص٢.
[٣] . انظر: ابن سيدة، المخصص، ٦ : ٧٠ .
[٤] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (مذي).
[٥] . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ص ٨٢ .
[٦] . الحرب العضوض: الشديدة المهلكة. تلقحت الحرب: إذا اشتدت، تشبيهاً لها بالناقة اللاقح . السقب: الذكر من ولد الناقة.
[٧] . تسربلوا: لبسوا السربال، وهو القميص . مخلصة : صافية . الشهب : البيضاء .
[٨] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٨١ .

إذا ابنُ سيّارٍ دعا خِنْدَفَ التـــي لها من أعزَّ المشرِقَيْنِ قَســـاوِرُهْ [١]
أَتَتْهُ على الجُرْدِ الهذاليلِ فوْقَهـــا دروعُ سليمانَ لها ومغافِـــرُهْ [٢]

وكلما كانت الدروع مضاعفة النسيج كانت أجود وأفضل، إلى حد أنها قد تردُّ النبال، وتثني أسنة الرماح، وتفلّ ظبات السيوف، ولهذا افتخر بعض الشعراء في العصر الأموي بقوة دروعهم حتى إن الرمح القوي لا يلج فيها، وأطلق الفرزدق لفظ " القتير" التي هي رؤوس المسامير في حلق الدروع، فقال يمدح أحدهم [٣]:

ورومِيّةٍ فيها المنايا ضربْتَهـــا بشهباءَ يُعْشِي الناظرينَ قتيرُهـــا [٤]

وأكثر الدروع أماناً السابغة والمفاضة والبيضاء، لأنها تقي البدن من ضربات السيوف وطعنات الرماح، وجمع الفرزدق هذه الصفات في مدحه يزيد بن المهلب، فوصف درعه بأنها واسعة طويلة، تغطي البدن وتغشى الأنامل [٥]:

يحْمي المكارمَ بالسيوفِ إذا عـلا صوتُ الظَّباتِ يُطِرْنَ كلَّ شـــرارِ
من كلِّ ذاتِ حبائِكٍ ومُفاضـــةٍ بيضاءَ سابغةٍ على الأظْفـــارِ [٦]

وورد في الشعر الأموي ضرب من الدروع السابغة، وهي التي لها أصوات خفيفة تخشخش على أبدان لابسيها، ومن ذلك قول النابغة الشيباني في كتائب الوليد التي احتمى مقاتلوها بالدروع السابغة [٧] :

خافوا كتائبَ غُلّباً أن تُطيقَ بهِـمْ للسابغاتِ على أبطالها جَـــرَسُ

وقد اهتم الأموي بأسلحته، ومنها الدرع، وحرص على أن تكون مجوَّدة الصناعة ومجهّزة لوقت حاجتها، ولذلك يقول أبو دهبل الجمحي في وصف أدوات البطولة الحربية [٨] :

رُمْحي رديني وسيفي المسْتَلَـــبْ
وبَيْضَتِي قَوْنِسُها من الذهـــب

---

١ . القساور: جمع قسور، وهو الأسد، وكل شديد .
٢ . المغافر: جمع مغفر، وهو من توابع الدرع، يلبس على الرأس تحت البيضة.
٣ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٥٨ .
٤ . رومية: كتيبة رومية. الشهباء: الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح، وأراد لمعان دروعها يعشي عيون الناظرين .
٥ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٠٦ .
٦ . ذات الحبائك: البيضة، والحبائك : طرائقها .
٧ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص ٢٨ .
٨ . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص ٤٨ . البيضة: ضرب من الدروع يتقى بها. قونسها: أعلاها.

وجوبها القاترُ من سيْر اليَلَـبْ [١]
والقوس فِجَاءٌ لها نبــلٌ ذرِبْ [٢]
مشحورة أحْكِمَ منهنّ القطــب [٣]
لـــيومِ هيجاء أعِدَّتْ للرَّهَـــبْ

ويصف المتوكل الليثي جودة الدروع التي لبسها المقاتلون في ساحات الوغى ليحتموا بها [٤] :

فيهِمْ فوارِسُ لا مِيْلٌ ولا كُشُــفٌ عليهم زَغَفٌ بالشّكّ مَسْـــرودُ [٥]

لقد أدرك المقاتل الأموي مدى حاجته الحقيقية للدروع، ووعى أهميتها له من خلال حروبه ومعاركه التي خاض غمارها، لما كانت تمده من حماية، وتبث في نفسه من طمأنينة، ولهذا؛ حرص على جودة صناعتها وإحكام حلقاتها، وفضّل أن تكون واسعة طويلة، تغطي جسده، ليتفادى الطعنات الموجهة إليه، واهتم بلمعانها حتى تؤثر في نفس عدوه، فهو يقوم على تعهّدها لئلا تفقد صفاءها، فيعتريها الصدأ.

وصنع الأمويون القسي والسهام والنبال، وتخيروا لها أجود الأخشاب وأكثرها صلابة، وتفاخروا بامتلاك جيدها، واشتهر بعض صانعيها حتى نسبت إليهم وعرفت بهم، أو بأماكن صنعها، كالسهام الحجرية المنسوبة إلى بلدة حجر، الواقعة في قصبة اليمامة، وقد اشتهرت بصناعة السهام والأدوات ذات النصال [٦]، ويصفها الراعي النميري بقوله [٧]:

فيَمَّمَ حيثُ قـــــال القَلْبُ مِنْها بِحَجْرِيٍّ ترى فيـــــــه أضْطِّمَارا

ويسمى السهم قبل أن يراش القدح [٨] فإذا ريش وركِّب نصله سمي سهماً، وقد وصف عدي بن الرقاع القداح المغرّاة بقوله [٩]:

صاكَ بالُّصُلْـــــــبِ والقوائِمِ منــه مِثْلَ ما صـــــــاكَ بالقِداح الغِرَاء

---

[١] . جوب قاتر : أي ترس حسن التقدير . اليلب : ما كان من جنن الجلود ولم يكن من الحديد ، واليلب في الأصل اسم لذلك الجلد .
[٢] . قوس فجاء : ارتفعت سيتها فبان وترها عن معجسها ، والمعجس : مقبض القوس .
[٣] . القطب: النصال .
[٤] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص ٢٢٦.
[٥] . ميل: جمع أميل، وهو الذي لا سيف معه، أو الذي لا يستوي على السرج. كشف: جمع أكشف، وهو الذي لا ترس معه في الحرب. الزغف: الدروع اللينة الواسعة ، واحدها زغفة. مسرود: منسوج، ودروع مسرودة: متداخلة الحلق بعضها في بعض، والسرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق .
[٦] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (حجر).
[٧] . الراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص٧٤. حجري: سهم عريض منسوب إلى حجر. ترى فيه اضطمارا: أراد لصوق الريش بالسهم.
[٨] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قدح).
[٩] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٥٣. صاك: لصق. ويقال من الغراء: سهم مَغْرُوَّة.

ويبيّن قيس بن ذريح كيفية ترييش السهم والنبال في قوله [١]:

بَرَتْ نَبْلَها للصَّيْدِ لُبْنَى ورَيَّشَـــــــتْ ورَيَّشْـــــــــتُ أخرى مِثْلَهَا وبَرَيْتُ

واستعمل بارِي القدح السَّفَن، وهي آلة نحت وتشذيب [٢]، ليقوم القداح ويسويها، وفي ذلك يقول قيس بن ذريح [٣]:

وعذَّبهُ الهَـــــــــوَى حتى بَرَاهُ كَبَرْيِ القَيْنِ بالسَّـــــــــفَنِ القِدَاحَا

وقد اتخذ الأمويون من خشب أشجار النبع مادة لصناعة قسيِّهم ونبالهم وسهامهم، ويظهر ذلك من قول ذي الرمة الذي يشبه ضمور النوق بالسهام [٤]:

بأيْنُقٍ كقِداح النَّبْعِ قد ذَبُلَـــــــتْ منها الثمائِلُ أمثـــــــــــالُ القراقيرِ

والسَّراء من الشجر الذي اتخذ منه الأمويون مادة لصناعة قسيِّهم، ويشبه نصيب بن رباح عيسه التي ارتحل عليها لممدوحه بقسي السّرى التي بريت بالطرائد، فيقول[٥]:

إليكَ رحلتُ العيسَ حتى كأنـــــــــها قِسِيُّ السُّـــــــرى ذبْلى بَرَتْها الطّرَائدُ

وقد صنع الأمويون أدوات حربية أخرى مثل؛ الترس، الذي يذكره عروة بن أذينة في قوله [٦]:

في كلِّ خاشِعَةِ الحُزُونِ مُضِـــــــلَّةٍ كالتُّرْسِ تَعْسِـــفُ سَهْلَها وجِبالها

وعرفوا المنجنيق كما في قول جرير[٧]:

رَأَيْتُ المَنْجَنيْقَ إذا أصابَـــــــتْ بناءَ الكُفْرِ هَدَّمَتِ الرُّخامـــــــــا

إن كل ما سبق وغيره يدل على اهتمام الأمويين بصناعة الأسلحة ومعدات الحرب، وحرصهم على دقتها وإتقان صنعها؛ لتحقق أهدافهم وانتصاراتهم، ولذا؛ تعددت أنواعها وأشكالها، وصور

---

[١] . ابن ذريح، قيس، ديوان قيس لبنى، ص٣١. برى النبل بريا: نحته. وارش السهم يريشه: ألصق عليه الرِّيش.
[٢] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (سفن).
[٣] . ابن ذريح، قيس، ديوان قيس لبنى، ص٣٧. برى: نحت. القين: الحداد، ويطلق على كل صانع.
[٤] . - ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٢٣٤. الأينق: النوق . النبع: شجر ضخم. الثمائل: ما بقي في جوفها من العلف، جمع ثميلة. القراقير: السفن، جمع القرقور.
[٥] . نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص٧٧ . الطرائد: جمع طريدة، وهي خشبة يبرى عليها العود.
[٦] . ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص١٦٦. الحزون: ما غلظ من الأرض. مضلة: أرض واسعة يضل فيها الطريق. تعسف: تأخذ في غير الطريق.
[٧] . جرير، ديوان جرير ، ١ : ٢٢٥.

الشعر الأموي طرائق صناعتها وأجزاءها، وعبّر عن إتقان صنَّاعها وبراعتهم ومهارتهم في عملها.

- **صناعة السفن والقوارب:**

كانت الحاجة ملحّة للسفن والقوارب في العصر الأموي، فالناس فيه يعتمدون عليها في تجارتهم مع البلاد الأخرى مثل الهند، كما يستخدمونها للنقل والملاحة في الأنهار والترع ، ولا سيما في العراق والأهواز، وقد عمد الأمويون لصناعتها والعناية بصيانتها لتكون قادرة على قطع البحار واستيعاب ثقل الأحمال، ويُنْسَبُ إلى الحجاج أنه أول من عمل السفن التي تحزز بالمسامير، والسفن المسطّحة من الأسفل [١]، ويؤكد ذلك قول الفرزدق [٢]:

وقدْ بَلَغْنَا على مَخْشاةِ أنْفُسِنـــــا شطَّ الصَّراةِ إلى أرضِ ابنِ مروانَ
طَيَّارَةٌ كانَ للّحَجَّاجِ مَرْكَبُهـــــا تَرَى لها مِن أذاةِ المَوْجِ أعْوانـــا
أتَتْ بنا كُوفَةَ الرَّابي لِثالِثَـــــةٍ من الأبُلّةِ للمَوجِ الذي كانـــــا[٣]

وقد صور الشعراء الأمويون كثرة السفن والقوارب في مياه نهر دجلة، ومنهم؛ الراعي النميري الذي يشبه الإبل في الصحراء بالسفن التي تسبح فوق مياه دجلة [٤]:

فأَضْحَتْ بمَجْهولِ الفَلاةِ كأنّهـــا قَرَاقِيْرُ آذِيٍّ بدِجْلَةَ تَسْبَـــــــحُ

كما عبر عن ذلك يزيد بن مفرغ الحميري بقوله [٥]:

بِدِجْلة فاسْتَمَرَّ بهم سَفِيْـــــــنٌ تَشُقَّ صدورُها اللّجَجَ الغِمـــــارا

ويشبه جرير الظعائن والحدوج في سيرها بالسفن الذاهبة من ميناء أوال في البحرين إلى الهند[٦]:

وَشَبَّهْتُ الحُدُوجَ غَداةَ قَـــــوٍّ سَفِيْنَ الهِنْدِ رُوِّحَ مـــــن أوالا

---

[١] . انظر: الجاحظ، الحيوان، ١ : ٨٢.
[٢] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٣٣٥. الصراة: نهر بالعراق. الطيارة: أراد السفينة.
[٣] . الأبلة: بلدة على شاطئ دجلة، كان خالد بن صفوان يقول: ما رأيت أرضاً مثل الأبلة مسافة، ولا أغدى نُطقة، ولا أوطأ مطية، ولا أربح لتاجر، ولا أخفى لعائذ. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١ : ٧٧.
[٤] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٩٩. القراقير: جمع القرقور، وهو السفينة. الآذي: الموج.
[٥] . الحميري، بن مفرغ (ت ٦٩هـ)، ديوان ابن مفرغ الحميري، (جمع وتقديم داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٨م، ص٨٩. اللجج: معظم الماء. الغمر: الماء الكثير، وجمعه، غمار وغمور.
[٦] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٤٨. قو: موضع ما بين النباج والعوسجة. أوال: ميناء بالبحرين. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٤: ١٥، ١ : ٢٨٢.

ويفخر الأخطل بما حققه الأمويون من منجزات صناعية تمثلت في حسن صناعتهم للسفن والقوارب بقوله [١]:

ولكنْ لنا برُّ العِراقِ وبَحْـــــرُهُ وحيثُ تَرَى القَرقَورَ في الماء يَسْبَحُ

وأشار الفرزدق إلى اتخاذ الأمويين خشب الساج مادة لصناعة سفنهم وقواربهم؛ لأنه يتمتع بالقوة والصلابة، ويعد من أجود أصناف الخشب، يقول [٢]:

صَراريّونَ يَنْضَحُ في لِحَاهُـــــمْ نَفِيُّ الماءِ من خَشَبٍ وَقَـــــارِ
وكائِنْ للمُهَلّبِ مِنْ نَسِيْـــــبٍ ترى بِلَبانِهِ أثَرَ الزِّيَـــــــارِ
بِخَارَكَ لمْ يَقَدْ فَرَساً ولكِـــــنْ يقودُ السَّاجَ بالمَرَسِ المُغَـــارِ
يُنَبِّئ بالرِّياحِ وما أتَتْـــــــهُ على دَقَلِ السَّفينةِ كالصَّـــرارِي

وتحدث القطامي عن السفن المصنوعة من خشب الساج لتغدو أكثر قوة ومتانة بقوله[٣]:

حتى إذا السُفْنُ كانتْ فوق مُعْتَلـــجٍ أَلْقَى المَعَاوِزَ عنه ثَمَّتَ انْكَتَمـــا
في ذي حبُوكٍ يُقَضِّي الموتَ صاحِبَهُ إذا الصَّرَارِيُّ من أهوالِهِ ارْتَسَما
غَوَّاصُ ماءٍ يَمُجُّ الزّيْتَ مُنْغَمِســـاً إذا الغُمُورَةُ كانتْ فوقَهُ قِيَمـــا
حتى تناولها والموتُ كارِبُـــــــهُ في جوْفِ ساجٍ سواديٍّ إذا فَحَما

واعتنى الأمويون بسفنهم وقواربهم، وحرصوا على إدامة صيانتها، فكانوا يحززونها بالليف، ويدسّرونها بالمسامير والألواح[٤]، ويمسحونها بالزفت والقار، يقول الفرزدق في ذلك [٥]:

لَلسُّفْنُ أهْوَنُ بَأساً إذ تُقَوِّدُهَـــا في الماءِ مَطْلِيَّة الألْواحِ بالقِيْـرِ

ويصف القطامي السفن المطلية بالقار في قوله [٦]:

أرى على ظَهْرِ مِسْحاجٍ تَقَدَّمَـــهُ غَوارِبُ الماءِ قدْ أَلْقَيْنَهُ قَدُمـــا

---

[١] . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٥٨٧. القرقور: السفينة العظيمة.
[٢] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٠٧. الصراريون: الملاحون. الدقل: سهم السفينة. نفي الماء: ما ترمي به السفن أو المجاذيف عليهم من الماء. اللبان: الصدر. الزيار: أراد به حبل السفينة يلقيه النوتي على صدره ليشد به. المغار: المفتول فتلاً محكماً. خارك: جزيرة في وسط البحر الفارسي. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢ : ٣٣٧.
[٣] . القطامي، ديوان القطامي، ص٩٩ – ١٠٠. الاعتلاج: اصطكاك الأمواج. معاوز: جمع معوز، وهي خرقة. انكتم: رمى نفسه. الصراري: الملاح. الغمورة: السفينة. ارتسما: دعا.
[٤] . علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧ : ٥٥٣.
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١٥.
[٦] . القطامي، ديوان القطامي، ص٩٩، اجتنحت: مالت إلى الأرض. المسحاج: المسرع.

جَوْفاءَ مطليَّةٍ قاراً إذا اجتَنَحَـــتْ به غوارِبُهُ قَحَمْنَها قَحَمَـــــــا

ويذكر الفرزدق السفن المضببة، وهي سفن مقفلة بخشب أو حديد كما تقفل الأبواب [١]، فيقول[٢]:

وَلَمْ يَدْعُ داعٍ: يا صباحاً، فَيَرْكَبوا إلى الرَّوْعِ إلا في السَّفينِ المُضَبَّبِ

وفي حديث ابن خلدون عن أهمية علم الهندسة أشار إلى ضرورة الحاجة إليه في صناعة السفن والمراكب البحرية، فقال: " وكذلك قد يحتاج إلى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدُّسر، وهي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت، واعتبار سبحه في الماء بقوادمه، وكدلالة ليكون ذلك الشكل أعون لها على مصادمة الماء" [٣].

وقد تحدث بعض الشعراء في العصر الأموي عن ملّاحي السفن وملابسهم، ووصفوا دقة صناعة سفنهم ومتانتها وصلابتها بما يمكنها من اعتلاء الأمواج والإبحار إلى الأماكن البعيدة، ومنهم؛ الأخطل الذي يشبه الإبل بسفن البحر، فيقول[٤]:

فَفارَقْنَ الخَلْيْطَ على سَفيْـــــنٍ تَشُقَّ بِهِنَّ أمواجاً صِعابـــــــا
ترى المَلّاحَ محْتَجِزاً بِلِيْـــــفٍ يَؤُمُّ بِهِنَّ آجاماً وغابـــــــــا
إذا التَّبَّانُ قَلّصَ عن مُشيْـــــحٍ صَدَفْنَ ولم يُرِدْنَ لهُ عِتابـــا[٥]
يَعُجُّ الماءَ تحْتَ مُسَخَّـــــراتٍ يَصُكُّ القارَ والخَشَبَ الصِّلابـا[٦]
إذا ما اضطَرَّهُنَّ إلى مَضيْـــقٍ ومَوْجُ الماءِ يَطّرِدُ الحَبَابـــا[٧]
إذا أَلْقَوا مَرَاسِيَهُنَّ حَلّـــــوا دَبِيْبَ السَّبْيِ يَبْتَدِرُ النِّقابـــا[٨]
تَفَرَّجَ مائِحُ السُّبَحاءِ عنهـــــا إذا نَزَحَتْ وقد لذّ الشَّرابـــا[٩]

كما وصف جرير ملابس الملاحين وقد اعتلوا ظهور سفنهم بقوله [١٠]:

---

[١] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضبب).
[٢] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٦. المضبب: المقفل بالضباب؛ أي بخشب أو حديد مما تقفل به الأبواب.
[٣] . ابن خلدون، المقدمة، ٣ : ٩٣٨.
[٤] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٢٦ – ٣٢٩. المحتجز: الذي شد وسطه.
[٥] . التبان: سراويل قصيرة بلا ساق، يلبسها الملاحون. المشيح: الجاد المنكمش، وهو أيضاً الشجاع، وهو الحريص. صدفن: عَدَلن.
[٦] . يعج: يصخب ويضطرب. المسخّرات: السفن. يصك: يضرب.
[٧] . يطّرد: يطرد. الحَباب: ما تتابع منه بعضه في إثر بعض.
[٨] . المراسي: جمع مرساة، وهي ما ترسو به السفن. النِّقب: الطريق النافذ في الجبل.
[٩] . السبحاء: جمع سابح.
[١٠] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٥٤٢.

يُلْقَى صَرارِيُّهُ والمَوْجُ ذو حَـدَبٍ يُلْقَوْنَ بِزّتَهُمْ إلا التّبَابيْنَـــــــا

وذكر الفرزدق " الدقارير "، وهي من الملابس التي يرتديها الملاحون عند إبحارهم [١]:

وهمْ قيامٌ بأيْديهم مجادِفُهُـــــم مُنَطَقِيْنَ عُراةً في الدَّقاريْـــــرِ

لقد حظيت هذه الصناعة بأهمية كبيرة لدى الأمويين، وعنوا بها عناية فائقة، وقد اشتهرت عدة مدن ببناء السفن وصناعتها في العصر الأموي، ومنها؛ عُمان، التي يقول عنها الفرزدق[٢]:

يَظَلُّ يُدافِعُ الأقْلاعَ منهـــــــا بِمُلْتَزِمِ السَّفينَةِ والحِتَـــــــارِ

إذا نُسِبَتْ عُمان وَجَدْتَ فيهـــا مَذاهِبَ للسَّفيْنِ وللصَّـــــرَاري

وتنسب السفن العَدُولية إلى قرية " عدولى " في البحرين [٣]، ويصف كثير عزة سفينة عدولية متقنة الصنع، فهي تحمل أثقالاً كبيرة على متنها، يقول [٤]:

كأنَّ عَدُوْلِيَّاً زُهاءَ حُمُولهـــــا غَدَتْ تَرْتَمي الدَّهْنا بها والدَّهالِـــكُ

ويذكرها جرير في قوله [٥]:

رَفَعْتُ ذُميْلاً ناقَتي فَكأنّمـــــــا رَفَعْتُ على موجٍ عَدُوْليَّة تَجْري

واشتهرت بعض السفن في العصر الأموي بأسمائها، وجاء على ذكرها بعض الشعراء الأمويين، ومنهم؛ نصيب بن رباح الذي يذكر " الفلك " في قوله [٦]:

تَيَمَّمْنَ منها ذاهبات كأنّهـــــم بِدجْلة في الميناءِ فُلْكٌ مُقَيَّـــرُ

ومن أسمائها " الجفون "، كما في قول جرير [٧]:

كأنَّ الرَّحْلَ فوق قَرا جَفَـــــولٍ أقامَ الماتِحانِ لها الشَّرَاعـــــا

---

[١] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١٥. الدقارير: جمع دقرور، وهو التبان الذي يلبسه النوتية.
[٢] . المصدر نفسه، ١ : ٣٣٠. الأقلاع: جمع قلع، وهو ما نسميه القلوع. الحتار: حبل دقيق.
[٣] . انظر: علي، جواد، المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٧ : ٢٥٨.
[٤] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٤٧. الدهالك: إكام سود، وقال ياقوت: الدهالك قرية بالدهناء. الدهناء: رمال في طريق اليمامة إلى مكة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ١ : ١١٢.
[٥] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٥٩٤.
[٦] . نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص٩١. تيممن: قصدن. فلك مقيّر: سفن مطلية بالقار.
[٧] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٥٦٠. الجفول: السفينة الذاهبة السريعة. قراها: ظهرها. الماتحان: اللذان يمدان قلسَ الشراع حتى يرفعا الشراع.

كما اشتهرت مدن البصرة والأُبُلّة بصناعة المراكب الخشبية [١].

ويخلص القول إلى أن لصناعة السفن في العصر الأموي مكانة جلية، فقد برع فيها صنّاع المجتمع الأموي وحرفيوه وعمّاله، فتخيروا لها أجود الخشب وأكثره صلابة ومتانة، وحزّزوها بالليف، ودسّروها بالألواح والمسامير، وطلوها بالقير، وقد تعددت أشكالها وأنواعها، فغدت معلماً يدلل على مهارتهم وحضارتهم وبراعة إنسانهم ودقّته، وتغنى به الشعراء الأمويون فذكروا أنواعه، ووصفوا طرائق صناعته، ولباس البحارة والملاحين وأدواتهم.

- **صناعة السِّكة وضرب العملة:**

كان الأمويون في بداية عهدهم يتعاملون بالذهب والفضة وزناً، كما يبدو من قول ابن خلدون: "وكانت دنانير الفرس ودراهمهم بين أيديهم يردونها في معاملاتهم إلى الوزن، ويتصارفون بها بينهم، إلى أن تفشّى الغش في الدنانير والدراهم لغفلة الدولة عن ذلك، وأمر عبد الملك بن مروان الحجاج، على ما نقل سعيد بن المسيب وأبو الزناد، بضرب الدراهم وتمييز المغشوش من الخالص، وذلك سنة أربع وسبعين " [٢].

ولذا؛ اهتم الأمويون بالصيرف، الذي قام بنقد الدراهم وصرفها، وتمييز مغشوشها من أصيلها، ولا سيما بعد أن صار النقد أداة للتعامل بالعد لا بالوزن، فظهر " نقاد موثوقون ينقدون الزيف ويبعدونه عن التداول، فدرج على الألسنة كلمة نقد للتعبير عن المسكوكات "[٣]. وقد رسم الشعراء الأمويون صورة الصيرف الذي يختبر العملة ويصرفها، يقول هدبة بن الخشرم [٤]:

تَسْمعُ للمَرْو به قَمَاقِمـــــــــا
كما يطنّ الصَّيْرَفُ الدَّراهِمـــــا

---

[١] . انظر: المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (تحقيق غازي طليمات)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م، ص١٨.

[٢] . ابن خلدون، المقدمة، ٢ : ٦٣٩.

[٣] . العش، محمد أبو الفرج (١٩٧٤)، النقود العربية الإسلامية: مصدر وثائقي للتاريخ والفن، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمان، ص٢٦٩.

[٤] . هدبة بن الخشرم، شعر هدبة بن الخشرم، ص١٣١. القماقم: صوت اصطدام المرو والحجارة.

ويرى عدي بن الرقاع شبهاً بين صوت حوافر الإبل وهي تطير الحصى صوت الصيرف وهو ينقد الدراهم، فيقول [١]:

تُطِيرُ مَناسِمَهُنَّ الحَصـــــــــى كما نَقَدَ الدِّرهَمَ الصَّيْـــــــــرَفُ

إن تعريب عبد الملك بن مروان للنقود عمل إصلاحي عظيم، حيث خلّصها ذلك من التقليد والانتحال [٢]، وظهرت بعد ذلك أنواع من العملة جاء على ذكرها الشعراء الأمويون، وكان من بينها " العبيدية " التي تنسب إلى عبد الملك بن مروان، يقول ابن قيس الرقيات [٣]:

إن خَتَمَتْ جَازَ طِينُ خاتَمِهـــــا كما تَجُوزُ العَبْدِيَّة العُتُـــــــقُ

واهتم الأمويون بنقش الدراهم، وأولوا هذا الامر جل عنايتهم، يقول عروة بن أذينة [٤]:

ورثنا رسولَ اللهِ إرثَ نُبُـــــوَّةٍ ومِخْلافَ مُلكٍ تالدٍ غيرِ رايِـــــــمِ
ومُلْكاً خِضَمَّاً سَلَّ بالحقِّ سيْفَـــهُ على الناسِ حتى جازَ نقشَ الدّراهِمِ

واستعمل الصيرف الرّوْسم، وهي من أدوات ختم الدنانير، ويظهر ذلك في قول كثير عزة[٥]:

مِن النّفَرِ البيضِ الذين وُجُوهُهمْ دنانيْرُ شيْفَتْ من هِرْقَلٍ بِرَوْسَـمِ

ويظهر لدارس الشعر الأموي أن ضرب النقود وتعريبها اكتمل في العصر الأموي، وأصبحت العملة عربية صرفة خالية من الانتحال أو التقليد، وتطورت صناعتها شاملة جميع الفئات التي عرفها أهل العصر، مثل؛ الفلس النحاسي، والدرهم الفضي، والدينار الذهبي [٦].

وأبدى الأمويون اهتماماً واضحاً بمهنة الصيرف الذي أنيطت به مهمة نقد الدراهم وتمييز جيدها من زائفها، حتى غدت صناعة العملة وسك النقود من الصناعات الأساسيّة والضرورية في حياتهم.

---

[١] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص٢١٥.
[٢] . انظر: العش، محمد أبو الفرج، النقود العربية الإسلامية: مصدر وثائقي للتاريخ والفن، ص٢٧٥ - ٢٧٦.
[٣] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٥٠. ختمت: طبعت. الخاتم: ما يوضع على الطّينة، والختام: الطين الذي يختم به على الكتاب.
[٤] . ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٤٤ – ٢٤٥. المخلاف: واحد المخاليف، وهي الكور. تالد: قديم. غير رائم: غير زائل. الخضم: الجمع الكثير. جاز: قُبل.
[٥] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٠٢. شيفت: صقلت وجليت. الروسم: أداة تجلى بها الدنانير.
[٦] . انظر: أسعد، رابحة، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الأموي، ص١٩٥.

- **الكتابة :**

لقد أصبحت الكتابة من مستلزمات الدولة الأموية بعد أن اتسعت رقعتها، وكثر الوافدون إليها، حتى غدا " الخط من جملة الصنائع المعاشية "[١]، ويرى ابن خلدون أنه " لما جاء الملك للعرب وفتحوا الأمصار، وملكوا الممالك، ونزلوا البصرة والكوفة، احتاجت الدولة إلى الكتابة، واستعملوا الخط، وطلبوا صناعته، وتعلموه وتداولوه، فترقّت الإجادة فيه واستحكمت، وبلغ في الكوفة والبصرة رتبة من الإتقان"[٢]، كما ظهرت الحاجة الماسة لمهنة الكتابة نتيجة استحداث الدولة الأموية لعدد من النظم الإدارية الجديدة، مثل؛ اتخاذ البريد، والكُتّاب، والخاتم، لتدوين وتنظيم كل ما يتعلق بشؤون الدولة، وختم الكتب التي تصدر عنها، وغيرها من الأمور التي كانت الكتابة فيها أمراً ضرورياً.

وقد حظيت مهنة الكتابة بتقدير الدولة واحترامها، وأصبحت وظيفة الكاتب من الوظائف الأولى التي يتمتع صاحبها بالثروة والحظوة لاتصاله بالحكّام ورجالات الدولة، ويشير إلى ذلك عدي بن الرقاع في مدحه لعمر بن عبد العزيز الذي كان يلقى الكتّاب منه كل حفاوة وتكريم [٣]:

جَوادٌ فلا يَنْفَكَّ يرمدُ بابَـــــــهُ أوْلَو حاجةٍ مسْتَبْشرونَ بِمُنعِـــمِ

فقدْ جُعِلَتْ كُتّابُهُ في مؤونـــــةٍ مفاتيحُ من معروفِهِ المُتَقَسّـــــمِ

ونشطت كتابة المصاحف أكثر من أيّ كتابة أخرى في العهد الأموي، وكثر الكتاب في عهد عمر بن عبد العزيز[٤]، ويذكر ابن النديم " إن أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط هو خالد بن أبي الهياج، ويقول نقلاً عن محمد بن إسحق: رأيت مصحفاً بخطه، وكان سعد قد نصّبه كاتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك، وهو الذي كتب الكتاب الذي في قبلة مسجد النبي بالذهب، ويقال: إن عمر بن عبد العزيز قال: أريد أن تكتب لي مصحفاً على هذا المثال، فكتب له مصحفاً " [٥].

---

[١] . ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ٣ : ٩٥٥.
[٢] . المصدر نفسه، ٣ : ٩٥٦.
[٣] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٣١.
[٤] . انظر: جيدة، عبد الحميد (١٩٨٦)، إنشاء الكتابة عند العرب، منشورات دار الشمال، طرابلس، ص٤٦.
[٥] . ابن النديم، الفهرست، ص١١٢.

وقد برع كتّاب العصر الأموي في كتاباتهم، حتى كان لها بعض السمات التي تميزت بها، ومنها؛ تدوير بعض الحروف، كما يبدو من تصوير قيس بن الملوح لحمامة مطوَّقة [١]:

كأنَّ بِجيْدِها والنّحْرِ منهـــــــا إذا ما أمْكَنَتْ للنّاظِرينـــــــــا

بِخَطَ كانَ من قَلمٍ دقيـــــــــقٍ يَخُطَ بجيْدِها في النّحْرِ نُوْنـــــا

ومن سماتها ظهور بعض النقط، ولهذا؛ يشبه ذو الرمة أثر النار في ظاهر الحصى بنقط الحبر، فيقول [٢]:

وضِبْحَاً ضَبَتْهُ النارُ في ظاهر الحصـى كباقِيَةِ التّنْويرِ أو نُقَطِ الحِبْـــــــــرِ

كما تميّزت كتاباتهم بالتحبير وتجويد الخط وإتقانه، وقد وصف بعض الشعراء الأمويين هذا الخط المجوّد المتقن بالترقيش والنمنمة والرقم والوشم والتنميق والتحبير، ومنهم؛ عدي بن الرقاع الذي يقول [٣]:

لِمَنْ رَسْمُ دارٍ كالكِتابِ المُنَمْنَـــمِ بِمُنْعَرَجِ الوادي فَوَيْقَ المُهْـــرَّمِ

كما يصفه القتّال الكلابي بقوله [٤]:

تُثيْرُ وتُسْدي الرّيحُ في عَرَصاتها كما نَمْنَمَ القرطاسَ بالقَلَمِ الحِبْـرُ

واعتنى الأمويون بإعجام الخط وشكله، وقد أشار إلى ذلك الأخطل في مدحه للوليد بن عبد الملك [٥]:

وقدْ كان مَحْضُوراً، أرى أنَّ أهْلَـــهُ بهِ أبداً ما أعْجَمَ الخَطَ كاتِبُـــــــهُ

ومن الشعراء الذين ذكروا تعجيم الكتب الوليد بن يزيد، بقوله [٦]:

أتانا بريْدَانِ من واسِـــــــــطٍ يَخُبَّانِ بالكُتُبِ المُعْجَمَـــــــــهْ

---

[١] . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص٢٢٦.
[٢] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٢٢٣. الضبح: آثار النار أو الرماد. ضبته: غيّرته.
[٣] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع، ص١٢٨. الرسم: الأثر بلا شخص. المنمنم: المحسّن الموشّى. منعرج الوادي: منعطفه.
[٤] . الكلابي، ديوان القتال الكلابي، ص٤٩.
[٥] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٢٨٤. المحضور: الذي يقيم فيه أهله.
[٦] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص١١٩. المعجمة: الواضحة.

وظهرت الحاجة الماسة لإنشاء الدواوين في الدولة الأموية، ومنها؛ ديوان الخاتم الذي كانت تختتم به الرسائل خوفاً من الغش والتزوير، وكان لهذا الخاتم ونقوشه أهمية بالغة، إذ يرى الجاحظ أنه " لولا الرسوم ونقوش الخواتم، لدخل على الأموال الخلل الكثير، وعلى خزائن الناس الضرر الشديد "[١]، ومن الشعراء الأمويين الذين اشاروا إلى ضرورة الخاتم في الكتب الرسمية جرير الذي يقول [٢]:

تَقْضي القَضاةُ على تيمٍ وإن رَغِمَتْ فاكتُبْ قضاءَكَ واطْبَع بالخواتيْمِ

وكذلك الفرزدق الذي يقول [٣]:

وأتَيْتَني بصَحِيفَةٍ مَخْتُومَةٍ يُخْشَى عَليَّ بها حِبَاءُ النَّقْرِسِ

وحرص الأمويون على تدوين العطاءات، وعهودهم ومواثيقهم، وكتب الأمان بينهم، لتكون حجة على من يحاول نكثها أو التراجع عنها، يقول الفرزدق [٤]:

ولا ردَّ مُذْ خَطَ الصَّحيفَة ناكِثاً كلامَاً ولا بَاتتْ له عَينُ نائِمِ

ولا رَجَعُوا حتى رأوْا في شِمالِهِ كتاباً لِمَغْرورٍ لدى النارِ نادِمِ

ويذكر الأخطل كتب الأمان التي كان يكتبها الكتّاب في قوله [٥]:

ولمْ يَأتِنِي في الصُّحْفِ إلا نَذيْرُكُمْ ولو شِئْتُمُ أرْسَلتُمُ بأمَاني

واستخدم الكتّاب الأمويون أدواتٍ متنوعة في كتاباتهم، منها؛ الورق، والقرطاس، والرق[٦]، والمهرق [٧]، والعسيب[٨]، وغيرها، وكتبوا بالأقلام، والدواة، والمداد، والحبر، وغيرها [٩].

وقد أشار عدد من الشعراء الأمويين إلى تلك المواد المستعلمة في الكتابة، منهم؛ عدي بن الرقاع الذي يذكر القرطاس والقلم في تصويره لديار محبوبته [١٠]:

---

١ . الجاحظ، الحيوان، ١ : ٧١.
٢ . جرير، ديوان جرير، ١ : ٣٦٠.
٣ . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٨٤. النقرس: الهلاك، أو الداهية.
٤ . المصدر نفسه، ٢ : ٣١٠.
٥ . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٢٩٨.
٦ . الرق: هو جلد رقيق، يسوى ويرقق ويكتب عليه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رقق).
٧ . المهرق: صحيفة، جمعها مهاريق، وهي من مواد الكتابة التي تحتاج إلى إعداد خاص، وهي غالية الثمن. انظر: الأسد، ناصر الدين (١٩٨٨)، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٨، دار الجيل، بيروت، ص٨١.
٨ . العسيب: جريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عسب).
٩ . انظر: أسعد، رابحة، مظاهر الحضارة المادية في الشعر الأموي، ص٢٠٦ – ٢١١.
١٠ . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع، ص١١٦.

بها أخاديْدُ من آثار ساكِنِهـــــا كما تردَّدَ في قرطاسِهِ القَلَـــــمُ

وكذلك الحسين بن مطير الأسدي الذي يقول [١]:

وبالبَرْقِ أطلالٌ كأنَّ رُسومَهـــــا قَرَاطِيْسُ خَطَ الحِبْرُ فيهنّ سَاطِرُهْ

ولغلاء أثمان المهاريق كانوا لا يكتبون فيها إلا الجليل من الأمر، فالجاحظ يقول : " والمهاريق ليس المراد بها الصحف والكتب، ولا يقال للكتاب مُهارق حتى تكون كتب دين، أو كتب عهد، وميثاق، وأمان " [٢]. وقد تكرر ذكرها في أشعار الأمويين، ومن ذلك قول ذي الرمة [٣]:

أرَبَّتْ بها الأمطارُ حتى كأنّهـــــا كتابُ زَبورٍ في مهاريقِ مُعْجَـــمِ

إن المقام لا يتسع لإيراد جميع شواهد الشعر الأموي التي تشير إلى مهنة الكتابة وأنواعها والمواد المستخدمة فيها، فهي كثيرة يمكن استطلاعها في مظانها[٤]، إلا أنها تدلل بوضوح على انتشار مهنة الكتابة في العصر الأموي، نظراً لحاجة الدولة إليها، وتمتع الكتّاب بمكانة مرموقة في مجتمعهم، فقد كانت مهنة تجلب لصاحبها الحظوة والثروة والقرب من الخلفاء والأمراء ورجال الدولة.

- **<u>حرف ومهن وصناعات أخرى:</u>**

يحفل الشعر الأموي بذكر كثير من الصناعات التي عرفها أهل العصر آنذاك، التي تدلل على رقيهم وتحضّرهم، ونماء صناعاتهم، وتعدد الحرف والمهن التي عمل فيها أبناء المجتمع الأموي، ومن تلك الصناعات، صناعة النعال، فهذا العرجي يدعو أن تكون وجوه حُسّاد محبوبته مداساً لنعالها، فيقول [٥]:

أو حَسوداً بَغاكِ يوماً بســـــوءٍ كاشح مبغض لرجلك نعـــــــلا

---

[١] . الأسدي، الحسين بن مطير، ديوان الحسين بن مطير الأسدي، ص١٦٤.
[٢] . الجاحظ، الحيوان، ١ : ٧٠.
[٣] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٤٢٦. أربّت: أقامت. المهريق: الصحف. المعجم من الكتب: المنقوط.
[٤] . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٦، ص١٢٨. والمخزومي، ديوان الحارث بن خالد المخزومي، ص٩٤. وجميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ص١٨. والفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٦٨، ٣٣٤، ٤٣١، ٥٩١، ٦١٣. وجرير، ديوان جرير، ١ : ١٢٥، ٦٣٠. وابن الطثرية، شعر يزيد بن الطثرية، ص٩٨. والقطامي، ديوان القطامي، ص٢٤. والخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٢٥، ص٢٦٩. وعمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٣٤٧، ٢٢٩، ٤٠٠، ٤٠١. والأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص٢٥٣. وقيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص٢٢٦. والكلابي، ديوان القتال الكلابي، ص٤٩، ٦٦، ٧٧. والعرجي، ديوان العرجي، ص٣، ٧٥، ١٠٢. وابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٢٤، ٣٨١، ٣٨٢. والأسدي، الحسين بن مطير، شعر الحسين بن مطير الأسدي، ص١٦٤، ١٦٦. والتيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ، ص١٢٩.
[٥] . العرجي، ديوان العرجي، ص٢٩١. الكاشح: العدو المبغض.

وقد أدرك صنّاع النعال الأمويون أهمية رقة النّعال لتكون خفيفة في قدم لابسها، فاعتنوا بصناعتها، ويبدو أنها كانت باهظة الثمن، ولا يستطيع شراءها إلا أغنياء الناس، حتى امتدح بعض الشعراء أولئك الذين يرتدون نعالاً رقيقة تبين غناهم ورفعة مستواهم المعيشي، يقول ابن قيس الرقيات [١]:

إنَّ شِيْبَا من عامر بن لُـــــؤيّ وفَتُوَّاً منهُم رقاقَ النّعَـــــــالِ

لم يناموا إذا نام قَوْمٌ عن الوِتْـــ ـرِ بِحَزْمٍ فَعَزْعَرٍ فالسِّخـــــالِ

ويمدح كثير عزة عبد العزيز بن مروان بالتأني والاتزان في مشيته، وأنه يلبس نعلاً رقيقة ليّنة متقنة الصنع، فيقول [٢]:

مُقارِبُ خطوٍ لا يُغَيّرُ نَعْلَـــــــهُ رهيْفُ الشِّراكِ سَهْلَةَ المُتَسَمَّـتِ

وكان لبعض النعال رباط تشد به من فوق القدم، إلا أن ضخامة خف ناقة كثيّر عزة منعته من أن يربط خيوط نعلها ويعقدها فوق حافرها، فقال [٣]:

وحافِيَةٍ منكوبةٍ قد وقَيْتُهـــــا بنَعْلي ولم أعْقِدْ عليها قبالَهـــا

ويصف كثير عزة بني أمية بالمرح والنعمة والخيلاء، ويذكر أُزُرَهم السَّابغة التي يطأونها بنعالهم الحضرمية التي تشبه مقدمتها طرف اللسان، فيقول [٤]:

لَهُمْ أزُرٌ حُمْرُ الحَواشي يَطَؤنَهـا بأقْدامِهِمْ في الحَضْرَمِيِّ المُلَسَّـنِ

كما عرف أهل العصر الأموي صناعة دبغ الجلود، وبرعوا في حفظ الجلود وصونها من التلف، وإبقائها ليّنة، فهذا ابن قيس الرقيات يشبّه مشفر ناقته الضخمة التي تقذف بالزبد بالجلد المدبوغ بالقرظ (وهو شجر عظام لها سوق غلاظ تشبه شجر الجوز)[٥]، فيقول [٦]:

عَنْتَرِيْسٍ تَنْفِي اللّغامَ بمِثْلِ السِّـــ ـبْتِ هَوْجاءَ كالجُلالِ الخُفـــافِ

---

[١] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٨١.

[٢] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٢٤. رهيف: دقيق. الشراك: سير النعل. مسمت النعل: أسفل النعل من مخصرها إلى طرفها.

[٣] . المصدر نفسه، ص٧٧. منكوبة: أصبح خفها نكيباً، أي أصيب بالحجارة وما اشبه. القبال: زمام النعل بين الإصبعين.

[٤] . المصدر نفسه، ص٢٥٢.

[٥] . قرظ الجلد: دبغه. انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قرظ).

[٦] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٣٨. تنفي: تقذف. اللغام: الزبد. السِّبت: النعال المصبوغة بالقرَظ. الجلال: الجمل العظيم. الخفاف: الخفيف. عنتريس: شديدة.

ويشير عمر بن أبي ربيعة إلى حبال الدلو المصنوعة من الجلد، وقد دبغ ليحافظ على قوته وليونته، فيقول [١]:

ولا دَلْوَ إلا القَطْبُ كان رِشـــاءَهُ إلى الماءِ نِسْعٌ والأديْمُ المُضَفَّـرُ

وبهذا فقد انتشرت صناعة الجلود ودباغتها في العصر الأموي، ولا سيما في الطائف، واشتهر أيضاً النعل الطائفي والأُهب الطائفية [٢].

وبرع العرب في العصر الأموي في صناعة العطارة، وخصصت أسواق في المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة للعطارين، وقد أشار أبو الفرج الأصفهاني إلى العطارة وأنواع العطور المعروفة لديهم، والذين اشتهروا بصناعتها، وكانت منهم جدة عمر بن أبي ربيعة، وقد مهرت في العطارة ومزج العطور، وكان يأتيها العطر من اليمن [٣].

وقد ذكر الأزرقي أن عبد الله بن جعفر أول من صنع عطراً في الحجاز وسمّاها (الغالية)، وهي نوع من الطيب يركّب من المسك والعنبر والعود والدهن [٤].

وشهد العصر الأموي وجود عدد كبير ممن امتهنوا النّجارة؛ لصنع الأثاث المنزلي، مثل؛ المناضد، والكراسي، والأطباق، والأبواب، وغيرها من الأعمال الخشبية التي تتطلبها حياة الناس، وكان للنجارين سوق خاص بهم في مكة [٥].

وقد برع البصريون وتفننوا في صنع أبواب المنازل والدور وسقوفها من جذوع النخل[٦].

وشاركت النساء الأمويات في المهن والحرف والصناعات التي عرفت في العصر الأموي، فمارسن صناعة المنسوجات التي شاعت في قرية الوشم في نجد والظهران، ونسبت إليها الثياب الظهرانية [٧]، ونسجت النساء الصوف والقطن والقزّ، وأجدن نسج الحرير والديباج وحلّينها

---

١ . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٦٧. الأديم المضفر: الجلد المدبوغ.
٢ . انظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٦ : ١٨٥.
٣ . انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١، ص٧٤.
٤ . انظر: الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢ : ٢٥٤ – ٢٥٩.
٥ . انظر: المصدر نفسه، ١ : ٢٤٣.
٦ . انظر: الكبيسي، حمدان وآخرون (١٩٨٥)، حضارة العراق، دار الحرية، بغداد، ٥ : ٢٨٩.
٧ . انظر: السيف، عبد الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص١٥٩.

بسطور من الكتابة على حافة القماش، وطرّزن عليها بعض أسماء الخلفاء أو الأمراء أو الولاة، أو بعض عبارات الدعاء، واستخدمن في ذلك خيوطاً ملونة، أو خيوطاً من ذهب [١].

وقد أقدم زياد بن أبيه _الذي عُدَّ أول من أدخل صناعة المنسوجات الكتانية إلى البصرة_ على ارتداء ملابس تصنع من الكتان، وقلّده في ذلك كثير من سكانها، مما ساهم في تنشيط هذه الصناعة وانتشارها، أما صناعة الخزّ فقد أخذها الأمويون من النجرانيين الذين استقروا في العراق في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، فاخذوا يصنعون الحلل النجرانية والطّيالسة [٢].

ومن الصناعات التي التفت إليها الأمويون وأولوها جل اهتمامهم، صناعة الدمى والتماثيل، وقد زينوا قصورهم وأبنيتهم بالتماثيل والصور والأشكال المنحوتة، التي نجد مثلها في قصر الحير الغربي الذي نقلت بقاياه إلى دمشق، وفي قصر عمرة شرقي الأردن الذي يحوي أقدم التصاوير الطينية التي يرجع تاريخها إلى العصر الأموي[٣].

وقد زيِّنت البيع بالدمى والتماثيل التي تفنن صناع العصر الأموي في تشكيلها، وبيان إيحاءاتها وإيماءاتها، يقول الأحوص الأنصاري في صاحبته [٤]:

كأنَّ لَبنى صَبيْرُ غادِيَـــــــــةٍ أو دُمْيَة زُيِّنَتْ بها البِيَـــــــــعُ

ويشبه ابن قيس الرقيات محبوبته بالدمية التي تزيَّن بها المعابد، فيقول [٥]:

كأنّها دُمْيَةٌ مُصَـــــــــــوَّرَةٌ في بِيْعَةٍ من كنائِسِ العُبُـــــــدِ

وعمد بعض صناع التماثيل والدمى إلى تزيينها بالذهب أوالفضة لتبدو أكثر جمالاً وسحراً، فاستلهم الشعراء الأمويون هذه الصورة ليشبهوا بها محبوباتهم وصويحباتهم، يقول عمر بن أبي ربيعة [٦]:

قالتْ ثَريَّا لأتْرابٍ لها قَطَـــــفٍ قَمْنَ نُحَيِّي أبا الخطّابِ مِن كَثَـبِ

---

[١] . انظر: الكبيسي، حمدان وآخرون، حضارة العراق، ٥ : ٢٨٨.
[٢] . انظر: المصدر نفسه، ٥ : ٢٨٥ – ٢٨٦.
[٣] . انظر: الرفاعي، أنور، الإنسان العربي والحضارة، ص٣٥٠.
[٤] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١٧٩. صبير غادية: السحاب الأبيض الذي يصير بعضه فوق بعض. البيع: واحدها بيعة (بكسر الباء)، وهي مكان تعبد النصارى.
[٥] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٠٠. العُبُد: قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية في الحيرة. والعُبُد جمع عبد. البيعة: معبد النصارى.
[٦] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٩. قطف: جمع قطوف، وهي المرأة المتقاربة الخطو.

فَطِرْنَ حبّاً لما قالت وشايَعَهـــا مثلُ التّماثيلِ قد مُوِّهْنَ بالذَّهَـــبِ

وامتازت تلك الدمى والتماثيل بالقوة والصلابة وحسن الصناعة وجودتها، حتى بلغ الأمر بعروة بن أذينة أن يشبه ناقته الضخمة بالتمثال، يقول[١]:

هَيهاتَ لا وصْلَ إلا أن تُجَـــدِّدَهُ بِذاتِ مَعْجَمَةٍ مِرْدَاةِ أسْفـــارِ[٢]

ملمومَةٍ نُحِتَتْ في حُسْنِ خِلْقَتِهـا وأجْفِرَتْ في تمامٍ أيَّ إِجْفـــارِ[٣]

ويظهر الشعر الأموي أن صناعة التماثل والدمى كانت تتميز بالدقة من حيث إيحاءاتها وإيماءاتها، وتتمتع بالأناقة وحسن المظهر حتى صور الشعراء الأمويون حسناواتهم بالدمى والتماثيل، فهذا عمر بن أبي ربيعة يصور تثنّي محبوبته في مشيتها بالدُّمى والظّباء البيض [٤]:

خَرَجَتْ تأطَرُ في ثلاثٍ كالدُّمَـــى تَمْشي كَمَشْيِ الظَّبْيةِ الأدْمـــاءِ

ويقول فيهن العرجي أيضاً [٥]:

بحُورٍ كأمْثالِ الدُّمَى قَطَفِ الخُطَـا لَهَوْنَ، وهنَّ المُحْصَناتُ الخَرائِدُ

كما عرف الأمويون شجر العُشْر، فصنعوا منه العِلْك والسُّكر، فهذا العرجي يصف ريق محبوبته بعلك الذعاليق ذي الرائحة الطيبة، فيقول [٦]:

تُنَضِّخُ الرِّيْقَ من فيها إذا نَطَقَـتْ كأنّما مَضَغَتْ عِلْكَ الذَّعالِيْـــقِ

ويشبّه عمر بن أبي ربيعة ظعن المحبوبة بشجر العُشر الذي يستخرج من زهره السكّر[٧]، فيقول[٨]:

ظَعَنوا كأنَّ ظَعْنَهُـــــــــمُ مُوْنِعُ القَنْوَانِ أو عُشَـــــــــرُ

---

[١] . ابن أذينة، ديوان عروة ابن أذينة، ص ١٩٨.
[٢] . ذات معجمة: ناقة ذات سمن وقوة وبقية على السير. مرداة أسفار: قوية صلبة على الأسفار.
[٣] . ملمومة: أي تامة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض. أجفرت: إذا بلغت الناقة أربعة أو خمسة أشهر، أو انقطعت عن الضراب وذلك أقوى لها.
[٤] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص ٦. تأطر: تتثنى. في ثلاث: أي مع نسوة ثلاث. الأدماء: الظبية المشربة بياضاً.
[٥] . العرجي، ديوان العرجي، ص ٢٠٩. الحور: جمع حوراء، وهي المرأة البيضاء. قطف: جمع قطوف: وهي المرأة المتقاربة الخطو. الخرائد: جمع خريدة، وهي المرأة المشبّهة باللؤلؤة التي لم تُثقب.
[٦] . المصدر نفسه، ص٢٧٩. تنضح الريق: تجعله يرشح من فمها. العلك: صمغ تمضغه المرأة تنقي به فمها. الذعاليق: جمع ذعلوق، وهو نبات كالكرّاث لكنه طيب النكهة.
[٧] . انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (عشر).
[٨] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٩٥. ظعنوا: رحلوا. القنوان: عناقيد النخل عليها الرطب اليانعة. العُشَرُ: ضرب من الشجر.

وشاعت في العصر الأموي بعض الحرف اليدوية الخفيفة التي اعتمد المشتغلون فيها على المنتجات الزراعية، فصنعوا الحصر والقفاف والأطباق من الخوص، وأنتجوا أقفاصاً من جريد النخل [١]، والمتتبع للدراسات التاريخية التي أرّخت للعصر الأموي سيجد حديثاً عن حرف ومهن عديدة، مثل؛ الخياطين، والخبازين، وحفّاري الآبار، والنساخين، والوراقين، وغيرهم [٢].

لقد توسّعت مجالات الصناعة، وتنوعت لذلك المهن والحرف في العصر الأموي، وقد ساعد على هذا التطور تنوع الموارد المالية، وكثرة الموالي الوافدين إلى المجتمع الأموي بعد الفتوحات الإسلامية، ووفرة المواد الخام الأولية في بيئات العصر المتنوعة جغرافياً، والواسعة مكانياً، وقد جاء هذا التطور منسجماً مع اتساع حجم الدولة الأموية، وتزايد سكانها، وتعدد حاجاتهم ومستلزمات معيشتهم.

---

[١] . انظر: الأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ١ : ٢٦٣.

[٢] . انظر: السيف، عبد الله، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي، ص١٦٨. والعلي، صالح (١٩٦٩)، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط٢، دار الطليعة، بيروت، ص٣٠٠.

الفـــصـــل الـــخامـــــس

الـــتـــشـــكـــيـــل الـــفـــنـــي للشعر الاجتماعي

تبيّن ممّا سلف من هذه الدراسة أن شعراء العصر الأموي اهتموا بجوانب حياتهم الاجتماعية، فوصفوا علاقات أفراده، وعاداتهم وتقاليدهم، وملابسهم، وأطعمتهم وأشربتهم، وسبل تسليتهم وطرائق ترفيههم عن أنفسهم، وصوروا مهنهم وحرفهم التي اشتغلوا بها، وجاءوا على ذكر معطيات حياتهم ومنجزات عصرهم، ما دقّ منها وما جلّ.

ومن الملاحظ أن هنالك تبايناً في أساليب هؤلاء الشعراء، وطرق تناولهم لجوانب الحياة ومظاهرها في عصرهم، إلا أن هناك قدراً من السمات العامة، والخصائص الفنية، ينطوي تحتها نتاجهم الفني ويشترك فيها، من حيث النسيج اللغوي والصور الشعرية.

ولذلك جاء هذا الفصل من الدراسة ليبحث في طرائق تشكيلهم لشعرهم، من حيث اللغة والأسلوب، كما يمحص النظر في الصورة الشعرية وعناصرها لديهم، ومدى صدقهم ووضوحهم في تناول مادة فنّهم، وكيف هضموها ورسموها لنا، بعد أن أضفوا عليها كثيراً من عواطفهم، ومنحوها شيئاً من وجدانهم وأحاسيسهم، فجاءت صادقة في التعبير عن مشاعرهم، وخلجات نفوسهم، وخفقات أفئدتهم، تجاه معطيات عصرهم، وجوانب حياتهم الاجتماعية.

أولاً : تشكيل اللغة والأسلوب :

الكلمة عنصر أساسي من عناصر البناء الفني للشعر، وركن رئيسي للعمل الأدبي، يقول عبد الحكيم بلبع عن الكلمة إنها " عامل من أقوى العوامل التي تتوقف عليها قيمته ـ العمل الأدبي ـ الجمالية. والأداء الفني الجميل أساسه الدقة في اختيار الكلمة، ووضعها في بيئتها، وامتزاجها مع معناها، إذ ليس هو في مجموعه إلا طائفة من الكلمات المؤتلفة المعبرة " [١]، وقد يكون للكلمة الواحدة من الفضل والمزية في موضع من مواضع الكلام، ما ليس للكلمة نفسها في موقع آخر.

والشاعر المبدع الملهم، والأديب الصادق الفنان، هو ذلك الذي يستطيع أن يوفر للكلمة بيئة صالحة، ومناخاً مناسباً من التلاؤم، بحيث يسمح لها أن تشع أكبر شحنتها من الصور والظلال والإيقاع [٢]. وبذلك تتجاوز الكلمة معناها الذهني، ودلالتها المحدودة لتصبح طاقة شعورية، أضفى

---

[١] . بلبع، عبد الحكيم (١٩٥٤)، النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، ط ٢، طبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، ص ٢١٤ .
[٢] . انظر: نشأت، كمال (١٩٧٠)، في النقد الأدبي، دراسة وتطبيق، مطابع النعمان، النجف الأشرف ، ص٣٤ .

عليها الشاعر الموهوب من فنه وروحه زخماً حيوياً يرتقي بها لملامسة مشاعره، ومعانقة عواطفه.

ومن هنا فقد حرص الشاعر الأموي على اختيار ألفاظه، واهتم بانتقاء مفرداته، لأن الكلمة مادة الأدب، تؤدي دورها في حمل جيشان العواطف الوجدانية وترجمتها، والتعبير عنها بصورة دقيقة أمينة، يساعدها في ذلك كله ما تتمتع به من أبعاد نفسية، وظلال موحية، وهالة رقيقة شفافة.

والاهتمام باللفظة في الشعر العربي يعني العناية بالصوت الموسيقي الذي تحدثه اللفظة مستقلة بنفسها، ومع غيرها من الألفاظ المجاورة لها، ثم بالجمال الذي تضفيه على الأسلوب ككل، من جرّاء رونقها وسلاستها، وبالتالي بالإيحاء الذي تحمله طياتها، والشحنات التي تختزن فيها.

وقد تنبّه النقاد القدامى إلى هذا الجانب من انتقاء الألفاظ، وتخير الكلمات، والعناية بالأسلوب الشعري، موضحين قيمة الأصوات فيها، توافقاً وانسجاماً، فابن طباطبا يرى أن الشعر يجب أن يكون " كالسبيكة المفرغة، والوشي المنمنم المنظم، واللباس اللائق، فتسابق ألفاظه معانيه " [١]، وتتبدى مثل هذه العناية بالألفاظ، والاهتمام بانتقاء المفردات عند أبي هلال العسكري في الصناعتين، حيث يقول: " وليس الشأن في إيراد المعاني، لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي، وإنما هو في جودة اللفظ وصفائه، وحسنه وبهائه، ونزاهته ونقائه، وكثرة طلاوته ومائه، مع صحة السبك والتركيب، والخلو من أود النظم والتأليف، وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً " [٢].

ويعني هذا بوضوح تام أن النقاد العرب أشاروا منذ وقت طويل إلى ضرورة الاهتمام بالكلمة، لما لها من أهمية كبرى في العمل الأدبي، ويدلل أيضاً على أن الشعر الخالد، والأدب الباقي، هو ذلك الذي يحرص فيه صاحبه على التوفيق بين اللفظ والمعنى، أو الشكل والمضمون، والعناية بهما على المستوى نفسه، بحيث يتعذر الفصل بينهما لشدة تلاحمهما وانسجامهما، لتحقيق القيمة الجمالية التي تحقق الإمتاع الفني، وهو غاية الأدب ومبتغاه، فالكلمة المجردة ليست قادرة على صنع الأدب الجيد، فلا بد لها من تضافر العناصر الأخرى، مثل الموسيقى، والصور،

---

[١] . ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، عيار الشعر، (تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦ م، ص٤.

[٢] . العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر ، (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ٥٧ ـ ٥٨ .

والمضمون، لتكون قادرة على إعطاء الأسلوب للقصيدة الشعرية باتساقها مع مجاوراتها من المفردات، وتآلف حروفها وموسيقاها الداخلية والخارجية، فإلى أي حد أدرك الشاعر الأموي هذه المقومات للعمل الفني الذي أقامه حول وصف مجتمعه ومعطيات عصره ؟

من الملاحظ أن الشاعر الأموي وعى كل ذلك، وأولى اختياره للألفاظ، وانتقاءه للمفردات عناية بالغة، حيث حرص على وقع كلماته في نفوس المتلقين، واهتم بما لها من أهمية صوتية ومعنوية، واستطاع أن يمنحها ظلالاً موحية لتعبر عن انفعالاته، وعميق إحساسه بتجربته الشعرية، كما ركّز على توفير الموسيقى الشعرية، والنغم الصوتي، والإيقاع الموسيقي، لكلماته ومفرداته التي بوساطتها نقل للآخرين عواطفه، وعبَّر من خلالها عن تجاربه وآرائه.

كانت ألفاظ الشعراء الأمويين الذين تحدثوا عن جوانب حياتهم ومعطيات عصرهم منساقة نحو الاتجاه الواقعي القريب، فبدت لغتهم في أشعارهم بسيطة مباشرة، كما في قول الوليد بن يزيد[١]:

أحِبُّ الغِناء وشرب الطَّـــــــــلاء وأنْسَ النِّساءِ وربَّ السّـــــــــــــوَرْ
ودَلَّ الغَواني وعَزْفَ القيـــــــــانِ بِصَنْجٍ يمانٍ قَبَيْلَ السَّحَـــــــــــــرْ
سَبَتْني البَغومُ بِدَلٍّ رَخيـــــــــــمٍ ووجْهٍ نَضيْرٍ شبيْهِ القَمَـــــــــــــرْ
وَرِدْفٍ نبيلٍ وخدٍّ أسيـــــــــــلٍ كسيفٍ صقيلٍ يُحيْرُ البَصَـــــــــــــرْ

ولا يرى شوقي ضيف غرابة في استعمال الوليد بن يزيد لهذه الألفاظ، " فقد نشّأه أبوه على اللهو والعبث والاهتمام بالغناء والسماع،...، وهذا كله أضيف إليه الثراء الواسع، فكان الوليد بن يزيد يسرف على نفسه إسرافاً طاغياً في كل شيء، في أناقته وثيابه وعطره، حتى كان يتحلّى بالجوهر، وكانت مجامر العود ما تزال مشتعلة في أرجاء قصره المليء بالقيان والجواري " [٢].

ويتضح من ذلك أن مظاهر الحياة الاجتماعية ومعطياتها الجديدة التي عاشها أبناء العصر الأموي وشعراؤه انعكست بشكل واضح على ألفاظهم في أشعارهم.

ونشهد مثل ذلك التأثر بمظاهر الحياة الاجتماعية وجوانبها المختلفة في قول ابن قيس الرقيات الذي أتت ألفاظه سلسة مباشرة تنسجم مع موضوعه الاجتماعي وتتواءم مع فن الغناء والطرب[٣]:

---

[١] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٥٤. السورة: الرفعة والمكانة. البغوم: المرأة رخيمة الصوت.
[٢] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٣٠٠ – ٣٠١.
[٣] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٦٣ - ٦٤.

عَلَلِ القوْمَ يَشْرَبـــــــــــــوا كَيْ يَلَذّوا ويَطْرَبُـــــــــــــوا
إنّما ضَلّلَ الفَـــــــــــــوْا دَ غَزَالٌ مُرَبْـــــــــــــرَبُ
فَرَشَتْهُ على النّمـــــــــــــا رِقِ سُعْدَى وَزَيْنَـــــــــــــبُ

وتلحظ سمة البساطة وسلاسة اللغة أيضاً في قول خالد بن يزيد بن معاوية الذي ينصح فيه ولده بالتعلّم ويحثُّه عليه، يقول[١]:

هلْ أنتَ مُنْتَفِعٌ بِعِلـــــــــــــ ـــمِكَ مَرَّة ؟ والعلم نافِـــــــــعْ
ومن المُشيرُ عليكَ بالـــــــــرَّ أيِ السَّديدِ أنْتَ سامِـــــــــعْ

وعندما وصف الشاعر الأموي العلاقات الاجتماعية بين أفراد مجتمعه استخدم اللغة ذاتها، فجاءت واضحة مفهومة، يقول الحارث المخزومي متغزلاً بزوجه أم عمران[٢]:

يا أمَّ عمرانَ ما زالتْ وما بَرِحَـــــــتْ بيَ الصبابةُ حتى شفَنِي الشفـــــــقُ
لا أعتَقَ اللهُ رِقَي مِن صبابَتِكُـــــــــمْ ما ضرَّني أنني صَبٌّ بِكُمْ قَلِـــــــــقُ
يتوق قلبي إليكُم كي يلاقيكـــــــــم كما يتوقُ إلى مَنْجَاتِهِ الـــــــــغَرِقُ

فالبساطة في الألفاظ والوضوح في التعبير والسهولة في اللغة من مميزات الشعر الاجتماعي الأموي سواء أكان عند شعراء المدن أم شعراء البادية، إذ إن الموضوعات الاجتماعية تتطلب مثل هذا القدر من الوضوح والمباشرة، لأنها تعبر عن أشياء وأحداث واقعية يحياها الأموي في مجتمعه.

وجاءت كثير من معاني الشعر الاجتماعي الأموي سطحية تخلو من العمق، وأكثر تلك المعاني وردت في بعض المقطوعات التي تتحدث عن الطعام والشراب، واللباس والزينة، ومن أمثلة ذلك قول جرير [٣]:

تَرَكْتُ عِيالي لا فواكِهَ عندَهُـــــمْ وعند ابن سعد سكّرٌ وزبيـــــــــــبُ

وكذلك في قول الوليد بن يزيد [٤]:

---

١ . ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٢ : ٢٣٢.
٢ - المخزومي، الحارث بن خالد، شعر الحارث بن خالد المخزومي، ص٧٣- ٧٤.
٣ . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٣٠.
٤ . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٣٦.

إنّني أبْصَرْتُ شيْخَـــــــــــــاً حَسَنَ الوَجْهِ مَليْـــــــــــــــحْ
لابساً أثوابَ سُـــــــــــوٍّ مِن عَباءٍ ومُســـــــــــــــوحْ
وأبيعُ الزّيْتَ بيعـــــــــــــاً خاسِراً غيرَ ربيـــــــــــــــحْ

وكما في قول قيس بن الملوح [١]:

فحَسِبْتُ مكّة والمشاعر كلّهـــــــا وجبالها باتت بمسْكٍ تنْفَـــــــــــحُ

وقد شاعت بعض المعاني الدينية الإسلامية والمسيحية في الشعر الاجتماعي الذي تناول حرفة التعليم والتأديب، وفي الشعر الذي وصف فن العمارة، ولا سيما بناء المساجد، وارتبطت أكثر المعاني المسيحية بمجالس الرقص والغناء والخمر، وصناعة الدمى، ومن المعاني الإسلامية التي وردت في الشعر الاجتماعي الأموي قول الأخطل [٢]:

قومٌ يظَلّون خُشْعَاً في مساجِدِهِـــــمْ ولا يَدِيْنُون إلا الوَاحِدَ الصَّمَـــــــــــدا

فقد اقتبس الشاعر المعنى الذي قصده من قوله تعالى : " خشَّعاً أبصارهم "[٣]، ولا شك أن ذكر المساجد يقتضي الخشوع والتقوى والإيمان، لذا؛ اختار الشاعر لفظ خشْعاً لانسجامه مع الدلالة الدينية.

وكذلك تأثر الوليد بن يزيد بالقرآن الكريم واقتبس منه عندما وصف حسن النساء وجمال منظرهن وحسن زينتهن، فقال [٤]:

وقدْ كُنتُ أحْسِبُ أنّني جَلْدُ القَـــــوى حتى رأيْتُ كواعِباً أترابـــــــــــــــا
يَرْفُلْنَ في وَشْيِ البُرودِ عَشِيَّـــــــة مثلَ الظِباءِ وقد مُلِئْنَ شبابـــــــــــــا

وقد تأثر الشاعر الأموي في شعره الاجتماعي بالشعر الجاهلي، واستوحى منه بعض معانيه وأساليبه، ومن ذلك تاثر الشاعر النابغة الشيباني بالشاعر الأعشى حين قال [٥]:

تسْمَعُ للحَلْيِ وِسْوَاسَاً إذا انصَرَفَـــتْ كما اسْتعانَ بِرِيْحٍ عِشْرَقٌ زَجِـــــــــلُ

---

[١] . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص٥١.
[٢] . الأخطل، شعر الأخطل، ٢ : ٧٢٠ .
[٣] . سورة القمر، آية (٧).
[٤] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص١٥. يرفلن: يجررن متبخترات.
[٥] . الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت٧هـ)، ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، (شرح محمد محمد حسين)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م، ص١٠٥. الوسواس: صوت الحلي. عشرق: شجر له حب صغار يصدر صوتاً إذا جفّ وحركته الريح.

فقد شبه الأعشى صوت الحلي عند تحرك محبوبته وانصرافها بصوت نبات العشرق عندما تحرك أغصانه الرياح، وقد تأثر النابغة الشيباني بهذا المعنى واستخدم غالب ألفاظ الأعشى في قوله [١]:

وللحِلِيّ وسواسٌ عليها إذا مَشَـــــتْ كما اهتزّ في ريحٍ من الصيفِ عِشْـــــرقُ

وبدت بعض ألفاظ الشعراء الأمويين في شعرهم الاجتماعي فخمة جزلة، وقد ظهر ذلك واضحاً في حديثهم عن قيمهم الاجتماعية، وعن الأسلحة الحربية المختلفة وطرائق صناعتها، كما في قول جرير[٢] :

لِمازِنٍ صخرةٌ صَمَّاءُ راسيَـــــة تُنْبي الصَّفا حينَ تَرْديهِنَّ صَيْخــادُ [٣]
هُمُ الحُماةُ إذا ما الخيلُ شَمَّصَهــا وَقْعُ القَنَا وَنَضَتْ عَنْهُنَّ ألْبـــــادُ [٤]
وانْسلّتِ الهُنْدُوانياتُ ليسَ لهـــــا إلا جمـــــاجِمَ هامِ القَوْمِ أغمـــــادُ
وكُلُّ أسْمَرَ خَطِّيٍّ يُقَحِّمُـــــــــهُ في حوْمةِ الموتِ إصْدارٌ وإيـــرادُ

لا شك في أن مفرداته مثل (الصخرة الصماء، الصفا، الصيخاد)، فيها خشونة، وتومئ بجلد وقوة تحمل، كما يستلزم الحديث عن المقاتلين الأبطال وأسلحتهم الحربية، وأدواتهم في القتال، مثل؛ الهندوانيات، والخطيّ، والقنا، والأغماد،...، التي تفتك بهامات العدو وتعطف برؤوسهم.

إن الشعراء الأمويين في تعبيرهم عن أخلاقهم وقيمهم وبعض عاداتهم، ووصفهم لأدوات الحرب وأسلحتها استخدموا ألفاظاً تقترب من الخشونة والوعورة أحياناً، وتتصف بالقوة وشدة الانفعال.

وتحدث مفردات الفرزدق جلبة عالية، وتسمع منها صليل السيوف، وتشاجر الرماح، وصهيل الخيل ودفع حوافره، إنها ألفاظ صلبة قوية، تنبع منها الحماسة، وتمتلئ بالانفعال [٥]:

غَدَوْا كَسُيوفِ الهِنْدِ وُرِّادَ حَوْمَــةٍ منَ الموتِ ، أعْيا وِرْدَهُنَّ المَصــادِرُ
فوارسُ حاموا عن حَريمٍ وحافظوا بدارِ المنايا ، والقنا مُتَشاجِـــــــرُ
كأنّهُمُ تحتَ الخَوافِقِ إذْ غَـــــدَوا إلى الموتِ أسْدُ الغابتينِ الهَواصِـــرُ
فَلَوْ أنَّ سَلْمى نالَها مِثْلُ رُزْئِنَـــــا لَهُدّتْ ، ولكن تَحْمِلُ الرُّزْءَ عامِـرُ [٦]

---

[١] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١٢٣.
[٢] . جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٢٦ .
[٣] . ترديهن: أراد حين يردينها، أي يصدمنها، فقلب. الصيخاد: الشديدة الحر. الصفا: الحجارة الصلبة الضخمة .
[٤] . شمصها: نخسها . نضت : خلعت. ألباد: الواحد لبد، وهو ما يوضع على ظهر الفرس تحت السرج .
[٥] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢١٦ .
[٦] . سلمى: جبل لبني طيء .

ويقول عمر بن لجأ التيمي مستخدماً الألفاظ ذاتها، التي تعبر عن بسالة لا يضعفها شيء، وقوة لا يلين جانبها، مظهراً عبرها قيمة الشجاعة وصورة السيوف المخضبة بدماء العدو [١] :

نَزَلْنا للكتائبِ حـــــينَ دارَتْ ... وَقَدْ رَعَشَ الجَبانُ عن النّـــزُولِ
مُسَهَّلَةٍ نوافِذُها وَضَـــــرْبٍ ... كأفواهِ المقرَّحَةِ الهُـــــــدولِ
فَرَوَّيْنا بِمَجِّ الهامِ منهُـــــمْ ... مضارِبَ كُلِّ ذي سيفٍ صقيـــلِ
فأمْسَتْ فيهم القتلى كَخُشْـــبٍ ... نفاها السَّيْلُ عن دَرَجِ المَسيـــلِ

وتشيع ألفاظ الصبر والتجلد في المقطعات الشعرية الأموية، وقد أغنت هذه الألفاظ الشعر بدلالاتها النفسية والمعنوية ، يقول الوليد بن يزيد [٢] :

أتاني سنانٌ بالوداعِ لمؤمِـــــنٍ ... فقلتُ له : إني إلى اللهِ راجِـــعُ [٣]
وكيفَ بكائي مؤمِناً ولقـــــد أرى ... بأني له يا نفسُ لابدَّ تابِـــــــعُ
يقولونَ : لا تجْزع وأظْهِرْ جَـلادَةً ... فكيفَ بما تُحْنى عليهِ الأضالِـــعُ

وتظهر ألفاظ التصبر وتعابيره لدى النعمان الأنصاري في قوله [٤] :

كريمُ البلاءِ صبورِ اللَقـــــا ... ءِ صافي الثَناءِ قليلِ العِلـــــلِ

إن الشعراء الأمويين يتخيرون في مواطن الصبر ألفاظاً ذات دلالات معنوية - في الأغلب – تدعو إلى التجلد والصبر، منها المواساة والتعزية، وقلة المبالاة، وعدم اليأس، وشدة التحمل، يقول عدي بن الرقاع [٥]:

قد سادَ وهو فتىً حتى إذا بَلَغَـتْ ... أشُدَّهُ وغَلاَ في الأمْرِ واجتَمَعـــــا
وعَلّقَ اللهُ أسبابَ الأمورِ بِـــــهِ ... ولم يُطِقْ حامِلٌ فوقَ الذي اضطَلَعـــا
فما شكَا ظَهْرَهُ من حملِ مَضْلَعِـهِ ... ولا تَكَعْكَعَ مِن وَقْرٍ ولا ظَلَعَـــــا [٦]

وتبدل الأيام، والبؤس والنعمى، وقضاء الله، وحسن التصبر والجلد، والأجر والثواب عند الله، عبارات تكشف عن عمق إيمان صاحبها بفضيلة الصبر وأهميتها، يقول العرجي [٧] :

---

[١] . التيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ، ص ١٢٤ .
[٢] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص ٧٨ .
[٣] . سنان : من كتاب الوليد بن يزيد، وكان مغنياً يرافق الوليد في رحلاته الصحراوية ، وهو الذي نعى إليه إبنه مؤمناً . انظر : الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٦٩.
[٤] . الأنصاري، النعمان بن بشير، شعر النعمان بن بشير الأنصاري، ص ١٠٧ .
[٥] . العاملي ، عدي بن الرقاع ، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص ٢٢١ .
[٦] . تكعكع : تراجع .
[٧] . العرجي، ديوان العرجي ، ص ١٩٦ .

فَللصَّبْرُ عندَ انْفِتالِ الزّمـــــا نِ بالمَرْءِ فيما رَجَا أنْجَـــــحُ

ويدعو نفسه للتصبر والتحمل، فيقول [١] :

فقلْتُ ـ تجلّداً ، وحَلَفْتُ صَبْـراً ـ أبالي اليومَ لو دَمَعَتْ مَآقـــــي

لقد تـأثرت ألفـاظ الشـعراء الأمـويين بمظـاهر الحيـاة الاجتماعيـة التـي عايشـوها، فغدت ألفـاظهم سهلة ميسورة قريبة من النفس، بعيدة عن التوعّر، يتقبّلها النـاس ويفهمونهـا، ومثـال ذلك قول ابن قيس الرقيات مادحاً بني أمية واصفاً حلمهم وسعة صدورهم، ومشبهاً إياهم بالدنانير المصقولة [٢]:

لَيْتَ شِعري أفَاحَ رائِحةَ المِسْـــــــــكِ وما إنْ إخَالُ بالخَيْفِ أنْسِـــــــــي[٣]
يومَ غابَتْ بنو أمَيَّةَ عنّـــــــــي والبَهالِيْلُ من بني عبْدِ شَمْـــــــــسِ[٤]
حُلَماءٌ إذا الحُلُومُ اسْتُخِفّـــــــــتْ بوجوهٍ مِثلِ الدَّنانيرِ مُلّـــــــــسِ

وهنـاك ألفـاظ يتشـكل منهـا معجـم الكـرم والجـود، مثـل القـدور، والحجـارة، والنيـران المتقـدة، واستنباح الكلاب، وثمة ألفاظ ذات دلالات معنويـة، منهـا الحمد، والشكر، والترحيب بالضيفان، والثناء على الرجل الكريم، والدعاء لـه بـالخير العميم، يقول القطـامي فـي بشاشـة وجـه أسماء بـن خارجة لضيوفه [٥] :

إذا نحنُ زُرْنا بيتَهُ قال : مرحَبـــاً لِجوا ، ثمّ لمْ يَعْرِضْ لنا بالسَّخائِـمِ [٦]
ألمْ ترَ أنّا قد كَسوْناكَ حلّـــــــة نَمَتْ بكَ ليْستْ لِلَئامِ الدَمائِـــمِ [٧]

وقد حرص أجواد العرب على التهلل في وجـه ضيفهم والترحيب بـه، وعبرت عن ذلك ألفـاظ مسكين الدارمي، الذي عدّ بشاشة وجه الكريم من خصب القرى وكثرته [٨] :

أضاحِكُ ضيفي قبلَ إنزالِ رحْلِـــــهِ ويخصبُ عندي والمحلُّ جديـــبُ
وما الخِصب للأضيافِ أن يكثر القِرى ولكنما وجهُ الكريمِ خصيـــــبُ

---

[١] . العرجي، ديوان العرجي، ص ٢٨٠ .
[٢] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٢٦.
[٣] . الخيف: كل هبوط وارتقاء في سفح الجبل، وأراد هنا اسم موضع في الحجاز بالقرب من منى مكة.
[٤] . البهاليل: جمع بهلول، وهو السيد الكريم.
[٥] . القطامي، ديوان القطامي، ص ٧١ .
[٦] . السخائم: جمع سخيمة ، وهي الحقد والضغينة والموجدة في النفس .
[٧] . حلّة: مدحة. الدمائم: القبائح .
[٨] . مسكين الدارمي، ديوان مسكين الدارمي ، ص٢٤ .

لقد امتازت لغة الشعر الاجتماعي وألفاظه بقربها من لغة الحياة في العصر الأموي وألفاظها، فقد قل الصخب في شعرهم الاجتماعي، وبدا ليّناً سهلاً رقيقاً، ومما يمثل على ذلك قول جميل بثينة واصفاً محبوبته [١]:

بُثينةَ مِن صِنْفٍ يُقلّبْنَ أيْدي الـــــــ رُّمَاةِ وما يَحْمِلْنَ قَوْساً ولا نَبْـــــــــــلا
ولكنّما يَظْفَرْنَ بالصَّيْدِ كلّمَـــــــــا جَلَوْنَ الثّنايا الغرَّ والأعيُنَ النّجْـــــــــلا
يُخالِسْنَ مِيْعاداً يُرَعْنَ لِقَوْلِهـــــــا إذا نَطَقتْ كانت مَقالَتُها فَصْـــــــــــلا
يَرَيْنَ قريباً بَيْتَها وهي لا تَـــــــرَى سوى بيتها بيتاً قريباً ولا سَهْـــــــــلا

والألفاظ الدالة على الحلم والصفح والمروءة قريبة من ألفاظ الصبر والقوة والشجاعة، وقد تخير الشعراء الأمويون ألفاظاً موحية دالة تمثلت في العفة، والصفح، والتسامح، وعزة النفس، والإيثار، والترفع عن صغائر الأمور، والتحلي بالهيبة والوقار، وإجارة الضعيف، وفك العاني، وإتمام العهود، والوفاء بالمواثيق، ومن المقطوعات التي دلت ألفاظها على الإباء والعزة قول أبي دهبل الجمحي [٢] :

فشنّت بها شعواءَ في خيرِ فتيـــةٍ تخلّتْ لكسْبِ المكرُماتِ همومهـــــا
على أنَّ فيها مفْخراً لو سَمَتْ بـــهِ إلى الشمسِ لم تحجب سناها غيومُها
فجرَّدنَ من سحبِ الإباءِ بوارِقـــاً يشيمُ الفنا قبل الفنا من يَشِيمُهـــــا
فما صعَّرتْ خدَّاً لإحرازِ عـــزّةٍ إذا كان فيها ساعة ما يَضيمُهـــــا

وتظهر الألفاظ الدالة على الثقة بالنفس، ومضاء العزيمة، والوفاء بالعهد، في قول عدي بن الرقاع [٣]:

وثيقُ القَوَى لا ينقَضُ القَوْلَ عُقْدَهُ ولا ينكث الأمْرَ القَوِيُّ المُشــاوِرُ

والحياء، وعفة النفس، من الألفاظ ذات الإيقاع الهادئ في الشعر، التي صور من خلالها الشاعر الأموي ترفعه عن سقط الأمور وسفاسفها، يقول كثير عزة [٤] :

وإنّي ليَثنيني الحياءُ فأنْثنـــي وأقْعُدُ والمَمْشى إليْكِ قريـــبُ
وآتي بيوتاً حَوْلَكُم لا أحِبُّهـــا وأكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهوَ جَنيـبُ [٥]

---

١ . جميل بن معمر، ديوان جميل بثينة، ص٨٦.
٢ . الجمحي، أبو دهبل، ديوان أبي دهبل الجمحي، ص ٨٨ .
٣ . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص ٢٠٠ .
٤ . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص ١٦٥ .
٥ . جنيب: مجاور قريب .

لقد كان للشعر الاجتماعي في العصر الأموي ألفاظه الخاصة به، اتسم بعضها بالواقعية والمباشرة والسلاسة، وتميز بعضها الآخر بالقوة والفخامة والجزالة حسب الموضوع الاجتماعي الذي يطرقه الشاعر، واتصف أسلوب الشعر الاجتماعي بالوضوح، والبعد عن التفلسف والتعقيد، فجاءت رؤيته واضحة ومعانيه منفتحة، ولذا فإن الأشعار الاجتماعية جاءت في أسلوبها ميسورة العبارة، واضحة الفكر، ميزها جودة السبك، وروعة الأداء، ومتانة التراكيب، وفخامة النسج، تظهر منها طبيعة حياتهم، وقيمها العليا، ومثلها السامية، فلا وجود فيها لتكلف أو حشو، كما أنها كانت صادقة في نقل ما يعتلج في نفوس القوم.

وقد أكثر الشاعر الأموي من استعمال أدوات الربط في شعره الاجتماعي، فربط كلماته وجمله بأدوات الربط المعروفة في اللغة، وقد تطلب ذلك طبيعة الموضوعات الاجتماعية التي يصفها أو يشير إليها، ومثال ذلك، قول عمر بن أبي ربيعة يصف جواهر المحبوبة وما تحلّت به من حليّ[١]:

وَزَبَرْجَدٌ ومنَ الجُمانِ بـــــــــــهِ سَلْسُ النِّظامِ كأنّه جَمْـــــــــــــرُ

وبدائِدُ المَرْجانِ في قَـــــــــــرْنٍ والدُّرُّ والياقوتُ والشّـــــــــــــذْرُ

والأحوص الأنصاري يشهد أشياء كثيرة من مظاهر الحياة الاجتماعية، ولا سيما حلي المرأة وزينتها، وقد أراد التعبير عنها وتصويرها، فلجأ إلى استخدام أدوات الربط ليجمع فيما بينها، فيقول [٢]:

دُرٌّ وشَذْرٌ وياقوتٌ يُفَصِّلُـــــــــــهُ كأنّهُ إذْ بدَا جَمْرُ الغَضا يَقِـــــــــــدُ

ومن الظواهر الأسلوبية التي تلحظ في الشعر الاجتماعي ظاهرة التقديم والتأخير، ولعل الشاعر الأموي يهدف من ورائها إلى إظهار جوانب الحياة الاجتماعية وتوجيه النظر نحوها، ثم يصفها ويعبّر عما يجول بخاطره حولها، وتشيع هذه الظاهرة في الشعر الاجتماعي الأموي الذي جاء لوصف زينة المرأة وحليها، وضروب العمارة، وأنواع الصناعات، وغيرها، ويرى عبد القاهر الجرجاني لذلك جملة فوائد، منها؛ " أنه ليس إعلامك الشيء بغتة مثل إعلامك له بعد التنبه عليه

---

[١] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٦٤. السلس: الخيط الذي ينظم فيه الخرز. البدائد: الحلي. القرن: الخيط. الشذر: جمع شذرة، وهي الحبة من الخرز يفصل بها بين الجواهر في نظم العقد.

[٢] . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص١١٢. الشذر: قطع من الذهب يفصل بها اللؤلؤ والجوهر.

والتقدمة له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والإحكام " [١]. ومن الشواهد على ظاهرة التقديم والتأخير قول الأخطل [٢]:

عليها من سموطِ الدُّرِّ عقـــــــــــدٌ يزينُ الوجهَ في سَنَن العِقـــــــــــاقِ

وقول النابغة الشيباني الذي يعبر فيه عن مدى إعجابه بحلي محبوبته التي يصدر بعضها أصواتاً تخلب الألباب [٣]:

لها معاصمُ غَصَّ اليارقاتُ بهـــــــا وفي الخلاخيل خلقٌ غيرُ مَعْصُـوبِ[٤]

ومن الظواهر اللغوية التي تميّز بها الشعر الاجتماعي أيضاً ظاهرة الألفاظ الدخيلة والمعربة، وشاعت تلك الالفاظ في الحديث عن أنواع الملابس، مثل؛ الفرند [٥]، والسابري [٦]، والقوهي [٧]، والإبريسم [٨]، وغيرها. وفي ذكر الشعراء لأدوات الطعام والشراب وأنواعهما، وآلات الموسيقى والغناء [٩]. وفي الإشارة لبعض الصناعات والمهن والحرف التي عرفها أهل المجتمع الأموي.

واتسم الشعر الاجتماعي بظاهرة الترادف، ولعل تداخل اللغات واللهجات في العصر الأموي، وما عرفه أهله من لغات الأقوام الأخرى بعد الفتوحات الإسلامية، وما اقترضوه منهم من أسماء وصفات كان وراء هذه الظاهرة، ومن أمثلة ظاهرة الترادف؛ مسميات الأقمشة، فقد ذكر الشعراء الأمويون أسماء عديدة للحرير، مثل؛ الديباج، والعقبري، والسدوسي، والخز، والقز، والطيلسان، وغيرها [١٠]. وذكروا مسميات كثيرة للسيوف [١١]، والرماح [١٢]، والسفن [١٣]، وغيرها.

---

[١] . الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز في علم المعاني، (تصحيح محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي)، دار المعرفة، ط١، بيروت، ١٩٩٤، ص٨٥.

[٢] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٧٩.

[٣] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٣٦.

[٤] . اليارقات: جمع يارق، وهو السِّوار، والكلمة فارسية معربة.

[٥] . انظر: الفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٣٨٤. وذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٤١٩.

[٦] . انظر: التيمي، عمر بن لجأ، شعر عمر بن لجأ، ص٧٩.

[٧] . انظر: نصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص١١٠.

[٨] . انظر: ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٢٧٨.

[٩] . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٣٥، ص٦٨. وعمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٤٨٨. والعرجي، ديوان العرجي، ص١٦٠. والراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص١٣٧، ص٢٣٠.

[١٠] . انظر: الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٢٣. وعمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٩ – ٣٠. والنابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١٥٠. وقيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص١٦٢. والراعي النميري، شعر الراعي النميري، ص٢٣٣. والرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٢٣.

[١١] . انظر: الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٥٧، ص٣٥٤. وجرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٢٦. وقيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص٢٣٩. والفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ١٣٦، ١٣٨، ٢٦٧.

[١٢] . انظر: العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص٥٦، ص٩٠. والخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢٥١، ص٣٠٠، ص٣٣٥، ص٣٦٠. والنابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٠، ص٩٧. والفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ :٦٨، ٢ : ٥٩٣

[١٣] . انظر: جرير، ديوان جرير، ١ : ٧٢. والأخطل، شعر الأخطل، ١ : ١٤٢. والخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٤٧. ونصيب بن رباح، شعر نصيب بن رباح، ص٩١. والقطامي، ديوان القطامي، ص٩٩.

وقد آثر بعض الشعراء في العصر الأموي الأسلوب الحواري في بعض مقطوعاتهم التي تحدثت عن الموضوعات الاجتماعية، ووفقوا في ذلك، لأن النهج الحواري محبب إلى النفس، إذ يكشف عن حالة نفسية دقيقة في حياة الناس ومواقفهم المختلفة، فالشاعر يحاور أصحابه ورفاقه تارة، ويحاور ضيوفه تارة أخرى، ويجادل زوجته أو أبناءه أو محبوبته تارة ثالثة، وهذا النمط الحواري الذي استخدمه الشعراء أعطى النص مقداراً أرحب من الحيوية، وأبعد عن القارئ الملل والسأم الذي يسببه أسلوب السرد والوصف.

ويشيع حوار الشاعر مع المرأة، ويتبدى عن ذلك الحوار نفسية الشاعر ودواخله، ويكشف الحوار عن قناعاته وآرائه، ويعطيه أفقاً واسعاً يتسع لإيصال فكرته، يقول المتوكل الليثي [١] :

لمّا رأتْ أنّني لابدَّ منطَلِـــــــقٌ ... وللفتى أجَلٌ قد خُطَ معـــــــدودُ
قامت تكرِّهُني غَزْوَى وتخبِرُنـــي ... أنْ سوفَ يُخْلِدُني رَوْعٌ وتبليـدُ [٢]
هل المنيةَ إلا طالبٌ ظَفِـــــــرٌ ... وحَوْضُها منهَلٌ لابدَّ مـــــورودُ

ويعقد أعشى همدان حواراً بينه وبين زوجه ، يقول فيه [٣] :

قالت تعاتبني عِرْسي وتسألنـــي ... أينَ الدراهمُ عنّا والدنانيـــرُ
فقلتُ : أنفقتُها واللهُ يخْلِفَهـــا ... والدّهرُ ذو مِرَّةٍ عُسْرٌ وميســورُ
إنْ يرزقِ اللهُ أعدائي فقد رُزِقَــتْ ... من قبلهم في مراعيها الخنازيــرُ
قالت : فرِزْقَكَ رزقٌ غير مُتّســعٍ ... وما لديكَ من الخيراتِ قمطيــرُ
وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَــقٍ ... يوماً فيوماً كما تحيا العصافيــرُ

بهذا الحوار استعان أعشى همدان للحديث عن جوده وكرمه، فهو لا يخاف الفقر والعُسر.

ويسوق العرجي حواراً مع المرأة يعلن فيه عن وفائه لها، وتحمله الصعاب لأجلها، فهو وفيٌ صبور [٤] :

أقولُ لها والعينُ قد فاضَ دمعُهـا ... وقد كان فيها دمعُها قد تـــــرددا
أسَلاّكِ عنّي النّأيُ أم عاقكِ العِـدى ... بما اقترفوا أمْ جئتِ صرْمي تعمُّـدا
ألمْ أكُ أعْصي فيكِ أهْلَ قرابتـــي ... وأرْغِمُ فيكِ الكاشِحَ المتهَـــــدِّدا

---

[١] . الليثي، المتوكل ، شعر المتوكل الليثي، ص ٢١٢ .
[٢] . غزوى: علم امرأة .
[٣] . الجاحظ ، الحيوان ، ٧ : ٦٢ . (لم أجده في ديوانه) .
[٤] . العرجي، ديوان العرجي، ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ .

وأمْتَهِنُ الوَرْدَ الأغَرَّ إليكُـــمُ من أجْلِكِ حتّى لَحْمُهُ قد تـخدَّدا [١]

ويلحظ الأسلوب الحواري أيضاً في الشعر الذي نظمه الشعراء الأمويون لوصف مجالس الرقص والغناء، ورحلات الصيد، وأدواته، وطرقه وأساليبه، ونلمح ذلك في قول الراعي النميري[٢]، وذي الرمة[٣]، والنابغة الشيباني [٤]، وغيرهم.

لقد تميّز الشعر الاجتماعي بأسلوب يختلف عن غيره من الاتجاهات الشعرية، إذ يتصل موضوعه بالبيئة الاجتماعية اتصالاً وثيقاً، أساسه العلاقات العامة بين الشاعر ومن يحيون معه ويرتبطون به، وقد انتهج الشعراء حين أرادوا القول في الموضوعات الاجتماعية الأسلوب الواقعي المباشر المنسجم مع الحياة، وكان هذا الأسلوب مفهوماً من الجميع، مألوفاً، مستعذب الألفاظ، سهلاً غير متوعّر، استمدّ ألفاظه ومعانيه من مظاهر الحياة الاجتماعية التي يحياها الناس ويعايشونها.

ثانياً : تشكيل الصورة الشعرية :

إذا كان حرص شعراء العصر الأموي على ألفاظهم وأسلوبهم شديداً، فإن اهتمامهم بصورهم الشعرية كان أشد، إذ إن الصورة الفنية وسيلة من وسائل التعبير عن التجربة الشعرية، والصور يؤدي بعضها إلى بعض، ويحقق كل منها ـ مع ذلك ـ وجوده المستقل، ولذا؛ فإن " ذروة استقلال الصورة وخضوعها وتبعيتها معاً " [٥]، ولقد اعتمد الشعراء الأمويون على الصورة الشعرية في تصويرهم جوانب حياتهم الاجتماعية متّكئين في تصويرها وتركيبها على التشخيص والتجسيم والوصف، مستخدمين ضروباً من الفنون البيانية، مثل؛ التشبيه، والكناية، والاستعارة، وغيرها، التي تساعد في توضيح المعنى الذي يطرقونه، فالشيء " يُعرف بما يحاكيه، أو بما يحاكي ما يحاكيه " [٦].

---

[١] . امتهن: ابتذل وأجهد. الورد : أراد به فرساً وردي اللون . الأغرّ: المشرق الجبين. تخدد اللحم: تشقق من النحول التعب.
[٢] . انظر: الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص٩٣ – ٩٤.
[٣] . انظر: ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص١١٤ – ١١٥.
[٤] . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص ٨٩ – ٩٠.
[٥] . ناصف، مصطفى (١٩٥٨)، الصورة الأدبية ، ط ١، مكتبة مصر ، القاهرة ، ص ٢٤٦ .
[٦] . القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (ت ٦٨٤هـ)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (تقديم محمد الحبيب ابن الخوجة)، دار تونس، تونس، ١٩٦٦م، ص٩٤.

إن الفنون البيانية ـ كما يذكر عبد القاهر الجرجاني ـ ذات قدرة على التصوير، والتشخيص، والتجسيم، فالتشبيه، والاستعارة، والكناية، تهدف إلى الإيضاح، حتى إنك " ترى بها الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبينةً، والمعاني الخفية بادية جلية " [١]، ويرى ابن الأثير أن علم البيان هو إثبات الغرض المقصود في نفس السامع بالتخيل والتصوير، حتى يكاد ينظر إليه عياناً [٢].

وقد استثمر الشاعر الأموي جوانب حياته وأدواتها لتشكيل صورته الشعرية في شعره الاجتماعي، ينضاف إلى ذلك خبراته ومشاهداته وسعة اطلاعه، فوصف مظاهر الحياة الاجتماعية من ملابس وزينة، وغيرها، وابتنى صورة شعرية رائعة كما في قول عدي بن الرقاع[٣]:

جَمَعْنا بِسَبْيٍ جاءَنا مِن نِسائِهـــــــم بُروداً وقَبْطيّاً وريْطاً مُرَقَّمـــــــا

فهو يعبر عبر الصورة المجازية المرسلة عن افتتان مجتمعه بضروب الثياب وألوانها وزينتها.

وجاءت بعض الصور الشعرية في الشعر الاجتماعي الأموية جزئية في تركيبها، إذ يعمد الشاعر إلى تشبيه جزء من كل بجزء من كل آخر، ويتضح ذلك من قول العرجي[٤]:

كأنما الحَلْيُ على نَحْرِهـــــــا نجومُ فجْرٍ ساطِعٍ أبْلَـــــــجِ

ومن ذلك أيضاً قول كثيّر عزة الذي يشبه فيه هوادج النساء بالبروج لعلوها وارتفاعها[٥]:

رأيتُ جِمالَها تعلو الثَنايـــــــا كأنَّ ذُرى هوادِجِها البُـــروجُ

إن معظم الشعراء الأمويين وهم يصوّرون جوانب الحياة في مجتمعهم، كانوا يستقون صورهم من المشاهد الواقعية القريبة منهم، فلا تحتاج صورهم الشعرية إلى إعمال فكر، أو سعة تصور وتخيّل، ومن أمثلة ذلك قول النابغة الشيباني مشبهاً السحب المزينة بالبرق والرعد كأنها المزامير وقد هيّجها نقر المزاهر [٦]:

لهُ زِبْرِجٌ برقٌ ورعْدٌ كأنّـــهُ مزاميرُ جُوْنٌ هَيَّجَتْها مزاهِـــرُ

---

[١] . الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ)، أسرار البلاغة، (تحقيق هلموت ريتر)، مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٤م، ص ٤١ .

[٢] . انظر: ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧ هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ط١، ٤أجزاء، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٩م، ١ : ١١١ .

[٣] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٩٦.

[٤] . العرجي، ديوان العرجي، ص١٩٠. الأبلج: المشرق.

[٥] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص١٨٩.

[٦] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٦٨.

والصورة التي يرسمها ذو الرمة لعيون الإبل بعد أن تعبت وكأنها الزيت اللامع في أواني النحاس [١]:

فَجِئْنا على خوصٍ كأنَّ عيونهـا صُباباتُ زيتٍ في أواقيَّ من صُفْرِ

ومن الصور المفردة التي تقوم على التشبيه البسيط، قول القطامي [٢]:

كأنَّ ثناياها ذرى أقْحُوانَـةٍ علاها نَدى الشّؤبوبِ ساعة صابا

أما المقطوعات الشعرية التي تناولت جانب الصيد فتشكلت فيها صور كلية تفصيلية تترابط أجزاؤها مصورة لوحة كلية، ومن ذلك لوحة الصيد التي يرسمها النابغة الشيباني، فيقول[٣]:

كأنّها بعدَ جَهْدِ العيْنِ إذ ضَمَرَتْ مولّعٌ لهَقٌ في وجههِ خَنَسُ [٤]
باتَ إلى حِقْفِ أرْطاةٍ تُصَفْقُهُ ريحٌ فلمّا انْجَلى عن شَخصِهِ الغَلَسُ [٥]
صادَفَ خوطاً قليل اللّحمِ مُفْتَدِياً مِن أهلِ دَوْمَةَ صيدَ الوحشِ يلْتمِسُ [٦]
أشْلَى كِلاباً فلمْ تَنْكُلْ وأجْرِيَهـا غُضْفاً نواحِلَ في ألوانِها غَبَسُ [٧]
حتى إذا كان من أفواهِها كَثَباً وماطَلَتْهُ ضِراءٌ كُلّها حَنِسُ [٨]
كرَّ وقد لَحِقَتْ منْها سوابِقَهـا كأنّهُ مَرْزُبانٌ مُغْضَبٌ مَرِسُ [٩]

وعقد النابغة الشيباني جملة صور جزئية شكلت في مجملها صورة كلية للمسجد الأموي الذي شيّده الوليد بن عبد الملك معبراً من خلال صورته عن مدى تقدم الأمويين في فن البناء والعمارة، يقول[١٠]:

يكادُ يُعْشي بصير القومِ زِبْرِجُهُ حتى كأنَّ سواد العينِ مَطروفُ
وقبّة لا تكادُ الطّيرُ تَبلُغُهـا أعلى مَحاريبِها بالسَّاجِ مسقوفُ
لها مصابيحُ فيها الزيتُ من ذَهَبٍ يضيءُ من نورِها لَبانُ والسِّيْفُ

---

[١] . ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٢٢٨. الخوص: الإبل الغائرات العيون. صبابات: ما بقي من الزيت في قعر الإناء.
[٢] . القطامي، ديوان القطامي، ص١٥٩.
[٣] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٩ – ٩٠.
[٤] . المولع: الثور. لهق: أبيض. الخنس: تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع في أرنبته.
[٥] . الحقف: ما استطال واعوج من الرمل. الأرطأة: شجر تثمر كالعنّاب. تصفقه: تهزّه. الغلس: ظلام الليل.
[٦] . الخوط: الشخص الضعيف كالغصن. دومة: موضع بين الشام والموصل.
[٧] . أشلى الكلاب: حرّضها على الصيد. لم تنكل: لم تجبن. أجريها: واحدها جرو. غضفاً: جمع أغضف، وهو المسترخي الأذن من الكلاب. الغبس: اللون الرمادي.
[٨] . الضراء: كلاب الصيد. الحنس: الجريء. كثباً: قريباً.
[٩] . المرزبان: الأسد. المرس: الشديد المراس.
[١٠] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١١ – ١١٢.

فكلُّ إقبالِهِ _ واللهُ زيَّنَـــــــهُ _ مُبَطَّنٌ برُخامِ الشامِ محفـــــوفُ

فقد اعتمد النابغة على صور جزئية، مثل؛ الساج، مصابح، الزبرج، الزيت...، ليرسم صورة كلية للمسجد تفصح عن جماله وبهائه، وتبيّن رفعة الدولة الأموية وعظمتها.

وقد يجمع الشاعر عدداً من الصور المفردة في البيت الواحد دون وجود أي ترابط بينها، ومن ذلك قول العرجي في زينة محبوبته[١]:

سَبَتْني غَداةَ النّحْرِ منها بِفاحِـمٍ وذي أشُرٍ أطْرافُهُ لم تَثَلّـــــــمِ

وأنْفٍ كَحَدِّ السيفِ دقَّ وحاجِـبٍ وصدْرٍ كفاتورِ اللّجَيْنِ وَمِعْصَـــمِ

ويبدو أن الشاعر الأموي وهو يصف جوانب الحياة الاجتماعية كان يميل إلى سلاسة التركيب وسهولته، ويجنح في صوره الشعرية نحو التجانس والانسجام، فيستطيع القارئ دون عناء أن يحدد أطراف الصورة من مشبه ومشبه به وأداة تشبيه حتى وإن أخفى الشاعر إحداها، كما في قول جرير [٢]:

عَطِرِ الثيابِ من العبيرِ مُذَيَّـــلٌ يمشي الهُوَيْنا مِشْيَةَ السّكـــرانِ

ونلحظ تكرار الصورة الشعرية ذاتها في كثير من أشعار الشعراء الأمويين الاجتماعية، ومن ذلك تشبيه الظعائن بالسفن عند ذي الرمة[٣]، والأخطل [٤]، وكثير عزة[٥]، وجرير[٦]، وغيرهم. ونجد كذلك صوراً مكرورة في تصويرهم للأسلحة، وزينة المرأة ولا سيما وشاحها، وتشبيههم لها بالدمى، وفي حديثهم عن بعض أخلاق المجتمع ومثله وقيمه وعاداته.

وقد بالغ بعض الشعراء الأمويين في صورهم الشعرية، إلا أن المبالغة لم تبطل الصورة، ولم تفقدها رونقها، ومن ذلك قول الحسين بن مطير الأسدي في عقود محبوبته التي اكتسبت الجمال من جسدها أكثر مما زينتها العقود، يقول [٧]:

مُخَصَّرَةِ الأوْسَاطِ زانَتْ عُقودَهـــا بِأحْسَنَ ممّا زيَّنَتْها عُقودُهـــــا

---

[١] . العرجي، ديوان العرجي، ص٣٢٣.
[٢] . انظر: جرير، ديوان جرير، ٢ : ١٠٠٩.
[٣] . انظر: ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٨١٤.
[٤] . انظر: الأخطل، شعر الأخطل، ج١، ص١٤٤، ص٣٣٧.
[٥] . انظر: الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٣٣٧.
[٦] . انظر: جرير، ديوان جرير، ٢ : ٧٤٨.
[٧] . الأسدي، الحسين بن مطير، شعر الحسين بن مطير الأسدي، ص١٥٨.

وكذلك قول الأحوص الأنصاري واصفاً حلي محبوبته [١]:

وإذا الدُّرُّ زَانَ حُسْنَ وُجُـــوهٍ كان للدُّرِّ حُسْنُ وجْهِكِ زَيْنَـــا

وبالرغم من بعض المبالغات والمفارقات في الصور الشعرية إلا أن الشاعر الأموي " أمينٌ في نقل الصور، والمحافظة على أشكالها كما هي في العالم المحيط به، والأدب الأموي من الآداب العربية التي صدقت في رسم الحياة، وبينت مظاهرها التاريخية وهو يعطي الوجه التقريبي للحياة العربية خلال العصر الأموي "[٢].

إن كل ما تقدم ذكره هو على سبيل المثال لا الحصر للتشبيهات التي وردت في ثنايا الشعر الاجتماعي في العصر الأموي، وجل التشبيهات التي عرضت تقليدية مباشرة، استقاها الشعراء الأمويون من البيئات التي يعيشون فيها، وموادّهم التي شكلوا منها صورهم معروفة، وجاءت هذه التشبيهات في أشعارهم عفوية دون تكلف في اختيارها، ولا تصنع في صياغتها، أو تعقيد في أدواتها وألفاظها.

وقد استعان شعراء العصر الأموي بالمحسنات البيانية ليرسموا صورة لجوانب حياتهم الاجتماعية، مثل؛ الكناية، فهذا جرير يكنّي عن حزم ممدوحه وجلادته بالصخرة الصماء، فيقول[٣]:

لمازِنٍ صخرةٌ صمّاءُ راسيـــة تُنْبي الصَّفا حينَ ترديهنَّ صَيْخـادِ

وكثيراً ما ذكروا كنايات السلاح في مقطوعاتهم الشعرية، ومن ذلك قول الراعي النميري [٤]:

يُمْسي ضجيع خريدةٍ ومضاجعـي عَضْبٌ رقيقُ الشّفرتينِ حســامُ

فالعضب والحسام كناية عن السيف القاطع .

ويكني المتوكل الليثي بالزغف عن الدروع اللينة الواسعة المنسوجة التي تداخلت حلقاتها بعضها ببعض، فيقول [٥] :

---

١ . الأحوص الأنصاري، شعر الأحوص الأنصاري، ص٢٧٩.
٢ . العالم، إسماعيل أحمد (١٩٨٧)، وصف الطبيعة في الشعر الأموي، دار عمار، عمان، ص٣٣٥.
٣ . جرير، ديوان جرير ، ٢ : ٧٢٦ .
٤ . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري ، ص ٢٤١ .
٥ . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي ، ص ٢٢٦ .

فيهمْ فوارسُ لا مِيْلٌ ولا كُشُــفٌ عليهمُ زَغَفٌ بالشّكِّ مسْـــرودُ

وبالزّاعبية كنى يزيد بن حَبْناء عن الرمح، فقال [١]:

توقَدُ في أيديهِمُ زاعبيَّـــــةٌ ومرْهفةٌ تفري شئونَ الجماجِــمِ

ويصوّر قيس بن الملوح نعومة محبوبته ورقتها مستخدماً الكناية لإحكام الصورة الشعرية في قوله [٢]:

يُدْمي الحَريرُ جُلُودَهُنَّ وإنّمـــا يُكْسَيْنَ من حُلَلِ الحريرِ رقاقهــا

وقد جوّد الشعراء الأمويون في تخيّرهم للاستعارات، فهذا الفرزدق يجعل لناره لساناً يجيب به المنادي معبّراً بذلك عن خصلة الكرم والجود التي عدت من أبرز قيم وعادات المجتمع الأموي، يقول[٣]:

حلَفْتُ لهمْ إنْ لم تُجِبْهُ كِلابُنـــا لأسْتَوْقِدَنْ ناراً تجيبُ المُناديـــا
عظيماً سَناها للعُفاةِ ، رفيعـــةً تُسامي أنوفَ الموقِدينَ فنائيـــا
وقلتُ لعَبْدّيَّ : أسْعِراها ، فإنّـــهُ كفى بسَناها لابنِ إنْسِكَ داعيـــا

وفي تصوير محمد بن نمير الثقفي للآلة الموسيقية " المرنان " إذ يقول [٤]:

سَيَبْكيكِ مرنانُ العَشِيِّ يجيبُـــهُ لطيفُ بنانِ الكفِّ دُرْمٌ مرافِقَـــهْ

وتظهر الاستعارة الحاذقة في تصوير طريح بن إسماعيل الثقفي لحركة خلاخل محبوبته ووشاحها، يقول [٥]:

نامَتْ خلاخِلُها وحالَ وشاحُهـــا وَجَرى الوشاحُ على كثيْبٍ أهْيَـلِ
فاسْتيقظتْ منهُ قلائِدُها التـــي عُقِدَتْ على جيْد الغزالِ الأكْحَـــلِ

وكذلك في قول النابغة الشيباني [٦]:

---

١ . عباس، إحسان، شعر الخوارج، ص ٣٧ .
٢ . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص١٦٢.
٣ . الفرزدق، ديوان الفرزدق ، ٢ : ٣٥٦ .
٤ . القيسي، نوري، شعراء أمويون، ٣ : ١٣١. دُرْم : جمع أدرم، وهو من لا حجم لعظامه.
٥ . الثقفي، طريح بن إسماعيل، شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، ص١١٠.
٦ . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٣٦. اليارقات: جمع يارق، وهو السوار، والكلمة فارسية معربة.

لها معاصِمُ غَصَّ اليارقاتُ بهـــا وفي الخلاخيلِ خلقٌ غيرُ مَعْصوبِ

وقد تنوعت الصور الشعرية في الشعر الاجتماعي الأموي، فظهرت الصورة اللونية، والسمعية، والحركية، والبصرية، وغيرها، بأسلوب متناسق وانتظمت هذه الصور في النسيج العام الذي جاء للحديث عن مظاهر الحياة الاجتماعية التي أدركها الشعراء الأمويون إدراكاً جيداً، مما دفعهم إلى توظيف حواسهم الخمس في رسم صورهم الشعرية، ولا غرابة في ذلك، إذ إن الشعر الاجتماعي ضمير الأمة ولسان حالها، " وهو يخرج من مدن متحضرة يعرف أهلها كثيراً من ضروب الترف والنعيم في الملبس والمطعم وألوان الزينة المختلفة... وهؤلاء المغنون يقيمون لهم كل يوم ما يشاؤون من حفلات الغناء " [١]، ومن أمثلة الصورة السمعية الصوتية قول الأخطل مصوراً صوت البعوض بأغاني العرس التي تصدر عن آلات الغناء والموسيقى [٢]:

يُغَنِّيْهِ بالفَيْضِ البعوضُ كأنّهـــا أغانيُّ عُرْسٍ: صَنْجُهُ وجَلاجِلُـــهْ

وتموج صورة الراعي النميري بالحركة وتسمع صوتها إذ تتخيلها لما يصور حَلي محبوبته، فيقول [٣]:

كأنَّ دويَّ الحَلْيِ تحت ثيابِهـــا حصادُ السَّنَا لاقى الرّياحَ الزّعازِعا
جُماناً وياقوتاً كأنَّ فصوصَـــهُ وقودُ الغَضا سدَّ الجُيُوْبَ الرَّوادِعا

وتسمع أصواتاً عالية يجيبها الصدى من بعيد لصورة النابغة الشيباني إذ يقول [٤]:

كأنَّ طَبُولاً فوق أعْجازِ مُزْنِـــهِ يجاوِبُها من آخِرِ الليلِ زامِـــرُ

ويشبه الأخطل حركة القلادة في عنق الفرس بحركة السوار في اليد، فهي حركة دائرية[٥]:

وقد قَلِقَتْ قِلادَةُ كلِّ غَـــوْجٍ يُطِفْنَ بهِ كما قَلِقَ السِّـــوارُ

ويمزج الفرزدق بين الصوت والحركة، ليرسم صورة سمعية حركية يصف فيها إعداد الطعام الذي يغلي في قدوره فتمور مصدرة صوتاً قوياً مرتفعاً، يقول [٦]:

---

[١] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٢٢٢.
[٢] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٤٥. الجلاجل: جمع جلجل، وهو الجرس الصغير. الفيض: ما فاض على وجه الأرض من ماء.
[٣] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٣٥. السنا: نبت يتداوى به، إذا يبس فحركته الريح سمعت له زجلاً. الروادعا: المطيّبة بالزعفران أو بغيره من الطيب.
[٤] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٦٨.
[٥] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٢٨٢. الغوج: الجواد اللين المعاطف.
[٦] . الفرزدق، ديوان الفرزدق، ٢ : ٣٥٧ – ٣٥٨. مغيرة: أي خيلاً مغيرة .

رَكودٍ كأنَّ الغَلّيَ فيها مُغيـــــــــرَةَ رأتْ نَعَماً قدْ جَنّهُ الليلُ دانِيـــــــــا
إذا استحمَشوها بالوَقودِ تغَيَّظَـــــــتْ على اللحمِ حتى تترُكَ العَظْمَ باديـا [١]
كانَّ نهيمَ الغَلّيِ في حُجُراتِهـــــــــا تَمارِي خُصُومٍ عاقِدينَ النّواصِيا [٢]
لها هَزَمٌ وَسْطَ البيوتِ ، كأنّـــــــــهُ صَريحيَّةٌ ، لا تحرِمُ اللّحْمَ جاديا [٣]

وتسلب الصورة التي عقدها عدي بن الرقاع ـ لوصف البطل الجواد ـ اللب، وترتقي بالعقل إلى آفاق التخيل، فكأنه يبصر الرمال أمام بيت الرجل الكريم، وقد نعمت، وتغربلت حباتها، ودقت، لكثرة ضيوفه وطارقيه ، فإذا بالقارئ يحس نعومة الرمال بين يديه، ويرى الرياح تنقلها، لخفتها وهشاشتها، وفي هذه الصورة طرفٌ وابتكار، يظهر البراعة الفنية لدى الشاعر في البناء الشعري، الذي يواشج فيه بين الصور الحركية، والحسية، والبصرية [٤] :

وتَرى بُغاةَ الخيْرِ يَنْتجِعونَـــــهُ من كلِّ ناحيةٍ إليهِ سبيـــــــلُ
يَرِدونَ ثَمَّتَ يَصْدُرونَ فَمِنْهُـــمُ مترحِّلونَ وآخرونَ نُـــــزولُ
يَغْشَوْنَ مُشْتَرَكَ الفَواضِلِ عِنْـــدَهُ مَثْوىً تَوارَثَهُ الوفودُ رسيـــلُ
فترى منازِلَهُمْ كأنَّ تُرابَهـــــــا وَسَطَ الرِّحالِ مُغَرْبَلٌ مَنْخُـــولُ
تَرَكَتْ به رَكْبُ المَطِيِّ مَرَاغَـــة فترى سَفاها بالعَشِيِّ تجــولُ [٥]

وثمة أنواع أخرى من الصور الحركية التي أبدع الشعراء الأمويون في رسمها وتصويرها، مثل؛ حركة الخلاخل وأثرها في ساق المرأة وإبراز مفاتنها والتعبير عن جمالها [٦]، وحركة جوارح الصيد التي تمكّنها من الإمساك بفريستها [٧]، وحركة الرماح والسيوف وأصواتها أثناء القتال [٨]، التي صورها القطامي بقوله [٩]:

والرُّمْحُ يهْتَزّ اهْتِزازَ المُحْجِـــمِ من بعد ما اختَلَّ السِّنانُ معصَمـــي

---

[١] . استحمشوها: هيجوها .
[٢] . نهيم: صوت. حجراتها: جوانبها. تماري: منازعة ومجادلة.
[٣] . الهزم: الصوت القوي. صريحية: منسوبة إلى صريح، وهو فحل منجب، شبه هزم القدور برغاء النياق الصريحية. الجادي: الطالب .
[٤] . العاملي، عدي بن الرقاع ، ديوان عدي بن الرقاع العاملي ، ص ٢٠٨ .
[٥] . السفا: التراب من كثرة ما توطأ قد دقّ ترابها .
[٦] . انظر: عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٢٩٧. والعرجي، ديوان العرجي، ص٩٤. والثقفي، طريح بن إسماعيل، شعر طريح بن إسماعيل الثقفي، ص١١٠.
[٧] . انظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٨٩.
[٨] . انظر: الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١٥٥، ص٢٤١. وابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٥٠. والفرزدق، ديوان الفرزدق، ١ : ٢٥٤ – ٢٥٥، ٣٢١ – ٣٢٣.
[٩] . القطامي، ديوان القطامي، ص١٢٢. وانظر شواهد أخرى: ص١٢٨، ص١٣٠، ص١٤٩.

ويصور كثيّر عزّة انتشار عطر محبوبته وعبيرها عبر صورة شميّة رائعة بقوله [١]:

تأرَّجَ الحَيُّ إذ مرَّتْ بِظَعْنهِـــمُ ليلى ونمَّ عليها العَنْبَرُ العَبِـــقُ

وتشتم رائحة العنبر والريحان من ضفائر محبوبة قيس بن الملوح من خلال الصورة الشمية التي يرسمها بقوله [٢]:

إذا حَرَّكَ المِدرَى ضفائِرَها العُــلا مَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا

ويرسم عدي بن الرقاع صورة بصرية تتنوع ألوانها القزحية فتكاد تخطف الأبصار بقوله [٣]:

بَنَوا قناطِرَهُ حتى إذا جَعلـــوا لهُ من الجَنْدَلِ العادِيِّ أركانـــا
فأحْسَنَ الصُّنْعَ بنّاؤوكَ وارتفعـوا فوق الذين تَغَنّوا فيه أزمـــانا
كَسَوْهُ من عَمَلِ الصُّنّاعِ مُلْتَهِـفاً يكاد يْختَطِفُ الأبصارَ عِقيـــانا[٤]
كأنّهُنَّ قِياسُ الصَّيْفِ إذ طَـرَدَتْ كَنَهْوَراً فَزَحَتْهُ الرّيحُ ريّانـــا[٥]
إذا حَدَتْ قَزَحٌ منهُ سحابَتَهـــا رأيْتَ منه مع الشؤبوبِ ألوانـــا

وشاعت الصورة البصرية في وصف الشعراء الأمويين لمظاهر العمارة والبناء، مثل تشبيههم الهوادج بالأبراج، وفي تصويرهم لبعض مظاهر الصناعة لديهم، مثل؛ تشبيههم المرأة بالدمى والتماثيل.

وبرزت الصورة الذوقية في وصف جمال المحبوبة، والتغزّل بها، وتذوق رضابها، كما يقول قيس بن الملوح [٦]:

مُفَلّجَة الأنيابِ لو أنَّ ريْقَهـــا يُدَاوى به الموتى لقاموا من القَبْرِ

ويسرف الوليد بن يزيد في وصف الخمرة ولذَّتها، ليعود فيؤكد قصورها عن إدراك ما لريق الحبيبة من النكهة واللذة، فيقول [٧]:

---

[١] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٤٦٧. تأرّج: تضوّع وانتشرت فيه الرائحة الذكية.
[٢] . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص٧٥. المدري: المشط. مججن: أي نضحن برائحة العنبر والريحان.
[٣] . العاملي، عدي بن الرقاع، ديوان عدي بن الرقاع العاملي، ص١٧٣.
[٤] . ملتهق: برّاق، وكذاك المتألق. العقيان: الذهب.
[٥] . قياس: جمع قوس، يعني قوس قزح. الكنهور: السحاب المتراكم.
[٦] . قيس بن الملوح، ديوان قيس بن الملوح، ص١٠٦.
[٧] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٣١. يعلّ: يمزج. اللقاح: جمع لقحة، وهي الناقة اللبون. مجاجة: ما يمصّ. الزقاق: جمع زق، وهو إناء الخمر. القراح: الخمر.

فما مِسْكٌ يُعَلُّ بزنجبيـــــــــلٍ ولا عَسَلٌ بألبانِ اللّقـــــــــاحِ
بأشْهَر من مُجاجَةِ ريقِ سلمـــى ولا ما في الزِّقاقِ من القَـــرَاحِ

وتأتي براعة الشاعر الأموي في اختيار اللون المناسب لكل صورة من صوره، بحيث يخدم اللون دلالاتها وإيحاءاتها ويصبح وسيلة للتعبير والإبانة، فاللون عنصر بارز في صورهم الشعرية، فهذا عروة بن أذينة يشير إلى اللون الأحمر في الصورة التي يرسمها لقرط المرأة، فيقول [١]:

كأنَّ القلائِدَ في جيدِهـــــا إلى حيثُ تَعْقِدُ منها الرِّعاثـــا
من الدُّرِّ يَحْفِلُ ياقوتُـــــهُ كَجَمْرِ الغَضا يَتَلَظّى مُجاثـــا

ويستخدم كثير عزة اللون الأصفر لقوس الصائد، ولا يخفى ما للون الأصفر من لمعان وإثارة، يقول كثير [٢]:

وصفْراءَ تلمعُ بالنّابِلِيْـــــنَ كَلَمْعِ الخَرِيْعِ تحلّتْ رِعاثـــا

وفي الحديث عن حسن الخلق والجوار وطيب المعشر يوفّق القطامي في استخدام اللون الأبيض، وما يدلل عليه من صفاء ونقاء حينما يصف بني نفيل [٣]:

مِن البِيْضِ الوجوهِ بني نُفَيْـــلٍ أبَتْ أخلاقَهُمْ إلا اتّساعـــا

وتتعدد الشواهد الشعرية التي تتجلى فيها قدرة الشعراء الأمويين في تلوين صورهم الشعرية، وتركيب ألوانها ومزجها بما يخدم مبتغاهم ويحقق مرادهم من صورهم الشعرية [٤].

لقد نقل الشاعر الأموي مظاهر الحياة الاجتماعية في عصره نقلاً أميناً، بعيداً عن التعمق في التشبيهات، والإيغال في عقد المقارنات، فإذا قصد التشبيه كانت تشبيهاته حسية حاول فيها إبقاء جواهر الموضوعات على حالها دون تبديل أو تغيير، ومن هنا، جاءت صوره ناقلة ناطقة بما أملته تلك الحياة من معطيات وظواهر.

---

[١] . ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٩٣. الرعاث: القرطة، واحدتها رعثة (بتسكين العين وتحريكها)، وترعّثت المرأة أي تقرّطت. يحفل ياقوته: يجلوه.
[٢] . الخزاعي، كثير، ديوان كثير عزة، ص٢١٣. النابلون: الحاذقون بالنبل. الخريع: المرأة الناعمة.
[٣] . القطامي، ديوان القطامي، ص٣٨.
[٤] . انظر: القطامي، ديوان القطامي، ص١٥٤. والرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٦٥. والعرجي، ديوان العرجي، ص٢٧. وجرير، ديوان جرير، ١ : ٣١٥. وذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ص٣٤١، ص٣٧٢. والأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٠٢، ٢ : ٦٩٦.

وقد أبدع الشعراء الأمويون صوراً تفاعلت واتسقت مع تفاصيل حياتهم وجوانبها الاجتماعية، فجاءت صورهم بمختلف أشكالها وضروبها، وما اتكأت عليه من قوالب بلاغية متمازجة الألفاظ، واضحة الأركان، بيّنة المعالم، تنبئ عن إيحاءاتها بجلاء، متّسقة الأجزاء، برزت فيها الألوان، والأصوات، والحركات، وامتازت بالواقعية، والبعد عن التكلّف والتعقيد.

ثالثاً : التشكيل الموسيقي :

لقد اتسم الشعر الأموي الذي يصف مظاهر الحياة الاجتماعية وجوانبها المختلفة بالتنوع الموسيقي، حيث نظم الشعراء الأمويون مقطوعاتهم وقصائدهم على مختلف البحور الشعرية، فجاءت أوزانها متنوعة على البحر الطويل، والخفيف، والوافر، والبسيط، والكامل، وغيرها، ومن ذلك قول العرجي واصفاً محبوبته على البحر البسيط " وهو من البحور التي ظلت في كل العصور موفورة الحظ يطرقها كل الشعراء ويكثرون النظم فيها " [١]، مما ولّد نغمة مريحة وخفيفة وهادئة، يقول [٢]:

أبْصَرْتُ وجْهاً لها في جيْدِهِ تَلَـــــعٌ تحتَ العُقودِ وفي القرطينِ تشْميـــــرُ

غرْثى الوشاحِ ورابَ ما أحاطَ بـــــهِ منها الإزارُ وما في الحِجْلِ ممكـــــورُ

إن تقارب الحروف وتآلفها في هذه الأبيات، وتوالي حركاتها، وسهولة مخارجها، أمر يناسب موضوع الشاعر ويحقق غايته، ووافق ذلك اختياره لألفاظ ذات وقع إيقاعي مؤثر.

ولجأ بعض الشعراء الأمويين تحت تأثير الغناء الذي شاع في العصر الأموي إلى استخدام الأوزان السهلة الخفيفة، وممن انساق وراء ذلك جاعلاً شعره ملائماً للغناء والطرب، الشاعر ابن قيس الرقيات، فهو يقول على مجزوء الخفيف [٣]:

عَلَلِ القوْمَ يَشْربـــــــــــــــوا كي يَلَذّوا ويَطْرَبـــــــــــــــوا

إنّما ضَلّلَ الفَـــــــــــــــؤا دَ غزالٌ مُرَبْـــــــــــــــرَبُ

فَرَشَتْهُ على النّمَـــــــــــــــا رِقِ سُعْدى وزَيْنَـــــــــــــــبُ

---

[١] . أنيس، إبراهيم (١٩٨١)، موسيقى الشعر، ط٥، (د.ن)، (د.م)، ص١٩١.

[٢] . العرجي، ديوان العرجي، ص٢٢٦ – ٢٢٧. الجيد: مقدم العنق. التلع: طول العنق. التشمير: الارتفاع وطول القامة. غرثة: جائعة. الرابي: العالي. ما أحاط الإزار: يعني أردافها. الممكور: المليء.

[٣] ، الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص٦٣ – ٦٤.

ولا شك في أن أصوات المدّ واللين في هذه الأبيات تولد إيقاعاً مؤثراً يلائم الغناء والطّرب، كما أن توالي الأفعال المتساوية في الوزن ينسجم مع الغناء الذي جعل الشعراء الأمويين يعتنون بموسيقى شعرهم وإيقاعه ووزنه ليكون سهلاً على الأسماع تقبلُهُ ولا تَمُجُّه.

والوليد بن يزيد " يميل أكثر من الحجازيين إلى التحريف في الأوزان والتعديل فيها حتى تتلاءم مع الغناء الجديد، إذ ابتدع وزناً جديداً هو المجتث " [١]، يقول [٢]:

أحِبُّ الغناءَ وشُرْبَ الطِّـــــــــلاء وأنْسَ النّساءِ وربِّ السُّـــــــــوَرْ

ودَلَّ الغواني وعزْفَ القيـــــــــانِ بِصِنْجٍ يمانٍ قَبيْل السَّحَـــــــــرْ

لقد نُظمت هذه الأبيات على البحر المتقارب ذي التفعيلات الاربع المكررة (فعولن فعولن فعولن فعولن ...) مما ولّد إيقاعاً موسيقياً ثابتاً، وقسم البيت الشعري إلى مقاطع صوتية متساوية تنتهي بقافية واحدة، وقد انسجم هذا الإيقاع مع الغناء الذي يحتاج إلى لحن سلس، وإيقاع قصير يطرب الأسماع.

ولتوليد موسيقى ناعمة ذات جودة وصفاء تتلاءم مع الغناء وسهولة التلحين لجأ الشعراء الأمويون إلى تكرار حرف من الحروف في أشعارهم الاجتماعية، مما أكسبها تناغماً وصفاء موسيقياً، فتعاقب الحركات والسكنات بصورة منتظمة يمنح القصيدة وقعاً موسيقياً داخلياً، ومن ذلك تكرار ابن قيس الرقيات لحرف العين في مقطوعته العذبة ذات الجرس الموسيقي المتناغم، يقول [٣]:

حُيِّيْتِ عَنّا أمَّ ذي الـــــــــوَدَعِ والطَّوْقِ والخَرَزاتِ والجَـــــــــزَعِ

تحْنُو على طفلٍ تُلاعِبُـــــــــهُ صَلْتِ الجَبيْنِ لسادَةٍ ضُلّـــــــــعِ

يبْكي فتُسْكِتُهُ بِبُرْدَتِهـــــــــا وعليْهِ منها مائلُ الفَـــــــــرْعِ

فقد جاءت موسيقى هذه الأبيات خفيفة ناعمة، كما أن تكرار حرف العين سواء أكان ذلك في القافية أم في ثنايا البيت أكسب الأبيات موسيقى هادئة توافق الأذواق الحضرية، وتنسجم مع فن الغناء والطرب الشائع عندها.

وقد تجنّب الشعراء الأمويون في حديثهم عن الظواهر الاجتماعية ووصف معطيات عصرهم وحياة أهله القوافي الصعبة الغريبة، ونظموا أشعارهم مستخدمين القوافي السهلة والشائعة،

---

[١] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص٣١١.

[٢] . الوليد بن يزيد، ديوان الوليد بن يزيد، ص٥٤.

[٣] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٣٣ – ١٣٤. الفرع: شعر المرأة. الجزع: ضرب من الخرز.

وابتعدوا في أكثر ما نظموا عن الرويّ الصعب، مثل؛ الثاء، والخاء، والطاء، والظاء، وهي حروف لا تتواءم مع طبع العرب في ذلك العصر.

إلا أنهم في الوقت ذاته لجأوا في بعض أشعارهم إلى استخدام القوافي المقيدة التي يكون رويّها ساكناً، ومن ذلك قول النعمان بن بشير الأنصاري [١]:

يُبادِرُهُ كلُّ مسْتَبْسِـــــــــــــلٍ كحَدِّ السِّنانِ شُجاعٍ بَطَـــــــــــــلْ
صبورٍ وقورٍ لما نابَـــــــــــــهُ بكلِّ لذيذٍ حُسامٍ قَصِـــــــــــــلْ

وقد حفلت بعض أشعار الأمويين الاجتماعية بوجود موسيقى داخلية أوجدتها القوافي، فالنابغة الشيباني يستخدم التصريع في البيت الأول من قصيدته التي يقول فيها [٢]:

أضْحَتْ أميْمَةَ لا يُنالُ زِمامُهـــــــا واعتادَ نفْسَكَ ذِكْرُها وسَقَامهـــــــا

ويعود إليه مرة ثانية في البيت الثالث منها، ثم التاسع، وهكذا حتى ينتهي منها، وهي قصيدة عقدها لوصف جوانب من مظاهر الحياة الأموية وما وصلت إليه حضارتها من تقدم ورقي.

وقد اهتم الشعراء الأمويون بظاهرة التصريع فشاعت عندهم وتنوعت ضروبها وأشكالها، فابن قيس الرقيات يستخدم التصريع المتماثل في الوزن والحركات، فيقول [٣]:

لقدْ فَتَنَتْ ريَّا وسلّامَةَ القَسَّـــــــا فلم تتْرُكا للقَسِّ عقلاً ولا نَفْســـــــا

ويستخدم عمر بن أبي ربيعة تصريعاً غير متماثل في الوزن والحركات، فيقول [٤]:

وتَضَوَّعَ المِسْكُ الذَّكِيُّ وعنْبَـــــــرٌ من جِيْبِها قد شابَهُ كافـــــــــورُ

ومنح تكرار البنى الصرفية الشعر الاجتماعي ثراءً موسيقياً وإيقاعاً متناغماً ملموساً، ومن ذلك تكرار الراعي النميري لاسم الفاعل حين وصف شعر محبوبته بقوله [٥]:

والواضِحُ الغُرُّ مَصْقولٌ عوارِضُـــــهُ والفاحِمُ الرَّجُلِ المسْتورَدُ الدَّاجـــــي

---

[١] . الأنصاري، النعمان بن بشير الأنصاري، ديوان النعمان بن بشير الأنصاري، ص١١٠.
[٢] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١٦٢ – ١٦٥.
[٣] . الرقيات، عبيد الله بن قيس، ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ص١٢١.
[٤] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص٧٩.
[٥] . الراعي النميري، ديوان الراعي النميري، ص١١٩. الرجل: المرجل، وهو الشعر المسرح، والشعر الوارد: المسترسل الطويل.

وتكرار صيغة منتهى الجموع الذي استخدمه عمر بن أبي ربيعة في قوله [١]:

حَسَروا الوجوهَ بأذْرُعٍ ومعاصِـــــم ورَنَوا بنُجْلٍ للقلوبِ كوالِـــــــــمِ
حَسَروا الأكِمَّةَ عن سواعِدِ فِضَّـــــةٍ فكأنّما انتَصَبَتْ متون صـــــــوارِمِ

وقول الأخطل الذي يكرر فيه الصفة المشبهة واصفاً الهوادج المصبوغة باللّك الأحمر والأسود[٢]:

فَقَرَّبْنَ للبيْنِ الجمالَ وزُيِّنَـــــــــتْ بأحْمَرَ مِن لَكِّ العِراقِ وأسْـــــــوَدا

وتكرار تلك الأبنية الصرفية وغيرها يسهم في نمو الإيقاع الداخلي، " فرصد العلاقات والأبنية الصوتية في البيت، وتتبعها في أبيات القصيدة، والكشف عن الروابط التي تصل البيت بالبيت والمجموعة من الأبيات، تمكن الدارس من الوقوف على نمو الإيقاع الداخلي " [٣].

ومن الظواهر الإيقاعية التي يمكن استجلاؤها من الشعر الاجتماعي في العصر الأموي شيوع ظاهرة أصوات المد واللين، كما في قول النابغة الشيباني في وصف المسجد الأموي [٤]:

فيهِ الزَّبَرْجَدُ والياقوتُ مؤتَلِـــــــفٌ والكِلْسُ والذَهبُ العقيانُ مرصـــوفُ

وظاهرة تكرار الأصوات المتماثلة، مثل؛ الهاء، والنون، التي تضفي على القصيدة نغماً موسيقياً رائقاً يجعلها تعلق في الأسماع، ومن ذلك قول الحسين بن مطير الأسدي [٥]:

مُخَصَّرَةَ الأوْساطِ زانتْ عُقودُهـــــا بأحْسَنَ مما زيَّنَتْها عُقَودُهـــــــــا
يُمَنِّيْنَنَا حتى تَرِفَّ قلوبُنـــــــــــا رفيفَ الخُزامى باتَ طَلٌّ يجودُهـــــا

كما أسهم التنوين بتشكيل نسق إيقاعي جميل في بعض الشعر الاجتماعي، ويتضح ذلك من قول المتوكل الليثي [٦]:

لها بَشَرٌ نَقِيُّ اللونِ صـــــــــافٍ وأخلاقٌ تشينُ بها اللَثامـــــــــــا
ونحْرٌ زانَهُ دُرٌّ حَلِـــــــــــيٌّ وياقوتٌ يُضَمِّنُهُ النِّظامـــــــــــا

---

[١] . عمر بن أبي ربيعة، ديوان عمر بن أبي ربيعة، ص١٩٤.
[٢] . الأخطل، شعر الأخطل، ١ : ٣٠٢. البين: الفراق. اللك: أنماط مصبوغة بنبات اللك.
[٣] . خليل، إبراهيم (١٩٩٥)، النص الأدبي تحليله وبناؤه، مدخل إجرائي،ط١، دار الكرمل، عمان، ص٩٢.
[٤] . النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص١١١.
[٥] . الأسدي، الحسين بن مطير، شعر الحسين بن مطير الأسدي، ص١٥٨. يجودها: ينهل عليها ويصيبها. الطل: أثر الندى على الأرض.
[٦] . الليثي، المتوكل، شعر المتوكل الليثي، ص١١٦. در خليّ: أي لؤلؤ معجب. النظام: الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ. وانظر: النابغة الشيباني، ديوان نابغة بني شيبان، ص٥٦.

وهكذا يتضح أن الشعراء الأمويين الذين نظموا مقطوعاتهم وقصائدهم لوصف مظاهر الحياة الاجتماعية وظواهرها المادية والمعنوية اعتنوا بالبحور السهلة والأوزان الخفيفة؛ لتتلاءم وروح العصر الجديد، فقد تطوَّر شعرهم " مع تطوّر حياة العرب الاجتماعية وما كان فيها من طبقات، وانسجمت أوزانه وموسيقاه مع ما شاع فيه من فن الغناء " [١].

وقد اتسمت قصائدهم بتنوعها الموسيقي ما بين الأوزان الطويلة والقصيرة، ومال بعضها إلى الأوزان القصيرة المجزوءة ملاءمة للغناء الذي انتشر في بعض البيئات الأموية، كما شاعت لديهم ظواهر موسيقية تميزت بها أشعارهم ومقطوعاتهم الاجتماعية، مثل؛ تكرار بعض البنى الصرفية، والتنوين، وتكرار الضمائر المتماثلة، والبعد عن القوافي الصعبة والغريبة، واستخدام أصوات المدّ واللّين، وقد أسهمت جميعها في تولّد إيقاع داخلي وخارجي ملموس امتاز به أغلب الشعر الاجتماعي في العصر الأموي.

[١] . ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، ص١١٧.

الـخـاتـمـة :

وصلت الدراسة في نهايتها - بعد أن عرضت لأبرز مظاهر الحياة الاجتماعية وجوانبها وصورها من خلال الشعر في العصر الأموي _ إلى مجموعة من النتائج، منها:

- كانت الحياة السياسية في عصر بني أمية حياة ثائرة، لم تعرف الهدوء في أكثر أيامها، إذ كان الأمويون يعدون في رأي كثير من الأمة الإسلامية غاصبين للخلافة، واتسمت حياة الشام ببعض الهدوء لوجود الأمويين فيها، أما الحجاز والعراق فقد عُرفا بالسخط على بني أمية وسلطتهم، وسرعان ما نتج عن ذلك السخط أحزاب سياسية تعارض بني أمية وتخاصمهم وتدعو إلى الانتفاض عليهم، وهي أحزاب الزبيريين والخوارج والشيعة، وكانت مبادئ هذه الأحزاب واختلافاتها مدعاة لكثرة الثورات في هذا العصر. كما تمتاز الدولة الأموية بأن عصرها كله زمن فتح، ففيه اتسعت حدود الدولة الإسلامية، ومما يحسب للدولة الأموية تطور جهازها الحكومي الذي تمثل في إنشاء بعض الدواوين التي دعت الحاجة لاستحداثها.

- شهد هذا العصر تحولاً حاسماً في تاريخ المجتمع العربي، فقد انتقل هذا المجتمع بعد أن مهد له عصر صدر الإسلام من مرحلة البداوة إلى مرحلة التحضر، وقد أثرت هذه النقلة الحضارية الضخمة في الكثير من الأنماط المعيشية لأفراد المجتمع، وانعكست على قيم المجتمع، ومثله، وعاداته، وعلاقاته الإنسانية، ومظاهر حياته الاجتماعية.

- تباين الوضع المادي للناس في العصر الأموي فتشكلت لذلك طبقات متباعدة مالياً واجتماعياً، وأثرت حياة المجتمع الأموي الاقتصادية في حيواته الأخرى تأثيراً بالغاً، وشكلت العديد من تصرفات أبنائه وعاداتهم، وأنتجت في المجتمع مظاهر جديدة ولوّنته بألوان مختلفة انتقلت به من صورة إلى صورة أخرى.

- انفتحت الحياة الأدبية على مصراعيها في العصر الأموي، وكان الخلفاء الأمويون يشجعون أكثر ما يشجعون على طلب الأدب والقصص، ففتحوا أبوابهم للشعراء والأدباء والقصاصين وبذلوا لهم الأموال، وكانوا يعينون القصّاص في المساجد، وأكثروا من

المجالس الأدبية، كما بذلوا الكثير من عنايتهم في سبيل المحافظة على اللغة وتدوين النحو ووضع النقط والشكل ونقل دواوين الخراج إلى العربية، وأولوا الكتابة وأعلامها رعاية خاصة، واتخذوا أعلامها كتاباً في ديوان رسائل الخلفاء، ليشهد العصر الأموي بذلك كله نهضة أدبية ممتدة الأبعاد طالت معظم فروع العلوم التي ازدهرت في تلك الفترة.

- عبّر الشعراء الأمويون عن طبيعة العلاقات الأسرية بين أفراد مجتمعهم في مختلف صورها، ورسموا أدق تفاصيلها، فكانت علاقاتهم عامرة بالمشاعر الإنسانية الجيّاشة، زاخرة بمعاني الود والاحترام والوفاء، وإن شابتها شائبة، أو دبّ بين بعضهم الشحناء، جاء عتابهم ولومهم بلسماً شافياً يرأب الصدع، ويعقد الأواصر، ويجمع الشمل من جديد.

- إن صورة بعض الآباء في العصر الأموي تكشف عن شخصية حانية عطوفة على أبنائها، محبة لهم، متحملةً النوائب والمصاعب لأجل سعادتهم، مقدمة جلّ خبرتها لهم، هادفة إلى حسن تنشئتهم ليكونوا خير خلف لخير سلف، فإذا ما فقدتهم أصبحت نفسها حزينة متألمة أشد الألم لفراقهم.

- إن الزوج في العصر الأموي ساهم في إرساء قواعد الحياة الزوجية من خلال ما أظهره من مشاعر الود والمحبة تجاه زوجته، وخوفه عليها وعلى أبنائها، ومن خلال عنايته بشؤون أسرته واهتمامه بأفرادها، فظهر الزوج محباً لزوجه، يحفل بدماثة خلقها وحسن طباعها، وينتقد سوء تصرفها وسلوكها، متخذاً في ذلك جُل السُّبل التي تحمي أسرته، فإن لم ترتدع الزوجة وتعود إلى رشدها، استعمل معها سبيل الضرب أو الهجر مثلما دعاه ربه، وإن تعذّرت بينهما الحياة الزوجية طلّقها، وفي الجانب الآخر أعرب عن بالغ أساه لفقدها وضياعه بعد موتها.

- ما فتئت الأم في العصر الأموي تَكِنُّ لأولادها حباً جمّاً وعاطفة جيَاشة، ولم تنفك تعتني بهم وتكلؤهم بعنايتها ورعايتها منذ أن تتحسَّسهم في أحشائها حتى يكبروا وينصهروا في بوتقة المجتمع، ولا تضن عليهم في رحلتهم هذه بنصحها وإرشادها وتوجيهها، فإذا ما فاجأها القدر بفقدهم غمّت حياتها، واعتصرت نفسها ألماً لفراقهم.

- مثَّلت المرأة في العصر الأموي بوصفها زوجة وظيفة اجتماعية هامة لا تستقيم الحياة دونها، إذ كان لها حضور بارز في مجتمعها عامة وفي أسرتها خاصة، فكانت في معظم الأحيان موضع حبّ زوجها وتغزّله، حيث صوّر مشاعره الجياشة تجاهها، وتخوَّف من فراقها، ووصفها جسداً ونفساً، ولم يعزلها عن أمور حياته، فاستشارها في شؤون حياتهما، وتعاونا سوياً فيما يحقق الحياة الفضلى لأسرتهما.

- إن المرأة وعلى مر الأزمان محبّة للتزيّن والاعتناء بمظهرها، وهذا ما تقتضيه طبيعتها البشرية، إلا أن ما طرأ على العصر الأموي من تطورات نتيجة الفتوحات، وتوسع المجتمع واستقراره في مدن كثيرة تلاقحت فيها الثقافات بين القادم والمقيم، جعل المرأة تنزع نحو الترف ورغد العيش، فتحلّت بأفضل ما لديها من الحلي، ولبست الملابس الفاخرة المرصّعة بالجواهر، ولم تنس الاعتناء بشعرها فتفنَّنت في تسريحه ووصله وتخضيبه لتبدو أكثر جمالاً، وتطيّبت بأذكى العطور، وتنوعت أشكال حليها وأصنافها ومواضعها، فكان منها: الأقراط والشنوف، والأطواق، والقلائد، والعقود، وغيرها.

ـ كان دأب أبناء المجتمع الأموي، حبَّاً لوالديهم، واعتزازاً بهما، وطاعة وإحساناً لهما، وفخراً بهما وبصفاتهما وأخلاقهما الفضيلة ونسبهما الشريف، فإذا ما مات أحدهما انبرى الأبناء لرثائه، متفجِّعين متألمين، مستذكرين طيبه ومناقبه الحسنة، وما تلك العلاقات السلبية التي كانت تقوم على عقوق الأبناء للآباء وإساءة الأدب معهم، وإغضابهم استرضاء لزوجاتهم، إلا نزر يسير تستدعي وجودها طبيعة بعض الأنفس البشرية، فقد غلب على أبناء المجتمع الأموي فيما شاع من خلال الشعر والأخبار أن علاقة الأبناء بوالديهم علاقة تقوم على بر الوالدين، ورعايتهما، والفخر بهما، ورثائهما بحزن عميق تبعثه مودة الأبناء ومحبتهم وتعلقهم بوالديهم.

ـ كغيرها من العلاقات الإنسانية، كانت علاقة الأخوة في المجتمع الأموي تقوم عند بعضهم على أساس المحبة والوفاء، والحرص والدعم المعنوي والمادي، فكان الأخ لأخيه صنوَ نفسه وعديل روحه، ورفيق حياته، وسنده في الخطوب، وملجأه في المحن، إلا أنها عند بعضهم الآخر علاقة صُدِعت، فعَمِد أحد الأخوين أو كلاهما للإساءة لأخيه، فما كان منه إلا اللوم والعتاب، وتعدّاه أحياناً إلى الذم والهجاء.

ـ كان للجواري والقيان أبرز الأثر في حياة الخلفاء الأمويين وأفراد المجتمع ككل، ولا سيما اللواتي تمتعن بحظ وافر من الجمال والأدب، وإجادة الغناء والضرب على الآلات الموسيقية، وعُدَّت الجارية هدية قيِّمة يُتهادى بها، حتى إن الخلفاء كانوا يجيزون الشعراء بإعطائهم الجواري الحِسان، وقد احتلت بعض الجواري مكانة رفيعة في العصر الأموي، واستطاعت أن تؤثر في سياسة الدولة وتدبير شؤونها، وكان لبعضهنّ الآخر تأثير بارز في حياة الأسر والأفراد، وتسبَّبن في كثير من المنازعات والخصومات بين أفراد الأسرة الواحدة، ومن جانب آخر كنّ خادمات أنيطت بهن أعمال متعددة قمن بها.

- تنوعت أخلاق المجتمع وقيمه في العصر الأموي، واحتلّت خصلة الشجاعة والفروسية المنزلة الرفيعة منها، بسبب كثرة المعارك والنزاعات والصراعات السائدة في العصر، ومثلت الأخلاق والقيم الأخرى جانباً قيمياً واجتماعياً، مثل؛ خلق الكرم، والإباء، والحلم، والعفة، والحزم، والصبر، والوفاء، وغيرها.

- تعرّض المجتمع الأموي لسلسلة من الهزات الناجمة عن تحول المجتمع العربي من البداوة إلى المدنية، وظهور الدولة بسلطتها الحاكمة. وقد أضافت التغيرات السكانية التي جرت في تركيبة المجتمع العربي أموراً في حياة الناس لم يرتضوها، فنبذوها حفاظاً على قيم مجتمعهم ومثله، وانطلقت ألسن شعراء العصر الأموي تنتقد صوراً من الآفات الاجتماعية التي ظهرت في مجتمعهم، مثل؛ تغير القيم وانقلابها، وتقطع العلاقات الاجتماعية وتقوّضها، وتغير الأصدقاء والأقارب وتقلّبهم، وظلم السلطة والمتنفذين من أفراد المجتمع، والفقر وسوء الأحوال الاقتصادية وما أدت إليه من فقر وجوع ومرض.

- كان لرغد العيش الذي عاشه أهل المجتمع الأموي وترفِ حياتهم واتصالِهم بالأمم الأخرى الأثرُ البالغُ في معرفتهم لأنواع متعددة وأصناف متنوعة من الأطعمة والحلوى والأشربة، وقد مهروا في طبخها وتحضيرها، وشاع أكثرها على موائدهم وفي مناسباتهم.

- تناسب لباس أهل العصر الأموي مع طبيعة حياتهم وما أصابها من تبدل وتغير، فلبسوا أجود الملابس المصنوعة من الكتان والقطن والديباج والخز، وتنبئ الشواهد الشعرية أن الشعراء الأمويين قد سجَّلوا في أشعارهم معظم الملابس التي ارتداها واتخذها أهل

العصر، وقد تمايز الناس بارتداء تلك الملابس تبعاً لمستواهم المعيشي ومركزهم الاجتماعي والعلمي والسياسي، وعُرفت بعض طبقاته بارتداء أنواع معينة منها.

- لقد روَّحَ أبناء المجتمع الأموي عن أنفسهم وتسلّوا وأمضوا أوقات فراغهم بسبل أمتعتهم وأسرّتهم، فمارسوا الصيد والطرد، واستمعوا للغناء وشاهدوا الرقص، وخرجوا للتنزه في الوديان والغدران والحدائق والبساتين، ومارسوا جملة من الألعاب والرياضات، مثل؛ سباق الخيل، والكرة، الشطرنج، والنرد، واللعب بالدّمى، وغيرها، مما ألقى على حياتهم ظلالاً من المرح والبهجة والسرور.

- شهد العصر الأموي نشاطاً اقتصادياً مميزاً وواضحاً، أثّر بشكل كبير في تكوين الحضارة العربية الإسلامية، وساعد على بلورتها وامتدادها زمانياً ومكانياً، وكان ذلك من خلال ضروب عديدة من الحرف والصناعات التي عرفها الأمويون وبرعوا فيها، ومظاهر عمرانية ما زالت شواهدها ماثلة إلى يومنا هذا، شكلت مهاداً لحضارات متعاقبة، وقد رافق ذلك كله حركة علمية وثقافية نشطة وواسعة، كان قوامها الاهتمام بالتعليم والحرص على التأديب، والعناية بهما وبأهلهما، مما أسهم في انتشار العلوم المختلفة واتساعها على امتداد الدولة الأموية المترامية الأطراف آنذاك.

- ازدهر فن البناء والعمارة نتيجة اتصال العرب بالأمم المجاورة، وقد أمدَّهم العنصر الخارجي الذي انفتحوا عليه نتيجة الفتوحات الإسلامية بما يلزمهم من أناس مهرة في البناء، يعرفون أنواعه وطرائق تشييده والمواد اللازمة له، وأساليب تزيينه وتجميله، وقد شاع البناء والعمران في معظم أرجاء الدولة الأموية ومناطقها، وتنوعت المباني فيها تبعاً لاختلاف البيئة، ومدى توافر المواد الأولية، بالإضافة إلى وجود العمَّال المهرة الذين ينهضون بهذه الحرفة، وقد تميزت الشام بفن البناء والعمارة، ولا غرو في ذلك؛ فهي عاصمة الخلافة، إضافة إلى توافر المواد الخام الأولية اللازمة للبناء فيها.

- لقد عرفت معظم البيئات الأموية _ولا سيما تلك التي شهدت تحضراً واستقراراً_ أنواعاً كثيرة من البناء والعمارة، تباينت في أشكالها والمواد المستخدمة في بنائها وتزيينها، فكان منها؛ العمارة الدينية، مثل؛ المساجد التي اهتموا بزخرفتها وهندستها.

والعمارة الحربية، مثل؛ الحصون والقلاع. والعمارة المدنية، مثل؛ تمصير المدن، وإنشاء القصور، والدور والبيوت، والأسوار، والجسور، والقناطر، والقباب، وغيرها.

- توسّعت مجالات الصناعة، فعرف المجتمع الأموي صناعة الأسلحة والمعدات الحربية، وصناعة السفن والقوارب، وصناعة الدمى والتماثيل، وغيرها، وتنوعت لذلك المهن والحرف في العصر الأموي، وقد ساعد على هذا التطور تنوع الموارد المالية، وكثرة الموالي الوافدين إلى المجتمع الأموي بعد الفتوحات الإسلامية، ووفرة المواد الخام الأولية في بيئات العصر المتنوعة جغرافياً، والواسعة مكانياً، وقد جاء هذا التطور منسجماً مع اتساع حجم الدولة الأموية، وتزايد سكانها، وتعدد حاجاتهم ومستلزمات معيشتهم.

- يتسم الشعر الاجتماعي في العصر الأموي بسهولة ألفاظه وسلاستها، ومتانة عباراته، وحسن سبكها، وجزالة أسلوبه، وصدق عواطفه، وحرارة انفعالاته، وآثر بعض شعراء العصر الأموي عند حديثهم عن الظواهر الاجتماعية الأسلوب الحواري، الذي يكشف عن دقائق الحياة الاجتماعية، ولا سيما العلاقات العامة بين أفراده، ويمنح الشاعر أفقاً أوسع، ومدىً أرحب للتعبير عما يجول بخاطره، ولنقل أفكاره وآرائه حول معطيات الحياة وجوانبها المختلفة، كما استخدم الشعراء الأمويون في رسمهم لجوانب الحياة الاجتماعية المادية والمعنوية المحسنات البيانية، مثل؛ التشبيه، والكناية، والاستعارة، وغيرها، وتنوعت صورهم الشعرية، فظهرت الصور اللونية، والسمعية، والحركية، وغيرها، بأسلوبٍ متنامٍ، وانتظمت هذه الصور في النسيج العام للقصيدة.

واعتنى الشعراء الأمويون الذين نظموا مقطوعاتهم وقصائدهم لوصف مظاهر الحياة الاجتماعية وظواهرها المادية والمعنوية بالبحور السهلة والأوزان الخفيفة؛ لتتلاءم وروح العصر الجديد، واتسمت قصائدهم بتنوعها الموسيقي ما بين الأوزان الطويلة والقصيرة، ومال بعضها إلى الأوزان القصيرة المجزوءة ملاءمة للغناء الذي انتشر في بعض البيئات الأموية، كما شاعت لديهم ظواهر موسيقية تميزت بها أشعارهم ومقطوعاتهم الاجتماعية، مثل؛ تكرار بعض البنى الصرفية، والتنوين، والبعد عن القوافي الصعبة والغريبة، واستخدام أصوات المدّ واللّين، وغيرها، وقد أسهمت جميعها في تولّد إيقاع داخلي وخارجي ملموس امتاز به أغلب الشعر الاجتماعي في العصر الأموي.

- **المصادر والمراجع:**

القرآن الكريم .

- الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (٣٧٠هـ)، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، (تحقيق ف. كرنكو)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩١م.
- الإبشيهي، بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٥٢هـ)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٢م.
- ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري (ت٦٣٧ هـ)، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ط١، ٤أجزاء، (تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- ـــــــــ، **الكامل في التاريخ**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦م.
- ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد (ت٦٠٦هـ)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، ط٢، (تحقيق عبد القادر الأرناؤوط)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م.
- أحمد، لبيد إبراهيم وآخرون (١٩٩٢)، **الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي**، بغداد: طبع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد.
- الأحوص الأنصاري، عبدالله بن محمد بن عبد الله (ت١٠٥هـ)، **شعر الأحوص الأنصاري**، (جمعه وحققه عادل سليمان جمال)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت).
- الأخضر اللهبي، الفضل بن العباس بن عتبة الهاشمي القرشي (ت٩٥هـ)، **شعر الأخضر اللهبي**، (جمع محمود أبو الخير)، دار الفرقان، عمّان، ١٩٩٣م.

- الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث التغلبي (ت٩٥هـ)، **شعر الأخطل**، (تحقيق فخر الدين قباوة)، دار الأصمعي، حلب، ١٩٧١م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسني (ت ٥٦٠هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ابن أذينة، عروة بن يحيى بن مالك الليثي (ت١٣٠هـ)، **شعر عروة بن أذينة**، (تحقيق يحيى الجبوري)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧٠م.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت٢٥٠هـ)، **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار**، ط٢، (تحقيق رشدي الصالح ملحس)، دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٦٥م.
- الأسد، ناصر الدين (١٩٨٨)، **مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية**، ط٨، بيروت: دار الجيل.
- الأسدي، الحسين بن مطير (ت١٧٠هـ)، **شعر الحسين بن مطير الأسدي**، (جمعه وقدم له حسين عطوان)، معهد المخطوطات، القاهرة، ١٩٦٩م.
- الأسدي، عبد الله بن الزبير (ت ٧٥هـ)، **شعر عبد الله بن الزبير الأسدي**، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٧٤.
- الأسدي، الكميت بن زيد (ت١٢٦هـ)، **شعر الكميت بن زيد الأسدي**، ٣ أجزاء، (جمع وتقديم داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٩م.
- أسعد، رابحة مصطفى ياسين (٢٠٠٤)، **مظاهر الحياة المادية في الشعر الأموي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)، **الأغاني**، (حققه عبد الستار أحمد فرّاج)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٥٩م.
- ابن أعثم الكوفي، أحمد بن أعثم (ت ٣١٤هـ)، **كتاب الفتوح** ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

- الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس (ت٧هـ)، **ديوان الأعشى الكبير: ميمون بن قيس**، (شرح محمد محمد حسين)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦م.
- الألمعي، علي بن عبده (٢٠٠٦)، **التعليم في العصر الأموي**، ط١، مكتبة جامعة الملك عبد العزيز، جدة.
- الألوسي، محمود شكري (ت ١٣٤٣هـ)، **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب** ، ٣أجزاء، (شرحه وصححه محمد بهجة الأثري)، دار الكتب العلمية، بيروت، نسخة مصورة عن الطبعة الأولى، (د.ت).
- أمين، أحمد (د.ت)، **فجر الإسلام**، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الأنصاري، النعمان بن بشير الخزرجي (ت٦٤هـ)، **شعر النعمان بن بشير الأنصاري**، ط١، (حققه وقدم له يحيى الجبوري)، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م .
- أنيس، إبراهيم (١٩٨١)، **موسيقى الشعر**، ط٥،(د.م): (د.ن).
- البارقي، سراقة بن مرداس الأزدي (ت ٧٩هـ)، **ديوان سراقة البارقي**، ط١، (حققه وشرحه حسين نصار)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٧ م.
- البازيار، أبو عبد الله الحسن بن الحسين، **البيزره**، (تحقيق محمد كرد علي)، المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥٣م.
- الباشا، عبد الرحمن رأفت (١٩٧٤)، **شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- الباهلي، أبو الخطاب عمرو بن أحمر (ت ٦٥هـ)، **شعر عمرو بن أحمر الباهلي**، (جمع وتحقيق حسين عطوان)، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٦٠م.
- البربري، أبو سعيد سابق بن عبد الله (ت١٠٠هـ)، **شعر سابق بن عبد الله البربري**، (جمع بدر أحمد ضيف)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

- البستاني، بطرس (١٩٤٤)، **الشعراء الفرسان**، بيروت: منشورات دار المكشوف.
- ابن بطلان البغدادي، أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون (ت ٤٥٨هـ)، **رسالة جامعة لفنون نافعة في شرى الرقيق وتقليب العبيد**، (تحقيق عبد السلام هارون)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٤م.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن بكار، العباس بن بكار الضبي (ت٢٢٢هـ)، **أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان**، ط١، (تحقيق سكينة الشهابي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
- البكري، أبو عبيدة عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (٤٨٧هـ)، **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي**، (تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦م.
- ـــــــــ، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، ٢م ، ٤ أجزاء (تحقيق مصطفى السقا)، عالم الكتب، بيروت، (د.ت).
- البلاذري، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ)، **جمل من أنساب الأشراف**، ط١، (تحقيق سهيل زكّار ورياض زركلي)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦م.
- ـــــــــ، **فتوح البلدان**، ط٢، (تحقيق م.ج. دي غويه)، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٦٨م.
- بلبع، عبد الحكيم (١٩٥٤)، **النثر الفني وأثر الجاحظ فيه**، ط ٢، القاهرة: طبعة لجنة البيان العربي.
- التيمي، عمر بن لجأ (ت١٠٥هـ)، **شعر عمر بن لحأ التيمي**، (جمع يحيى الجبوري)، دار الحرية، بغداد، ١٩٧٦م.
- الثقفي، أبو الصلت طريح بن إسماعيل (ت١٦٥هـ)، **شعر طريح بن إسماعيل الثقفي**، (دراسة وجمع وتحقيق بدر أحمد ضيف)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م.

- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)، **البيان والتبيين**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠م.
- ـــــــــ، **الحيوان** ، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، (د.ت).
- الجبر، خالد عبد الرؤوف (٢٠٠٣)، **الصمة بن عبد الله القشيري، حياته و شعره**، عمّان: دار المناهج.
- الجبوري، يحيى (١٩٦٨)، **الجاهلية مقدمة في الحياة العربية لدراسة الأدب الجاهلي**، بغداد: مطبعة المعارف.
- ـــــــــــــ، (١٩٨٩)، **الملابس العربية في العصر الجاهلي**، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ)، **أسرار البلاغة**، (تحقيق هلموت ريتر)، مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول، ١٩٥٤م.
- ـــــــــــ، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، (تصحيح محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي)، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٤م.
- جرير، جرير بن عطية الخطفي (ت ١١٤هـ)، **ديوان جرير**، ط٢، ٢م، (تحقيق نعمان محمد أمين طه)، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٦م .
- الجمحي، أبو دهبل وهب بن زمعة بن أسد بن جمح (ت٦٣هـ)، **ديوان أبي دهبل الجمحي**، (تحقيق عبد العظيم عبد المحسن)، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٧٢م.
- الجمحي، أبو عبد الله محمد بن سلام (ت٢٣٢هـ)، **طبقات فحول الشعراء**، (شرح محمد محمود شاكر)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م.
- جميل بن معمر، أبو عمرو جميل بن عبدالله القضاعي (ت٨٢هـ)، **ديوان جميل بثينة**، (جمع وتحقيق حسين نصار)، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت).

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٣هـ)، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**، ط٣، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
- جيدة، عبد الحميد (١٩٨٦)، **إنشاء الكتابة عند العرب**، طرابلس: منشورات دار الشمال.
- حاوي، إيليا (د.ت)، **فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب**، بيروت: دار الثقافة.
- ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت ٢٤٥هـ)، **أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والإسلام**، (تحقيق سيد حسن كسروي)، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ـــــــــ، **المحبّر**، مطبعة جمعية دائرة المعرف العثمانية، حيدر أباد، ١٩٤٢م.
- ابن حجر الكناني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ)، **فتح الباري بشرح البخاري**، مطبعة مصطفي البابي، القاهرة، ١٩٥٩م.
- حداد، حنا جميل (١٩٨٤)، وضاح اليمن، حياته وما تبقى من شعره، **مجلة المورد**، المجلد الثالث عشر، العدد (٢)، العراق.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، (تحقيق عبد السلام هارون)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- حسين، فالح (١٩٧٨)، **الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي**، عمّان: منشورات الجامعة الأردنية.
- الحسين، قصي (٢٠٠٤)، **موسوعة الحضارة العربية، العصر الأموي**، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- الحصري، أبو إسحق إبراهيم بن علي القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، **زهر الآداب وثمر الألباب**، (تحقيق صلاح الدين الهواري)، المكتبة العصرية، صيدا، ٢٠٠١م.
- ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي (ت٥٦٢هـ)، **التذكرة الحمدونية**، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م.

- الحميري، ابن مفرغ (ت ٦٩هـ)، **ديوان ابن مفرغ الحميري**، (جمع وتقديم داود سلوم)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٦٨م.
- الحوفي، أحمد محمد، (١٩٥٢)، **الحياة العربية من الشعر االجاهلي**، ط٣، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (ت ٣٦٧هـ)، **كتاب صورة الأرض**، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، (د.ت).
- الخارجي، محمد بن بشير (ت١٣٠هـ)، **شعر محمد بن بشير الخارجي**، ط١، (تحقيق محمد خير البقاعي)، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٥م.
- الخربوطلي، علي حسني (د.ت)، **حضارة العالم الإسلامي، العصر العربي**، القاهرة: دار الهنا.
- الخزاعي، كثير بن عبد الرحمن (ت ١٠٥ هـ)، **ديوان كثير عزة**، (جمع إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١م.
- خفاجي، عبد المنعم (١٩٧٥)، **تاريخ الأدب في العصر الأموي**، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد الإربلي (ت٦٨١هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.
- خليل، إبراهيم (١٩٩٥)، **النص الأدبي تحليله وبناؤه، مدخل إجرائي**، ط١، عمّان: دار الكرمل.
- خماش، نبال تيسير (١٩٨٤)، **شعر الخلفاء في العصرين الراشدي والأموي**، عمّان: مطابع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية.

- الخولي، سناء (١٩٨٤)، **الأسرة والحياة العائلية**، بيروت: دار النهضة العربية.
- الدؤلي، أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان (ت ٦٩ هـ)، **ديوان أبي الأسود الدؤلي**، ط٢، (تحقيق محمد حسن آل ياسين)، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٨م.
- دراج، أحمد السيد (١٤٠١هـ)، صناعة الكتابة و تطورها في العصور الإسلامية، **مجلة دعوة الحق**، سلسلة شهرية تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السنة الأولى، ذو القعدة، (العدد ٨).
- دراوشة، صلاح الدين أحمد (٢٠٠١)، **القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي من خلال ديواني المفضليات والأصمعيات**، ط١، إربد: مكتبة الفجر.
- ابن الدمينة، أبو السري عبد الله بن عبيد الله (ت نحو ١٣٠هـ)، **ديوان ابن الدّمينة**، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد حبيب، (تحقيق أحمد راتب النفاخ)، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ١٩٥٩م.
- ابن ذريح، قيس بن ذريح (ت ٦٩ هـ)، **ديوان قيس لبنى**، ط١، (جمعه وحققه وشرحه عفيف حاطوم)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)، **سير أعلام النبلاء**، (تحقيق إبراهيم الأبياري وصلاح الدين المنجد ومحمد سعيد طلس)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٢م.
- ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي (ت ١٧٧هـ)، **ديوان ذي الرمة**، ط١، (شرحه وضبط نصوصه وقدّم له عمر فاروق الطبّاع)، دار الأرقم ابن أبي الأرقم، بيروت، ١٩٩٨م.
- الذويخ، سعد فهد (٢٠٠٩)، **صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي**، ط١، إربد: دار عالم الكتب الحديث.
- الرّاعي النميري، عبيد بن حصين (ت٩٧هـ)، **ديوان الرّاعي النميري**، (دراسة وتحقيق نوري القيسي وهلال ناجي)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٠م.

- رزق، عاصم محمد (٢٠٠٠)، **معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية**، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن (ت٤٥٦هـ)، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، ط٤، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الجيل، بيروت.
- الرفاعي، أنور (١٩٧٠)، **الإنسان العربي والحضارة**، بيروت: دار الفكر.
- الرقب، شفيق (١٩٨٤)، **شعر الجهاد في عصر الموحدين**، عمّان: مكتبة الأقصى.
- الرقيات، عبيد الله بن قيس (ت٧٥هـ)، **ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات**، ط١، (تحقيق وشرح عزيزة فوال بابتي)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٥م.
- رواقة، إنعام موسى إبراهيم (١٩٩٥)، **الحياة الاقتصادية وأثرها في الشعر الأموي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن.
- الزبير بن بكار، أبو عبد الله الزبير بن بكار القرشي (ت ٢٥٦ هـ)، **الأخبار الموفقيات**، (تحقيق سامي مكي العاني)، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٦م.
- الزبيري، أبو عبد الله مصعب بن عبد الله (ت ٢٣٦هـ)، **نسب قريش**، (تحقيق أ. ليفي برفنسال إيفاريست)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٣م.
- الزركلي، خير الدين (٢٠٠٥)، **الأعلام**، ط١٦، بيروت: دار العلم للملايين.
- الزرو، خليل داود (١٩٧١)، **الحياة العلمية في الشام في القرن الأول والثاني للهجرة**، بيروت: دار الآفاق الجديدة.
- زلط، عبد الحليم محمود (١٩٨٤)، البطولة النفسية والشمائل الإنسانية في الشعر الجاهلي، **مجلة الدارة**، العدد (٣).
- زيدان، جرجي (١٩٦٧)، **تاريخ التمدن الإسلامي**، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- زينب بنت علي (٢٠٠٠)، **معجم أعلام النساء المسمى الدر المنثور في طبقات ربات الخدور**، (تحقيق منى محمد زياد الخرّاط)، بيروت: مؤسسة الريان.

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
- ابن سعيد المغربي، نور الدين أبو الحسن علي بن موسى (ت ٦٨٥هـ)، **المرقصات والمطربات**، دار حمد ومحيو، بيروت، ١٩٧٣م.
- ابن سلام، أبو عبيد القاسم (ت ٢٤٤ هـ)، **كتاب السلاح**، ط٢، (تحقيق حاتم الضامن)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
- السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله (ت ٩١١هـ)، **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**، ط٢، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧١م.
- ابن سهيّة المرّي، أبو الوليد أرطأة بن زفر الغطفاني (ت ٦٥هـ)، **شعر أرطأة بن سهية المرّي**، ط١، (جمع وتحقيق شريف علاونة)، دار المناهج، عمّان، ٢٠٠٦م.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨هـ)، **المخصص**، ط١، (قدّم له خليل إبراهيم جفال)، اعتنى بتصحيحه مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م.
- السيف، عبد الله (١٩٨٣)، **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأموي**، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري (ت ٩١١هـ)، **تاريخ الخلفاء**، ط١، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٧١هـ.
- ـــــــــ، **طبقات الحفاظ**، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م.
- ـــــــــ، **طبقات المفسرين**، ط١، (تحقيق علي محمد عمر)، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

- ابن شاكر، صلاح الدين محمد الكتبي (ت٧٦٤هـ)، **فوات الوفيات**، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.
- الشجراوي، زكريا حسني إبراهيم (٢٠٠٢)، **شعر زينة المرأة في العصر الأموي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.
- ابن الشجري، هبة الله بن على بن حمزة (ت٥٤٢هـ)، **الحماسة الشجرية**، (تحقيق عبد المعين الملوقي وأسماء الحمصي)، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠م.
- شير، أدي (١٩٨٠)، **معجم الألفاظ الفارسية المعربة**، بيروت: مكتبة بيروت.
- الصابوني، محمد علي (١٩٨٦)، **صفوة التفاسير**، ط٥، بيروت: دار العلم.
- صالح، مخيمر (١٩٨٨)، **شعر الاحتجاج الاقتصادي في العصر الأموي**، ط١، عمّان: دار الفيحاء.
- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، **الوافي بالوفيات**، (تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- صفوت، أحمد زكي (د.ت)، **جمهرة رسائل العرب**، بيروت: المكتبة العلمية.
- ضيف، شوقي (١٩٧٦)، **العصر الإسلامي**، ط٧ ، القاهرة: دار المعارف.
- ـــــــــــ، (١٩٦٧)، **الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية**، ط٢، بيروت: دار الثقافة.
- ـــــــــــ، (١٩٩١)، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، ط٩، القاهرة: دار المعارف.
- ابن طباطبا، أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي (ت٣٢٢هـ)، **عيار الشعر**، (تحقيق وتعليق طه الحاجري ومحمد زغلول سلام)، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.

- ابن الطَّثرية، يزيد بن سلمة بن سمرة (ت١٢٦هـ)، **شعر يزيد بن الطثرية**، (تحقيق ناصر بن سعد الرشيد)، دار مكة، مكة المكرمة، ١٩٨٠م.
- الطرماح، الحكم بن حكيم الطائي (ت١٢٥هـ)، **ديوان الطرماح**، (تحقيق عزة حسن)، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٨م.
- ابن الطقطقي، أبو جعفر محمد بن علي (ت٧٠٩هـ)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، (تحقيق عبد القادر محمد مايو)، دار الفكر العربي، حلب، ١٩٩٧م.
- طهبوب، صلاح (٢٠٠٤)، **موسوعة التاريخ الإسلامي، العصر الأموي**، عمّان: دار أسامة.
- طوقان، فواز (١٩٧٤)، الحائر في العمارة الأموية، **وقائع المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام**، ط١، عمّان: مطبوعات الجامعة الأردنية.
- ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر الخراساني (ت٢٨٠هـ)، **بلاغات النساء**، ط٢، (شرح أحمد الألفي)، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٨٥م.
- العالم، إسماعيل أحمد (١٩٨٧)، **وصف الطبيعة في الشعر الأموي**، عمّان: دار عمّار.
- العاملي، عدي بن الرقاع (ت٩٥هـ)، **ديوان عدي بن الرقاع العاملي**، (تحقيق نوري القيسي وحاتم الضامن)، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٧م.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، **العقد الفريد**، (تحقيق محمد سعيد العريان)، دار الفكر، بيروت، ١٩٤٠م.
- عباس، إحسان (١٩٩٩)، **تاريخ بلاد الشام في العصر الأموي**، ط٢، عمّان: مطبعة الجامعة الأردنية.
- ـــــــــــ (١٩٧٤)، **شعر الخوارج**، ط٢، بيروت: دار الثقافة.
- ـــــــــــ (١٩٨٦)، عبد الملك بن مروان ودوره في ثقافة عصره، **مجلة دراسات – العلوم الإنسانية**، الجامعة الأردنية، المجلد الثالث عشر، (العدد الأول)، كانون الثاني.

- العباسي، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد (ت ٩٦٣هـ)، **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، دار الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت٤٦٣هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، (تحقيق علي محمد البجاوي)، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
- عبد الرحمن، عفيف، (١٩٨١)، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**،٤(١١-١٢).
- عبد الله، صلاح مصليحي (د.ت)، **التقليد والتجديد في الشعر العربي حتى نهاية العهد الأموي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الله، علي أحمد (٢٠٠٣)، **شعر الشكوى في العصر الأموي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا.
- عبد الله بن معاوية (ت ١٣١هـ)، **شعر عبد الله بن معاوية**، ط٢، (جمعه عبد الحميد الراضي)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- عبد النور، جبّور (١٩٤٧)، **الجواري**، القاهرة: دار المعارف.
- أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، **كتاب أخبار العقلة والبررة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- ابن العجاج، أبو الحجاف رؤبة بن عبد الله (ت١٤٥هـ) ، **ديوان رؤبة بن العجاج، في مجموع أشعار العرب**، ط١، (اعتنى بتصحيحه وليم بن الورد البروسي)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م.
- العجلي، أبو النجم الفضل بن قدامة (ت ١٣٠هـ)، **ديوان أبي النجم**، (تحقيق سجيع جميل النجيلي)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي (ت٣٣٣هـ)، **كتاب المحن**، (تحقيق يحيى الجبوري)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٣م.

- العرجي، عبد الله بن عمر (ت١٢٠هـ)، **ديوان العرجي**، ط١، (جمعه وحققه وشرحه سجيع النجيلي)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨م.
- ابن عساكر، ثقة الدين أبو القاسم علي بن الحسن (ت ٥٧١هـ)، **تاريخ مدينة دمشق**، (تحقيق سكينة الشهابي ومطاع الطرابيشي)، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨١م.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ)، **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**، (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- العش، محمد أبو الفرج (١٩٧٤)، النقود العربية الإسلامية: مصدر وثائقي للتاريخ والفن، **وقائع المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام**، الجامعة الأردنية، عمّان.
- العصفري، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت ٢٤٠هـ)، **تاريخ خليفة بن خياط**، (تحقيق سهيل زكار)، وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٦٧م.
- العظم، أسمية (١٩٩٦)، **المجتمع في العصر الأموي**، ط١، بيروت: دار العلم للملايين.
- علاونة، شريف (٢٠٠٤)، **عقيل بن علفة المري، سيرته وشعره**، ط١، عمّان: دار المناهج.
- علي، جواد (١٩٧١)، **المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، بيروت: دار العلم للملايين.
- العلي، صالح (١٩٦٩)، **التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري**، ط٢، بيروت: دار الطليعة.
- علي، محمد كرد (١٩٨٣)، **خطط الشام**، ط٣، دمشق: مكتبة النوري.
- ابن العماد العكري، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد (ت١٠٨٩هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ط٢، دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩م.
- عمر بن أبي ربيعة (ت٩٣هـ)، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم، بيروت، (د.ت).
- العمروسي، فايد (١٩٦١)، **الجواري والمغنيات**، القاهرة: دار المعارف.

- غريب، جورج (١٩٨٥)، **شاعرات العرب في الإسلام**، ط١، بيروت: دار الثقافة.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني (ت ٣٩٥هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، (تحقيق إبراهيم شمس الدين)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩م.
- فالح، جليل (١٩٨٠)، البطل في شعر الحماسة، **مجلة آداب الرافدين**، العدد (١٤).
- الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب التميمي (ت١١٤هـ)، **ديوان الفرزدق**، جزآن، دار صادر، بيروت، ١٩٦٦ م.
- الفزاري، مالك بن أسماء بن خارجة (ت نحو ١٠٠هـ)، **شعر مالك بن أسماء الفزاري**، ط١، (جمع وتحقيق ودراسة شريف علاونة)، دار المناهج، عمّان، ٢٠٠٤م.
- الفقراء، إنشراح علي (٢٠٠٥)، **المظاهر الحضارية في شعر الغزل في العصر الأموي**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن.
- الفيروزأبادي، محمد بن بعقوب بن محمد (ت٨١٧هـ)، **القاموس المحيط**، دار الجيل، بيروت، ١٩٥٢م.
- قاري، لطف الله (١٩٨٦)، **نشأة العلوم الطبيعية عند المسلمين في العصر الأموي**، ط١، الرياض: دار الرفاعي.
- القالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم (ت٣٥١هـ)، **كتاب ذيل الأمالي والنوادر**، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٦م.
- القاهري، محمد بن منكلي (ت ٧٨٤ هـ)، **أنس الملا بوحش الفلا**، (تحقيق محمد عيسى صالحية)، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- القتال الكلابي، عبد الله بن مجيب بن المضرحي (ت٦٤هـ)، **ديوان القتال الكلابي**، (حققه وقدم له إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦١ م.
- ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، **الشعر والشعراء**، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٤م.

- ـــــــــــــــ، **عيون الأخبار**، (تحقيق محمد الإسكندراني)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤م.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن (ت ٦٨٤هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، (تقديم محمد الحبيب ابن الخوجة)، دار تونس، تونس، ١٩٦٦م.
- القطامي، عمير بن شييم (ت١٠١هـ)، **ديوان القطامي**، ط١، (تحقيق إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠م.
- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت ٦٤٦هـ)، **أخبار العلماء بأخيار الحكماء**، (تصحيح محمد أمين الخانجي)، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٨م.
- قيس بن الملوح، قيس بن الملوح بن مزاحم العامري (ت ٦٨هـ)، **شرح ديوان قيس بن الملوح**، (شرح رحاب عكاوي)، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٤ م.
- القيسي، نوري حمودي (١٩٨٢)، **شعراء أمويون**، ٣ أقسام، بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي.
- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت٧٥٢هـ)، **أخبار النساء**، (شرح وتحقيق نزار رضا)، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٩م.
- الكبيسي، حمدان وآخرون (١٩٨٥)، **حضارة العراق**، بغداد: دار الحرية.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت ٧٤٤هـ)، **البداية والنهاية في التاريخ**، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٣٢م.
- كحالة، عمر رضا (١٩٥٩)، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، دمشق: المطبعة الهاشمية.
- كشاجم، أبو الفتح محمود بن الحسين الرّملي (ت ٣٦٠هـ)، **المصايد والمطارد**، (تحقيق محمد أسعد طلس)، دار اليقظة، بغداد، ١٩٥٤م.

- الكلابي، طهمان بن عمرو (ت ٨٠هـ)، **ديوان طهمان بن عمرو الكلابي**، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٨م.
- الكناني، نصر بن سيار (ت١٣١هـ)، **ديوان نصر بن سيار الكناني**، (جمع عبد الله الخطيب)، مطبعة شفيق، بغداد،١٩٧٢م.
- الليثي، المتوكل بن عبد الله (ت٨٥هـ)، **شعر المتوكل الليثي**، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٩٧١م.
- ليلى الأخيلية، ليلى بنت عبد الله بن الرحال بن شداد (ت٨٠هـ)، **ديوان ليلى الأخيلية**، (جمع إبراهيم العطية وخليل العطية)، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م،
- مؤلف مجهول، **نقائض جرير والأخطل**، (عني بطبعها الأب أنطون صالحاني اليسوعي)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٢٢م.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) ، **التعازي والمراثي**، (تحقيق محمد الديباجي)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٧٦م.
- ـــــــ، **الكامل في اللغة والأدب**، ط١، (تحقيق حنا الفاخوري)، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.
- المخزومي، الحارث بن خالد (ت ٨٥هـ)، **شعر الحارث بن خالد المخزومي**، ط١، (تحقيق يحيى الجبوري)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، ١٩٧٢م.
- المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران (ت٣٨٤هـ)، **أشعار النساء**، (تحقيق سامي مكي العاني وهلال ناجي)، دار الرسالة، بغداد، ١٩٧٦م.
- ـــــــــ، **معجم الشعراء**، (تحقيق عبد الستار أحمد فرّاج)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ)، **التنبيه والإشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨١م.

- ـــــــــــ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط١، دار الأندلس، بيروت، ١٩٦٥م.
- مسكين الدرامي، ربيعة بن عامر (ت٨٩هـ)، **ديوان مسكين الدرامي**، (تحقيق عبد الله الجبوري وخليل العطية)، دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح (ت٧٦٣هـ)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، (تحقيق غازي طليمات)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م
- المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥ هـ)، **النقود الإسلامية المسمى بشذور العقود في ذكر النقود**، (تحقيق محمد السيد علي بحر العلوم)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٧م.
- ابن المقفع، عبد الله (ت ١٤٢هـ)، **الأدب الصغير والأدب الكبير**، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠م.
- المنذري، زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت ٦٥٦هـ)، **الترغيب والترهيب في الحديث**، (تحقيق السيد علي عاشور)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م.
- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، (د.ت).
- ـــــــــــ، **مختصر تاريخ دمشق**، (تحقيق روحية النحاس)، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.
- أبو موسى، أحمد (٢٠٠٨)، **التاريخ السياسي والحضاري والأدبي في صدر الإسلام والعصر الأموي**، اللاذقية: منشورات جامعة تشرين.
- الموسى، سعد بن موسى (١٤٠٩هـ)، **تاريخ الحياة العلمية في المدينة النبوية خلال القرن الثاني الهجري**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- المومني، عمر عيد سليمان (٢٠٠٩)، **التطور الحضاري في الشعر الغزلي الأموي**، عمّان: دار ابن بطوطة للنشر.
- ابن ميادة، الرماح بن أبرد المري (ت١٤٩هـ)، **شعر ابن ميادة**، (جمعه وحققه حنا جميل حداد)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٨٢م.
- النابغة الشيباني، عبد الله بن مخارق بن سليم (ت ١٢٥هـ)، **ديوان نابغة بني شيبان**، ط١، (شرح وتقديم قدري مايو)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- ناصف، مصطفى (١٩٥٨)، **الصورة الأدبية**، ط ١، القاهرة: مكتبة مصر.
- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق (ت٤٣٨هـ)، **الفهرست**، مؤسسة الدراسات العربية، بيروت، ١٩٧٧م.
- نشأت، كمال (١٩٧٠)، **في النقد الأدبي، دراسة وتطبيق**، النجف الأشرف: مطابع النعمان.
- أبو النصر، عمر (١٩٤٨)، **الحضارة الأموية العربية في دمشق**، بيروت: مطابع روطوس.
- نصيب بن رباح (ت ١٠٨ هـ)، **شعر نصيب بن رباح**، (جمع وحققه داوود سلوم)، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧م.
- نصير، أمل (٢٠٠٠)، **صورة المرأة في الشعر الأموي**، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- النويري، شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب (ت٨٣٣هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- هدبة بن الخشرم (ت٥٠هـ)، **شعر هدبة بن الخشرم العذري**، (جمع وتحقيق يحيى الجبوري)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦م.

- ابن هرمة، أبو إسحق إبراهيم بن علي بن سلمة الكناني (ت١٨٣هـ) ، **ديوان ابن هرمة**، (تحقيق محمد جبار المعيبد)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٩ م.
- الهندي، سيد أمير علي (١٩٣٨)، **مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي**، (ترجمة رياض رأفت)، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- أبو وجزة السعدي، يزيد بن عبيد السلمي (ت١٣٠هـ)، **شعر أبي وجزة السعدي**، (جمع ودراسة وليد محمد السراقبي)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٠م.
- الوليد يزيد (ت١٢٦هـ)، **ديوان الوليد بن يزيد**، (تحقيق حسين عطوان)، ط١، دار الجيل بيروت.
- اليازجي، كمال (١٩٧٣)، **في الشعر العربي القديم**، ط١، ٢م، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت٦٢٦هـ)، **معجم الأدباء**، (تحقيق عمر فاروق الطباع)، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٩٩م.
- ـــــــــــــ، **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- يزيد بن معاوية (ت٦٤هـ)، **ديوان يزيد بن معاوية**، ط١، (تحقيق واضح الصمد)، دار صادر، بيروت، ١٩٩٨ م.

SOCIAL POETRY IN THE UMAYYAD ERA
STUDY IN VISIONS AND FORMATION

By

Al-Moutaz Bellah Hamdi Mansor

Supervisor

Dr . Salah Mohammad Jarrar, Prof.

ABSTRACT

Poetry has been an integral part of the Arabs' life since ancient times. It (poetry) has tackled the people's concerns and hopes, and portrayed the different aspects and social features of their life. For this reason, this study is conducted to delve into the particulars of the social life of the Umayyad society, and uncover the social ties binding its members, their customs and traditions, their means of entertainment and amusement, and the professions and crafts they excelled in. It also checks the tools they used in this era, illustrates the Umayyad's prominent cultural achievements in the industrial, urban spheres, etc, and scrutinizes closely the artistic/ technical composition of the social poetry in the Umayyad era.

The study concludes, based on the reading of poems and "al-muqatta'at" (the shortest poetic composition Arabs have known), that the Umayyad poets portrayed the nature of the familial ties existing among their society members in its various forms, drawing with words its most precise details. They also pictured the Umayyad society traditions

and customs, ideals, and morals, and mentioned the top foods and drinks known by the Umayyad community's people, the shapes and sorts and colours of their clothes, and the ways they followed to have fun and entertain themselves.

The study reveals a number of professions and crafts in which the Umayyad society members excelled in and performed proficiently. It also presents the key cultural accomplishments of the Umayyad society in the fields of building, architecture, and industry, and shows the tools and materials they employed to realize those accomplishments.

The study shows that the social poetry spread in the Umayyad era had a poetic diction of its own, some characterized by realism, straightforwardness, and simplicity, while the other kind was characterized by its powerful, impressive, and eloquent word selection, depending on the social subject being addressed by the poet. The then social poetry was marked by having a style that was different from the other poetic trends, since its theme was closely linked to the social environment. Therefore, its style was realistic and direct or undeviating, and was consistent with the life led long ago, and was also characterized by its clarity and being far from philosophization and complexity.

The Umayyad poets created poetic depictions which interacted with and were consistent with the details of their life and its social facets. Consequently, their depictions emerged in their different types and forms and what these portrayals relied upon of rhetorical molds that have intermingling words, clear elements, and obvious features that foretell evidently its allusions. Their poetic depictions were diversified and so the colorful, audio, etc depictions came into existence in a very coherent manner and

were images or depictions which were steady throughout the general context which posed to address the then social life aspects.

The study shows that the Umayyad poets gave special attention to compose their poems using the simple or easy rhythms and light meters that fit the spirit of the new age, whilst some of their created poems swung in favor of the incomplete and short meters that are suitable for singing which spread in some of the Umayyad environments long ago. Also, musical trends characterizing there poems and social poetic pieces became widespread, leading to all of this contributing to generating a tangible inner and outer rhythm which distinguished most of the social poetry in the Umayyad period.